



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



ارسلنا
عليكم يا صابغ
الرماد

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

الشعائر الحسينية

فقه العتبات والزيارة

الجزء الثالث

تقريراً للحاضرات أيتها الله للعق

الشيخ محمد السند

بقلم

السيد رياض الموسوي

ابراهيم البغدادي

الشيخ عباس الالامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشعائر الحسينيه بين الاصاله والتجديد

كاتب:

رياض الموسوى

نشرت فى الطباعة:

دار الغدير

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٩	الشعائر الحسينيه بين الاصلته و التجديد المجلد ٣
١٩	اشاره
١٩	اشاره
٢٥	المقدمه
٢٩	الفصل الأول : إتمام المسافر فى مشاهد الأئمه عليهم السلام
٢٩	اشاره
٣١	تمهيد:
٣١	أقوال الأصحاب فى التعميم:
٤٥	أقوال أخرى فى التوسعه من جهات أخرى:
٤٩	ملحق الأقوال:
٥٠	تقريب الأدله على التعميم فى موضوع التخيير:
٥٠	اشاره
٥٠	الوجه الأول: اصطياذ العموم فى الموضوع من الأدله:
٦٠	الوجه الثانى: عموم الموضوع لعموم التعليل:
٦٠	اشاره
٦٣	فذلكه فى التعليل:
٦٦	الوجه الثالث: تعدد أسنه الموضوع للإتمام الوارده فى الروايات:
٧١	الوجه الرابع: التنصيص الخاص على تعميم الإتمام لقبول الأئمه المعصومين (عليهم السلام):
٧١	اشاره
٧١	تعدد ألفاظ المتن وتعدد الطرق:
٧٣	فقه و دلالة الروايه:
٧٨	الوجه الخامس: عموم حرم الله و حرم رسوله (صلى الله عليه و آله)، و حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) للمشاهد المشرفه:
٧٩	الملحق للوجه الأول: لتبيين عموم الموضوع:

٨٣	آيه بيوت النور:
١١١	ما ورد من إتمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الصلاة في مسجد براءنا أربعة أيام:
١١٤	ما ورد في فضل النوافل ولو النهاريه للمسافر في مسجد الغدير:
١١٥	مؤيدان أخريان للتعميم:
١١٧	تنبيهات مسأله عموم التخيير وأفضليته الإتمام في مشاهد الأئمه (عليهم السلام):
١٢١	الفصل الثاني : الحسين (عليه السلام) نبراس الإصلاح العالمى
١٢١	اشاره
١٢٣	الشرعيه الدوليه:
١٢٥	المدارس والمناهج الإسلاميه:
١٢٦	نهج الحسين عليه السلام ونهج الخوارج:
١٢٨	منهج الإمام الحسين (عليه السلام) ومنهج الطرف الآخر (المهادنه):
١٣٠	ظروف الأنبياء وظروف الخاتم (صلى الله عليه و آله):
١٣٢	تحسس الشرعيه:
١٣٣	شرعيه علاقتك مع الله:
١٣٥	شرعيه علاقتك مع نبيك:
١٣٦	شرعيه علاقتك مع إمامك:
١٣٧	شرعيه علاقتك مع مرجعيتك:
١٣٨	الحساسيه حول الإمامه:
١٣٩	التحسس حول شرعيه البديل:
١٤٠	مثال على عدم التحسس حول البديل:
١٤٢	موقف المرجعيه الدينيه وشيعه العراق:
١٤٤	هجوم على الشيعه:
١٤٥	الإصلاح الداخلى أولاً:
١٤٦	المشكله فى النخبه المثقفه الاسلاميه:
١٤٧	كيف نكون مبشرين لنهج سيد الشهداء:
١٤٨	عهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر والأمم المتحده:

- ١٤٩ الفاتيكان والصحيفه السجاديه:
- ١٤٩ الفاتيكان والإمام الحسين عليه السلام:
- ١٤٩ انتشار الثقافه المهديه:
- ١٥١ علينا تجسيد أخلاق أهل البيت عليهم السلام في عاشوراء:
- ١٥٥ الفصل الثالث : الحسين (عليه السلام) حاضر و مستقبل لا ماضٍ فقط
- ١٥٥ اشاره
- ١٥٩ البكاء نوع من الإصرار على مشروع التغيير والإصلاح الشامل:
- ١٦١ البكاء عبادته:
- ١٦٣ فقه الشعائر الدينيه:
- ١٦٦ شعيره الأذان:
- ١٦٨ أسرار زياره الأربعين:
- ١٦٨ اشاره
- ١٦٨ زياره الأربعين والمراقبه الدوليه:
- ١٦٩ زياره الأربعين والنظام البائد:
- ١٧٠ المشروع المهدي قائم بالمشروع الحسيني:
- ١٧١ المراقبه الدوليه لزياره الأربعين:
- ١٧٣ زياره الأربعين والمدينه الفاضله:
- ١٧٥ الحسين عليه السلام أسوه قدماً:
- ١٧٧ الحسين يربى الأنبياء:
- ١٨٠ الحسين هو الذى يحكم العراق والبلدان:
- ١٨٠ الحسين حاكم القلوب:
- ١٨١ المشى إلى العباده عبادته:
- ١٨٢ حرمه مناسبه وموسم الأربعين:
- ١٨٣ العلمانيه الجديده وزياره الحسين عليه السلام:
- ١٨٤ سر التركيز على زياره الحسين عليه السلام:
- ١٨٤ اشاره

- ١٨٤ السر الأول: إن مشروع أهل البيت(عليهم السلام) من أضخم المشاريع الإلهية:
- ١٨٥ السر الثاني: وهو أن الإنسان يحتاج إلى دوام الذكر:
- ١٨٥ اشاره
- ١٨٦ الفرق بين المعسكرين:
- ١٨٦ السر الثالث: طاعه أولى الأمر أوالمعصيه:
- ١٨٦ اشاره
- ١٨٩ طاعه أولى الأمر طاعه الدين:
- ١٩٠ السر الرابع: زائر الحسين يعيش هم المستضعفين:
- ١٩٢ السر الخامس: كتاب أسمه الحسين:
- ١٩٤ أرواحكم فى الأرواح:
- ١٩٥ الحسين هو القرآن المتجسد فى واقعه كربلاء:
- ١٩٧ الشعب يريد الحسين:
- ١٩٨ الإمام الحسين والرجعه:
- ١٩٩ برنامج المعصوم أمل البشرية:
- ٢٠١ الإمامه فى ذريه الحسين عليه السلام:
- ٢٠٢ قبه السماء الحسينيه والتربه الروحيه:
- ٢٠٣ لماذا لم يخرج الحسين بمفرده:
- ٢٠٥ الحور العين من نور الحسين عليه السلام:
- ٢٠٧ أصحاب الحسين عليه السلام ساده الشهداء:
- ٢٠٩ زوار الحسين عليه السلام ينشغلون بجماله عن الحور العين:
- ٢١١ نعم لتسييس الشعائر، لا لتسييس الشعائر:
- ٢١٤ التسييس الإلهى:
- ٢١٥ الانجذاب الروحى لسيد الشهداء عليه السلام:
- ٢١٧ إن لقتل الحسين حراره:
- ٢١٩ زياره النساء للأربعين
- ٢١٩ مشاركه المرأة لزياره الأربعين:

٢٢٧	الفصل الرابع : قاعده فى توسعه حريم مواسم الشعائر الدينيه زماناً ومكاناً
٢٢٧	اشاره
٢٣٠	الوجه الأول:- «الاستقراء المتصيد من الابواب الفقهييه لتوسعه الشارع
٢٣٠	اشاره
٢٣١	الحريم الزمانى
٢٣١	اشاره
٢٣١	الأول: باب الحج:
٢٣٣	الثانى: فى باب الصلاه:
٢٣٣	الثالث: موارد متفرقه:
٢٣٧	موارد توسعه الحريم المكانية
٢٤٤	الوجه الثانى: السيره العقلاييه الممضاة:
٢٤٥	الوجه الثالث:
٢٤٦	الوجه الرابع: قاعده تعدد مراتب المستحبات:
٢٤٦	الوجه الخامس: (قاعده الميسور لا يسقط بالمعسور):
٢٤٦	زبد المخاض: المحصله من الوجوه:
٢٤٩	الفصل الخامس : قاعده: المشى إلى العباده عباده
٢٤٩	اشاره
٢٥٤	أدله القاعده:
٢٥٤	اشاره
٢٥٤	الطائفه الأولى: ما ورد أن مطلق المشى عباده:
٢٥٦	الطائفه الثانيه: ما ورد فى المشى إلى الحج وهى على ألسن:
٢٥٦	اشاره
٢٧٤	ندبيه الأحتفاء فى المشى:
٢٨١	الطائفه الثالثه: طائفه من روايات المشى إلى المساجد:
٢٨٢	الطائفه الرابعه: المشى فى حاجه المؤمن:
٢٨٣	الطائفه الخامسه روايات (من مشى لصله رحم ولمطلق الطاعات):

- ٢٨٤ الطائفة السادسة: من مشى في نيه الخبر أو فعل طاعه:
- ٢٨٥ الطائفة السابعة: روايات استحباب المشى إلى زياره الحسين (عليه السلام):
- ٢٨٩ الطائفة الثامنة: استحباب زياره أمير المؤمنين (عليه السلام) ماشياً ذهاباً وعوداً:
- ٢٩٣ الفصل السادس : الحث على زياره الحسين (عليه السلام) مع الخوف
- ٢٩٣ اشاره
- ٢٩٥ رجحان الشعائر الحسينيه ولو مع الخوف على النفس
- ٢٩٥ الحث على زياره الحسين عليه السلام مع الخوف:
- ٢٩٦ من قُتل دون ماله فهو شهيد:
- ٢٩٧ قول الشيخ خضر بن شلال في المقام:
- ٢٩٨ قول الشيخ المجلسي:
- ٣٠٠ حث رؤساء الشيعة للزياره:
- ٣٠٤ ثواب القتل والحبس والتنكيل في طريق الزياره:
- ٣٠٧ زياره الحسين عليه السلام حاله التقيه:
- ٣٠٧ تناسب الثواب مع الخوف:
- ٣١٠ زياره الحسين عليه السلام في حاله الخوف:
- ٣١٢ ليست التقيه مبرراً لترك زياره الحسين عليه السلام:
- ٣١٤ زياره النصف من شعبان:
- ٣١٥ الفرق بين زياره الحسين عليه السلام وزياره بقيه الأئمه:
- ٣١٩ دعاء الإمام الصادق عليه السلام لزوار الحسين عليه السلام:
- ٣٢٢ التخريج الفقهي لتقديم الزياره على حفظ النفس:
- ٣٢٤ الفصل السابع : أثر البكاء على الحسين (عليه السلام) في تنوير الفكر والمعرفه
- ٣٢٤ اشاره
- ٣٢٤ البكاء في اللغه:
- ٣٣٤ حقيقه البكاء على الحسين (عليه السلام) شكوى إلى الله، وليست شكوى من الله:
- ٣٣٤ البكاء على الحسين (عليه السلام) خطاب مع الله:
- ٣٣٤ الصرخه والصيحه والعيول والشهقه أنواع في شعيره البكاء:

- ٣٣٧ البكاء على الحسين عليه السلام, مناجاه مع الله:
- ٣٣٧ الفلسفه الكبرى للبكاء:
- ٣٤٨ العاطفه والبكاء وتنوير الفكر والمعرفه:
- ٣٥١ البكاء هو العاطفه وخطوره تأثيرها:
- ٣٥٧ فلسفه عظمه الثواب للبكاء فى الشعائر الحسينيه:
- ٣٥٧ فانه قد اعترض على شعيره البكاء بعده انماط من الاشكالات:
- ٣٥٧ النمط الأول:
- ٣٥٧ اشاره
- ٣٥٧ أ - استكثار الأجر المذكور فى الروايات على البكاء وإقامه المآتم واستبعاد صحتها
- ٣٥٧ ب - وبعض أول هذا الأجر فى الروايات:
- ٣٥٨ ج- وقال بعض من أنكرها: لأن الغمل بمقتضاها يؤدي إلى تعطيل الفرائض والأحكام
- ٣٥٨ أجوبه الإشكالات السابقه:
- ٣٦٨ إعتراضات أخرى على البكاء:
- ٣٦٨ النمط الثانى:
- ٣٦٩ فى فضل البكاء:
- ٣٧٦ الموقف الصوفى العرفانى المعترض على البكاء و العزاء:
- ٣٧٦ اشاره
- ٣٧٧ جواب الشبيهه والاعتراض:
- ٣٧٩ إعتراض السلفيه على البكاء:
- ٣٨٠ ركنيه الحزن و الأسى فى ماهيه الشعائر الحسينيه:
- ٣٨١ جواب الإعتراض:
- ٣٨١ امتزاج الحزن عليهم بالإبتهاج بهم:
- ٣٨٨ الفصل الثامن : قاعده: تعدد طرق الحكايه و الإخبار عن الواقع
- ٣٨٨ اشاره
- ٣٩٠ فى تحرير الواقع و الأحداث:
- ٣٩٠ اشاره

- الطريق الأول: دلالة الفعل: ٣٩١
- الطريق الثاني: حجيته التقرير: ٣٩٣
- الطريق الثالث: الدلالات الالتزامية للكلام: ٣٩٣
- الطريق الرابع: إنشاء المعانى فى النفس: ٣٩٤
- الطريق الخامس: المُجمل والمفضل: ٣٩٤
- الطريق السادس: لسان الحال والتصوير: ٣٩٤
- اشاره ٣٩٤
- أدلّه واقعيه لسان الحال: ٣٩٧
- الوجه السابع: النقل بالمعنى ولسان الحال: ٤٠٢
- الوجه الثامن: الكلام التكويني للأفعال: ٤٠٣
- الوجه التاسع: التمثيل والتصوير: ٤٠٤
- القرآن والدعوه للإنشاد والشعر فى أهل البيت(عليهم السلام): ٤١٠
- التصوير: ٤١٣
- الفصل التاسع : تكامل روح المؤمن بأقصى الكمالات عند زيارته لقبر الحسين عليه السلام ٤١٧
- اشاره ٤١٧
- من معانى زياره الله فوق العرش و الكرسي: ٤٣١
- مقارنه بين زياره خليفه الله، و زياره بيت الله: ٤٣٥
- الفصل العاشر : قاعده: عماره مراقده الأئمه عليهم السلام فريضه شرعيه هامه ٤٣٩
- اشاره ٤٣٩
- أدلّه القاعده: ٤٤٢
- اشاره ٤٤٢
- أما الآيات: ٤٤٢
- اشاره ٤٤٢
- معنى الإلحاد فى الآيه الشريفه: ٤٤٧
- أحكام المسجد الحرام والعتبات المقدسه: ٤٤٨
- عموميه هذه الأحكام لكل مساجد المراقده: ٤٤٩

- و أما الروايات الداله على هذه القاعده: ٤٥٠
- اشاره ٤٥٠
- أدله فريضييه عماره مرقاد النبي (صلى الله عليه و آله) و أهل بيته: ٤٥٢
- أدله كون مرقاد النبي (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته(عليهم السلام) من الأراضى المقدسه المندرجه فى عموم الآيه: ٤٥٩
- و أما الروايات: فى فريضييه عماره مرقد النبي (صلى الله عليه و آله) و مرقاد أهل بيته: ٤٦٤
- الفصل الحادى عشر : لكل سؤال جواب ٤٧٠
- اشاره ٤٧٠
- الإمام الحسين عليه السلام: ٤٧٢
- الشعائر الحسينيه: ٤٩١
- عاشوراء: ٤٩٨
- أقسام الحجج الإلهيه: ٤٩٩
- اشاره ٤٩٩
- القسم الأوّل: مقام الرسل: ٤٩٩
- القسم الثانى: مقام الأنبياء: ٤٩٩
- القسم الثالث: مقام الإمامه: ٥٠٠
- القسم الرابع: مقام الحججه: ٥٠٠
- القسم الخامس: مقام الحكمه و التعليم: ٥٠٢
- اشاره ٥٠٢
- ١- لقمان الحكيم: ٥٠٢
- اشاره ٥٠٢
- مقامات أخرى: ٥٠٣
- ٢- أسيا بنت مزاحم: ٥٠٤
- دور أصحاب القسم الخامس: ٥٠٥
- الحكماء الإلهيون و المعلمون فى الامه الإسلاميه: ٥٠٨
- الحكماء الإلهيون والمعلمون فى ذرارى أهل البيت(عليهم السلام): ٥٠٩
- على الأكبر: ٥١٠

- ٥١٠ اشاره
- ٥١١ البدء فى الإمامه:
- ٥١٥ زينب و مريم (عليهما السلام):
- ٥١٦ زينب و فاطمه (عليهما السلام):
- ٥١٧ زينب و الحسين (عليهما السلام):
- ٥٢٠ زينب و السجاد:
- ٥٢٢ تميز حركة سيد الشهداء :
- ٥٢٣ الخنوع أو المواجهه عند المدارس الإسلاميه الأخرى:
- ٥٢٤ رايه ضلال:
- ٥٢٨ التشابه بين منهج الزيديه و منهج الخوارج:
- ٥٣٠ ذكر الأمور السياسيه فى مآتم اللطم :
- ٥٣٣ دور أمير المؤمنين عليه السلام فى الفتوحات:
- ٥٧٧ التعبويه واللغه العالميه فى الشعائر:
- ٥٨٠ الفصل الثَّانِي عشر : نفحه للخطباء
- ٥٨٠ اشاره
- ٥٨٢ الأنبياء من الحسين عليه السلام
- ٥٨٤ النبى (صلى الله عليه و آله) والطلاق:
- ٥٨٥ ثوره الحسين (عليه السلام) بقاء لدين النبى (صلى الله عليه و آله):
- ٥٨٥ الحسين (عليه السلام) ميزان العدل:
- ٥٨٨ صاحب المصيبه الراتيه:
- ٥٩٠ الدمعه الواحده تطفى النيران:
- ٥٩٠ كتاب كامل الزيارات:
- ٥٩٢ الخطيب و الخوض فى الزيارات و الأدعيه:
- ٥٩٣ التبرك بروايات أهل البيت عليهم السلام:
- ٥٩٣ اشاره
- ٥٩٤ شبهه ورد:

- ٥٩٦----- الحدائون والنص الدينى: -----
- ٥٩٧----- قاعده الكتمان و إذاعه الأسرار: -----
- ٥٩٩----- الرقابہ العلمیہ دور متفاوت لعموم طبقات الأمہ: -----
- ٦٠٢----- مع الخطيب: -----
- ٦٠٢----- الهجوم على مفاتيح الجنان: -----
- ٦٠٣----- الزيارات و الأدعيه و دورها فى الفقه: -----
- ٦٠٤----- سر استحباب قراءه القرآن: -----
- ٦٠٤----- أهمیہ الحفاظ على أدنى درجات كلام الوحي: -----
- ٦٠٦----- الفرق بين عدسه الوحي و عدسه البشر: -----
- ٦٠٧----- العلامه الطبائبي يدرس البحار: -----
- ٦٠٨----- ساحه الوحي: -----
- ٦٠٩----- الخطيب و دوره فى الهدايه: -----
- ٦١٠----- سورة الجمعه و منظومه الإرشاد الدينى: -----
- ٦١٠----- اشاره -----
- ٦١٠----- المرتبه الأولى: -----
- ٦١٠----- المرتبه الثانيه: -----
- ٦١١----- أهمیہ البصيره الأخلاقيه: -----
- ٦١٢----- الخطيب و الأخلاق السياسيه: -----
- ٦١٤----- الفصل الثالث عشر : تقبيل العتبات المقدسه تعفير الخدين و الوجه لله سبحانه فيها -----
- ٦١٤----- اشاره -----
- ٦١٨----- الجبهه الأولى: موضوع البحث تعفير الخدين و تقبيل العتبات و افتراقه عن السجود لغير الله -----
- ٦١٨----- اشاره -----
- ٦٢٢----- نماذج من العباده المحرمه ... -----
- ٦٢٣----- السجود للكعبه ... -----
- ٦٢٤----- كفييات السجود لله سبحانه ... -----
- ٦٢٤----- السجود لآدم ويوسف: -----

- ٦٢٦ تحليل سجود الملائكة ...
- ٦٢٦ المعنى الأعظم من سجود الملائكة ...
- ٦٣٢ الجبهه الثانيه : أقوال العلماء
- ٦٣٢ اشاره
- ٦٣٤ (١) الشيخ الكليني:
- ٦٣٥ (٢) الشيخ الصدوق:
- ٦٣٦ (٣) ابن قولويه القمي:
- ٦٤٠ (٤) الشيخ المفيد:
- ٦٤٣ (٥) الشيخ الطوسي:
- ٦٤٤ (٦) القاضي بن البراج:
- ٦٤٥ (٧) الشيخ أبو صلاح الحلبي:
- ٦٤٥ (٨) ابن إدريس الحلبي:
- ٦٤٦ (٩) الشيخ الطبرسي:
- ٦٤٦ (١٠) السيد ابن طاووس:
- ٦٤٧ (١١) العلامة الحلبي:
- ٦٤٨ (١٢) الشهيد الأول:
- ٦٥٠ (١٣) المحقق الأردبيلي:
- ٦٥٠ (١٤) الشيخ البهائي:
- ٦٥١ (١٥) الشيخ يوسف البحراني:
- ٦٥١ (١٦) الشيخ كاشف الغطاء:
- ٦٥٣ (١٧) الشيخ الجواهري:
- ٦٥٤ (١٨) النائيني:
- ٦٥٦ (١٩) المحقق الداماد:
- ٦٥٩ (٢٠) الشيخ فاضل اللنكراني:
- ٦٦٢ الجبهه الثالثه : حرمه السجود لغير الله سبحانه
- ٦٦٢ اشاره

- ٦٦٤ حرمة السجود لغير الله سبحانه
- ٦٧٩ قاعده في حقيقه السجود:
- ٦٨٤ قاعده: التوسل بالخضوع والتذلل والطاعة للنبي و آله..
- ٦٩٦ الجبهه الرابعه : حقيقه الزياره والمزور
- ٦٩٦ اشاره
- ٦٩٩ قبور الأئمه(عليهم السلام) مواطن و بقاع انتظار الفرج:
- ٧٠٢ معنى خليفه الله ...
- ٧٠٤ زياره الله سبحانه والوفود عليه ...
- ٧٠٩ المعصوم سبيل إلى الله
- ٧١٠ الآيات الناطقه ...
- ٧١٤ غايات الزياره (المنصوصه) ...
- ٧١٧ تضمن كل الزيارات على مقاطع دعاء
- ٧١٧ ومناجاه لله سبحانه:
- ٧٢٠ الجبهه الخامسه : الأدله الشرعيه على سنه تقبيل العتبات والروضات المقدسه
- ٧٢٠ اشاره
- ٧٢٢ الآيات الكريمه:
- ٧٢٢ اشاره
- ٧٢٣ ما يستفاد من الآيات:
- ٧٢٥ الأئمه عليهم السلام باب حطه هذه الأمة ...
- ٧٢٧ وروى الترمذى فى تفسيره، (وَقُولُوا حِطَّةً) .. أى حط عنا ذنوبنا. فبدلوا ذلك وقالوا حنطه..
- ٧٢٨ المصادر العامه:
- ٧٢٨ تتمه تقريب الآيتين:
- ٧٣٤ ثانياً: الروايات الشريفه:
- ٧٣٤ اشاره
- ٧٣٨ فقه الروايه:
- ٧٣٨ أولاً: - الانكباب على القبر:

- ٧٣٨ اشاره
- ٧٣٨ الانكباب على القبر سنه نبويه شريفه:
- ٧٤٠ الانكباب على القبر سنه إلهيه ...
- ٧٤١ ثانياً: التضرع فى تراب القبر ...
- ٧٤١ اشاره
- ٧٤٣ تقبيل القبر والتربه
- ٧٤٣ وضع الخد على التربه - عند القبر
- ٧٤٥ ثالثاً: حقيقه سنّه تمرىغ الوجه بتراب القبر
- ٧٤٥ اشاره
- ٧٤٦ التلازم فى التوجه إلى الله تعالى
- ٧٤٦ بالتوجه إلى المعصوم عليه السلام:
- ٧٥٠ حكمه التضرع فى تراب القبر ...
- ٧٥٢ ضراعه الزائر حين مواجهه القبر سنه أكيدته ...
- ٧٥٣ فقه الروايه:
- ٧٦٦ توسعه التقبيل والتضرع إلى ما حوالى القبر من تربته
- ٧٧٠ حقيقه اللواذ ...
- ٧٧٣ التبرك بقبورهم عليهم السلام
- ٧٧٣ التبرك واللواذ بقبورهم شعار وشعييره
- ٧٧٦ الطواف حول قبورهم ...
- ٧٧٧ مؤيدات:
- ٧٧٩ تعريف مركز

سرشناسه: موسوی، ریاض

عنوان و نام پدیدآور: الشعائر الحسينيه بين الاصلته والتجديد، محاضرات سماحه الاستاد محمدالسنه / ریاض الموسوی.

مشخصات نشر: قم: دارالغدیر، ۱۴۲۴ق. = ۲۰۰۳م. = ۱۳۸۲.

مشخصات ظاهری: ۳ج.

شابک: ۹۶۴-۷۱۶۵-۹۷-۸

وضعیت فهرست نویسی: فاپا

یادداشت: عربی.

یادداشت: نمایه.

موضوع: حسین بن علی (ع)، امام سوم، ۴- ۶۱ق. سوگواریها -- فلسفه.

موضوع: سند، محمد، ۱۳۴۰. -- وعظ.

موضوع: سوگواریها -- آداب و رسوم.

موضوع: شعایر و مراسم مذهبی.

شناسه افزوده: سند، محمد، ۱۳۴۰-

رده بندی کنگره: BP۴۱/۷۵/م ۷۷ ش ۷

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۳

شماره کتابشناسی ملی: م ۸۲-۱۸۹۹۵

ص: ۱

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٣

الشعائر الحسينيه بين الاصالته والتجديد، محاضرات سماحه الاستاد محمدالسنه

رياض الموسوى

ص: ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى جعل تعظيم شعائره من تقوى القلوب، وكتب لمن قدّس حرّماته محو الذنوب، وشاء أن يتّم نوره ويعلو ذكره على مرّ الدهور، وتصرّف الخطوب، وأفضل الصلاه وأزكى السلام على العنصر الأتمّ، وفخر الأمم، النبى الخاتم، وعلى آله الميامين أولياء النعم، والكهف الحصين، وأمناء الله على الدنيا والدين، واللعه الدائمه على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين.

وبعد ..

فهذا هو الجزء الثالث من كتاب الشعائر الحسينيه يمثل بين يديك أيّها القارئ الكريم .. بعد صدور وطباعه وانتشار الجزئين السابقين، وهما: الجزء الأوّل بعنوان: «الشعائر الحسينيه بين الأصاله والتجديد»، والجزء الثانى بعنوان: «الشعائر الحسينيه فقه وغايات».

وقد انتشر الجزءان السابقان بين صفوف العلماء والمحققين والباحثين والمثقفين .. وإنّ ما حصل من إقدام واهتمام كان تابعاً لأهميه الموضوع وركنيتة فى الدين .. ألا وهو الشعائر الحسينيه ..

ص: ٧

وها نحن نصدر هذا الكتاب الموسوم بالجزء الثالث، وهو أيضاً حلقة من سلسلة علوم ومعارف الشعائر الحسينية، ولا زلنا فى البحث والتحقيق لسبر غور أعماق الكنوز الدفينه فى طيأت آيات القرآن الكريم، وأسرار روايات الأئمة الطاهرين (عليهم السلام)، حول هذا الموضوع العظيم ..

وتجد أيتها القارئ العزيز فى هذا الجزء، بين فصوله، بعض القواعد الفقهيه المتعلقة بموضوع الشعائر الدينيه .. مثل قاعده «توسعه حريم مواسم الشعائر الدينيه زماناً ومكاناً» .. وقاعده «تعدد طرق الحكايه والإخبار عن الواقع» ، وقاعده «عماراه مراقده الأئمة (عليهم السلام)»، مع قواعد فقهيه أُخرى ..

ضيف إلى ذلك، البحوث الأساسيه التى استخلصت من روايات الأئمة (عليهم السلام) ثم جُمعت وقُررت بأبعادها المختلفه، مثل بحث: «البكاء على الحسين (عليه السلام) وأثره فى تنوير الفكر والروح»، وبحث: «الحث على زياره الحسين (عليه السلام) مع الخوف»، وبحث: «التكامل الإيمانى والروحي عند زياره قبر الحسين (عليه السلام)».

وفى آخر المطاف، تجد - عزيزى القارئ - فصلاً خاصاً، عن الأسئلة والمدخلات المختلفه حول موضوع الشعائر الحسينيه .. والأجوبه على ذلك ..

هذا، وغيره ... تجده بين ثنايا وأروقه هذا الكتاب، وتحت ظل الشعائر الحسينيه .. لذلك كان عنوانه «الشعائر الحسينيه: فقه العتبات والزياره» مع

تقديم البراهين والأدلة من القرآن الكريم، وأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) وروايات الأئمة (عليهم السلام).. ليخرج البحث متكاملًا ووافيًا في حله الاستدلال العلمي.

والجدير بالذكر، إنَّ هذا الكتاب يُعتبر حلقة ضمن سلسلة موسوعه الشعائر الحسينيه الذي يكون جزءاً ثالثاً لها، وسوف تصدر بقيه السلسله تباعاً إن شاء الله.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يُوفِّق أستاذنا العزيز المُحَقِّق سماحه آية الله الشيخ محمد السند حفظه الله، والفضلاء المشاركين والعاملين بتوجيهاته لإكمال ما بقى من القواعد والبحوث حول هذه الموسوعه الدينيه العظيمه ..

وتكون لنا سبب قُرب بالنبي (صلى الله عليه وآله) وآله، وذخراً يوم لا- ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم .. ببركه زياره الحسين (عليه السلام)، وإحياء شعائره العظيمه، وبشفاعته الكبرى يوم القيامه ..

رياض الموسوى

النجف الاشرف

١٣ ج ١٤٣٤ هـ -

ص: ٩

الفصل الأول : إتمام المسافر في مشاهد الأئمة عليهم السلام

إشاره

بقلم

نخبه من الفضلاء

ص: ١١

تمهيد:

قد ذهب جمع من المتقدمين وبعض المتأخرين إلى عموم حكم التخيير بين القصر والتمام للمسافر في مراقدة جميع المعصومين (عليهم السلام) ولا تختص فضيله الإتمام للمسافر في الرباعية بخصوص الأماكن الأربعة، بل تعم مراقدة المعصومين (عليهم السلام) أجمع، كمشهد الكاظم والجواد ومشهد الرضا ومشهد العسكريين (عليهم السلام) فضلاً عن النجف الأشرف ومشهد أمير المؤمنين (عليه السلام)، حيث أنه مندرج في الأماكن الأربعة، بل هو الأصل للإتمام في مسجد الكوفة.

أقوال الأصحاب في التعميم:

ظاهر كلام السيد المرتضى وابن الجنيد المنع من التقصير في المواضع الأربعة، وأحقاً بها في ذلك أيضاً المشاهد المشرفة والضرائح المنورة، وكذلك ابن قولويه - استاذ المفيد في الفقه - ذهب إليه في كامل الزيارات، كما سيأتي.

قال في المختلف: «قال السيد المرتضى في (الجمال): لا يقصر في مكّه

ومسجد النبي (صلى الله عليه وآله) ومسجد الكوفة ومشاهد الأئمة القائمين مقامه»^(١)، ونقل عن ابن الجنيد: «والمسجد الحرام لا تقصير فيه على أحد، لأن الله عزَّ وجلَّ جعله سواء العاكف فيه والباد»^(٢).

وعبارته علي بن بابويه يلوح منها التعميم لجميع المشاهد، كما استظهره المجلسي في البحار. قال في الفقه الرضوي: «إذا بلغت موضع قصدك من الحج والزيارة والمشاهد وغير ذلك مما قد بينته لك فقد سقط عنك السفر، ووجب عليك الإتمام»^(٣).

ولا يبعد أن يكون هذا المتن هو متن فقه ابن أبي عزاقر الشلمغاني أيام استقامته قبل انحرافه، إذ هو متن رساله ابن بابويه في الأصل، وعمم صاحب الوسائل بجزم عدم سقوط النوافل النهاريه لكل المشاهد المشرفه، مع أن الموضوع لعدم سقوط النوافل متحد مع موضوع إتمام الفرائض في السفر.

وقال المجلسي في ذيل عبارته الفقه الرضوي: «وظاهره الإتمام في جميع المشاهد، كما قيل وسيأتي ذكره»^(٤).

وقال الوحيد البهبهاني في مصابيح الظلام - بعد ذكره القول بالإتمام

ص: ١٤

١- (١) جمل العلم والعمل: ص ٧٧ ط الآداب.

٢- (٢) المختلف ج ٣ ص ١٣٥.

٣- (٣) الفقه الرضوي ص ١٦٠.

٤- (٤) البحار ج ٨٦ ص ٦٧.

فى جمىع المشاهء للمرتضى وابن الجنىء: «نعم، عبارة الفقه الرضى ربّما ىءلّ على قولهما وقىاس المنصوص العله التى فى صحىحه على بن مهزىار، حىء قال: قء علمت فضل الصلاه فى الحرمن فى مقام التعلىل للإتمام فى الحرمن، والحق أنه حجّه، لكن ىلزم التمام فى كلّ موضع للصلاه فىه فضل، كما أنّ عبارة الفقه الرضى أيضاً ظاهرها كذلك، وهما لا ىقولان به، ومع ذلك لا ىفان لاثبات ما ىخالف الأخبار المتواتره والخبر المجمع علىه والإجماعات» (١).

وقال فى الرىاض: «وخلاف المرتضى والإسكافى فىها نادر، فلا ىفدهما التمسك ببعض التعلىلات والظواهر. نعم، فى الرضى - ثم ذكر عبارته - لكن فى الخروج به عن مقتضى الأصل والعمومات المعتضءه بالشهره العظىمه القربىه من الإجماع، بل الإجماع، مشكل، لاسىما مع تضمّنه الحكم بوجوب التمام، لما مرّ من شءوذه ومخالفته الإجماع والأخبار المستفىضه بل المتواتره، إلا أن ىحمل الوجوب على مطلق الثبوت» (٢).

واستشكل فى المستند (٣) فى استظهار ذلك من عبارة الرضى، وتشبّث بما ذكر قبل هذه العبارة من اشتراط قصد المباح فى السفر، نظىر الحجّ والزىاره ونحوهما، وهو عجىب، لأنه العبارة السابقيه فى التقصىر، وهذه العبارة فى

ص: ١٥

١- (١) مصابىح الظلام ج ٢ ص ٢١١.

٢- (٢) رىاض المسائل ج ٤ ص ٣٨٢.

٣- (٣) مستند الشىعه ج ٣ ص ١٣٨.

التمام, مع أنه ذكر في الفقه الرضوى قبل العبارتين الإتمام عند دخول منزل أخيك لأنه مثل منزلك.

واستظهر في الجواهر(١) التعميم في عباره الفقه الرضوى, ولعلّ مستند المرتضى وابن الجنيد التعليقات في النصوص, واستفاده عليه شرفيه المكان بقوله: «وشرف قبورهم, وأنها مساويه للمسجدين أو تزيد».

أقول: اعترف الوحيد وسيد الرياض بدلاله صحيح ابن مهزيار على عموم الإتمام في المشاهد, إلا أنّهما استشكلتا في العمل به بأنه مخالف للإجماع وللأخبار المتواتره والمجمع عليه من الخبر, وبأنه يلزم منه التمام في كلّ موضع للصلاه فيه فضل.

وفيه: أمّا الأول, فلا إجماع على الخلاف, لما مرّ وسيأتى من ذهاب ابن بابويه وابن قولويه, ومحتمل ابن ابن عزاقر - أيام استقامته - وابن الجنيد والمرتضى وتمايل الكيدري في الإصباح إليه ومن المتأخرين الميرداماد والشيخ حسين العصفورى البحرانى, ثم إنّ القائلين بالمنع من الإتمام في الأماكن الأربعة - فضلاً عن غيرها - ليس اتّفاقهم بسيط مع الحاصرين بالأربع, بل المسأله ثلاثيه الأقوال من عهد روايه الأئمه (عليهم السلام), كما يشير إلى ذلك صحيح ابن مهزيار وغيره, بل لو جعلنا أحد الأقوال ذهاب الشيخ إلى الإتمام عند قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) والنجف وكذا الكيدري في الإصباح

ص: ١٤

وأما الثاني - وهي المخالفة للأخبار المتواتره - فإن قصدا عمومات التقصير في السفر، فالمخالفة بالعموم والخصوص، كما في الأماكن الأربعة، وإن قصدا روايات الأماكن الأربعة فسيأتي في الوجه الثالث، أن ألسنه الروايات متعدده بين ما اقتصر على ذكر مكه والمسجد الحرام فقط، وبين ما اقتصر على ذكر المسجدين والحرمين، وثالث إضافة عند قبر الحسين (عليه السلام)، ورابع إضافة مسجد الكوفه إلى المسجد، وخامس ذكر الأماكن الأربعة، وسادس إضافة عنوان مشاهد النبي (صلى الله عليه وآله)، فأين الحصر في الأربعة؟

وأما الثالث - وهو التعميم لكل مكان ذي فضيله - فهو انما يلزم لكل مكان أمر باكثر الصلاة فيه لتعظيم فضيلتها فيه لا ما إذا أمر باكثر الصلاة لأجل رجحان ذات طبيعه الصلاة في نفسها من حيث هي صلاه كما هو الحال في الصلاة في مطلق المسجد أو المسجد الجامع الذي هو من النمط الثاني، فإن الصلاة فيه وإن اكتسبت مزيه ورجحانا، لكن الأمر باكثر الصلاة حينئذ ليس إلا من جهه طبيعه نفس الصلاة وأنها خير موضوع من شاء استكثر ومن شاء استقل لا من جهه سببه المكان نفسه لرجحان الإكثار، فالمسجد أو الجامع يضيفان مزيه على طبيعه الصلاة، نظير نظافه الثياب واستخدام الطيب ولبس العمامه والتحنك بها، ونحو ذلك وهذه المزايا ليست سببا لرجحان إكثار الصلاة، وهذا بخلاف ما إذا كانت الأرض مقدسه معظمه كما سيأتي في قوله تعالى: فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ

وَيُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ فَإِنَّ إِذْ نَه تَعَالَى هُوَ أَمْرُهُ بِتَعْظِيمٍ وَتَقْدِيرِ تِلْكَ الْبُيُوتِ، وَأَمْرُهُ بِأَنْ يَذَكَرَ فِيهَا، وَأَمْرُهُ تَعَالَى أَنْ يُسَبِّحَ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ، فَيَسْتَحِبُّ إِكْثَارَ الصَّلَاةِ فِيهَا بِهَذَا الْأَمْرِ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ الْأَمْرِ بِإِكْثَارِ ذَاتِ الصَّلَاةِ فِي نَفْسِهَا، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْبَيْنِ دَلِيلٌ عَلَى الْأَمْرِ بِإِكْثَارِ ذَاتِ طَبِيعَةِ الصَّلَاةِ لِاتِّزَمْنَا بِاسْتِحْبَابِ الْإِكْثَارِ فِي خُصُوصِ هَذِهِ الْبُيُوتِ الْمَعْظَمَةِ الْمَقْدَسَةِ.

ويشهد لهذه التفرقة أن صلاة النوافل اليومية وغيرها يندب إتيانها في البيوت والمنازل إستتاراً وروماً للإخلاص والخلاص عن الرياء، أفضل من إتيانها في عموم المساجد ولو كان المسجد الجامع وإنما المندوب المجيء بصلاة الفريضة في عموم المساجد كشعيره عامه، وهذا بخلاف المسجد الحرام والمسجد النبوي والمواطن الأربعة ومشاهد جميع الأئمة (عليهم السلام) فإنه يندب المجيء بجميع النوافل اليومية وغيرها فضلاً عن الفرائض فيها وكفى بهذا فارقاً بين الموضوعين. وسيأتي الإشارة إلى الروايات الدالة على ذلك في الوجوه اللاحقة.

وعنون ابن قولويه في كامل الزيارات الباب ٨٢ بقوله: «التمام عند قبر الحسين (عليه السلام) وجميع المشاهد»، مع أنه لم يورد في الباب إلا روايات الإتمام في الأماكن الأربعة، والظاهر أن استظهر من التعليل فيها العموم -: «وهو في محلّه».

وعنون ابن قولويه الباب ٨١ من كتاب كامل الزيارات بقوله:

«التقصير في الفريضة والرخصة في التطوع عنده وجميع المشاهد» وذكر في ذلك الباب روايات استحباب التطوع في الأماكن الأربعة للمسافر وفي مشاهد النبي (صلى الله عليه وآله) وهو عنوان خامس وموضوع فضيله التطوع في السفر هو موضوع التخيير في الفريضة، فيظهر منه اعتماده على وجه آخر في التعميم.

وقد يستظهر من الشيخ المفيد التمايل إلى التعميم لكل مراقد الأئمة (عليهم السلام) وذلك لما رواه في المزار الكبير والصغير من ثواب وفضيله صلاة الفريضة عند الحسين (عليه السلام) ففي باب (٥٩) من المزار الكبير الذي عنوانه بقوله (باب فضل الصلاة عند مشهد الحسين (عليه السلام)) وقال في مقدمه هذا الباب قد كنا دعونا في ما تقدم إلى الإكثار من الصلاة في مشهد أبي عبدالله (عليه السلام) لفضل ذلك وعظم ثوابه ويجب أن يؤدي الفرائض بأسرها والنوافل كلها طول المقام هناك فيه وأفضل المواضع للصلوات منه عند رأس الإمام (عليه السلام).

ثم روى في الباب فضيله كل ركعة فريضة عند الحسين (عليه السلام) وفضيله كل ركعة نافله، وروى الحديث الثالث في الباب بسنده عن هارون بن مسلم عن أبي علي الحرائي عن الصادق (عليه السلام) في من أتاه وزاره وصلى عنده ركعتين أو أربع ركعات كتبت له حجه وعمره وفي ذيل الرواية (قال قلت له: جعلت فداك وكذلك لكل من أتى قبر إمام مفترض طاعته قال: نعم) (١) وقد روى هذا الحديث عن هارون بن مسلم بطرق متعددة وبألفاظ مختلفه في

ص: ١٩

١- (١) كتاب المزار: الأول (الكبير): باب ٥٩ ح ٣ ص ١١٦-١١٨. ط. قم ممدرسه الإمام المهدي (عجج الله).

كامل الزيارات (١) وفي التهذيب (٢) وفي المزار الكبير للمشهدى (٣). ورواه الشيخ المفيد أيضاً بطريق آخر في المزار الصغير (٤).

وقال في المزار الثاني (الصغير) الباب (١٨) (باب مختصر: فضل زياره السيدين أبي الحسن علي بن محمد وأبي محمد الحسن بن علي العسكريين (عليهما السلام)) ثم روى الحديث الثاني بقوله وتقدم أيضا عن أبي عبدالله (عليه السلام): (من زار إماما مفترض الطاعة بعد وفاته وصلى عنده أربع ركعات كتب الله له حجه وعمره) (٥) انتهى. فحكم (قدس سرّه) باستحباب إكثار الصلاة عند العسكريين (عليهما السلام) بعين ما تقدم من الدليل على استحباب إكثار الصلاة عند الحسين (عليه السلام)، حيث قال في المزار الأول (الكبير) في الباب (٥٦) بعد ذكر زياره الحسين والعباس (عليهما السلام): (ثم ارجع إلى مشهد الحسين (عليه السلام) وأكثر من الصلاة فيه والزيارة والدعاء) (٦) ومن ثم قال في العبارة المتقدم نقلها في صدر الباب (٥٩): (قد كنا دعونا في ما تقدم إلى الإكثار من الصلاة في مشهد أبي عبدالله (عليه السلام) لفضل ذلك وعظم ثوابه ويجب أن يؤدي الفرائض بأسرها والنوافل كلها طول المقام هناك فيه وأفضل المواضع للصلوات منه عند رأس الإمام (عليه السلام)).

ص: ٢٠

-
- ١- (١) كامل الزيارات: باب ٨٣ ح ٣ ص ٤٣٤.
 - ٢- (٢) التهذيب: ج ٦ كتاب المزار باب ٢٦ ح ٤ ص ٧٩.
 - ٣- (٣) المزار الكبير: القسم الأول، الباب الأول: ح ١٦ ص ٣٩.
 - ٤- (٤) كتاب المزار: الثاني (الصغير): باب ١١ ح ٣ ص ١٦٠.
 - ٥- (٥) كتاب المزار: الثاني (الصغير): باب ١٨ ح ٢ ص ١٧٣.
 - ٦- (٦) كتاب المزار: الأول (الكبير): الباب ٥٦ ص ١١١.

وقال في الباب اللاحق لذلك الباب (٦٠) والذي عنوانه بقوله: (باب فضل إتمام الصلاة في الحرمين وفي المشهدين على ساكنهما السلام) قال: الأصل في صلاة السفر التقصير، لطفًا من الله جل اسمه لعباده، ورحمه لهم وتخفيفًا عنهم، وجاءت آثار لا شبهة في طريقها، ولا شك في صحتها بإتمام الصلاة في الأربعه مواطن لشرفها وتعظيمها، فكان التقصير فيها على الأصل للرخصة جائزًا والإتمام أفضل (١). فجعل (قدس سرّه) موضوع الإتمام فضيله إكثار الصلاة في تلك البقاع وموضوع استحباب إكثار الصلاة هو شرف وعظمه البقاع، وهذا بعينه ما ذكره ونبه عليه في زياره العسكريين (عليهما السلام) وما ذكره من ذيل الروايه المتقدمه أن ذلك لكل من أتى قبر إمام مفترضه طاعته. بل إن في الباب (٦٠) باستحباب إتمام الصلاة في مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) مع أن النصوص التي أوردها في الكوفه ومسجدها، كما أن جعله عنوان موضوع الإتمام هو الآخر يشعر باستظهار عموم هذا العنوان لكل مشاعر المعصومين (عليهم السلام) لإتحاد عنوان المشهد. بل قد صرح في باب (٤٤) باب صلاة زياره أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله (فإن أردت المقام في المشهد أو ليلتك فأقم فيه وأكثر من الزياره والصلاه والتحميد والتسبيح والتكبير والتهليل وذكر الله تعالى بتلاوه القرآن والدعاء والاستغفار، فإذا أردت الانصراف فودع أمير المؤمنين صلوات الله عليه) (٢) وبنفس العبارة

ص: ٢١

١- (١) كتاب المزار: الأول (الكبير): الباب ٦٠ ص ١١٩.

٢- (٢) كتاب المزار: الأول (الكبير): الباب ٤٤ ص ٨١.

أفتى الشيخ فى المصباح (١) فى مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) مع أن الشيخ يفتى صريحا بالإتمام فى مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) ومدينه النجف الأشرف.

وقال الكيدرى البيهقى فى إصباح الشيعة: «ويستحب الإتمام فى السفر فى أربعة مواطن: مكه والمدينه ومسجد الكوفه والحائر. وروى فى حرم الله وحرم الرسول وحرم أمير المؤمنين (عليه السلام) وحرم الحسين (عليه السلام), فعلى هذه الروايات يجوز الإتمام خارج المسجد بالكوفه والنجف, وعلى الأول لايجوز إلا فى نفس المسجد, وقال المرتضى...», ثم نقل كلامه المزبور (٢). ولم يعلق عليه بشىء فيظهر منه التمايل إلى التعميم.

وفى التنقيح الرائع للسيورى قوى قول المشهور على قول الصدوق بالمنع فى الأماكن الأربعة, بقوله: «والأقوى قول الأصحاب, لأنها أماكن شريفه, فناسب كثره الطاعات فيها, ولروايات كثيره بذلك... ثم إن السيد وابن الجنيد جعلوا مجموع المشاهد داخله فى هذا الحكم, والفتوى على خلافه» (٣).

وظاهر كلامه يعطى توقّفه فى التعميم من دون جزم بالنفى.

وقال الميرداماد: «والحق السيد المرتضى وابن الجنيد مشاهد الأئمه (عليهم السلام)

ص: ٢٢

١- (١) مصباح المتهجد: الباب الرابع: ص ٣٢١.

٢- (٢) إصباح الشيعة ص ٩٢.

٣- (٣) التنقيح الرائع: ج ١ ص ٢٩١.

بين القصر والإتمام, والمستحبّ الأفضل هناك هو الإتمام, وظاهرهما تحتمه, وعمّم الصدوق القصر تحتمًا, والأقرب تخصيص التخيير مع استحباب الإتمام بالمساجد الثلاثة وما دار عليه سور الحضرة الحسينية, وما حوته قبب المشاهد المنوّره دون البلدان. وقال بعض الأصحاب بذلك في البلدان, وقال في المعتمر: الحرمان كمسجديهما بخلاف الكوفه^(١). ثم نقل عبارته المبسوط.

وظاهره التعميم لكلّ المشاهد المنوّره للمعصومين (عليهم السلام), لأنّه في صدر كلامه نقل كلا الخلافين في التعميم موضوعاً وفي المحمول من جهة الوجوب أو التخيير أو المنع, فاختر التخيير في الحكم والتعميم في الموضوع.

ثمّ إنّّه يستفاد من كلامه (قدس سرّه) استظهار أنّ العدد (أربعة) من الروايات قيد للبلدان, وإلاّ فالمشاهد عنوانها عام غير مقيد بالأربعة, وتقريبه ما سيأتي في الوجه الثالث من ورود عنوان مشاهد النبيّ (صلى الله عليه وآله) باندراجها فيه, كاندراج بيوت أهل البيت (عليهم السلام) في بيوت النبيّ (صلى الله عليه وآله), والظاهر أنّ ابن بابويه وابن قولويه والمرتضى وابن الجنيد اعتمدوا عليه لاعلى التعليل فقط.

وقال في منتهى المطلب في مقام الردّ على منع الصدوق من الإتمام في الأماكن الأربعة: «ولأنّها مواضع اختصّت بزياده شرف, فكان إتمام العباده فيها مناسباً لتحصيل فضيله العباده فيها, فكان مشروعاً»^(٢).

ص: ٢٣

١- (١) عيون المسائل ص ٢١٠ .

٢- (٢) منتهى المطلب: ج ٦ ص ٣٦٥.

وفى المختلف قال فى ردّ الصدوق: «لنا: أنّها مواطن شريفه يستحبّ فيها الإكثار من الطاعات والنوافل, فناسب استحباب إتمام الفرائض»^(١).

وقال الشيخ حسين العصفورى فى كتابه سداد العباد: «شرط تحتمّ القصر أن لا يكون بمكّه ولا بالمدينه ولا بالكوفه ولا الحائر الحسينى, بل الحرم له أجمع ومشاهد الأئمّه (عليهم السلام) على الأحوط, لأنّه يخيّر فى هذه الأمكنه كلّها والتمام أفضل, بل كاد أن يكون متعيّنًا, لاسيّما فى الكوفه وحائر الحسين (عليه السلام), وأخبار تحتمّ القصر محموله على التقيّه لئلا ينسبونا إلى التلاعب فى الدين»^(٢).

وقال الشيخ العصفورى فى كتاب الفرحة الانسيه: «ولابأس بالتمام فى المشاهد كلّها, كما هو ظاهر المرتضى والإسكافى, ويشهد لهما خبر الفقه الرضوى, وظاهره أنّ الفضل فيه, والجمع بين القصر والتمام فيها طريق الاحتياط والسلامه من الخلل»^(٣).

أقول: ذكر نمطين للاحتياط: الأول باختيار الإتمام, والثانى بالجمع بين القصر والتمام, وذلك مراعاة للقول بتعيين الإتمام الذى ذهب إليه ابن الجنيد والسيد المرتضى, والقول بتعيين القصر الذى ذهب إليه الصدوق وجمله من فقهاء الرواه, فما عرف من أن الإتمام أفضل والقصر أحوط, على إطلاقه ليس فى محله, بل الاحتياط هو بالجمع بينهما, والإتمام أفضل.

ص: ٢٤

١- (١) مختلف الشيعة: ج ٣ ص ١٣٢.

٢- (٢) سداد العباد ورشاد العباد: ص ١٦٩.

٣- (٣) الفرحة الإنسيه ص ١٧٥.

وحكى عنه تلميذه الشيخ عبد الله الستري فى كتابه الكنز، قال: «والمرتضى والإسكافى ظاهرهما تحتم الإتمام فى جميع مشاهد الأئمة (عليهم السلام) وشيخنا (رحمه الله) خير فيها كلها، وزاد مسجد براثا».

وقال فى المختلف أيضاً: «وقال السيد المرتضى: لا تقصير فى مشاهد الأئمة (عليهم السلام)، وهو اختيار ابن الجنيد.

قلنا: الأصل الدال على وجوب القصر على المسافر.

احتجاً بأنها من المواضع المشرفة فاستحب فيها الإتمام كالأربعة»

ونقل عن النهاية والمبسوط قولهما: «وقد رويت روايه بلفظ آخر وهو أن يتم الصلاة فى حرم الله وفى حرم رسوله وفى حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) وفى حرم الحسين (عليه السلام)، فعلى هذه الروايه جاز التمام خارج المسجد بالكوفه وبالنجف، وعلى الروايه الأخرى لم يجز، إلا فى نفس المسجد».

وقال: «قال ابن الجنيد: والمسجد الحرام لا تقصير فيه على أحد، ومكّه عندى يجرى مجراه، وكذلك مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومشاهد الأئمة القائمين مقام الرسول (عليه السلام)، فأما ما عدا مكّه والمشاهد من الحرم فحكمها حكم غيرها من البلدان فى التقصير والإتمام.

وقال الشيخ فى التهذيب (لما روى حديث زياد القندى قال: قال أبو الحسن موسى:

احبّ لك ما احبّ لنفسى، وأكره لك ما أكره لنفسى، أتمّ الصلاة فى الحرمين وعند قبر الحسين (عليه السلام) وبالكوفه. وحديث أبى بصير قال

سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول:

تَمَّ الصلاة في أربعه مواطن: في المسجد الحرام, ومسجد الرسول (صلى الله عليه و آله), ومسجد الكوفة, وحرم الحسين (عليه السلام), وليس لأحد أن يقول لأجل هذا الخبر والخبر المتقدم الذى رواه ابن منصور, أنّ الإتمام مختصّ بالمسجد الحرام ومسجد الكوفة, فإذا خرج الإنسان منهما فلا تمام, لأنه لا يمتنع أن يكون في هذين الخبرين قد خصّا بالذكر تعظيماً لهما, ثم ذكر في الأخبار الأخر ألقاظ يكون هذان المسجدان داخلين فيه, وإن كان غيرهما داخلًا فيه, وهذا غير مستبعد ولا متناف.

وقد قدّمنا من الأخبار ما يتضمّن عموم الأماكن التي من جملتها هذان المسجدان منها: حديث حمّاد بن عيسى, عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال:

في حرم رسول الله (صلى الله عليه و آله), وحرم أمير المؤمنين (عليه السلام) وبعده حديث زياد القندي, فإنّه قال: أتمّ الصلاة في الحرمين وبالكوفة ولم يقل مسجد الكوفة, وما تقدّم من الأخبار في تضمّن ذكر الحرمين على الإطلاق, فهي أكثر من أن تحصى, وإذا ثبت أنّ الإتمام في حرم رسول الله (صلى الله عليه و آله) هو المستحبّ دون المسجد على الاختصاص, وإن كان قد خصّ في هذين الخبرين, فكذلك في مسجد الكوفة, لأنّ أحداً لم يفرّق بين الموضعين, وكذا قال في الاستبصار^(١).

وقال الشريف المرتضى في جمل العلم والعمل: «ولاتقصر في مكّه ومسجد النّبى (صلى الله عليه و آله) ومسجد الكوفة ومشاهد الأئمّه القائمين مقامه»^(٢).

ص: ٢٤

١- (١) مختلف الشيعة ج ٣ ص ١٣٥ - ١٣٧.

٢- (٢) جمل العلم والعمل ص ٧٨.

وقال بنفس اللفظ فى رسائله.

ومن ذلك يتحصّل ذهب كلّ من علىّ بن بابويه والشلمغانى - فتره استقامته - وابن قولويه فى كامل الزيارات, وابن الجنيد, والمرتضى, والميرداماد فى رسالته(١) عيون المسائل, والشيخ حسين العصفورى البحرانى - ابن أخ صاحب الحدائق - فى السداد, ويستظهر من كلام الشيخ المفيد فى المزار الأول والثانى, وتمايل إليه المجلسى والبروجردى فى مسجد برائنا, ويظهر تمايل الكيدرى فى إصباح الشيعة إلى قول المرتضى, وتوقف السيورى فى التعميم ولم يجزم بالنفى.

بل قد مرّ اعتراف الوحيد وصاحب الرياض بتماميه مستند التعميم لولا خوف مخالفه الإجماع ودعوى منافاته للأخبار المتواتره, وقد تقدم منع دعوى الإجماع ووهن دعوى المنافاه للأخبار.

أقوال أخرى فى التوسعه من جهات أخرى:

١- قال الشيخ المفيد فى المزار الأول (الكبير) الباب (٦٠) تحت عنوان (باب فضل إتمام الصلاه فى الحرمين وفى المشهدين على ساكنهما السلام) وقد مرّ تقريب صراحه هذا التعبير فى فتواه بالإتمام فى مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) ومدينه النجف, ويستظهر من كلامه: أن الأصل فى الإتمام فى الكوفه هو حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) ومشهده ومرقده, وأن المسجد تابع له,

ص: ٢٧

١- (١) عيون المسائل (الرسائل الإثنى عشر) ص ٢١٠.

وهو الذى أشار إليه تلميذه الشيخ الطوسى فى عبارته المبسوط الآتية.

٢- وذهب الشيخ الطوسى فى المبسوط والنهايه إلى الإتمام عند مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام). قال: «وقد روى الإتمام فى حرم الله وحرم الرسول وحرم أمير المؤمنين (عليه السلام), فعلى هذه الروايه يجوز الإتمام خارج المسجد بالكوفه والنجف, وعلى الروايه الأولى لايجوز إلاّ فى نفس المسجد, ولو قصر فى هذه المواضع كلّها كان جائزاً, غير أنّ الأفضل ما قدّمناه»^(١).

٣- وذهب إلى ذلك الكيدرى فى إصباح الشيعة^(٢).

٤- وقال فى الذكرى: «فهل الإتمام مختصّ بالمساجد نفسها أو يعمّ البلدان؟ ظاهر الروايات أنّ مكّه والمدينه محلّ لذلك, فعلى هذا يتمّ فى البلدين, أمّا الكوفه ففى مسجدها خاصّه قاله فى المعترف, والشيخ ظاهره الإتمام فى البلدان الثلاثه» ثمّ نقل قول ابن إدريس والمختلف بالاختصاص إلى خصوص المشهد والمسجد, ثمّ قال: «وقول الشيخ هو الظاهر من الروايات وما فيه ذكر المسجد منها فلشرفه لالتخصيصه»^(٣).

أقول: ما ذكره من عدم تخصيص البلدان بما ورد بعنوان المساجد, وأنّ ذكر المساجد من باب الأبرز شرفيه, وإلاّ فالعنوان العامّ باق على عمومّه بعد كونهما مثبتين استغراقيين, يتأتّى بعينه - كما ذكر ابن قولويه فى

ص: ٢٨

١- (١) المبسوط: ج ١ / ص ١٤١ .

٢- (٢) إصباح الشيعة ص ٩٤ .

٣- (٣) الذكرى ج ٤ ص ٢٩١ .

كامل الزيارات والميرداماد - بين عنوان الأماكن الأربعة وعنوان مشاهد النبي (صلى الله عليه وآله) الذي ذكر خامساً في الروايات، وكذلك عنوان فضل إكثار الصلاة وزيادة الخير، فإنه عنوان يعم ما ثبت من الشرع قدسيته وشرفه وكونه روضه وبقعه من بقاع ورياض الجنة يستحب فيه إكثار الصلاة.

هذا، ثم قال في الذكرى: «والشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد - في كتاب السفر له - حكم بالتخير في البلدان الأربعة حتى في الحائر المقدس لورود الحديث بحرم الحسين (عليه السلام)، وقدّر بخمسة فراسخ وبأربعة وبفرسخ، قال: والكل حرم، وإن تفاوتت الفضيله». وفي الحقيقة أن الشهيد ارتكز لديه كل من عموميه الموضوع - وهو الوجه الأول الآتي، وعليه شرفيه المكان وفضيلته - وهو الوجه الثاني الآتي. وقد مرّ أن هذين الوجهين للتعميم ذكرهما الشيخ المفيد في المزار الأول والثاني.

٥ - وفي مزار المفيد في باب عقده للإتمام في كربلاء بعنوان «باب فضل الحائر وحرمة وحدّه» ونقل فيه عدّه روايات، ثم قال: «وكان أقصى الحرم على الحديث الأول خمسة فراسخ، وأدناه من المشهد فرسخ، وأشرف الفرسخ (٢٥) ذراعاً، وأشرف (٢٥) ذراعاً (٢٠) وأشرف العشرون ذراعاً ما شرف به، وهو الجدث نفسه، وشرف الجدث الحالّ فيه صلوات الله عليه» (١).

ص: ٢٩

٦- وفي الدروس: «ويستشفى بترتبه من حريم قبره، وحده خمسة فراسخ من أربع جوانبه»^(١).

٧- وقال الفيض الكاشاني في معتصم الشيعة: «ثم ها هنا نوع اختلاف بين الأصحاب نشأ من اختلاف الروايات؛ ف قيل: إنه يجوز الإتمام في مكّه و المدينة وإن وقعت الصلاه خارج المسجدين. وقيل: بل لا يجوز إلا فيهما.

و أمّا الحرمان الآخراں فقيل: إنّ الجواز فيهما مختصّ بمسجد الكوفه والحائر، و هو ما دار سور المشهد و المسجد عليه على ما قاله ابن إدريس رحمه الله. وقيل: بل يعمّ خارج المسجد والنجف، و خارج الحائر إلى خمسة فراسخ أو أربعة فراسخ أيضاً.

والمعتمد في الأول الأول، وفي الأخير الأخير - كما عليه الأكثر - لأنه المستفاد من الأخبار المعتبره إنّ ثبت إطلاق حرم الحسين (عليه السلام) على ذلك في نصّ يعتدّ به، و إلا فيختص فيه خاصّه بالحائر أخذاً بالمتيقن»^(٢).

٨- وقال المجلسي بعد نقل عبارته النهايه والمبسوط في توسعه الإتمام للنجف: «وكأنه نظر إلى أنّ حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) ما صار محترماً بسببه واحترام الغرى أكثر من غيره، ولا يخلو من وجه يومئ إليه بعض الأخبار،

ص: ٣٠

١- (١) الدروس: ج ٢ ص ١١.

٢- (٢) معتصم الشيعة في أحكام الشريعة: ج ١ ص ١٦٤.

والأحوط في غير المسجد القصر»^(١)، انتهى.

٩ - فقد ذهب إلى عدم سقوط النوافل اليوميّ في الأماكن الأربعة كلّ من الشهيد في الذكرى، والسبزواري في الذخير.

١٠ - وكذلك صاحب الوسائل، بل عمّم صاحب الوسائل عدم سقوطها لكلّ المشاهد المشرفه، مع أنّ موضوع عدم سقوط النوافل متّحد مع موضوع الإتمام، حيث عنوان الباب (٢٦) من أبواب صلاة المسافرين: «باب استحباب تطوّع المسافر وغيره في الأماكن الأربعة وفي سائر المشاهد، ليلاً ونهاراً، وكثره الصلاة بها وإن قصر في الفريضة» وفتواه هذه تشير إلى وجه دلالة الروايات الواردة في هذا الباب وهو التطوع في الأماكن الخمسة.

ويتحصل أن من ذهب من الأصحاب الأعلام إلى الإتمام في مدينة النجف ومرقد أمير المؤمنين (عليه السلام) ما يزيد على إثني عشر قائل، وذلك بضميمه من ذهب إلى التعميم مطلقاً.

ملحق الأقوال:

ذهب الشهيد الأول إلى أفضلية قبور أئمه أهل البيت (عليهم السلام) فضلاً عن قبر النبي (صلى الله عليه وآله) على مكة المكرمة قال في الدروس: «مكّه أفضل بقاع الأرض ما عدا موضع قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وروى في كربلاء على ساكنها السلام

ص: ٣١

مرجحات، والأقرب أن مواضع قبور الأئمة (عليهم السلام) كذلك، أمّا البلدان التي هم بها فمكّه أفضل منها حتّى من المدينة^(١). وهذا نظير ما نقله السمهودي في وفاء الوفاء من إجماع علماء المسلمين بل ضرورتهم على أفضله تراب قبر النبي (صلى الله عليه وآله) على الكعبه، بل نقل عن جملة منهم أن عموم حرم المدينة المنوره أفضل من الكعبه المكرمه^(٢).

تقريب الأدله على التعميم في موضوع التخيير:

إشاره

وهو ما يظهر من أدله الإتمام في الأماكن الأربعة أن الموضوع للإتمام هو قدسيّه الموضوع الموجه لتضاعف ثواب الصلاه فيه، فيستحبّ إكثار الصلاه لذلك. والتقريب بعده وجوه:

الوجه الأول: اصطياد العموم في الموضوع من الأدله:

١ - محسنه إبراهيم بن شبيه، قال: «كتبت إلى أبي جعفر (عليه السلام) أسأله عن إتمام الصلاه في الحرمين؟

فكتب إليّ: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحبّ إكثار الصلاه في الحرمين، فأكثر فيهما وأتمّ»^(٣).

وهذه المحسنه صريحه الدلاله على أن موضوع الإتمام هو الموضوع

ص: ٣٢

١- (١) الدروس: ج ١ ص ٤٧٠ الدرس ١١٨.

٢- (٢) وفاء الوفاء ج ١: الفصل الأول في تفضيلها على غيرها من البلاد .

٣- (٣) وسائل الشيعه: أبواب صلاه المسافر ب ٢٥ ح ١٨.

الذى يستحب فيه إكثار الصلاة لعظم فضيله الثواب فيه, فعطف (عليه السلام) الإتمام فى الحرمين على ذلك كالتفريع, وابتدأ (عليه السلام) جواب السؤال بتقديم بيان الموضوع, وهو استحباب إكثار الصلاة, تبيانا لكون هذا العنوان هو أصل الموضوع, فهذا من باب اصطیاد عموم الموضوع لا التعليل للحكم كى يردّد فيه بين كونه عله للحكم أو حكمه له لا يتعدى منها, ومن ثمّ استظهر ابن قولويه والمرضى وابن الجنيد عموم الموضوع, ويلوح ذلك من المفيد فى المزار.

والغريب أنّ العلامة فى المختلف مع اعتراضه عليهم بأنّ هذا قياس ولا نقول به أنّه نفسه (قدس سرّه) جعله عنوانا لموضوع إتمام الصلاة فى الأماكن الأربعة رداً على الصدوق المانع من الإتمام فيها بقوله استدلالاً عليه: «لنا: أنّها مواطن شريفه يستحبّ فيها الإكثار من الطاعات والنوافل, فناسب استحباب إتمام الفرائض»^(١).

فالتدافع واضح لدى العلامة (قدس سرّه) ومَن استشكل بذلك, فإنّهم جعلوا موضوع الإتمام ما استظهره من الروايات وهو شرافه المواطن وكثره ثواب الصلاة فيه. نعم, شرافه المواطن بكونه مشهداً شهده نبيّ أو وصي نبيّ وصلّى فيه, وكونه روضه من رياض الجنّه فى الأرض, كما ورد توصيف الأماكن الأربعة بذلك لا مطلقاً استحباب إكثار الصلاة لأجل طبيعه الصلاة

ص: ٣٣

نفسها، كما في المسجد الجامع لكل بلد وإن اكتسبت مزيه لأجله، بل الاستحباب لقدسِيه المكان كما في قوله تعالى: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ ۱, وقوله تعالى: فِي بُيُوتِ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُزْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ ۲, فالموضوع كل موطن شعر تقديساً منه تعالى كروضه من رياض الجنّه.

۲ - وكذا صحيح عليّ بن مهزيار, قال: « كتبت إلى أبي جعفر الثاني (عليه السلام): إنّ الروايه قد اختلفت عن آبائك (عليهم السلام) في الإتمام والتقصير للصلاه في الحرمين, فمنها: أن يأمر بتتميم الصلاه ولو صلاه واحده, ومنها: أن يأمر بتقصير الصلاه ما لم ينو مقام عشره أيّام, ولم أزل على الإتمام فيهما إلى أن صدرنا من حجّنا في عامنا هذا, فإنّ فقهاء أصحابنا أشاروا عليّ بالتقصير إذا كنت لأنوى مقام عشره, وقد ضقت بذلك حتّى أعرف رأيك.

فكتب بخطّه (عليه السلام):

قد علمت - يرحمك الله - فضل الصلاه في الحرمين على غيرهما, فأنا احبّ لك إذا دخلتهما أن لاتقصّر, وتكثر فيهما من الصلاه.

فقلت له بعد ذلك بسنتين مشافهه: إني كتبت إليك بكذا فأجبت بكذا.

فقال: نعم.

ص: ۳۴

فقلت: أى شىء تعنى بالحرمين؟

فقال: مكّه والمدينه...» الحديث(١).

وتقريب الدلاله فى هذه الصحیحه من جهتين:

الأولى: صدر جوابه (عليه السلام) - حيث قال (عليه السلام):

«فضل الصلاه فى الحرمين على غيرهما» - بمثابه بيان الموضوع للإتمام, ولم يورد (عليه السلام) أى لفظ للتعليل, فالدلاله من باب اصطیاد العموم (عموم الموضوع) من سياق الجواب, وسيأتى أنّ التخصیص بالحرمين من باب أبرز الأفراد, وإلا فقد ورد فى الروایات ذكر الثلاثه, وذكر الأربعة, وذكر مكّه فقط, وفى لسان آخر ذكر خمسه بضمیمه مشاهد النبى (صلی الله علیه و آله) كما سیأتى.

الثانيه: قوله (عليه السلام):

«إذا دخلتهما أن لا تقصير, وتكثر فيهما من الصلاه», فهذا بيان لتلازم إكثار الصلاه مع الإتمام فى الموضوع, وهو كلّ موضع شريف ومقدّس - كما استظهر ذلك جملة من المتقدمين ارتكازاً, كابن بابويه وابن قولويه والمرضى وابن الجنيد والمفيد فى المزار - يستحبّ فيه إكثار الصلاه لأجل شرافته يرجح فيه إتمام الصلاه فى السفر, لأنّ الموضوع ليس موضعاً تنقص فيه الصلاه, بل يستحبّ إكثارها, ويدعم ذلك ما سیأتى فى المؤیدات والشواهد من جعل ثواب كلّ ركعه فريضه عند

ص: ٣٥

١- (١) الوسائل: أبواب صلاه المسافر: ب ٢٥ ح ٤. عن التهذيب ج ٥ ص ٤٢٩ رقم الحديث (١٤٨٧).

الحسين (عليه السلام) بمنزله ثواب حجّه, وثواب كلّ ركعه نافله بمنزله ثواب عمره, وهذا الثواب بعينه قد قرّر في الصلاة عند بقيته المعصومين (عليهم السلام).

ثم إنّ في هذه الصحيحه عدّه فوائد لبحث المقام:

الفائدة الأولى: أنّ هذه الصحيحه نصّ في تعميم الإتمام في كلّ المدينة وكلّ مكّه, وليس خصوص المسجدين, لأنّه (عليه السلام) مع ذكره عنوان الحرمين في جوابه الأوّل, إلّا أنّه فسّرهما في جوابه الثاني بمكّه والمدينة دون خصوص عنوان المسجدين, ممّا يدلّ على أنّ ما ورد في ألسن الروايات من اختلاف, سواءً في العدد أو المساحة, من باب تعدّد مراتب الفضيله لا الحصر.

الفائدة الثانية: أنّ الصحيحه حاكمه في جهه الصدور على الروايات المتعارضه في الظاهر, ونظير حكومه هذه الروايه جهتيّاً حكومه مصحّح عبدالرحمن بن الحجّاج (١) الناظر إلى الطائفتين جهتيّاً, فلامعنى لترجيح روايات القصر جهه على روايات الإتمام, مع أنّه لامعنى للتقيّه في الإتمام عند قبر الحسين (عليه السلام).

الفائدة الثالثة: أنّه مع جعل موضوع الإتمام فضيله إكثار الصلاة, إلّا أنّه قد ورد في الحرم المكي والمدني عدم استواء الفضيله في كلّ مواضعهما:

كصحيحه أبي عبيده, قال: «قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): الصلاة في الحرم كلّه سواء؟»

ص: ٣٦

١- (١) الوسائل: أبواب صلاة المسافر: ب ٢٥, ح ٦.

فقال: يا أبا عبيده, ما الصلاة في المسجد الحرام كلّه سواء, فكيف يكون في الحرم كلّه سواء.

قلت: فأى بقاعه أفضل؟

قال: ما بين الباب إلى الحجر الأسود^(١).

ومثله موثقه الحسن بن الجهم, قال: «سألت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) عن أفضل موضع في المسجد يصلّى فيه؟ قال: الحطيم ما بين الحجر وباب البيت.

قلت: والذي يلي ذلك في الفضل؟ فذكر أنّه عند مقام إبراهيم.

قلت: ثمّ الذي يليه في الفضل؟ قال: في الحجر.

قلت: ثمّ الذي يلي ذلك؟ قال: كلّ ما دنا من البيت^(٢).

وغيرها من الروايات في هذا الباب أيضاً.

بل قد ورد أنّ فضيله الصلاة في المسجد الحرام تعدل ألف ضعف الصلاة في مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله) كما في مرسله الصدوق^(٣), وفي موثقه مسعده عشرة أضعاف^(٤), كما قد ورد أنّ الصلاة في بيت فاطمه (عليها السلام) أفضل

ص: ٣٧

-
- ١- (١) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب ٥٣ ح ٥.
 - ٢- (٢) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب ٥٣ ح ٢.
 - ٣- (٣) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب ٥٢ ح ٣.
 - ٤- (٤) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب ٥٢ ح ٥.

من الصلاة في الروضه (١).

وهذا يقرب أنّ درجات الفضيله - مع اختلافها بعد قدسيه المقام وشرافته - مندرجه في الموضوع العام، وأنّ التعميم لكلّ الحرم المكي والحرم المدني قرينه على عموم الموضوع بما يشمل مراقد المعصومين (عليهم السلام).

٣- معتبره أبي شبل (عبدالله بن سعيد الأسدي)، قال: «قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): أزور قبر الحسين (عليه السلام)؟ قال: زر الطيب، وأتمّ الصلاة عنده.

قلت: أتمّ الصلاة! قال: أتمّ.

قلت: بعض أصحابنا يرى التقصير؟ قال: إنّما يفعل ذلك الضعفه» (٢).

ولا يخفى دلالة الروايه على أنّ موضوع التمام قداسه المكان بقدسيه المكين، وهي تومئ إلى عموم الموضوع، كما أنّها تشير إلى قيد آخر في الموضوع، وهو كلّ مكان مقدّس تشدّ إليه الرحال.

وقد عقد ابن قولويه أستاذ الشيخ المفيد في كامل الزيارات بايين في التعميم لكلّ مشاهد الأئمّه (عليهم السلام) وهما الباب (٨١) والباب (٨٢)، وباباً خاصاً وهو الباب (٨٣) لفضيله صلاه الفريضة عند الحسين (عليه السلام)، وأنها تعدل حجّه، وأنّ النافله تعدل عمره، والباب (٨١) عقد بعنوان (التقصير في الفريضة والرخصه في التطوّع عنده وجميع المشاهد)، والباب (٨٢)

ص: ٣٨

١- (١) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب ٥٩ ح ١ و ح ٢.

٢- (٢) الوسائل: أبواب صلاه المسافر: ب ٢٥ ح ١٢.

عقده بعنوان (التمام عند قبر الحسين وجميع المشاهد) وعلق العلامة الأميني - حيث صحح كامل الزيارات - على فتوى ابن قولويه في عنوان الباب (٨٢) بتعميم الإتمام لجميع المشاهد بقوله: «ليس في أخبار الباب ما يدل على الإتمام في غير المواطن الأربعة، فالتعبير بجميع المشاهد لاوجه له» وقد أول البعض كلام ابن قولويه بإرادته المواطن الأربعة من المشاهد، وهو خلاف شديد للظاهر، لأنه في الباب السابق أورد روايات بلفظ «مشاهد النبي (صلى الله عليه وآله)» في قبال المسجدين والحرمين وقبر الحسين (عليه السلام)، وأضاف المشاهد إلى النبي (صلى الله عليه وآله).

وسنذكر في روايات الإتمام في الفريضة عدّه من الروايات الصحاح والموثقات المشتملة على لفظ (مشاهد النبي (صلى الله عليه وآله)) في قبال المواطن الأربعة في الوجه الثالث الآتي.

٤- وقد روى في كامل الزيارات بسنده عن أبي عليّ الحرّاني، قال: «قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ما لمن زار قبر الحسين؟ قال: من أتاه وزاره وصلى عنده ركعتين أو أربع ركعات كتب الله له حجّه وعمره.

قال: قلت: جعلت فداك، وكذلك لكلّ من أتى قبر إمام مفترض الطاعة؟

قال: وكذلك لكلّ من أتى قبر إمام مفترض الطاعة»(١).

ورواه الشيخ المفيد في المزار عن أبي القاسم قال: حدثني علي بن

ص: ٣٩

الحسين رحمه الله, عن محمد بن يحيى العطار, عن محمد بن أحمد, قال: وحدثني محمد بن الحسين بن مت الجوهري, عن محمد بن أحمد, عن هارون بن مسلم, عن أبي علي الحراني قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ما لمن زار قبر الحسين صلوات الله عليه؟

قال: من أتاه وزاره وصلى عنده ركعتين أو أربع ركعات كتبت له حجه وعمره.

قال: قلت له: جعلت فداك, وكذلك لكل من أتى قبر إمام مفترضه طاعته؟ قال: نعم (١).

ورواه بطريق ثالث عن الشريف أبي عبد الله محمد بن محمد بن طاهر الموسوي, عن أحمد بن محمد بن سعيد - ابن عقده - قال: أخبرني أحمد بن يوسف قال: حدثنا هارون بن مسلم قال حدثني أبو عبد الله الحراني قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) (٢). الحديث.

ورواها بطريق موثق الطوسي في التهذيب بسنده عن أحمد بن محمد بن سعيد, قال: أخبرنا أحمد بن يوسف, قال: حدثنا هارون بن مسلم, عن أبي عبد الله الحراني - ولعله عيسى بن راشد - ومثته كما في نسخة التهذيب - قال: «قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ما لمن زار قبر الحسين (عليه السلام)؟»

ص: ٤٠

١- (١) المزار الأول (الكبير) ب ٥٩ ح ٣ ص ١١٧ - ١١٨.

٢- (٢) المزار الثاني (الصغير) ب ١١ ح ٣ ص ١٦٠.

قال: مَنْ أتاه وزاره وصلّى عنده ركعتين كُتِبَ له حجّه مبروره, فإن صلّى عنده أربع ركعات كُتِبَ له حجّه وعمره.

قلت: جُعِلت فداك, وكذلك لكلّ مَنْ زار إماماً مفترضه طاعته؟

قال: وكذلك لكلّ مَنْ زار إماماً مفترضه طاعته»(١).

ورواه المشهدى فى المزار الكبير بالاسناد عن أحمد بن محمد بن سعيد بن عقده, قال: أخبرنا أحمد بن يوسف, قال: حدثنا هارون بن مسلم, قال: حدثنى أبو عبد الله الحرانى, قال: قلت لأبى عبد الله (عليه السلام)(٢). الحديث.

وأبو على الحرّانى قد روى عنه ابن أبى عمير بسند صحيح فى الفقيه(٣). وقال عنه النجاشى: (أبو على الحرانى, ابن بطه عن أحمد بن محمد بن خالد عنه أبيه عن أبى على بكتابه) وقال الشيخ: (أبو على الحرانى له كتاب روينا به هذا الإسناد عن أحمد بن أبى عبد الله عنه) ويريد بهذا الإسناد: (عده من أصحابنا عن أبى المفضل عن ابن بطه عن أحمد بن أبى عبد الله) فظهر من ذلك أنه صاحب كتاب رواه الأصحاب وروى عنه ابن أبى عمير الذى لا يروى إلا عن الثقات, كما روى عنه الثقة الجليل هارون بن مسلم والطرق مستفيضه إلى هارون بن مسلم. فطريق الروايه مصححه.

ص: ٤١

١- (١) التهذيب ج ٦ كتاب المزار ب ٢٦ ح ٤ ص ٧٩.

٢- (٢) المزار الكبير للمشهدى القسم الأول الباب الأول ح ١٦ ص ٣٩.

٣- (٣) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٤٠٨ ح ١٢١٧.

ثم إن هناك ملحقاً لهذا الوجه الأوّل لتبيان مزيد دلائل موضحة لعموم الموضوع.

الوجه الثاني: عموم الموضوع لعموم التعليل:

إشاره

تضمنت جملة من الروايات الواردة في الإتمام في المواطن الأربعة تعليل الإتمام بأنه زيادة خير - أي: ثواب - وكذلك قد تضمنت ذلك التعليل الروايات الآمره بإكثار التطوّع وهو صلاة النافله في المواطن الأربعة وإن قصر في الفريضة ولم يقم:

١- محسنه عمران بن حمران, قال: «قلت لأبي الحسن (عليه السلام): اقصر في المسجد الحرام أو أتم؟

قال: إن قصرت فلك, وإن أتممت فهو خير, وزيادة الخير خير»(١).

٢- صحيح الحسين بن المختار عن أبي إبراهيم (عليه السلام), قال: «قلت له: إنا إذا دخلنا مكّه والمدينه نتمّ أو نقصر؟

قال: إن قصرت فذلك, وإن أتممت فهو خير تزداد»(٢).

٣- التعليل بالخيريه الوارد في جملة روايات(٣) التطوّع في الأماكن الأربعة الآتي الإشارة إلى بعضها.

ص: ٤٢

١- (١) الوسائل: أبواب صلاة المسافر: ب ٢٥ ح ١١.

٢- (٢) الوسائل: أبواب صلاة المسافر: ب ٢٥ ح ١٦.

٣- (٣) الوسائل: أبواب صلاة المسافر: ب ٢٦.

٤- التعليل لفضيله الحرمين والمسجدين بأنه قد صَلَّى فيهما الأنبياء وإضافه الروضه إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وإلى فاطمه (عليها السلام), وهذا من قبيل علّه العله وتعليل التعليل, أى تعليل الإتمام بفضيله المسجدين والحرمين, ثم تعليل فضيلتهما بأن الأنبياء قد صلّوا فيهما أو إضافتهما لأهل البيت (عليهم السلام).

ويدلّ على ذلك:

أ - مصححه ابن أبي عمير, عن بعض أصحابنا, عن أبي عبدالله (عليه السلام), قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما بين قبري ومنبري روضه من رياض الجنّه, ومنبري على ترعه من ترع الجنّه, لأنّ قبر فاطمه (عليها السلام) بين قبره ومنبره, وقبرها روضه من رياض الجنّه, وإليه ترعه من ترع الجنّه» (١).

وفى هذا المصحح تعليل لفضيله المسجد النبويّ, بل لأفضل موضع منه بكونه موضع قبر فاطمه (عليها السلام).

ب - صحيحه أبي عبيده, عن أبي جعفر (عليه السلام), قال:

«مسجد كوفان روضه من رياض الجنّه, صَلَّى فيه ألف نبيّ وسبعون نبياً, وميمنته رحمه, وميسرته مكر, فيه عصا موسى, وشجره يقطين, وخاتم سليمان, ومنه فار التّور ونجرت السفينه وهى صرّه بابل, ومجمع الأنبياء» (٢).

وظاهر الصحيحه أنّه علل فضيلته بأنه روضه من رياض الجنّه و (أنّه

ص: ٤٣

١- (١) الوسائل: أبواب المزار: ب ١٨ ح ٥.

٢- (٢) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب ٤٤ ح ١.

قد صَلَّى فيه الأنبياء).

ج - وفي روايه أبى بصير, عن أبى عبدالله (عليه السلام):

«نعم, المسجد مسجد الكوفه, صَلَّى فيه ألف نبيّ وألف وصيّ»^(١).

د - وفي معتبره هارون بن خارجه عن أبى عبدالله (عليه السلام) تعليل فضله:

«وتدرى ما فضل ذلك الموضع؟ ما من عبد صالح ولا نبيّ, إلا وقد صَلَّى في مسجد كوفان, حتّى إنّ رسول الله لَمَّا أسرى الله به... ثمّ ذكر (عليه السلام) صلاه رسول الله (صلى الله عليه و آله) في المسجد»^(٢).

هـ - وفي روايه لأبى حمزه الثمالى:

«أنّ علىّ بن الحسين أتى مسجد الكوفه عمداً من المدينه فصلّى فيه ركعات, ثمّ عاد حتّى ركب راحلته وأخذ الطريق»^(٣).

و- وفي محسنه أبى بكر الحضرمى عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام), قال: «قلت له: أى البقاع أفضل بعد حرم الله وحرم رسوله؟

قال: الكوفه - يا أبا بكر - هى الزكيه الطاهره, فيها قبور النبيّين والمرسلين وغير المرسلين والأوصياء الصادقين, وفيها مسجد سهيل الذى لم يبعث الله نبيّاً إلاّ وقد صَلَّى فيه»^(٤).

ص: ٤٤

١- (١) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب ٤٤ ح ٢.

٢- (٢) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب ٤٤ ح ٣.

٣- (٣) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب ٤٤ ح ٦.

٤- (٤) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب ٤٤ ح ١٠.

وفى هذه الروايه دلالة على قدسيه كل الكوفه لا خصوص مسجدها ومسجد السهله.

ز - ما رواه ابن طاووس فى فرحه الغرى بسند متصل عن أبى اسامه, عن أبى عبدالله (عليه السلام), قال:

«سمعتَه يقول: الكوفه روضه من رياض الجنّه, فيها قبر نوح وإبراهيم, وقبور ثلاثمائه نبى وسبعين نبياً وستّمائه وصى, وقبر سيد الأوصياء وأمير المؤمنين (عليه السلام)»(١).

وفى هذه الروايه إطلاق الكوفه وشمولها لكل النجف الأشرف.

فذلكه فى التعليل:

وظاهر تلك الروايه تعليل فضيله الكوفه وشرفها وقدسيّتها بكونها روضه من رياض الجنّه, ولا يخفى أنّ التعليل فى هذه الروايه - بل فى ما تقدم - هو فى سياق بيان علّه الحكم لاعلّه وجود عنوان تكوينى للكوفه أو للمسجد الحرام أو للحرم النبوى, بل فى صدد بيان علّه موضوعيه الموضوع للحكم, وقد بنى المحقق النائينى فى الفرق بين علّه الحكم وحكمته أنّ كلّ عنوان يدرك العرف وجوده وموارد تواجدّه, ويفهم عرفاً ويكون صالحاً لديهم كضابطه, فإنّه يكون من قبيل علّه الحكم, أى الموضوع الأصيلى لذلك الحكم, وأنّ ما بيّن من عنوان آخر للموضوع فإنّه من أفرادّه ومصاديقه.

ص: ٤٥

وهذا التقريب مطرد في كل روايات هذا الوجه الثانى.

ثم إن في الروايه فائده اخرى, وهى تعليل كون الكوفه روضه من رياض الجنّه, أى تعليل عنوان الروضه بأن فيها قبر الأنبياء والأوصياء ممّا يفيد أنّ قبورهم (عليهم السلام) كلّها روضه من رياض الجنّه فى الأرض.

ثم إن الروايه أبدت تمييزاً خاصّاً لقبر سيّد الأوصياء, كما هو الحال فى روايات ذلك الباب الذى عقده صاحب الوسائل فى أبواب المزار الباب (٢٧).

وممّا يشير إلى ما ذكرناه من تقريب التعليل ما استدلّ به العلامة الحلّى فى منتهى المطلب وفى المختلف لردّ قول الصدوق المانع من الإتمام فى الأماكن الأربعة, قال فى المختلف: «منع الصدوق من الإتمام فى هذه المواطن... وتبعه ابن البرّاج, والمشهور استحباب الإتمام. اختاره الشيخ والسيد المرتضى وابن الجنيد وابن إدريس وابن حمزه.

قلنا: أنّها مواطن شريفه يستحبّ فيها الإكثار من الطاعات والنوافل, فناسب استحباب إتمام الفرائض» (١).

وذكر نفس العبارة فى المنتهى فى مقام الردّ على الصدوق.

وفى التنقيح الرائع للسيورى قوى قول المشهور على قول الصدوق بالمنع فى الأماكن الأربعة, بقوله: «والأقوى قول الأصحاب, لأنّها أماكن شريفه,

ص: ٤٤

فناسب كثره الطاعات فيها، ولروايات كثيره بذلك... ثم إنَّ السَّيِّدَ وابنَ الجنيِّدِ جعلًا مجموعَ المشاهدِ داخله في هذا الحكم، والفتوى على خلافه»(١).

وظاهر كلامه يعطى توقُّفه في التعميم من دون جزم بالنفي.

وقال الشهيد الثاني في حاشيه الشرائع في شرح قوله: «ولو صَلَّى واحده بتيه التمام لم يرجع... قال: المراد صَلَّى رباعيه بتيه التمام، واحترز بالتيه عمًا لو صَلَّىها لشرف البقعه كأحد المواطنين الأربعة»(٢).

٥- ما ورد في فضل مسجد الغدير ففي صحيحه عبد الرحمان بن الحجاج قال: سألت أبا إبراهيم (عليه السلام) عن الصلاه في مسجد غدير خم بالنهار وأنا مسافر، فقال: «صل فيه فان فيه فضلا، وقد كان أبي (عليه السلام) يأمر بذلك»(٣).

وفي صحيحه أبان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

«إنه تستحب الصلاه في مسجد الغدير لأنَّ النبي (صلى الله عليه و آله) أقام فيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو موضع أظهر الله عز وجل فيه الحق»(٤). فإن التعليل فيهما لعدم سقوط النوافل النهاريه للمسافر بأن فيه فضلا إشاره إلى عموم الموضوع الذي جعل لعدم سقوط النوافل النهاريه، وهو متحد مع موضوع الإتمام في الفريضة في السفر، هذا إن لم يكن عنوان

ص: ٤٧

١- (١) التنقيح الرائع: ج ١ ص ٢٩١.

٢- (٢) حاشيه الشرائع: ص ١٤٣.

٣- (٣) الوسائل: أبواب أحكام المساجد ب ٦١ ح ٢.

٤- (٤) الوسائل: أبواب أحكام المساجد ب ٦١ ح ٣.

الصلاه فيهما عام ظهوراً للفريضة, ومثله التعليل بأن فيه ظهر الحق.

الوجه الثالث: تعدد أسنه الموضوع للإتمام الواردة في الروايات:

بعضها اقتصر على الحرم المكي, كصحيح معاوية بن عمّار(١).

وبعضها اقتصر على الحرمين, كموثّق مسمع عن أبي إبراهيم (عليه السلام), قال: «كان أبي يرى لهذين الحرمين ما لا يراه لغيرهما, ويقول: إنّ الإتمام فيهما من الأمر المذخور»(٢).

مع أنّ لسانه يوهم الحصر في الاثنين دون غيرهما, ومع ذلك رفع اليد عنه بدلاله ما دلّ على غيره, ومنه نرفع اليد عن الأربع أو الثلاث بما دلّ على عموم الموضوع لكلّ موضع مقدّس بدلاله من الشرع عليه استحباب فيه إكثار الصلاه والعباده, كما هو مفاد الآيتين: فِي بُيُوتِ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ (أى تعظم) وَ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ (أى يتعبد إليه) يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ , وكذلك قوله تعالى: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ , وكذا صحيح عليّ بن مهزيار(٣) المتقدم اقتصر على الاثنين.

وبعضها اقتصر على الثلاثه الحرمين وعند قبر الحسين (عليه السلام) أو مسجد الكوفه دون قبر الحسين (عليه السلام) بلفظ: «ثلاثه مواطن», وبعضها اشتمل على الأربعة.

ص: ٤٨

- ١- (١) الوسائل: أبواب صلاه المسافر: ب ٢٥ ح ٣.
- ٢- (٢) الوسائل: أبواب صلاه المسافر: ب ٢٥ ح ٢.
- ٣- (٣) الوسائل: أبواب صلاه المسافر: ب ٢٥ ح ٤.

ويستفاد من ذلك أنّ عنوان الأربعة الوارد في الأدلّة ليس للتحديد، بل من باب أبرز المصاديق والأفراد، ومن ثمّ ورد في روايات التطوّع والنوافل في الأماكن الأربعة لسان وعنوان خامس وهو مشاهد النبيّ (صلى الله عليه وآله) (١) وهو عنوان آخر غير البلدان الأربعة، كما قرّب ذلك عدّه من القدماء وبعض المتأخرين كالمر داما د.

وسنذكر التلازم بين موضوعى التطوع النهارى والإتمام فى الصلاه كما هو مفاد مصححه أبى يحيى الحناط قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن صلاه النافله بالنهار فى السفر فقال: «يا بنى لو صلحت النافله فى السفر تمت الفريضه» (٢).

١- صحیحہ ابن أبى عمير، عن أبى الحسن (عليه السلام)، قال: «سألته عن التطوّع عند قبر الحسين (عليه السلام) وبمكّه والمدينه وأنا مقصّر؟

فقال: تطوّع عنده وأنت مقصّر ما شئت، وفى المسجد الحرام، وفى مسجد الرسول، وفى مشاهد النبيّ (صلى الله عليه وآله)، فإنّه خير» (٣).

فإنّه لا يخفى دلالتها من وجهين:

الأوّل: ما مرّ من التعليل بأنّ إكثار الصلاه خير فى الأرض ذات الشرافه

ص: ٤٩

١- (١) الوسائل: أبواب صلاه المسافر: ب ٢٦.

٢- (٢) الوسائل: أبواب أعداد الفرائض ونوافلها: ب ٢١ ح ٥.

٣- (٣) الوسائل: أبواب صلاه المسافر: ب ٢٦ ح ٢.

والقدس, وهو جزء الموضوع للإتمام.

الثانى: عنوان مشاهد النبى (صلى الله عليه و آله), فإنه - كما استظهره جملة من القدماء وعده من المتأخرين كما مرّ - يغير عنوان المساجد وعنوان البلدان الأربعة, بل هو ناص على شرافه المكان بإضافته للنبى (صلى الله عليه و آله) ويندرج فيه ما اضيف إلى أهل بيته, كما قرّر فى روايات الفريقين الوارده فى أنّ من بيوته بيت على وفاطمه (عليهما السلام).

٢- روايه على بن أبى حمزه الظاهر روايتها عنه فتره استقامته, فتكون معتبره, قال: «سألت العبد الصالح (عليه السلام) عن زياره قبر الحسين (عليه السلام), فقال: ما أحبّ لك تركه.

قلت: وما ترى فى الصلاه عنده وأنا مقصّر؟

قال:

صلّ فى المسجد الحرام ما شئت تطوّعاً, وفى مسجد الرسول (صلى الله عليه و آله) ما شئت تطوّعاً, وعند قبر الحسين (عليه السلام), فإننى أحبّ ذلك.

قال: وسألته عن الصلاه بالنهار عند قبر الحسين (عليه السلام) ومشاهد النبى (صلى الله عليه و آله) والحرمين تطوّعاً ونحن نقصّر؟

فقال: نعم, ما قدرت عليه»(١).

والامتياز فى دلاله هذه الروايه هو رغم أنّ جوابه (عليه السلام) الأوّل لم يشتمل

ص: ٥٠

١- (١) الوسائل: أبواب صلاه المسافر: ب ٢٦ ح ١.

على عنوان مشاهد النبي (صلى الله عليه و آله) إلا أن الراوى ارتكازاً جعله عنواناً مقابلاً للحرمين وفهم واستظهر من لسان الأدله عموم عنوان الموضوع وجوابه (عليه السلام) تقرير لهذا الارتكاز، ممّا يدلّ على إرادته الأرض التي فيها إضافة له (صلى الله عليه و آله) ممّا حصل مشهداً مهمّاً استحقّ به قدسيّه، وهذا تقريب صريح بالمغايره بين عنوان المشاهد وعنوان الحرمين والمسجدين، كما تقدّم تقريب ذلك في صحيحه ابن أبي عمير.

٣- موقّو إسحاق بن عمّار، عن أبي الحسن (عليه السلام)، قال:

«سألت عن التطوّع عند قبر الحسين (عليه السلام) ومشاهد النبي (صلى الله عليه و آله) والحرمين والتطوّع فيهنّ بالصلاه ونحن مقصّرون؟ قال: نعم، تطوّع ما قدرت عليه هو خير»^(١).

والتقريب فيه كما مرّ.

٤- ما رواه ابن قولويه صحيحاً عن أبيه، عن سعد بن عبدالله، قال: «سألت أيّوب بن نوح عن تقصير الصلاه في هذه المشاهد مكّه والمدينه والكوفه وقبر الحسين (عليه السلام)، والذي روى فيها، فقال: أنا اقصّيره، وكان صفوان يقصّيره، وابن أبي عمير وجميع أصحابنا يقصّرون»^(٢).

وهذه الصحيحه وإن كانت في سيره الرواه وما ذهب إليه فقهاء الرواه من مشروعّيّه التقصير أو رجحانه أو تعيّنّه حسب احتمالات مفادها،

ص: ٥١

١- (١) الوسائل: أبواب صلاه المسافر: ب ٢٦ ح ٤.

٢- (٢) كامل الزيارات ب ٨١ ح ٩ ص ٤٢٩.

إلا- أنّ وجه الاستظهار للمطلوب منها هو تقرير الارتكاز لدى الأصحاب أنّ الأماكن الأربعة من باب مصاديق عنوان المشاهد الذى هو عنوان عامّ للتحصر فى شخص العناوين الأربعة, فيدعم بقيه الروايات.

٥- صححه عبد الرحمان بن الحجاج قال: سألت أبا إبراهيم (عليه السلام) عن الصلاة فى مسجد غدیر خم بالنهار وأنا مسافر, فقال:

«صل فيه فان فيه فضلا, وقد كان أبى (عليه السلام) يأمر بذلك»(١).

٦- صححه أبان عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال:

«إنه تستحب الصلاة فى مسجد الغدير لأنّ النبى (صلى الله عليه و آله) أقام فيه أمير المؤمنين (عليه السلام), وهو موضع أظهر الله عزّ وجلّ فيه الحق»(٢) فإن التعليل فيهما بأن النبى (صلى الله عليه و آله) أقام أمير المؤمنين (عليه السلام) إشاره إلى عنوان مشاهد النبى وأهل بيته (صلوات الله عليهم), وأن السفر لا يسقط فضيله صلاة النافلة نهارا فيه, بل عموم طبيعه الصلاة ولو فريضه.

مع أن عبد الرحمن بن الحجاج وهو فقيه قد ارتكز لديه سببيه السفر لسقوط النفل فى النهار وعدم مشروعيتها فمن ثم استفهم عن عموميه فضيله الصلاة فى مسجد الغدير للمسافر ولو نهاراً.

٧- الصدوق فى الفقيه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«من أتى مسجدي

ص: ٥٢

١- (١) الوسائل: أبواب أحكام المساجد ب ٦١ ح ٢.

٢- (٢) الوسائل: أبواب أحكام المساجد ب ٦١ ح ٣.

مسجد قبا فصلى فيه ركعتين رجع بعمره»(١).

الوجه الرابع: التنصيص الخاص على تعميم الإتمام لقبول الأئمة المعصومين (عليهم السلام):

إشاره

١ - روى فى كامل الزيارات فى مصححه أبى علىّ الحزّانى (وهو عيسى بن راشد ظاهرأوقد تقدم الكلام فى توثيق رواه الطريق) قال: قلت لأبى عبدالله (عليه السلام): ما لمن زار قبر الحسين (عليه السلام)؟

قال: من أتاه وزاره وصلّى عنده ركعتين أو أربع ركعات كتب الله له حجّه وعمره.

قال: قلت: جعلت فداك، وكذلك لكلّ من أتى قبر إمام مفترضه طاعته؟

قال: وكذلك لكلّ من أتى قبر إمام مفترض طاعته»(٢).

تعدّد ألفاظ المتن وتعدّد الطرق:

وقد تقدم جملة من الكلام فى ذلك وأنه قد رواه كل من المفيد فى المزارين والطوسى فى التهذيب والمشهدى فى المزار الكبير، وهذا المتن قد روى بطرق متعدّده ومستفيضه عن هارون بن مسلم، عن أبى علىّ الحزّانى (الخزاعى)، وهى صحيحه السند.

ومضافاً لما تقدم من الطرق والمصادر فقد رواه ابن طاووس فى مصباح

ص: ٥٣

١- (١) الوسائل: أبواب أحكام المساجد ب ٦٠ ح ٣.

٢- (٢) كامل الزيارات ب ٨٣ ح ٣.

الزائر عن الصادق (عليه السلام) في حديث ومنتنه:

«أَنَّ مَنْ زَارَ إِمَامًا مَفْتَرِضَ الطَّاعَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَصَلَّى عِنْدَهُ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ كَتَبَتْ لَهُ حَجَّهُ وَعَمْرُه»^(١).

رواه بهذا المتن في البلد الأمين أيضاً. وهذا المتن رواه - قبل ابن طاووس - المفيد في موضع من المزار الثاني (الصغير) في الباب: مختصر فضل زياره العسكريين (عليهما السلام)^(٢)، وكذلك رواه في المقنعه تحت عنوان: «باب فضل زياره أبي الحسن وأبي محمد علي بن محمد والحسن بن علي (عليهما السلام):

«مَنْ زَارَ إِمَامًا مَفْتَرِضَ الطَّاعَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ وَصَلَّى عِنْدَهُ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ حَجَّهُ وَعَمْرُه»^(٣).

والمدعى في تقريب دلاله الروايه أن التريدي فيها بين الركعتين والأربع للتخير في الفريضة بين القصر والتمام، إذ كما أنه يستحبّ عماره هذه المشاهد المقدّسه بالزياره يستحبّ مؤكّداً أيضاً إقامه الفرائض والنوافل وإكثار الصلاه فيها، كما هو مفاد قوله تعالى في معلميه البيت الحرام أنه لإقامه الصلاه وتولى ذريه إبراهيم الخليل (عليه السلام) وهم النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين): رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ ۙ

ص: ٥٤

١- (١) الوسائل: أبواب المزار ب ٦٩ ح ١٠.

٢- (٢) المزار الثاني (الصغير) ب ١٨ ح ٢.

٣- (٣) المقنعه: ج ١ ص ٤٨٦.

وعلى هذا التقرير الآتى تفصيله تكون هذه الصحيحه ناصه على التخيير فى جميع مراقد المعصومين (عليهم السلام), بينما احتمال المجلسى فى ملاذ الأختيار أنّ المراد بالصلاه صلاه زياره كلّ إمام, وأنّ أقلّها ركعتان, والأربع أفضل, ويدفع هذا الاستظهار ما يدل على التقرير المتقدم من الشواهد التاليه:

فقه و دلالة الروايه:

١- ما فى مزار المفيد, حيث أورد هذه الروايه فى باب «فضل الصلاه فى مشهد الحسين بن على (عليهما السلام)» وقال: «ويجب أن تؤدى الفرائض بأسرها والنوافل كلّها طول المقام هناك فيه, وأفضل المواضع للصلوات عند رأس الإمام (عليه السلام). حدّثنى أبو القاسم جعفر بن محمّد, قال: حدّثنى جعفر بن محمّد بن إبراهيم, عن عبدالله بن نهيك, عن ابن أبى عمير, عن رجل, عن أبى جعفر (عليه السلام), قال:

«قال لرجل: يا فلان, ما يمنعك إذا عرضت لك حاجه أن تأتي قبر الحسين فتصلّى عنده أربع ركعات, ثمّ تسأل حاجتك؟ فإنّ الصلاه الفريضة عنده تعدل حجّه وصلاه النافله عنده تعدل عمره» (١).

وهذا سند صحيح إلى ابن أبى عمير.

ولا يخفى أنّ هذه الصحيحه إلى ابن أبى عمير نصّ فى إرادته الإتمام فى الفريضة من «الأربع ركعات» الوارده فى صحيحه الحرّانى, وأنّ الترديد

ص: ٥٥

بين الاثنتين والأربع, هو التخيير بين القصر والتمام.

وقد أورد صحيحه ابن أبي عمير المصرّحه بإرادته الفريضة من الأربع ركعات ابن قولويه فى كامل الزيارات(1). ورواه فى التهذيب(2) أيضاً.

٢- ما فى معتبره عبدالله بن سعيد الأسدى (أبى شبل), قال:

«قلت لأبى عبدالله (عليه السلام): أزور قبر الحسين (عليه السلام)؟ قال (عليه السلام): زر الطيب, وأتمّ الصلاة عنده. قلت: أتمّ الصلاة؟ قال: أتمّ. قلت: بعض أصحابنا يرى التقصير؟ قال: إنّما يفعل ذلك الضعفه»(3).

وقد رواه كلّ من الكلينى فى الكافى, وابن قولويه فى كامل الزيارات, والشيخ فى التهذيبين.

وهذه الروايه ناصّه على أنّ شدّ الرحال والسفر إلى قبر الحسين (عليه السلام) لغايتين:

الأولى: زيارته (عليه السلام), والثانيه: إقامه الفريضة عنده, وإتمامها فضل آخر, فكما أنّ إقامه الفريضة فى المسجد الحرام والمسجد النبوىّ لها من الفضل العظيم, فكذلك إقامه الفريضة عند الحسين (عليه السلام) حتّى أنّه قد روى المفيد فى المزار, وابن قولويه فى كامل الزيارات أنّ فضيله كلّ ركعه من

ص: ٥٦

١- (١) كامل الزيارات: ب ٨٣ ح ١.

٢- (٢) التهذيب: ج ٦ ص ٧٣ ح ١٤١.

٣- (٣) الوسائل: أبواب صلاه المسافر: ب ٢٥ ح ١٢.

الفريضة عند الحسين (عليه السلام) تعدل ثواب ألف حجّه وألف عمره, وإعتاق ألف رقبه, وكأنّما وقف في سبيل الله ألف مرّه مع نبيّ مرسل (١).

فبذلك يظهر أنّ الأمر بالزياره لقبر المعصوم (عليه السلام), والعطف عليه بالأمر بالصلاه عنده المراد منه هو إقامه الفريضة في الدرجه الأولى, وإتمامها وإتيان النوافل والإكثار من التطوّع في الدرجه الثانيه, فيكون الظاهر من مصححه الحرّاني من إتيان قبر الحسين (عليه السلام) وزيارته والصلاه عنده ركعتين أو أربع هو إقامه الزياره والفريضة نظراً لعظم فضيلتها بإقامتها عنده مخيراً بين التقصير (ركعتين) والإتمام (أربع).

وما يعزّز هذا الشاهد أنّ إقامه الفريضة عند الحسين (عليه السلام) أحد الغايات العباديّة ذات الفضيله العظمى - مضافاً إلى ما تقدّم - ما أورده ابن قولويه في الباب الذي عقده الباب (٨٣) تحت عنوان: «إنّ الصلاه الفريضة عنده تعدل حجّه, والنافله عمره» فقد أورد في هذا الباب مصححه شعيب العقرقوفى, عن أبي عبدالله (عليه السلام), قال:

«قلت له: من أتى قبر الحسين (عليه السلام) ما له من الثواب والأجر, جعلت فداك؟ قال: يا شعيب, ما صلّى عنده أحد الصلاه إلّا قبلها الله منه...» (٢) الحديث.

ومفادها صريح في كون أحد غايات قصد السفر والذهاب إلى قبر

ص: ٥٧

١- (١) كامل الزيارات ب ٨٣ ح ٢. المزار الأول للمفيد ب ٥٩ ح ٢.

٢- (٢) كامل الزيارات ب ٨٣ ح ٤.

الحسين (عليه السلام), وشد الرحال إليه, هو إقامة صلاه الفريضة عنده وقبولها ببركته.

٣ - إنه قد نصّ في جملة من الروايات أنّ ثواب الحجّ والعمرة هو على التفصيل من أنّ ثواب الحجّ لركعه الفريضة وثواب العمرة لركعه النافلة, كما مرّ في الصحيح إلى ابن أبي عمير, عن رجل, عن أبي جعفر (عليه السلام) المتقدمه(١).

٤- الشاهد الرابع: إنّ لسان ما ورد من الحثّ على إقامة الصلاه عند قبر الحسين (عليه السلام) وقبر كلّ إمام مفترض الطاعة, ورد بعنوان (الصلاه عنده) وثواب إقامتها عنده, ومن الواضح أنّ التقييد ب- (عنده) في تلك الروايات المستفيضه أنّ هذه الصلاه رجحانها ليس من جهة كونها صلاه زياره, وأنّ صلاه الزياره مخيره بين الركعتين و الأربع في زياره كلّ إمام, بل من جهة إقامة هذه الصلاه عند المعصوم, وإقامه الصلاه هذه من حيث هي عند المعصوم, وأبرز ذلك صلاه الفريضة والنوافل اليوميّه والنوافل ذات الأسباب.

٥- الشاهد الخامس: أنّ عنوان (الأربع) في الصلاه باتّ عنواناً للإتمام في الفريضة, فالأمر بالركعتين أو بالأربع بلفظه «أو» لسان من ألسنه التخيير بين القصر والإتمام. ويبدو هذا واضحاً لمن راجع مستفيض الروايات ومتواترها في أبواب صلاه المسافرين, نظير مرفوعه محمّد بن أحمد بن يحيى, عن بعض أصحابنا, رفعه إلى أبي عبدالله (عليه السلام), قال:

«مَنْ صَلَّى فِي

ص: ٥٨

١- (١) المزار الأول (الكبير) للمفيد: ب ٥٩. ح ١.

سفره أربع ركعات, فأنا إلى الله منه برىء»(١).

وفى مرسله الصدوق إسناد هذا القول إلى الرسول (صلى الله عليه وآله)(٢).

كما قد أورد صاحب الوسائل فى الباب (١٧) من أبواب صلاة المسافر عدّه من الأحاديث بلفظ: «مَنْ صَلَّى - أو مَنْ يَصَلِّي - فى السفر أربع ركعات» عنواناً للإتمام وغيرها من أبواب صلاة المسافر, كما قد ورد فى تلك الأبواب أيضاً.

٦- وقد روى الصدوق فى ثواب الأعمال بسند متصل عن أبى النمير, قال:

«قال أبو جعفر (عليه السلام): إنّ ولايتنا عرضت على أهل الأمصار فلم يقبلها قبول أهل الكوفة

شئاً]؛ وذلك أنّ قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) فيه, وإنّ إلى لزقه لقبراً آخر - يعنى قبر الحسين (عليه السلام) - وما من آت أتاه يصلّى عنده ركعتين أو أربعاً, ثمّ سأل الله حاجته إلّا قضاها له, وإنّه ليحفّه كلّ يوم ألف ملك»(٣).

ورواه ابن قولويه فى كامل الزيارات بطريقين: أحدهما عن محمّد بن ناجيه, عن عامر بن كثير, عن أبى النمير, وهو غير طريق الصدوق إلى عامر بن كثير, عن أبى النمير, والطريق الآخر لابن قولويه بإسناد معتبر عن الحلبي عن أبى عبدالله (عليه السلام).

ص: ٥٩

١- (١) الوسائل: أبواب صلاة المسافر: ب ٢٢ ح ٨.

٢- (٢) الوسائل: أبواب صلاة المسافر: ب ٢٢ ح ٣.

٣- (٣) الوسائل: أبواب المزار ب ٦٩ ح ٤ وثواب الأعمال ص ١١٤ ح ٢٠.

ومفاد هذه الروايه المعتبره (بطريقين) خصوصيّه إقامه الصلاه عند قبر أمير المؤمنين (عليه السلام), وأنه مختير بين القصر بركعتين أو الإتمام بالأربع, وأنّ ثوابها قضاء الحاجه. وهذه الروايه مختصّه بفضيله إقامه الصلاه عند قبر أمير المؤمنين (عليه السلام), والتخير بين القصر والتمام, كما أنّها دالّه على أنّ الركعتين أو الأربع هي التخير في الفريضه لاصلاه الزياره النافله.

ومتنها بطريق ابن قولويه عن الحلبي أنّ أبا عبدالله قال:

«إنّ الله عرض... وإنّ إلى جانبها قبراً لا يأتيه مكروب فيصليّ عنده أربع ركعات إلّا رجعه الله مسروراً بقضاء الحاجه»(١).

الوجه الخامس: عموم حرم الله وحرمة رسوله (صلى الله عليه وآله)، وحرمة أمير المؤمنين (عليه السلام) للمشاهد المشرفه:

وتقريبه: أنّه قد ثبت نعت مراقدهم (عليهم السلام) بأنّها من حرم الله وحرمة الرسول, كما ورد في الزيارات المستفيضه وغيرها, وأنّها من بيوت النبيّ (صلى الله عليه وآله), كما مرّت الإشاره إليه, منها ما ورد في صحيحه الحسين بن ثوير الوارده في آداب زياره الإمام الحسين (عليه السلام) عن أبي عبد الله (عليه السلام):

«إذا أتيت أبا عبد الله عليه السلام فاغتسل على شاطئ الفرات والبس ثيابك الطاهره, ثم امش حافياً فإنك في حرم من حرم الله وحرمة رسوله»(٢) وحينئذ يندرج في لسان ما ورد

ص: ٦٠

١- (١) كامل الزيارات ب: ٦٩ ح ٤.

٢- (٢) الوسائل: أبواب المزار ب ٦٢ ح ١.

فى إتمام المسافر فى حرم الله وحرم الرسول، ولا يشكل بظهورهما فى القضيّه الخارجيه، وأنّ التنزيل ليس بلحاظ مطلق الآثار، فإنّه يدفع بأنّ ظاهر أدلّه الإدراج أنّها بلحاظ حكم التعظيم والتقدير والفضيله، فهى توسعه لعنوان الحرمين، لاسيّما مع ما مرّ فى جملة من الروايات المعتبره أنّ بيوت النبى وأهل بيته أعظم فضيله من المسجدين، وأنّ أهم أسباب فضيله المسجد الحرام هى أنّه صلّى فيه الأنبياء وفيه قبور سبعين نبياً أو أكثر فى مواضع متعدّده حول الكعبه.

ويعضده إطلاق الحرم على كل مراقدهم فى الروايات، وقد أخذ عنوان الحرم فى روايات الإتمام فى المواطن الأربعة كما فى الباب (٢٥) من أبواب صلاه المسافر وهو مشعر بعليه الحرميه للإتمام.

الملحق للوجه الأوّل: لتبيين عموم الموضوع:

قال الشيخ خضر بن شلال (تلميذ العلّامه بحر العلوم) فى أبواب الجنان فى صدر كتابه تحت عنوان (شرف المشاهد): «والبيت الذى لاريب أنّ مزيد شرفه عند أهل السماوات السبع والأرضين السبع كمنار على علم، كمزيد شرف المدينه والنجف الأشرف وكربلاء وسائر المشاهد المشرفه على ما عداها عندهم، سيّما ما اشتملت عليه من الروضات التى لاريب أنّها من رياض الجنّه... (إلى أن قال ما يستفاد منه): ما يستفاد من كثير من وجوه العقل والنقل من أنّ روضه النبى وروضه ابن عمّه والأئمّه

المعصومين أفضل من المسجد الحرام الذي قد مرَّ أن الصلاة فيه بألف صلاة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه و آله) الذي قد مرَّ أن الصلاة في مسجده بعشره آلاف صلاة، سيَّما بعد ملاحظه ما ورد عن الصادق (عليه السلام) أن المبيت عند عليّ يعدل (١) عبادته سبعمائه عام (٢)، وعند الحسين سبعين عاماً (٣)، وأن الصلاة عند عليّ مائتي ألف صلاة.

وعن مولانا الرضا (عليه السلام)، أنه قال:

«جوار أمير المؤمنين يوماً خيراً من عبادته سبعمائه سنه، وعند الحسين خيراً من عبادته سبعين عاماً»، وخصوصاً بعد ملاحظه الاعتبار وتتبع السير والآثار، وما جاء في قبر النبي (صلى الله عليه و آله) والمدينه وقبر فاطمه وقبور الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ومشاهدتهم من مزيد الفضل.

ثم ذكر فضائل للمدينه المنوره والغرى وكربلاء، ثم نقل قول الشهيد في الدروس: «إنها (أى مكه) أفضل بقاع الأرض ما عدا موضع قبر رسول الله (صلى الله عليه و آله)، وروى في كربلاء مرجحات، والأقرب أن قبور الأئمة كذلك، أما البلدان التي هم بها فمكّه أفضل منها حتى من المدينه»، انتهى كلام الدروس (٤).

ص: ٦٢

-
- ١- (١) والصحيح كما في الروايه أفضل كذا عند الحسين (عليه السلام).
 - ٢- (٢) لاحظ كتاب الدرعيه للطهراني في حرف (ميم) في ترجمه مدينه العلم للصدوق حيث ذكر سنداً عن أحد الأعلام لروايه متضمنه لذلك وقد تضمنت فضل المبيت عند الحسين (عليه السلام) أيضاً أنه أفضل من سبعين عاماً أيضاً .
 - ٣- (٣) مضافاً لما تقدم من كتاب الدرعيه روى ذلك ابن قولويه في كامل الزيارات في باين بطريقين أن المبيت عند الحسين (عليه السلام) أفضل من عبادته سبعين عاماً .
 - ٤- (٤) الدروس الشرعيه ج ١ ص ٤٥٧ (أفضل بقاع الأرض، وما يستحب فيها).

ثم قال الشيخ ابن شلال شرحاً لكلام الدروس: «كالصريح في (تفضيل) روضه قبر النبي وقبور الأئمة على الكعبة الحرام، وفي كلام الأصحاب كقريب من ذلك الذي لايشك فيه ذو مسكه، كما لايشك في تفضيل بلدانهم على مكة من سائر البلدان، وإن تأمل في تفضيلها على مكة التي قد يوجد في الأخبار المتواتره معنى ما يدل على مزيد فضل المدينة والنجف الأشرف وسائر بلدان الأئمة على مكة أيضاً، بل على الكعبة التي قد ورد أنها تفاخرت مع كربلاء ففخرتها».

ثم ذكر جملة من الروايات الدالة على تفضيل كربلاء على مكة ومزاياها العديدة، وذكر أنّ حريم قبر الحسين (عليه السلام) إلى خمسه فراسخ مستشهداً لعدّه من الروايات، ونقل عن المجلسي (قدس سرّه) في البحار عن المصباح أنّ تعدّد حرمة حريم قبر الحسين من ترتّب هذه المواضع في الفضل.

ثم حكاه عن التهذيب، وهو موجود في المقنعه أيضاً، ثم قال: «قلت: والأمر في ذلك سهل بعد ما عرفت من كون المراد منه ترتّب الفضل الذي لا ريب أنّه كلّما قرب من الجدث الشريف كان أكد في سائر المشاهد التي لايشك في كون روضاتها أفضل من الكعبة الحرام التي لايشك في مزيد فضلها وفضل بلادها ومواقعها على ما عدا المشاهد الشريفه التي قد يعلم من النصوص وكثير من الوجوه أنّ بلدانها أفضل من سائر البلاد، وإن كان في تفضيلها على الكعبة الحرام إشكال لا يخلو منه تفضيله على المسجد الحرام، بل سائر المساجد وإن ورد في المدينة والنجف وكربلاء والكوفه

وغيرها ما ورد من النصوص التي قد تحمل على خصوص الروضة وما قاربها بأذرع, ولعلّه هو الوجه الجامع بين النصوص التي لا نلتزم إلا على تقديره الذي قد يكون هو المعلوم من مذهب الأصحاب وطريقتهم خلفاً عن سلف, وإن اشتهر من أمثال عصرنا تفضيل كربلاء على الكعبة الحرام حتى نقل في الأشعار, وقال العلامة الطباطبائي:

وفي حديث كربلاء والكعبة لكربلاء بان علو الرتبة

وقد لا يريد إلا ما أشرنا إليه من مزيد فضل الروضة الشريفه وما قاربها على الكعبة وسائر المساجد وغيرها, كما قد لا يريد غير ذلك معظم من قد أشرنا إليه, فلا تغفل وتدبر في ما يستفاد من أن مثل الصحن الشريف والرواق في النجف وكربلاء وسائر المشاهد المشرفه أفضل من سائر المساجد حتى المسجد الأعظم, بل والكعبة الحرام, فضلاً عن خصوص الروضات المشرفه التي لا ينبغي التأويل في مزيد فضلها وفضل مساكنهم في أيام حياتهم على كل بقعه من بقاع الأرض على اختلاف في مراتبها من الفضل الذي لا يرب أنّه لرسول الله (صلى الله عليه وآله), ثم لأخيه (عليه السلام), ثم لولديه (عليهما السلام), ثم لسائر الأئمة (عليهم السلام), ثم لسائر الأنبياء (عليهم السلام) على اختلاف مراتبهم أيضاً^(١).

وقال المحقق السبزواري في الذخيره في الصلاة عند القبور: «ولاريب أن الإماميه مطبقه على مخالفه قضيتين من هذه, إحداهما البناء, والأخرى

ص: ٦٤

الصلاه فى المشاهد المقدسه... والأخبار الداله على تعظيم قبورهم وعمارتها وأفضليته الصلاه عندها, وهى كثيره».

وفى العروه قال اليزدى فى فصل مكان المصلى فى الأمكنه المستحبه: «مسأله ٥: يستحب الصلاه فى مشاهد الأئمه (عليهم السلام) وهى البيوت التى أمر الله تعالى أن ترفع ويذكر فيها اسمه, بل هى أفضل من المساجد, بل قد ورد فى الخبر أن الصلاه عند على (عليه السلام) بمائتى ألف صلاه, وكذا يستحب فى روضات الأنبياء ومقام الأولياء والصلحاء والعلماء والعباد, بل الأحياء منهم أيضاً».

آيه بيوت النور:

ثم إنه هناك آيتان متطابقتان مع مفاد أدله تعميم الموضوع للإتمام, وبعبارة أخرى هما واردتان فى بيان الموضوع لحكم الإتمام:

الأولى: وهى الكبرى الأصلية للموضوع, قوله تعالى: **فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُزَفَعَ وَ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ١.**

وتقريب دلالة الآيه على تحقق قيود موضوع الإتمام فى جميع مشاهد المعصومين (عليهم السلام) لخصوص الأماكن الأربعة:

القيد الأول: كون هذه البيوت هى بيوت المعصومين الأربعة عشر وبيوت الأنبياء وبعض المساجد العظيمة المقدسه, وأفضلها بيت النبى وبيوت آله.

القيد الثاني: تقديس هذه البيوت، أى تشعيروها مشاعر من قبله تعالى، كما قرّر هذا القيد الشيخ جعفر كاشف الغطاء.

القيد الثالث: رجحان إكثار الصلاة ومطلق العبادة وذكر الله فيها.

وبهذا التقرير يندرج مفاد قوله تعالى على لسان إبراهيم فى سورة إبراهيم تحت هذا المفاد الذى هو كالقاعده الكلّيه فى آيه النور، وهو قوله تعالى: رَبَّنَا إِنِّي أَسِيكُنْتُ مِنْ دُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ١، وكذا قوله تعالى - كما سيأتى - :اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ ٢.

وأما القيد الأول (١)، فقد استفاضت روايات أهل البيت (عليهم السلام) فى أن أبرز مصاديق البيوت فى الآيه هى بيوت النبى وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين)، كما فى مستفيض الزيارات كالجامعه وروايات المعارف، بل قد بسطنا تقريب دلاله آيات النور الثلاث قبلها وبعدها على إرادته النبى وأهل بيته، كما تبّه على ذلك فى إشارات الروايات، بل ورد فى روايات الفريقين (٢)، كما رواه السيوطى فى ذيل الآيه، وأخرجه عن جمع من المحدثين المتقدمين عندهم أن سائلاً سأل النبى عن هذه البيوت أهى بيوت الأنبياء؟

ص: ٦٦

١- (٣) لاحظ الإمامه الإلهيه ج ٤ .

٢- (٤) صحيح جميل بن دراج فى الكافى: ج ٥٥٦ .٤

فأجاب (صلى الله عليه و آله): نعم، فقام أبو بكر وأشار إلى بيت علي وفاطمة وقال: أهدا منها؟ فقال النبي (صلى الله عليه و آله): هو من أفاضلها»(١).

وقد ورد في مستفيض روايات الزيارات استحباب الاستئذان قبل دخول مشاهدهم، وأفتى بذلك جماعه كثيره من الأعلام وقد تضمن لفظ الاستئذان كون المشهد بيتاً من بيوت النبي (صلى الله عليه و آله)، فقد ورد في بعض نصوص الاستئذان فقره:

«وَقَفْتُ عَلَى بَابِ بَيْتِ مَنْ بِيُوتِ نَبِيِّكَ وَآلِ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَقَدْ مَنَعَتِ النَّاسَ الدُّخُولَ إِلَى بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِ نَبِيِّكَ (صلى الله عليه و آله)».

كما في المزار الكبير لابن المشهدى(٢). وأيضاً تحت عنوان: الزيارة الأولى الجامعه لسائر المشاهد على أصحابها أفضل السلام(٣)، وفي زياره أمير المؤمنين فى يوم الغدير(٤)، وفى البلد الأمين(٥)، ومصباح الكفعمى(٦)، ومزار الشهيد(٧). وذكر السيد ابن طاووس فى آداب السرداب(٨) نقلاً عن نسخه قديمه من

ص: ٦٧

١- (١) الدر المنثور: ذيل الآيه .

٢- (٢) المزار لابن المشهدى ص ٥٥.

٣- (٣) المزار لابن المشهدى: ص ٥٥٥.

٤- (٤) المزار لابن المشهدى: ص ٦٤.

٥- (٥) ص ٧٦.

٦- (٦) ص ٤٧٢ .

٧- (٧) ص ١٩.

٨- (٨) نقلناه عن البحار ج ٩٩ ص ٨٣ و ص ١٤٥.

وأَمَّا القيد الثاني : وهو تقديس البيوت وتشعيرها, وقد بسطنا الكلام فى ذلك فى كتابنا الإمامه الإلهيه فى التوسّل, وقزّر غير واحد من الأعلام كالشيخ الكبير, أنه يستفاد من الآيه تشعير مراقد المعصومين (عليهم السلام), لاسيما بضميمه الأحاديث المستفيضة من الفريقين كالحديث النبوى الوارد: «ما بين بيوتى ومنبرى روضه من رياض الجنّه»^(١).

وقد فسّر تلك البيوت ببيوته وبيت على وفاطمه وسائر المعصومين (عليهم السلام), فلاحظ ثمّه.

أمّا القيد الثالث : وهو رجحان إكثار الصلاة, فقد وردت فى ذلك روايات عظيمه الدلاله:

١ - معتبره ياسر الخادم, عن الرضا (عليه السلام): «لاتشدّ الرحال إلى شىء من القبور إلا إلى قبورنا»^(٢).

وفى هذه المعتبره دلاله واضحه على أنّ شدّ الرحال هو لزياده نيل الخير والفضل فى العباده, وإكثارها عند قبورهم, وأنّها بمثابة المسجدين اللذين يشدّ إليهما الرحال لقصد ذلك, فإنّه ورد فى الحديث: «لاتشدّ الرحال إلا إلى ثلاثه

ص: ٦٨

١- (١) الكافى: ج ٤ ص ٥٥٤. ومسند أحمد ج ٤ حديث عبد الله بن زيد بن عاصم ص ٣٩.

٢- (٢) الوسائل: أبواب المزار ب ٨٤ ح ١.

مساجد: المسجد الحرام, ومسجد الرسول, ومسجد الكوفه»(١).

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريره عن رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«إنما يسافر إلى ثلاثه مساجد, مسجد الكعبه ومسجدى ومسجد إيليا»(٢).

٢ - مصححه جميل بن دراج, قال:

«سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما بين منبرى وبيوتى روضه من رياض الجنه, ومنبرى على ترعه من ترع الجنه, وصلاته فى مسجدى تعدل عشره آلاف صلاه فى ما سواه من المساجد, إلا المسجد الحرام. قال جميل: قلت له: بيوت النبى وبيت على منها؟ قال: نعم, وأفضل»(٣).

وتقريب الدلاله فى هذه المصححه أنها ناصه على أفضل الصلاه والعباده فى بيت على وبيت النبى وأهل بيته المعصومين على فضيله الصلاه فى مسجد النبى (صلى الله عليه وآله), فهى نص فى أن ما ورد مستفيضاً فى الحث على السفر إلى المسجدين وشد الرحال, والحث على إكثار العباده والصلاه فى مسجد النبى بعينه وارد بنحو أكد فى بيوت النبى وعلى وفاطمه وولدهما(عليهم السلام), ومن ثم يقرب التطابق مع قول النبى فى روايه الفريقين أن تلك البيوت هى بيوت الأنبياء, وأن بيت على وفاطمه من أفاضل تلك البيوت.

ص: ٦٩

١- (١) مرسله الصدوق, الوسائل: أبواب أحكام المساجد ب ٤٤ ح ١٦.

٢- (٢) صحيح مسلم: ج ٢ ص ١٠١٥ رقم الحديث المسلسل (١٣٩٧) كتاب الحج: باب المسجد الذى أسس على التقوى.

٣- (٣) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب ٥٧ ح ٤.

٣- موثقه يونس بن يعقوب:

«قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): الصلاة في بيت فاطمه أفضل أو في الروضه؟ قال: في بيت فاطمه» (١).

٤- مصححه جميل بن دراج:

«قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): الصلاة في بيت فاطمه مثل الصلاة في الروضه؟ قال: وأفضل» (٢).

ولا يخفى أن موثقه يونس صريحه في أن بيوت أهل البيت (عليهم السلام) كبيت النبي (صلى الله عليه وآله) أعظم فضيله من الصلاة في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله)، وهذا النص ناص على أن الفضيله الوارده في الصلاة وإكثارها في مسجد النبي هي ثابتة بعينها لبيت النبي وبيت علي وفاطمه وأهل البيت (عليهم السلام).

٥- وروى الكليني عن الحسين بن محمد الأشعري، قال: حدّثني شيخ من أصحابنا يقال له عبدالله بن رزين، قال: «كنت مجاوراً بالمدينه مدينه الرسول (صلى الله عليه وآله) وكان أبو جعفر (عليه السلام) يجيء في كل يوم مع الزوال إلى المسجد فينزل في الصحن ويصير إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويسلم عليه ويرجع إلى بيت فاطمه (عليها السلام)» (٣) الحديث.

٦- مصححه ابن أبي عمير عن بعض أصحابنا المتقدمه، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال:

«قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما بين قبري ومنبري روضه من

ص: ٧٠

١- (١) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب ٥٩ ح ١.

٢- (٢) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب ٥٩ ح ٢.

٣- (٣) الكافي ج ١ ص ٤٩٣، باب مولد أبي جعفر محمد بن علي الثاني.

رياض الجنة, ومنبرى على ترعه من ترع الجنة, لان قبر فاطمه (عليها السلام) بين قبره ومنبره, وقبرها روضه من رياض الجنة وإليه ترعه من ترع الجنة»(١).

٧- وروى المجلسى: وجدت بخط الشيخ حسين بن عبدالصمد ما هذا لفظه: «ذكر الشيخ أبو الطيب الحسين بن أحمد الفقيه:

من زار الرضا (عليه السلام) أو واحداً من الأئمة (عليهم السلام) فصلّى عنده صلاة جعفر, فإنه يكتب له بكل ركعة ثواب من حج ألف حجّه, واعتمر ألف عمره, وأعتق ألف رقبه, ووقف ألف وقفه فى سبيل الله مع نبي مرسل, وله بكل خطوه ثواب مائه حجّه, ومائه عمره, وعتق مائه رقبه فى سبيل الله, وكتب له مائه حسنه, وحطّ منه مائه سيئه»(٢).

٨- رواه أبى عامر واعظ أهل الحجاز, عن الصادق (عليه السلام), عن أبيه, عن جدّه (عليهم السلام), قال:

«قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام): إنّ الله جعل قبرك وقبور ولدك بقاعاً من بقاع الجنّه, وعرضه من عرصاتها, وإنّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه... فيعمرون قبوركم, ويكثرون زيارتها تقرباً منهم إلى الله, وموده منهم لرسوله...» الحديث(٣).

ولا يخفى أنّ الروايه متعرّضه لكلا- القيدين فى الموضوع, كون قبورهم من رياض الجنّه مقدّسه, واستحباب شدّ الرحال إليها لعمارتها بالعباده

ص: ٧١

١- (١) الوسائل: أبواب المزار: ب ١٨ ح ٥.

٢- (٢) البحار ج ٩٧ ص ١٣٧ كتاب المزار ب ٣ آداب الزيارة وأحكام الروضات ح ٢٥.

٣- (٣) الوسائل: أبواب المزار: ب ٢٦ ح ١.

وكثره الطاعه والصلاح.

٩- موثقه الحسن بن على بن الفضال التي رواها الصدوق والطوسي عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام):

«إنّ بخراسان لبقعه يأتي عليها زمان تصير مختلف الملائكه, فقال فلايزال فوج ينزل من السماء وفوج يصعد إلى أن ينفخ في الصور.

وقيل له: يا ابن رسول الله, وأيه بقعه هذه؟

قال:

هي بأرض طوس, فهي والله روضه من رياض الجنه, من زارني في تلك البقعه كان كمن زار رسول الله, وكتب الله تبارك وتعالى له ثواب ألف حجّه مبروره, وألف عمره مقبوله, وكنت أنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة»(١).

١٠- روى الصدوق في الأمالي والعيون بطريقتين مختلفين حسن كالصحيح عن الصقر بن دلف, قال: «سمعت سيدي على بن محمّد بن على الرضا(عليهم السلام) يقول:

من كانت له إلى الله عزّ وجلّ حاجه فليزر قبر جدّي الرضا (عليه السلام) بطوس, وهو على غسل, وليصلّ عند رأسه ركعتين, وليسأل الله تعالى حاجته في قنوته, فإنّه يستجيب له ما لم يسأل مأثم وقطيعه رحم, فإنّ موضع قبره لبقعه من بقاع الجنه, لا يزورها مؤمن إلاّ أعتقه الله تعالى من

ص: ٧٢

١- (١) الفقيه ج ٢ ص ٥٨٥ والتهذيب ج ٦ ص ١٠٨ وأمالى الصدوق المجلس ١٥ ص ٣٦ والعيون ج ٢ ص ٢٥٦.

١١ - صحيح أبي هاشم داود بن القاسم الجعفرى, قال: «سمعت أبا جعفر محمّد بن عليّ الرضا (عليه السلام) يقول: إنّ بين جبليّ طوس قبضه قبضت من الجنّه , من دخلها كان آمناً يوم القيامة من النار» وقد رواها كلّ من الشيخ والصدوق(٢).

ولا يخفى دلالة الصحيح والموثّق الذي قبله على قدسيّه وشرافه أرض طوس المتضمّنه لقبر الإمام الثامن من أهل البيت(عليهم السلام), ويثبت ذلك لأرض الكاظميّه المتضمّنه لاثنين من أئمّه أهل البيت(عليهم السلام), وسيأتي أمر الرضا (عليه السلام) بالصلاه فى المساجد حول قبر أبيه موسى بن جعفر (عليهما السلام), كما فى محسنه عليّ بن حسان(٣).

١٢ - حسنه كالمصحّحه لسليمان بن حفص المروزى, قال: «سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) يقول:

من زار قبر ولدى عليّ (عليه السلام) كان له عند الله عزّ وجلّ سبعون حجّه مبروره. قلت: سبعون حجّه مبروره؟! قال: نعم, وسبعون ألف حجّه. قلت: سبعون ألف حجّه؟! فقال: ربّ

ص: ٧٣

١- (١) الوسائل: أبواب المزار ب ٨٨ ح ٢. والعيون: ب ٦٦ ح ٣٢, وأمالى الصدوق المجلس ٨٦ ص ٦٨٤.

٢- (٢) الوسائل: أبواب المزار ب ٨٢ ح ١٣. والتهذيب ج ٦ ص ١٠٩ ح (١٩٢). والفقيه ج ٢ ص ٣٤٩ ح (١٦٠٢) والعيون ج ٢ ص ٢٥٦.

٣- (٣) المزار الكبير ص ٥٤٧.

حَجَّه لَاتَقْبَل. مَنْ زَارَهُ أَوْ بَاتَ عِنْدَهُ كَانَ كَمَنْ زَارَ اللَّهَ فِي عَرْشِهِ. قُلْتُ: مَنْ زَارَ اللَّهَ فِي عَرْشِهِ؟!

قال: نعم، إذا كان يوم القيامة كان على عرش الله جلّ جلاله أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين، فأما الأولون فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى، أمّا الأربعة الآخرون فمحمّد وعليّ والحسن والحسين، ثمّ يمدّ المطمار فيقعد معنا زوّار قبور الأئمّة (عليهم السلام)، ألا أنّ أعلاهم درجه وأقربهم حبه زوّار قبر عليّ (عليه السلام)».

ورواه الصدوق في الأمالي والعيون، ورواه ابن قولويه في كامل الزيارات (١)، والشيخ في التهذيب عن الكليني بطريق آخر عن يحيى بن سليمان المازني، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) (٢)، ورواه المشهدى في المزار الكبير عن الكليني (٣).

ولا يخفى دلالة الرواية على عظمه زياره قبورهم وفضيلتها على زياره المسجد الحرام، وبالتالي زياده فضيله الصلاة عندها على الصلاة فيه، كما ورد في فضيله الصلاة في بيت فاطمه (عليها السلام) على الصلاة في الروضه، كما أنّها دالّة على فضيله زياره الرضا (عليه السلام) نظير فضيله زياره الحسين (عليه السلام).

ص: ٧٤

-
- ١- (١) أمالي الصدوق المجلس ٢٥ ح ١٨٦ وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٩١. وكامل الزيارات ب ١٠١ ح ١٣. والوسائل: أبواب المزار ب ٨٦ ح ١.
 - ٢- (٢) التهذيب ج ٦ ص ٨٥.
 - ٣- (٣) الوسائل أبواب المزار ب ٨١ ح ٢.

وكذلك حرم العسكريين (عليهما السلام)، ويعضده أن تربتهم (عليهم السلام) كانت واحده (١)، وقد مرّ في مصحح ابن أبي عمير أن قبر فاطمه روضه من رياض الجنه (٢)، وفي مصحح جميل بن دراج أن الصلاه في بيت فاطمه أفضل من الصلاه في روضه النبي (٣).

١٣ - روايه محمّد بن سليمان الزرقان، عن عليّ بن محمّد العسكري (عليهما السلام)، قال:

«قال لي: يا زرقان، إنّ تربتنا كانت واحده، فلمّا كان أيام الطوفان افتترقت التربه فصارت قبور شتى والتربه واحده» (٤).

ومفاد هذه الروايه وحده قدسيه قبور الأئمه مع قبر النبي (صلى الله عليه و آله) وقبر عليّ (عليه السلام) وقبر الحسين (عليه السلام).

وفي حديث الخصال المعتبر بإسناده عن عليّ (عليه السلام) في حديث الأربعمائه، قال:

«ألموا [وأتمّوا]

برسول الله (صلى الله عليه و آله) حجّكم إذا خرجتم إلى بيت الله الحرام، فإنّ تركه جفاء، وبذلك امرتم، وألموا بالقبور التي ألزمكم الله حقّها وزيارتها، واطلبوا الرزق عندها» (٥).

ص: ٧٥

١- (١) راجع الوسائل أبواب المزار ب ١٣ ح ١.

٢- (٢) الوسائل: أبواب المزار: ب ١٨ ح ٥.

٣- (٣) الوسائل: أبواب أحكام المساجد ب ٥٩ ح ٢.

٤- (٤) الوسائل: أبواب المزار ب ١٣ ح ١. باب استحباب التبرك من مشهد الرضا ومشاهد الأئمه عليهم السلام والمزار للمفيد باب

مختصر في فضل زيارات العسكريين ص ٢٠١ ح ٤. وفي التهذيب ج ٦ ص ١٠٩ ح ١٠.

٥- (٥) الوسائل: أبواب المزار ب ٢ ح ١٠.

وقد استفيض في الزيارات أن طينتهم واحده طابت وطهرت بعضها من بعض, وفي معتبره محمد بن مسلم حيث كان محمد بن مسلم وجعاً, فأرسل إليه أبو جعفر (عليه السلام) شراباً فتشافى منه فقال (عليه السلام):

يا محمّد, إنّ الشراب الذي شربته فيه من طين قبور آبائي, وهو أفضل ما استشفى به, فلاتعدلنّ به, فإننا نسقيه صبياننا ونساءنا, فنرى فيه كلّ خير» الحديث(١), فأضاف (عليه السلام) الطين إلى كلّ آبائه.

١٤- وفي كامل الزيارات: روى ابن قولويه بإسناده عن الأصمّ, عن عبد الله بن بكير - في حديث طويل - قال: «قال أبو عبد الله (عليه السلام):

يا ابن بكير, إنّ الله اختار من بقاع الأرض ستّة: البيت الحرام, والحرم, ومقابر الأنبياء, ومقابر الأوصياء, ومقاتل الشهداء, والمساجد التي يذكر فيها اسم الله...»(٢) الحديث.

ولا يخفى تقييد (المساجد) بالتي يُذكر فيها اسم الله إشارة إلى الآية الشريفة في بُيُوتِ الَّذِينَ أَدْنَى اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وهي إشارة إلى بيوت الأنبياء, ومن أفاضلها بيوت أهل البيت (عليهم السلام) كما في الرواية المروية عند الفريقين, وبيوتهم أعم من مقاربهم.

١٥- مصححه الهروي, قال: «سمعت الرضا (عليه السلام) يقول:

إنّي سأقتل

ص: ٧٦

١- (١) كامل الزيارات ب ٩١ ح ٧.

٢- (٢) كامل الزيارات ب ٤٤ ح ٣.

بالسّم مظلوماً وأقبر إلى جانب هارون، ويجعل الله تربتي مختلف شيعتي وأهل محبّتي، فمّن زارني في غربتي وجبت له زيارتي يوم القيامة.

والذي أكرم محمّداً (صلى الله عليه وآله) بالنبوّه، واصطفاه على جميع الخليقه، لا يصلّي أحد منكم عند قبري ركعتين إلاّ استحقّ المغفره من الله عزّ وجلّ يوم يلقاه.

والذي أكرمنا بعد محمّد (صلى الله عليه وآله) وخصّنا بالولاية إنّ زوار قبره لأكرم الوفود على الله يوم القيامة...» الحديث (١).

وهذه المصحّحه دالّه - كما مرّ في جملة من الروايات ويأتى أيضاً - على أنّ قبورهم (عليهم السلام) تقصد وتشدّ الرحال إليها لغايتين الأولى زيارتهم، والثانية الصلاة عندهم، وفي بعض الروايات ثالثة: وهى البيتوته فى جوارهم وقد عد جوارهم سواء فى المده القصيره أو الطويله من الجهاد.

والصلاه عندهم أعمّ من الفريضة والنافله الراتبه أو التطوّعيه، وهى غير صلاه الزياره، بل إقامه الصلاه عندهم بالقرب من مراقدهم ذات فضيله يستحبّ إكثار الصلاه عند قبورهم لأجل ذلك، كما أنّها دالّه على أنّ زوّار الرضا (عليه السلام) لهم امتياز على زوّار قبور سائر الأئمّه (عليهم السلام)، فيدلّ على قدسيه الموضع وفضيلته.

معتبره سليمان بن حفص المروزى، قال: «سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) يقول: إنّ ابني عليّاً مقتول بالسّم ظلماً، ومدفون إلى جنب

ص: ٧٧

هارون بطوس, فَمَنْ زاره كَمَنْ زار رسول الله (صلى الله عليه و آله)«(١).

١٦ - اللسان الموحّد لزياره قبورهم فى العديد من الزيارات الجامعه التى نصّ على أن يؤتى بها عند أى قبر من قبورهم (عليهم السلام), وهى وإن كانت وارده فى متن الزياره وألفاظ الثناء والتحيّه والشّهّد بالإقرار والعهد لهم (عليهم السلام), إلاّ أنّها مصرّحه بوحده حكم المشهد لمراقدهم, كما فى الزياره الرجبّيه والزياره الجامعه الكبيره والصغيره, والتعبير فى آدابها: «إذا زرت واحداً منكم» وقوله (عليه السلام) فيها: «فإذا دخلت ورأيت القبر», وكذا الزياره الجامعه الأخرى المرويّه فى العيون عن أبى الحسن الرضا (عليه السلام), فقال:

«صلّوا فى المساجد حوله (أى حول أبيه موسى) ويجزى فى المواضع كلّها أن تقول:....»(٢).

وكذا ذيل زياره أمين الله, قال جابر: «قال لى الباقر (عليه السلام):

ما قال هذا الكلام... عند قبر أمير المؤمنين (عليه السلام), أو أحد من الأئمّه, إلاّ رفع دعاؤه»(٣).

وتوحيد اللسان والطلب والحثّ لكلّ قبورهم (عليهم السلام) شاهد على وحده الفضيله والحكم لقبورهم (عليهم السلام).

١٧- ما رواه فى كامل الزيارات والتهديب فى الصحيح, عن ابن

ص: ٧٨

١- (١) الوسائل أبواب المزار ب ٨٢ ح ٥.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ب ٦٨ ح ١ .

٣- (٣) مصباح المتهدج وكامل الزيارات ب ١١ .

بزيع, عن بعض أصحابه, يرفعه إلى أبي عبدالله (عليه السلام), قال: «قلت: نكون بمكّه أو بالمدينه أو الحَير أو المواضع التي يرجى فيها الفضل, فربّما يخرج الرجل يتوضّأ فيجىء آخر فيصير مكانه؟ قال: من سبق إلى موضع فهو أحقّ به يومه وليلته» (١).
ففيها تصريح أنّ الفضيله موضوعها أعمّ من المواضع الأربعة, بل هي مواطن عديده.

١٨- ما ورد في عدّه روايات فيها المعتبر من أنّ فضل زياره قبر أبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) مثل فضل زياره قبر الحسين (عليه السلام), كما في معتبره الوشاء, عن الرضا (عليه السلام) (٢).

وفي روايه الحسن بن محمّد القمّي, عن الرضا (عليه السلام):

«من زار قبر أبي بيغداد كان كمن زار قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقبر أمير المؤمنين, إلا أنّ لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ولأبي بيغداد كان كمن زار قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقبر أمير المؤمنين (عليه السلام) فضلها» (٣).

وفي مصحّحه الحسين بن بشّار الواسطي, قال: «سألت أبي الحسن الرضا (عليه السلام): ما لمن زار قبر أبيك؟ قال: زره. قلت: فأى شيء فيه من الفضل؟ قال: فيه من الفضل كمن زار قبر والده - يعنى رسول الله (صلى الله عليه وآله) - فقلت: فأنى خفت فلم يمكّننى أن أدخل داخلًا؟ فقال: سلّم من وراء الحائر. وفي نسخه التهذيب المطبوع حالياً: «سلم من وراء الجسر» وقد

ص: ٧٩

١- (١) كامل الزيارات ب ١٠٨ ح ٦. التهذيب ج ٦ ص ١١٠.

٢- (٢) الوسائل أبواب المزار ب ٨٠ ح ٦ و ١.

٣- (٣) الوسائل أبواب المزار ب ٨٠ ح ٢.

١٩ - وفي الصحيح إلى يحيى - وكان في خدمه أبي جعفر الثاني (عليه السلام) - عن علي عن صفوان الجمال عن أبي عبد الله في حديث, قال: «قلت له: فما لمن صلى عنده ركعتين؟ قال: لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه» (٢) الحديث.

٢٠ - عن علي بن إبراهيم وأحمد بن مهران جميعاً, عن محمد بن علي, عن الحسن بن راشد, عن يعقوب بن جعفر قال: «كنت عند أبي إبراهيم (عليه السلام) وأتاه رجل من أهل نجران اليمن من الرهبان ومعه راهبه, فاستأذن لهما الفضل بن سوار, فقال له: إِذَا كَانَ عَدَا فَأْتِ بِهِمَا عِنْدَ بَرٍّ أُمَّ خَيْرٍ.

قال: فوافينا من الغد, فوجدنا القوم قد وافوا, فأمر بخصفه بواري, ثم جلس وجلسوا, فبدأت الراهبه بالمسائل, فسألت عن مسائل كثيرة, كل ذلك يجيبها, وسألها أبو إبراهيم (عليه السلام) عن أشياء لم يكن عندها فيها شيء, ثم أسلمت.

ثم أقبل الراهب يسأله, فكان يجيبه في كل ما يسأله, فقال الراهب: قد كنت قوياً على ديني, وما خلفت أحداً من النصاري في الأرض يبلغ مبلغى في العلم, ولقد سمعت برجل في الهند إذا شاء حجَّ إلى بيت المقدس في يوم وليلة, ثم يرجع إلى منزله بأرض الهند, فسألت عنه بأى أرض هو؟ فقيل لى: إنه بسبذان, وسألت الذى أخبرنى, فقال: هو علم الاسم الذى

ص: ٨٠

١- (١) الوسائل أبواب المزار ب ٨٠ ح ٤, التهذيب ج ٦ ص ٨٢.

٢- (٢) الوسائل أبواب المزار ب ٥٨ ح ٥.

ظفر به آصف صاحب سليمان لما أتى بعرش سبأ، وهو الذى ذكره الله لكم فى كتابكم، ولنا - معشر الأديان - فى كتبنا.

فقال له أبو إبراهيم (عليه السلام):

فَكَمْ لِلَّهِ مِنْ اسْمٍ لَا يُرَدُّ؟

فقال الراهب: الأسماء كثيرة، فأما المحتوم منها - الذى لا يرد سائله - فسبعة.

فقال له أبو الحسن (عليه السلام):

فَأَخْبِرْنِي عَمَّا تَحْفَظُ مِنْهَا.

قال الراهب: لا، والله الذى أنزل التوراه على موسى، وجعل عيسى عبره للعالمين، وفتنه لشكر اولى الألباب، وجعل محمداً بركه ورحمه، وجعل علياً عبره وبصيره، وجعل الأوصياء من نسله ونسل محمّد ما أدرى، ولو دريت ما احتجت فيه إلى كلامك، ولا جئتك ولا سألتك.

فقال له أبو إبراهيم (عليه السلام):

عُدْ إِلَى حَدِيثِ الْهِنْدِيِّ.

فقال له الراهب: سمعت بهذه الأسماء ولا أدرى ما بطانتها ولا شرائحها؟ ولا أدرى ما هي؟ ولا كيف هي ولا بدعائها؟ فانطلقت حتى قدمت سُبَيْدَانَ الْهِنْدِ، فسألت عن الرجل، فقيل لى: إِنَّهُ بَنَى دِيْرًا فِي جَبَلٍ، فَصَارَ لَا يَخْرُجُ وَلَا يَرَى إِلَّا فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّتَيْنِ، وَزَعَمَتِ الْهِنْدُ أَنَّ اللَّهَ فَجَّرَ لَهُ عَيْنًا فِي دِيْرِهِ، وَزَعَمَتِ الْهِنْدُ أَنَّهُ يُزْرَعُ لَهُ مِنْ غَيْرِ زَرْعٍ يُلْقِيهِ، وَيُحْرَثُ لَهُ مِنْ غَيْرِ حَرْثٍ يَعْمَلُهُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى بَابِهِ، فَأَقَمْتُ ثَلَاثًا لَا أَدُقُّ الْبَابَ، وَلَا أَعَالِجُ الْبَابَ.

فلَمَّا كان اليوم الرابع فتح الله الباب, وجاءت بقره عليها حطب, تجرّ ضرعها يكاد يخرج ما فى ضرعها من اللبن, فدفعت الباب فانفتح, فتبعتها ودخلت, فوجدت الرجل قائماً ينظر إلى السماء فيبكي, وينظر إلى الأرض فيبكي, وينظر إلى الجبال فيبكي, فقلت: سبحان الله! ما أقلّ ضربك فى دهرنا هذا! فقال لى: والله, ما أنا إلاّ حسنه من حسنات رجل خلفته وراء ظهرك.

فقلت له: اخبرت أنّ عندك اسماً من أسماء الله تبلغ به فى كلّ يوم وليله بيت المقدس, وترجع إلى بيتك؟

فقال لى: وهل تعرف بيت المقدس؟

قلت: لأعرف إلاّ بيت المقدس الذى بالشام.

قال: ليس بيت المقدس, ولكنّه البيت المقدّس, وهو بيت آل محمّد.

فقلت له: أما ما سمعت به إلى يومى هذا فهو بيت المقدس.

فقال لى: تلك محاريب الأنبياء, وإنّما كان يقال لها: حظيره المحاريب, حتّى جاءت الفتره التى كانت بين محمّد وعيسى صلّى الله عليهما, وقرب البلاء من أهل الشرك, وحلّت النقمات فى دور الشياطين, فحوّلوا وبدّلوا ونقلوا تلك الأسماء, وهو قول الله تبارك وتعالى - البطن لآل محمّد, والظهر مثلاً: **إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۗ ۱**.

فقلت له: إننى قد ضربت إليك من بلد بعيد, تعرّضت إليك بحاراً وغموماً وهموماً وخوفاً, وأصبحت وأمسيّت مؤيساً, ألا أكون ظفرت بحاجتى؟

فقال لى: ما أرى أمّك حملت بك إلاّ - وقد حضرها ملك كريم, ولا أعلم أنّ أباك حين أراد الوقوع بأمّك إلاّ وقد اغتسل وجاءها على طهر, ولا أزعّم إلاّ أنّه قد كان درس السفر الرابع من سهره ذلك, فختم له بخير, ارجع من حيث جئت, فانطلق حتّى تنزل مدينه محمّد (صلى الله عليه و آله) - التى يقال لها: طيبه, وقد كان اسمها فى الجاهليّه يثرب - ثمّ اعمد إلى موضع منها يقال له: البقيع, ثمّ سل عن دار يقال لها: دار مروان, فانزلها, وأقم ثلاثاً, ثمّ سل عن الشيخ الأسود الذى يكون على بابها يعمل البوارى, وهى فى بلادهم اسمها الخصف, فالطفّ بالشيخ, وقل له: بعثنى إليك نزيلك الذى كان ينزل فى الزاويه فى البيت الذى فيه الخشيبات الأربع, ثمّ سله عن فلان بن فلان الفلانى, وسله: أين ناديمه؟ وسله: أى ساعه يمرّ فيها؟ فليريكاه أو يصفه لك, فتعرفه بالصفه, وسأصفه لك.

قلت: فإذا لقيته فأصنع ماذا؟

قال: سله عمّا كان, وعمّا هو كائن, وسله عن معالم دين من مضى ومن بقى.

فقال له أبو إبراهيم (عليه السلام):

قَدْ نَصَحَكَ صَاحِبُكَ الَّذِي لَقَيْتَ.

فقال الراهب: ما اسمه جعلت فداك؟

قال:

هُوَ مُتَّمُّ بْنُ فَيْرُوزٍ، وَهُوَ مِنْ أُنْبَاءِ الْفُرْسِ، وَهُوَ مِمَّنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَخَدَّهٗ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَعَبَدَهُ بِالْإِحْلَاصِ وَالْإِيْقَانِ، وَفَرَّ مِنْ قَوْمِهِ لَمَّا خَافَهُمْ، فَوَهَبَ لَهُ رَبُّهُ حُكْمًا، وَهَدَاهُ لِسَبِيلِ الرَّشَادِ، وَجَعَلَهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، وَعَرَّفَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ الْمُخْلِصِينَ، وَمَا مِنْ سِنَةٍ إِلَّا وَهُوَ يَزُورُ فِيهَا مَكَّةَ حَاجًّا، وَيَعْتَمِرُ فِي رَأْسِ كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً، وَيَجِيءُ مِنْ مَوْضِعِهِ مِنَ الْهِنْدِ إِلَى مَكَّةَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَعَوْنًا، وَكَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ.

ثمَّ سأله الراهب عن مسائل كثيرة، كلُّ ذلك يجيبه فيها، وسأل الراهب عن أشياء لم يكن عند الراهب فيها شيء، فأخبره بها.

ثمَّ إنَّ الراهب قال: أخبرني عن ثمانيه أحرف نزلت، فتبين في الأرض منها أربعة، وبقى في الهواء منها أربعة، على من نزلت تلك الأربعة التي في الهواء ومن يفسرها؟

قال:

ذَاكَ قَائِمُنَا يُنْزِلُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَفْسِّرُهُ، وَيُنْزِلُ عَلَيْهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ عَلَى الصَّادِقِينَ وَالرُّسُلِ وَالْمُهْتَدِينَ.

ثمَّ قال الراهب: فأخبرني عن الاثنين من تلك الأربعة الأحرف التي في الأرض ما هما؟

قال:

أَخْبِرَكَ بِالْأَرْبَعَةِ كُلِّهَا: أَمَّا أَوْلَاهُنَّ فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَّهٗ لَا شَرِيكَ لَهُ بَاقِيًا، وَالثَّانِيَةُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه و آله) مُخْلِصًا، وَالثَّلَاثَةُ نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ، وَالرَّابِعَةُ شَيْعَتُنَا مِنَّا، وَنَحْنُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه و آله) وَرَسُولِ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ بِسَبَبِ.

ص: ٨٤

فقال الراهب: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن ما جاء به من عند الله حق، وأنكم صفوه الله من خلقه، وأن شيعتكم المطهرون المستبدلون، ولهم عاقبه الله، والحمد لله رب العالمين.

فدعا أبو إبراهيم (عليه السلام) بجبه خز، وقميص قوهي، وطيلسان، وخف، وقلنسوه، فأعطاه إياها، وصلى الظهر وقال له: اُخْتِنُ.

فقال: قد اختنتت في سابعي»(١).

ونقلنا هذه الرواية بطولها تبركاً وموضع الشاهد تقريره (عليه السلام) ما قاله الهندي من أن بيت المقدس بالدرجة الأولى هو بيت محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم) وأما الذي في فلسطين فهو في الدرجة الثانية ومثل ظاهر لحقيقه خفيه على كثيرين من كون بيت المقدس في الأصل بيت محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم) بل إن بيت المقدس في فلسطين إنما نال القدسيه في ذلك الأوان بسبب صلاه الأنبياء السابقين فيه وهذا شاهد على الكبرى المتقدمه من أن الأرض التي تحفل بالأنبياء والمرسلين والأوصياء والمصطفين تكتسب شرفاً وقدسيتها فتصبح مقدسه وتكون من البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وأشرفها وأعلاها وأقدسها بيت محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم)، وهذا هو الذي ورد في إحدى زيارات

ص: ٨٥

١- (١) الكافي ج ١ ص ٤٨١-٤٨٤ باب مولد أبي الحسن (عليه السلام) ح ٥.

الحسين (عليه السلام) التي رواها السيد ابن طاووس في مصباح الزائر (١) وفيها الخطاب لعلي بن الحسين (عليهما السلام):

«والله ما ضرك القوم بما نالوا منك ومن أبيك الطاهر صلوات الله عليكم ولا تلموا منزلتكما من البيت المقدس».

٢١- ورواه محمد بن الفضيل بن بنت داود الرقي، قال: «قال الصادق (عليه السلام):

«أربع بقاع ضجت إلى الله تعالى من الغرق أيام الطوفان: البيت المعمور فرفعه الله، والغري، وكرلاء، وطوس» (٢).

٢٢- محمّد بن علي بن حسن، عن الرضا (عليه السلام)، قال: «سئل عن إتيان قبر أبي الحسن موسى (عليه السلام)، فقال: صلّوا في المساجد حوله». ويجزئ في المواضع كلّها أن تقول: «السلام على أولياء الله وأصفيائه...». هذا يجزئ في الزيارات كلّها، وتكثر من الصلاة على محمّد وآله، وتسمّى واحداً واحداً بأسمائهم، وتبرأ إلى الله من أعدائهم، وتخيّر لنفسك من الدعاء ما أحببت وللمؤمنين والمؤمنات (٣).

ورواها الصدوق والكليني والشيخ، وظاهر الرواية أنّ قبورهم كما تقصد لزيارتهم (عليهم السلام) فهي تقصد لإتيان الصلاة عندها لتضاعف ثوابها، وتقصد للدعاء ثالثاً، ومن أجل البيوتة عندها رابعاً كما مر، والجامع ما ذكرته الآية في بيوت الله أن تُرْفَعَ وَ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ

ص: ٨٤

١- (١) مصباح الزائر ص ٢٣٥.

٢- (٢) الوسائل: أبواب المزار: ب ٨٣ ح ٢.

٣- (٣) الوسائل: أبواب المزار: ب ٨١ ح ٢.

وَ الْأَصَالِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ .

ويدعم ذلك ما ورد في مشاهد جميع المعصومين بلسان واحد من النهي عن الصلاة متقدماً على قبر المعصوم، بل الصلاة خلفه وعند رأسه وأن ثواب الصلاة يتضاعف بالقرب منه، كما في معتبره هشام بن سالم عن أبي عبدالله (عليه السلام) - في حديث طويل - قال: «أتاه رجل فقال له: يا بن رسول الله، هل يزار والدك؟ فقال: نعم، وتصلّى عنده. وقال: يصلّى خلفه، ولا يتقدم عليه»^(١).

فإنها واضحة الدلالة في تضاعف ثواب الصلاة عند قبر الباقر (عليه السلام)، وقد يراد الحسين (عليه السلام)، ويدلّ على العموم أيضاً صحيح الحميري، قال: «كتبت إلى الفقيه (عليه السلام) أسأله عن الرجل يزور قبور الأئمة، هل يجوز أن يسجد على القبر أم لا؟ وهل يجوز لمن صلّى عند قبورهم أن يقوم وراء القبر ويجعل القبر قبله، ويقوم عند رأسه ورجليه؟ وهل يجوز أن يتقدم القبر ويصلّى ويجعله خلفه أم لا؟

فأجاب وقرأت التوقيع ومنه نسخت: أما السجود على القبر فلا يجوز في نافله ولا فريضة ولا زيارة، بل يضع خده الأيمن على القبر، وأما الصلاة فإنها خلفه يجعله الإمام، ولا يجوز أن يصلّى بين يديه، لأنّ الإمام لا يتقدم، ويصلّى عن يمينه وشماله»^(٢).

ص: ٨٧

١- (١) الوسائل: أبواب مكان المصلّى ب ٢٧ ح ٧.

٢- (٢) الوسائل: أبواب مكان المصلّى ب ٢٦ ح ١.

وهذه الصحيحه داله بوضوح أنّ قبور الأئمه (عليهم السلام) كما تقصد للزياره تقصد لإتيان الصلاه عندهاالفضيله إتيانها عندها, سواء كانت فريضه أو تطوّعاً, وهذا المفاد مرتكز عند الفقيه الراوى الحميرى, وجوابه (عليه السلام) يقرّر ذلك, ومنشأه - مضافاً إلى ما مرّ ويأتى - هو قدسيه أماكن قبورهم (عليهم السلام) لكونها رسماً لهم وطيبها الله تعالى بهم.

وهذا هو مفاد قوله تعالى: فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، فَإِنَّهَا قَدِ فَسِدَتْ ببيوت النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) وهى مراقدهم, ومن ثم ورد كما فى الروايات المتقدمه وكما فى روايه عماره بن زيد - أى عامر واعظ أهل الحجاز - عن الصادق, عن أبيه, عن جدّه (عليهم السلام), قال:

«قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام): إنّ الله جعل قبرك وقبور ولدك بقاعاً من بقاع الجنّه, وعرصه من عرصاتها, وإنّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه... فيعمرون قبوركم, ويكثرون زيارتها تقرباً منهم إلى الله, وموده منهم لرسوله...» الحديث(1).

٢٤ - أفضلية زياره قبورهم (عليهم السلام) والصلاه عندها على الحجّ والعمره النديان.

١- مصحح جميل بن درّاج, قال: «الصلاه فى بيت فاطمه مثل الصلاه فى الروضه؟ قال: وأفضل».

ص: ٨٨

١- (١) الوسائل: أبواب المزار ب ٢٦ ح ١.

ومثله موثق يونس بن يعقوب (١)، ومفاده واضح في أنّ ثواب الصلاة في بيت فاطمه (عليها السلام) لا من جهه كونها من مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله)، بل ورد إنه ليس من المسجد وإنما أدخله الأمويون فيه، كما ذكر ذلك الصدوق أنه روى أنها (عليها السلام) دفنت في بيتها، فلما زادت بنو امية في المسجد صارت في المسجد (٢).

٢- وفي مصحح ابن أبي عمير عن أصحابنا عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

«قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما بين قبري ومنبري روضه من رياض الجنة، ومنبري على ترعه من ترع الجنة، لأن قبر فاطمه (عليهم السلام) بين قبره ومنبره، وقبرها روضه من رياض الجنة وإليه ترعه من ترع الجنة» (٣).

وفي هذا المصحح دلالة من وجهين:

أولاً: إن قبرها روضه من رياض الجنة، أي إنّ قبورهم (عليهم السلام) روضه من رياض الجنة، فيعظم عندها ثواب الصلاة.

ثانياً: إنّ استحباب وفضيله الصلاة في الروضه في المسجد النبوي إنما هو لمكان قبرها (عليها السلام).

٣- موثق الحسن بن الجهم، قال: «قلت لأبي الحسن الرضا (عليه السلام): أيهما

ص: ٨٩

١- (١) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب ٥٩ ح ١ وح ٢.

٢- (٢) الوسائل: أبواب المزار ب ١٨ ح ٤.

٣- (٣) الوسائل: أبواب المزار ب ١٨ ح ٥.

أفضل رجل يأتي مكّه ولا يأتي المدينة, أو رجل يأتي النبيّ (صلى الله عليه و آله) ولا يبلغ مكّه؟

قال: فقال لي: أيّ شيء تقولون أنتم؟

فقلت: نحن نقول في الحسين (عليه السلام), فكيف في النبيّ (صلى الله عليه و آله)؟

فقال:

أما لئن قلت ذلك لقد شهد أبو عبدالله (عليه السلام) عيداً بالمدينة فدخل على النبيّ (صلى الله عليه و آله) فسلم عليه, ثم قال لمن حضره: لقد فضلنا أهل البلدان كلّهم - مكّه فما دونها - لسلامنا على رسول الله (صلى الله عليه و آله)«(١).

٤- موثّق آخر للحسن بن الجهم, قال: «سألت أبا الحسن (عليه السلام): أيهما أفضل المقام بمكّه أو بالمدينة؟

فقال: أيّ تقول أنت؟

قال: فقلت: وما قولي مع قولك؟

قال: إنّ قولك يرّدك إلى قولي.

قال: فقلت له: أمّا أنا فأزعم أنّ المقام بالمدينة أفضل من المقام بمكّه.

فقال:

أمّا لئن قلت ذلك لقد قال أبو عبدالله (عليه السلام) ذلك يوم فطر, وجاء إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فسلم عليه في المسجد, ثم قال: لقد فضلنا الناس اليوم بسلامنا على رسول الله (صلى الله عليه و آله)«(٢).

ص: ٩٠

١- (١) الوسائل: أبواب المزار ب ١٠ ح ١.

٢- (٢) الوسائل: أبواب المزار ب ٩ ح ٢.

٥- ما رواه الصدوق مرسلًا في الفقيه، قال: «لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الْمَدِينَةَ قَالَ:

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَبَارِكْ فِي صَاعِهَا وَمَدَّهَا، وَانْقِلْ حَمَاهَا وَوَبَاءَهَا إِلَى الْجَحْفَةِ» (١).

٦- ما تقدّم من مصحّحه سليمان بن حفص المروزي، عن أبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام)، أنّ ثواب زيارته ابنه عليّ (عليه السلام) تعدل سبعون ألف حجّته، وقال (عليه السلام):

وَرَبِّ حَجَّه لَا تَقْبَلُ (٢).

وبهذا البيان واللسان يتبيّن أنّ ما ورد مستفيضاً من ثواب زيارته كلّ واحد من المعصومين (عليهم السلام) من أنّها تعدل آلاف الحجج دالّة وناظره إلى التفضيل.

٧ - ما تقدّم من جملة من الروايات وغيرها ممّا لم نذكره الدالّة على أنّ الصلاة ركعه عند قبر أحد المعصومين (عليهم السلام) تعدل حجّته في الفريضة أو عمره في النافلة، بل في بعض الصلوات تعدل آلاف الحجج وآلاف العمر.

والآية الثانية:

وهي تمثيل موردٍ لكبرى الموضوع، قوله تعالى: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ ٣.

وقد بُحِثَ فِي آيَاتِ الْأَحْكَامِ تَقْرِيْبَ دَلَالَةِ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ عَلَى جَعْلِ

ص: ٩١

١- (١) الوسائل: أبواب المزار: ب ٩ ح ٥.

٢- (٢) الوسائل: أبواب المزار: ب ٨٦ ح ١. عن العيون والأمالى وكامل الزيارات.

حجر وصخره مقام إبراهيم قبله وإماماً وأماماً في صلاة الطواف, كما قد أشرنا في بحث التوسل في الإمامة الإلهية إلى جملة من نكات وفوائد مفاد هذه الآية الكريمة, وأن أمره تعالى للاتخاذ تشعير منه تعالى نظير تشعير المسجد الحرام, فليس هو عنوان المسجديّه فقط, بل هو تشعير لمشعر إلهي, كما أن متعلق الاتخاذ لأن يكون مصلي - أي محلاً للصلاه وبقية العبادات - وهو عنوان آخر قريب لعنوان المسجديّه والمشعر الإلهي, كما أن التعبير ب- «المقام» يراد به التعظيم والتقدّيس, وهو عنوان آخر لتشعير المشعر.

مضافاً إلى دلالة الآية على تقدّيسه وتعظيمه نظير مفاد الآية السابقة في بُيُوتِ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ أَي تَقَدَّسَ وَتَعْظُمَ, ونظيره في الآية الثانية التعبير ب- «المقام» فإن هذا اللفظ للتعظيم والتفخيم ونظير قوله تعالى: وَ يُذَكِّرُ فِيهَا اسْمُهُ عَنوان (المصلي).

ثمّ إضافة المقام إلى إبراهيم نموذج وعنوان لكلّ مشهد وبيت ومقام ومكان يضاف إلى الأنبياء والأوصياء, لاسيّما من يعلو النبي إبراهيم في الفضيله, كما قال تعالى: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۗ ١, وقوله: وَ لَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ۗ ٢.

فمقامات النبي ومشاهده أخرى بالتعظيم والتفخيم وباتخاذها محلاً

لعباده الله والصلاه من مقام إبراهيم, ومن ثم ورد في روايات المقام كما تقدم في الوجه الثالث, الحث على الصلاه وإكثارها في جميع مشاهد النبي (صلى الله عليه وآله) وبيوته, وأن من بيوته (صلى الله عليه وآله) بيت علي وفاطمه وسائر المعصومين (عليهم السلام), وقد أشير إلى ذلك كله في الروايات العديده الداله على عدم سقوط التطوع في السفر نهاراً في مشاهد النبي (صلى الله عليه وآله).

ومما يشير إلى عموم مفاد هذه الآيه موضوعاً وحكماً ما في مفاد الروايه الوارده في صلاه أمير المؤمنين (عليه السلام) بالإتمام في بقعه مسجد براءا, ونصب الصخره التي وضعت مريم النبي عيسى عليها من عاتقها, ثم صلى إلى الصخره وجعل منها حرماً وأتم هناك الصلاه أربعه أيام.

ما ورد من إتمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الصلاه في مسجد براءا أربعه أيام:

روى الشيخ في أماليه بسنده عن حميد بن قيس قال: «سمعت أبا الحسن علي بن الحسين بن علي بن الحسين قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا جعفر محمّد بن علي بن الحسين (عليهم السلام) يقول

:إن أمير المؤمنين (عليه السلام) لمّا رجع من وقعه الخوارج اجتاز بالزوراء (وذكر مرور أمير المؤمنين (عليه السلام) بمسجد براءا).

فلما أتى يَمنه السواد إذا هو براهب في صومعه له, فقال له: يا راهب, أنزل هاهنا؟

فقال له الراهب: لا تنزل هذه الأرض بجيشك.

قال: ولم؟

قال: لأنه لا ينزلها إلا نبي أو وصي نبي بجيشه، يقاتل في سبيل الله عز وجل، هكذا نجد في كتبنا.

فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): فأنا وصي سيد الأنبياء، وسيد الأوصياء.

فقال له الراهب: فأنت إذن أصلع قريش ووصي محمد (صلى الله عليه وآله).

فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): أنا ذلك، فنزل الراهب إليه، فقال: خذ علي شرايع الإسلام، إنني وجدت في الإنجيل نعتك، وأنتك تنزل أرض براتنا بيت مريم، وأرض عيسى (عليه السلام).

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): قف ولا تخبرنا بشيء.

ثم أتى موضعاً فقال: الكزوا هذه، فلكره برجله (عليه السلام)، فانبعت عين خزاره، فقال: هذه عين مريم التي نبعت لها.

ثم قال: اكشفوا هاهنا على سبعة عشر ذراعاً، فكشف، فإذا بصخره بيضاء، [فقال (عليه السلام): على هذه وضعت مريم عيسى من عاتقها، وصلت هاهنا، فنصب أمير المؤمنين (عليه السلام) الصخره وصلى إليها، وأقام هناك أربعة أيام يتم الصلاة، وجعل الحرم في خيمه من الموضع على دعوه، ثم قال: أرض براتنا هذا بيت مريم (عليها السلام)، هذا الموضع المقدس صلى فيه الأنبياء» (١).

ص: ٩٤

ودلالاتها واضحة فى أن الإتمام لكون الموضع مقدّساً وذلك لصلاة الأنبياء (عليهم السلام) فيه.

فقوله (عليه السلام):

«نصب أمير المؤمنين الصخره وصلّى إليها وأقام هناك أربعة أيام يتمّ الصلاة, وجعل الحرم فى خيمه من الموضع على دعوه, ثمّ قال: أرض براءنا بيت مريم هذا الموضع المقدّس صلّى فيه الأنبياء» مفاده متطابق مع مفاد الآيه الأمر باتّخاذ مقام الأنبياء والمصطفين مكاناً للصلاة وعباده الله تعالى.

فكما تجعل صخره مقام إبراهيم أماماً فى الصلاة جعل (عليه السلام) صخره مريم والنبيّ عيسى أماماً لاتجاه القبلة فى صلاته.

كما أنّ ذكره (عليه السلام) أنّه صلّى فيه الأنبياء تبيان لكون الموضع كبيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه, ووجه ثالث أنّه جعل الموضع بمشابه الحرم, وهذه الوجوه بمشابه الموضوع لإتمامه (عليه السلام) للصلاة, وقد تقدّم أنّ المجلسى والسيد البروجردى احتمالاً إلحاق مسجد براءنا بالأماكن الأربعة.

وروى الصدوق بسنده عن جابر بن عبدالله الأنصارى أنّه قال: «صلّى بنا علىّ (عليه السلام) ببراءنا بعد رجوعه من قتال الشراه ونحن زهاء عن مائه ألف رجل... قال الراهب: [أنّه لا يصلّى فى هذا الموضع بهذا الجمع إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ, وقد جئت اسلم, فأسلم وخرج معنا إلى الكوفه, فقال له علىّ (عليه السلام): فمن صلّى هاهنا؟

قال: صَلَّى عيسى بن مريم وأمه.

فقال له عليّ (عليه السلام): فأخبرك من صَلَّى هاهنا؟

قال: نعم.

قال: والخليل (عليه السلام)«(١).

وقال السيد البروجردى فى أبواب صلاة المسافر، الباب ٢٢ من كتاب جامع أحاديث الشيعة بعد إشارته إلى هذه الرواية: (وأقام عليّ (عليه السلام) هناك (أى فى أرض براثا بيت مريم (عليها السلام)) أربعة أيام يتمّ الصلاة) «إنّما أشرنا إلى هذه الرواية، لأنّه يمكن أن يستفاد منها جواز الإتمام للمسافر فى هذا المكان كالأماكن الأربعة» (٢).

وقال المجلسى فى البحار فى ذيلها: «ثمّ اعلم أنّه يستفاد من هذا الخبر أنّ هذا الموضوع أيضاً من المواضع التى يجوز للمسافر إتمام الصلاة فيها، ولم يقل به أحد» (٣).

ما ورد فى فضل النوافل ولو النهاريه للمسافر فى مسجد الغدير:

فى صحيحه عبد الرحمن بن الحجاج التى رواها كل من الكلينى والصدوق والشيخ فى التهذيب قال: سألت أبا إبراهيم (عليه السلام) عن الصلاة فى

ص: ٩٦

١- (١) الفقيه: ج ١ ص ٢٣٢ ح ٦٩٨. التهذيب ج ٣ ص ٢٦٤ باب فضل المساجد ح ٦٧.

٢- (٢) جامع أحاديث الشيعة: أبواب صلاة المسافر ب ٢٢ ح ٣٨.

٣- (٣) البحار: ج ١٠٢ أو ٩٩ ص ٢٨.

مسجد غدیر خم بالنهار وأنا مسافر، فقال:

«صل فيه فان فيه فضلا، وقد كان أبى (عليه السلام) يأمر بذلك»^(١).

وفى صحيحه أبان عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال:

«إنه تستحب الصلاة فى مسجد الغدير لان النبى (صلى الله عليه و آله) أقام فيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو موضع أظهر الله عز وجل فيه الحق»^(٢) ورواها المحمدون الثلاثة فى كتبهم.

وفى هاتين الصحيحتين إشاره واضحه إلى الموضوع المتقدم المشترك لعدم سقوط النوافل النهاريه والإتمام فى الفريضة وهى فضيله المكان النابعه من قدسيته الحاصلية من كونه مشهداً للنبي والمعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين).

مؤيدان أخريان للتعميم:

١ - ما مرّ من روايه أمالى الشيخ بسنده عن حميد بن قيس من صلاه أمير المؤمنين (عليه السلام) تماماً أربعه أيام فى مسجد براهنا فى سفره عند رجوعه من قتال أهل النهروان، وأنه ذكر (عليه السلام) فى سياق بيان ذلك أنه صلى فيه الأنبياء، وصلت فيه مريم، وجعل حرماً، وأن الصخره فيه مقام ومشهد لوضع مريم عيسى عليها من عاتقها، وتقدّم دلالتها من وجوه.

ص: ٩٧

١- (١) الوسائل: أبواب المزار ب ٢١ ح ١ وأبواب أحكام المساجد ب ٦١ ح ٢.

٢- (٢) الوسائل: أبواب أحكام المساجد ب ٦١ ح ٣.

٢- ما تقدم من ذهاب جماعه من الأصحاب إلى تعميم عدم سقوط النوافل النهاريه للمسافر في جميع مشاهد المعصومين (عليهم السلام) وقد تقدم سرد قائمه بأقوال من ذهب إلى ذلك، كما تقدم الإشاره إلى العديد من الروايات الصحيحه المعتبره في ذلك والتي عقد لها ابن قولويه وصاحب الوسائل باب مستقلاً، مع أن موضوع الحكم في النوافل للمسافر مع موضوع الفريضة واحد كما هو مفاد مصححه أبي يحيى الحنط قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن صلاه النافله بالنهار في السفر فقال: «يا بني لو صلحت النافله في السفر تمت الفريضة»^(١).

٣- ما استظهره جماعه من الأصحاب بتعميم صيام قضاء الحاجه ثلاثه أيام الأربعاء والخميس والجمعه الوارد عند قبر النبي (صلى الله عليه و آله) لمشاهد المعصومين (عليهم السلام).

قال في المقنعه: «وصوم ثلاثه أيام للحاجه الأربعاء وخميس وجمعه متواليات عند قبر النبي (صلى الله عليه و آله)، أو في مشهد من مشاهد الأئمه (عليهم السلام)»^(٢).

وقال في إيضاح الفوائد: «ذهب قوم إلى تحريم صوم النفل إلا ثلاثه أيام للحاجه الأربعاء والخميس والجمعه عند قبر النبي (صلى الله عليه و آله) أو مشهد من مشاهد الأئمه (عليهم السلام)»^(٣).

ص: ٩٨

١- (١) الوسائل: أبواب أعداد الفرائض ونوافلها: ب ٢١ ح ٥.

٢- (٢) المقنعه: ٣٥٠.

٣- (٣) إيضاح الفوائد: ج ١ ص ٢٤٣.

وقال ابن فهد فى المهذب: «إلاّ ثلاثة أيام الحاجه بالمدينه, وألحق المفيد المشاهد والصدوقان وابن إدريس الاعتكاف فى مواطنه الأربعة»^(١).

تنبيهات مسأله عموم التخيير وأفضليّه الإتمام فى مشاهد الأئمه عليهم السلام):

الأول: فى حدود الإتمام فى مرآقد المعصومين, فقد تقدّم فى كلام المحقق الميرداماد أنّه ما دارت عليه سور المشاهد, وهو ظاهر تعبیر علىّ بن بابويه فى الفقه الرضوى, وابن قولويه فى كامل الزيارات, والمرضى فى الجمل, وابن الجنيد وغيرهم ممّن عبّر بالمشاهد المشرفه. ويدعم ما ذهبوا إليه صدق عنوان (عند القبر) الوارد فى الأدله المتقدمه, وكذا عنوان الصلاه فى بيوتهم (عليهم السلام) التى هى عباره عن حرّمهم بل و عنوان مشاهد النبىّ (صلى الله عليه و آله) الوارد فى الوجه الثالث بعد إضافه مشاهدهم إلى مشاهد النبىّ (صلى الله عليه و آله), كما هو الحال فى بيوتهم أنّها بيوت النبىّ (صلى الله عليه و آله).

ويدعمه أيضاً ما ورد فى محسّنه علىّ بن حسنّان عن الرضا (عليه السلام) - المتقدمه - الوارده فى إتيان قبر أبى الحسن موسى (عليه السلام), قوله (عليه السلام):

«صلّوا فى المساجد حوله»^(٢).

هذا مضافاً إلى معاضده ذلك بإشارات فى الأدله شامله للأوسع من

ص: ٩٩

١- (١) المهذب البارع ج ٢ ص ٥٣.

٢- (٢) الوسائل: أبواب المزارب ٨١ ح ٢.

المشاهد للبلد الذى هو فيه, وإن لم تصل إلى الدلالة التامة, نظير صحيح أبى هاشم الجعفرى: إن بين جبلى طوس قبضه قبضت من الجنة»(١).

ومثلها موثقه ابن فضال(٢) وهو نظير تعدد مراتب الفضيله الوارد فى الأماكن الأربعة, فتعددت الألسن فى كل واحد منها تارة بعنوان المسجد, وأخرى بعنوان البلد, وثالثه بعنوان الحرم ورابعه بغير ذلك.

الثانى: توسعه محلّ التخيير وأفضليته الإتمام فى المواطن الأربعة لكلّ البلدان الأربعة لخصوص المساجد ولا خصوص الحائر القريب من قبر الحسين (عليه السلام), فقد تقدّم ذهاب جماعه كثيره من الأصحاب إليه, لاسيّما المتقدمين, بل ذهاب الشيخ والكيدرى وأكثر المتقدمين إلى الإتمام فى كلّ النجف والكوفه, فضلاً عن العده التى ذهبت إلى الإتمام فى جميع المشاهد.

وقد تقدّمت الإشارة إلى وجه ذلك, وهى ورود الروايات المعتبره بألسن متعدّده, فمنها صحيح حمّاد, عن أبى عبدالله (عليه السلام) أنّه قال:

«من مخزون علم الله الإتمام فى أربعة مواطن: حرم الله, وحرم رسوله (صلى الله عليه وآله), وحرم أمير المؤمنين (عليه السلام), وحرم الحسين بن علىّ (عليه السلام)»(٣).

وقد رواه كلّ من الصدوق وابن قولويه والشيخ, وهو بلفظ وعنوان

ص: ١٠٠

١- (١) الوسائل: أبواب المزار: ح ٨٢ ح ١٣. التهذيب ج ٦ ص ١٠٩ ح ١٩٢.

٢- (٢) التهذيب ج ٦ ص ١٠٨. والفقيه ج ٢ ص ٥٨٥.

٣- (٣) الوسائل: أبواب صلاة المسافر ب ٢٥ ح ١.

الحرم لخصوص عنوان المدينة ولاعنوان المسجد.

وفى روايه زياد القندى, قال: «قال أبو الحسن (ع)

: يا زياد, احبّ لك ما احبّ لنفسى, وأكره لك ما أكره لنفسى, أتمّ الصلاه فى الحرمين والكوفه وعند قبر الحسين (عليه السلام)»(١), فقد ورد عنوان الكوفه كما ورد فى العديد من الروايات عنوان مكّه والمدينه, والمصحح إلى عبدالحميد خادم إسماعيل بن جعفر, عن أبى عبدالله (عليه السلام), قال:

«تمّ الصلاه فى أربعة مواطن: فى المسجد الحرام, ومسجد الرسول (صلى الله عليه و آله), ومسجد الكوفه, وحرّم الحسين (عليه السلام)»(٢).

فذكر عنوان الحرام فيه خاصّه مضافاً إلى الحسين (عليه السلام) دون الثلاثه, مع أنّ عنوان الحرمين ورد فى عدّه صحاح مضافاً إلى مكّه والمدينه.

ومثله مصحح حذيفه بن منصور(٣) وموثق أبى بصير(٤).

ومرسل الشيخ فى المصباح قال بعد روايته عن حذيفه بن منصور المزبور: «وفى خبر آخر: فى حرم الله, وحرّم رسوله, وحرّم أمير المؤمنين (عليه السلام), وحرّم الحسين (عليه السلام)»(٥).

فمع:

ص: ١٠١

١- (١) الوسائل: أبواب صلاه المسافر ب ٢٥ ح ١٣.

٢- (٢) الوسائل: أبواب صلاه المسافر ب ٢٥ ح ١٤.

٣- (٣) الوسائل: أبواب صلاه المسافر ب ٢٥ ح ٢٣.

٤- (٤) الوسائل: أبواب صلاه المسافر ب ٢٥ ح ٢٥.

٥- (٥) الوسائل: أبواب صلاه المسافر ب ٢٥ ح ٢٤.

١- عموم لسان الدليل لا موجب لحمله على اللسان الخاص بعد كونهما مثبتين, وبنحو الاستغراق موضوعاً.

٢- مضافاً إلى ما تقدّم من تفاوت الفضل في لسان الأدلّه في نفس المسجد الحرام والحرم المكيّ ومكّه مع وجود الفضل في كلّ ذلك, وكذلك في المسجد النبويّ والروضه وبيت فاطمه (عليها السلام) وبيوت النبيّ (صلى الله عليه وآله) والمدينه والحرم المدني, فكذلك الحال في مسجد الكوفه والكوفه ومرقد وحرّم أمير المؤمنين (عليه السلام).

٣- مع ورود جملة من الروايات الصحيحه الوارده في زيارته (عليه السلام) أنّ أصل حرم الأمير (عليه السلام) هو مرقدّه (عليه السلام), واستوجه المجلسي استظهار الشيخ في النهايه والمبسوط أنّ الأصل في حرمة الكوفه ومسجدها مرقدّه (عليه السلام).

٤- فذكر المساجد من باب الأبرز شرفيته في نقاط تلك البلدان, كما تقدّم في كلام الذكرى, وهذا وجه التخصيص بعنوان المساجد في بعض الروايات.

وأما حرم الحسين (عليه السلام) فقد تقدّم أنّ المفيد في المزار حمل الحائر على نفس معنى الحرم, وأنّ التحديد بخمسه فراسخ وفرسخ وبالأذرع محمول على تفاوت درجات القدسيّه والفضل, ووافقه يحيى بن سعيد في كتاب السفر, وأنه قدّر بخمسه فراسخ وأربعة فراسخ وبفرسخ, وقال: «والكلّ حرم وإن تفاوتت الفضيله».

ص: ١٠٢

الفصل الثاني : الحسين (عليه السلام) نبراس الإصلاح العالمي

اشاره

بقلم

السيد علي جلال الشرفات

ص: ١٠٣

الحسين عليه السلام نبراس الإصلاح العالمى

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الغوى الرجيم

بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاه والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين..

صلى الله عليك يا أبا عبد الله، صلى الله عليك يا ابن رسول الله، صلى الله عليك وعلى الأرواح التى حلت بفنائك، عليكم منى جميعاً سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار، وبقي الحسين نبراساً للبشرية.

الشرعية الدولية:

نرى فى الظرف الحالى - من كل الزوايا - تعطشاً ملحوظاً فى الساحة البشرىة أو الساحة الدولىة تجاه الحسين (عليه السلام). هناك نداءات للضمير البشرى فى الشعوب الفقيره، شعوب العالم الثانى أو الثالث، تجاه طغمه الدول العظمى، فالسائد فى العرف البشرى الدولى، أن هناك شرعيةً دوليه،

ص: ١٠٥

وشرعيةً من نخب المجتمعات عبر هياكل الأنظمة، لا يمكن التمرّد عليها؛ لأنّ ذلك يهزُّ السلم العالمي والتعايش المدني، ويهزُّ الرقى والتطور البشرى، باعتبار أن البشرية وصلت إلى مكاسب وثروره علميه مزدهره، لا يمكن التفريط بها في ظل هذا الازدهار البشرى وثروره العلميه والثوره التقنيه والصناعيه والمعلوماتيه.. وغيرها، إلا- أن الشعوب الفقيره تزرع وتتن تحت وطأه الطغام البشرى، قراصنه الأموال في الدول العظمى، وهذا - في الواقع - ليس مخصوصاً بالشعوب الفقيره، بل إن الشعوب الغنيه أيضاً تزرع وتتن تحت هذا الكابوس.

في إحصائيه نقلتها الأمم المتحده عبر الإذاعات قبل ثلاث سنين، - ويمكن مراجعه المصادر الموثوقه في هذه الإحصائيه - جاء أن ثروه ألمانيا تقارب ٩٠٪، يمتلكها ٤٪ من الشعب الألماني فقط، ونفس النسبه بتراوح يسير في الشعب الأمريكي، فبين ٤٪ و ٣.٨٪ من الشعب الأمريكي يمتلك أيضاً ٩١٪ أو ٨٩٪ من الثروه الماليه. فليس الأمر حسب طبقه الشعوب، إنما هناك عبء يقض كاهل البشرىه بأكملها، حتى الشعوب الغربيه الأمريكيه، التي كُلما أرادت أن تصحو، يُسارع بإعطائها إبراً منومه مخدره، مع أن هناك بشاره في المسير البشرى، أن هذه الشعوب رغم الترسانه الإعلاميه اليهوديه المكبله لها، كما في إحصائيه قبل أشهر، أن أكثر الشعوب الأوروبيه - مثلاً - ترفض النهج الإسرائيلي الصهيونى، رغم كل ما قام به في سنين وعقود، بأساليب فتاكه، ثقافيه وإعلاميه؛ لأجل غسل العقل الأوروبي، لكن قلب الإنسان الأوروبي لا زال ينبض بالفطره.

فى ظل هذه الشرعيه الدوليه الموجوده، هناك هتافات إسلاميه، وغير إسلاميه، لتغيير الوضع الدولى الحالى، بالنسبه إلى الأمه الإسلاميه، من عدّه شرائح ومذاهب:

١- المدرسه المخالفه لأهل البيت (عليهم السلام) التى ربما تطرح أسلوب الخوارج، وبصريح العبارة: (نموذج القاعده)، وهذا نموذج فى التاريخ الإسلامى على شاكلة الخوارج، يريد أن يهدم هذا الكيان الفاسد، لكن بنهج الخوارج.

٢- نداء آخر من الأئمّه الإسلاميه، من نخب الأنظمه والشعوب الإسلاميه، يدعو للمهادنه، كما هو أسلوب جملته من الصحابه والتابعين الذين هادنوا السقيفه أو هادنوا السلطه الأمويه ونحوها، وأمثله ونماذجه موجوده فى التاريخ، نظير مبايعه كثير من الصحابه وإقرارهم للوضع الموجود.

٣- نماذج أُخرى، كثوره المذهب الزيدى، بغض النظر عن شخص زيد بن على بن الحسين - رضوان الله تعالى عليه - المقصود المذهب الزيدى، هذا نموذج آخر، يلتقى فى نقاط مشتركه مع مذهب الخوارج، لكنه يختلف عنه فى نقاط أُخرى.

٤- شريحه الأمويين، الذين استغلوا الوضع السائد، وانقضوا عليه، وتسلقوا للوصول إلى القمه، وربما يسمون بالقاسطين، الناكثين، المارقين.

وهناك نماذج ومناهج أُخرى عاشها العقل الإسلامى فى غابر التاريخ.

٥- النموذج الحسينى، والذى يبقى نموذجاً متميزاً، لا يمكن أن يؤخذ عليه مأخذ من ناحيه التفريط فى المكاسب البشرىه، ولا من ناحيه التفريط فى الإنجازات التى تزدهر بها أى ديانه أو أى مجتمع أو أى عرف بشرى، فهو فى حين لم يفرض بالمكاسب، لم يهادن على المفاسد، واستخدم أسلوب التغيير بشكل راقٍ، محافظ على كل الحرمات والإنجازات التى يحترمها البشر وتحترمها الديات. وربما أحتاج إلى مؤونه كثيره فى التعرض لها فى طيات الكلام، حول المفارقة بين النهج الحسينى ونهج الخوارج، بين النهج الحسينى والنهج الزيدى، بين النهج الحسينى والنهج السلطوى، نهج الطرف الآخر.

هناك نداءات إسلاميه تحىى الجماعه الدوليه والسنة البشرىه، تقول بأن منهج الصلاح والإصلاح هو أن نكون مع سنة البشر وجماعه البشر، وأن الخارج عن جماعه البشر مارق. الأمه الإسلاميه الآن انفتحت على البشر، والبشر قد انفتحوا على الأمه الإسلاميه، يبقى النهج الحسينى فريداً جداً من نوعه، كأصول، كمنظومه قانونيه، وكمنظومه تغيير، أرشدت إلى عدم الإقرار بالوضع الفاسد، ومحاولة الإصلاح من دون فساد، كان ذلك من باب النموذج الفهرسى أذكره ؛ لكى أصل إلى المصب الأصلى للبحث.

نهج الحسين عليه السلام ونهج الخوارج:

إن التمايز واضح بين نهج الحسين (عليه السلام) ونهج الخوارج. نهج الخوارج، الذى ينتهجه (تنظيم القاعدة) بكل حذافيره ؛ لأن هذا التنظيم ابتعد عن

مدرسه أهل البيت (عليهم السلام)، من أصولٍ وفكرٍ وقوانين، وعملٍ بنهج الخوارج في مقابل ذلك، المذهب الذى ضحى بمبادئ كثيرة، مقابل الوصول إلى شعارٍ وهتك حرمت كثيرة، وفرط في حرمت كثيرة، زرع العيش المدنى، والسلم الاجتماعى، والأموال والفروج والدماء والأعراض، والأفكار، حتى الأفكار الصحيحة رفضها رفضاً مطلقاً، وفلاحظوا ذلك فى تاريخ الخوارج، صحيح أنهم طلاب حق، أو شعارهم حق، لكنها كلمه حق يريدون بها باطلاً من حيث لا يشعرون.

التغيير الذى يريده الكيان البشرى المتعطش، والحاجه البشرىه هى إلى نموذج الإمام الحسين (عليه السلام) هى الآن على قدم وساق، وفى أشد ما يمكن، والكثير من رمز مراحل حركة الإمام المهدي (عجج الله)، هى على شاكلة نهج الحسين (عليه السلام)، لكن مع تكليله بالظفر والنصر، لاسيما وأن الإمام الحسين كان مقدرًا أن يكون مهدي آل محمد، إلا أنه بدا لله عزَّ وَجَلَّ.

فانظر فى نموذج الخوارج الذين قالوا كلمه حق: «الوضع الفاسد يجب أن يغير»، لكنه لا يجب أن يغير بكل قيمه، بحيث تنسف مقدرات المجتمع، تبركنها وتزلزلها، أهذا هو الهدف وهو الوصول إلى الحق؟ الحق هو بناء هذه المقدرات، والحفاظ على هذه الحرمت، فالدم الإنسانى محترم ما لم يأتٍ موجب لإراقته، وليس من منطق الحسين (عليه السلام) نسف المدنيين الأبرياء بحجه الوصول إلى هدف معين.

منهج الإمام الحسين (عليه السلام) ومنهج الطرف الآخر (المهادنة):

فى حين أن الإمام الحسين (عليه السلام) لا ينتهج نهج الطرف الآخر، أهل سنه الوضع الدولى السائد، والشرعيه الدوليه فى النظام السائد: مع الجماعه ما دامت الجماعه، ولون الجماعه فى أى اتجاه لتتلون بلونه. أيضاً الحسين (عليه السلام) افترق عن عبد الله بن عمر، فعبد الله بن عمر بايع يزيد وبايع رجل الحجاج(1)، واختط ابن عمر نموذجاً لمدرسه أهل الطرف الآخر.

نهج الحسين (عليه السلام) يختلف، فهو نهج يقول بعدم التفريط فى المكاسب البشريه، والمقدرات البشريه، والحرمان البشريه، لكن هذا لا- يعنى الإقرار بالفساد، وكذلك عدم الإقرار بالفساد، ورفض الفساد، لا يعنى التفريط بالمقدرات المنجزه. نهج الحسين نهج دقيق وصعب جداً، نهج مصلح، ولكنه إصلاح بمعادله وموازن صعبه، بحيث أنه رغم تطور الفكر البشرى، القانونى، الثورى، وحتى النظم والأعراف، لكن - وإلى الآن - لم يسجل لنا النهج البشرى نهجاً كنهجه (عليه السلام).

النهج الذى نهجه سيد الشهداء نهج إعجازى، فسيد الشهداء فى يوم عاشوراء لم يبدأ بالقتال، ولم يسد - أصلاً - باب الحوار مع الطرف الآخر. ولو بقوا مع سيد الشهداء أشهراً وسنين، لما أغلق باب الحوار معهم، ولما استخدم لغه العنف. التقى الحسين (عليه السلام) مع الحر بن يزيد الرياحى، وكان

ص: ١١٠

١- (١) تاريخ الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٢٤ الفتوح ج ٢ ص ٤٨٦.

يستطيع أن يستأصل جيشه بضربه قاضيه ويتجه للكوفه، لكنه لم يفعل، كما لم يفعل أصحابه، كمسلم بن عقيل، وغيره. يستطيع الكثير أن يتجاوز المبادئ والمقررات الشرعيه، وينتهز الفرص مقابل الدوس على المبادئ، للوصول إلى القدره، رفض الحسين (عليه السلام) ذلك؛ لأن هؤلاء الذين فى المدرسه الحسينيه، رواد وطلاب مبدأ، وليسوا طلاب قدره، وهذا المبدأ صعب جداً.

لم يرفض الحسين (عليه السلام) لغه الحوار، لم يرفض لغه التسالم والسلم، لكنه لم يقر معهما على الوضع الفاسد، وعلى هذا الخواء العفن فى روح وجسم الأممه الإسلاميه. كذلك الوضع الدولى السائد، من عدم التفريط بالسلم الدولى، عدم التفريط بالتعايش الدولى، عدم التفريط بالحرمت الدوليه والأعراف الدوليه الموجوده، يجب ألا يجعلنا ذلك نهدان الإباحيه الجنسيه الصريحه، أو نقول بأن الربا الذى يمارسه بنك مؤسسه النقد الدولى صحيح! بل فيه إضعاف، وقصم لظهور الشعوب الفقيره، وهذا التوزيع غير العادل فى قوانين التجاره، وفى قوانين البنك، والاقتصاد، والملاحه، مما لا يمكن الرضا به، وكله يصب فى حلقوم الإقطاع الدولى.

فعدم التسليم بهذا، فى ذات الوقت، لا يعنى أن نفجر الأبرياء، أن نهز السلم والأمن الاجتماعى لشعوب دول كثيره، فكما نفتدى بنهج الحسين (عليه السلام)، لا نفرط ولا نرفض هذه المنجزات البشريه، لا نقر على الوضع الفاسد العفن، نتلقى حوار الشعوب بالترحاب والإكرام، لكننا لا نتلقى مجارى الأوساخ، بل يجب أن نعالجها لهم، لا أن نتلقاها. الإباحه الجنسيه، التبذل،

تفكك الأسره، سقوط الأخلاق، سقوط الجانب الروحي إلى الجانب المادى الجاف، الذى يحطم الروح، لا نقبل بذلك كله، ولا نياس، كما الحسين (عليه السلام) أبى الضيم، الذى أُجريت معه مساومات كثيره، مساومات تجاه عرضه وماله وحياته وفلذات كبده، لكن الحسين لم يقبل أن يتراجع أمام النظام الخاطئ والفساد الذى كان موجوداً، ورفض أن يكون من وعاظ السلاطين.

يجب علينا أن نرفض أن نكون من وعاظ السلاطين، فإن كنا من الذين يقرون ويقررون هذه السلطه، الإقطاع الدولى، نكون حينئذٍ وعاظاً للسلاطين. بل نرفضهم، ولو خاطرونا بمقدرات كثيره، ولكننا فى حين لا نستخدم لغه العنف ابتداءً، لغه الحوار موجوده دائماً، وهنا نصل إلى محط البحث فى نهج الإمام الحسين (عليه السلام).

ظروف الأنبياء وظروف الخاتم (صلى الله عليه وآله):

لا نعلم فى مسيره الأنبياء، عن أى نبي من الأنبياء، أنه سنّ وبنى وأسس مثل هذا الباب فى الديانه - مثل الأمور التى ضحها الإمام الحسين (عليه السلام) فى الوعى البشرى - حتى أنبياء أولى العزم. ولهذا قلنا أننا نستطيع أن نعبر ببرهان قانونى على فوقيه الخمسه أصحاب الكساء، فى النهج الذى ضحوه فى الوعى البشرى الديانى على من قبلهم من الأنبياء والرسل، ففى نموذج النبي إبراهيم - مثلاً - فى أهل زمانه خطأ واضح مقابل دعوه النبي إبراهيم إلى صواب واضح، لم يكن فى الأمر صعوبه كبيره، عُبدت الأوثان

والكواكب، ولم تكن هناك عداله اجتماعيه، لكن وإن واجه النبي إبراهيم صعوبات فى الفكر فهى أمر سهل، أن يبين النبي إبراهيم للبشرية طريق الصواب بين طرق الخطأ والضلال والتعاسه. كذلك النبي نوح، وكذلك النبي موسى، فى دعوته لفرعون وقومه. الأمر فيه شىء من التعقيد عند النبي عيسى، فى الخطوه التى تقدم بها مقابل الدجل الدينى فى السياسه عند علماء اليهود، والأمر أكثر تعقيداً فى ما واجهه خاتم الأنبياء، ومن ثم فالدور الذى قام به خاتم الأنبياء (صلى الله عليه و آله) فى ظل ظروف معقده فى التطور البشرى، لم يقم به نبي من الأنبياء قط ؛ لأنه واجه شرعيه تتوشح بها قريش، فتسلحت بأنها على لون المله الإبراهيميه الحنيفيه، وخاطبت سيد الأنبياء بأنه صبأً فتيه قريش ومرقهم عن الديانه الإبراهيميه الحنيفيه، وكان لديهم تسليح بالشرعيه مثل بيت الله الحرام، والكعبه ونحوها، وتسليح بكونهم أهل جوار بيت الله، ومن نسل إبراهيم الخليل. كانوا يتلبسون بألبسه من الشرعيه، التى قد تُغفل الطرف الآخر، فى ظل هذا التعقيد، لكن ومع ذلك، اختط خاتم الأنبياء (صلى الله عليه و آله) هذا النهج، نهج صراط السماء.

و سيد الشهداء (عليه السلام) من بعد أبيه وأخيه، واجه ما هو أكثر تعقيداً؛ لأنه كان فى ظل شرعيه تدعى الشرعيه الإسلاميه، وأنها شرعيه خاتم الأديان، وأبرز ما بناه سيد الشهداء مما لم يبنه الأنبياء السابقين - بالطبع غير جده سيد الأنبياء وأبيه سيد الأوصياء وأخيه سيد الأسباط - فأبرز شىء بناه سيد الشهداء هو إثارة الوعى فى التحسس والإحساس حول الشرعيه. فما المقصود

نقول: هذا شرعى أو غير شرعى، الخروج عن الشرعيه السائده هو أمر لا شرعى، أو أن هذه الشرعيه متلونه بالشرعيه، فيجب القضاء عليها بأسلوب سلمى إلى أن يبين مقدار الزيف ومقدار الصحه فيها.

تحسين الشرعيه:

أبرز الأمور التي سنهنا سيد الشهداء للقانون الدولى وللوعى البشرى الإنسانى، الذى تتعطش إليه البشرىه الآن، هو إثارة الإحساس البشرى والتساؤل البشرى حول الشرعيه، وهو أبرز ما تتعطش له البشرىه أيضاً بالنسبه لمدرسه سيد الشهداء ونهجه (عليه السلام)، أنه يجب على الشعوب إثارة السؤال حول شرعيه هذه الشرعيه الدوليه المزعومه، أن تبدأ البشرىه بالنقاش وإثارة السؤال حول شرعيه هذا النظام الدولى المطروح وهذه القوانين المطروحه التي لا تسمح للشعوب الفقيره، ولا تسمح للشعوب الغربيه المكبله بهذا النظام الإقطاعى الرأسمالى السوقى أيضاً، بأن يفتحوا أعينهم، أو يوقظوا أسماعهم، بالالتفات إلى كيفيه استطاعتهم للتغيير، فهم مكبلون، وأى منادٍ بالتغيير لهذا النظام السائد، يقال بخروجه عن الشرعيه الدوليه، وتحوله إلى نهج لا شرعى. وهى المشكله فى الإقطاع الدولى الآن، الذى استطاع أن يُئس حركه التغيير البشرى، سيما بزياده المسلمين، والخطوه التي نجح فيها مع الأسف، أنه قدم نموذجاً إصلاحياً إسلامياً، كنموذج الخوارج، ليقولوا: «انظروا إلى المسلمين، يريدون التغيير، ولكن بنموذج الخوارج

الذى يفرض بكل الحرمات وبكل المكاسب»، ومن ثم تشوه صورته الإسلام لدى شعوب العالم وشعوب الغرب، ويتزعزع أمامهم القول بأن الحل كامن فى دين الإسلام، وفى ما يطرحه نظام الإسلام، وربما هذه من أقوى الضربات القاضيه، ولكن هيهات لهذا الإسلام العملاق، ولصاحب الزمان، أن ينكسر.

فإذن، كان الحجر الأساس فى مدرسه الحسين (عليه السلام) هو إثارة الوعى البشرى حول الشرعيه، والتساؤل حولها عما إذا كانت صحيحه أم مزيفه. إذا أردنا أن نعوض فى هذا الملف وهذا البند، فقد تميزت مدرسه أهل البيت فى هذا النهج بشكل مركز جداً، هو التساؤل حول الشرعيه، وهذا تحدٍ قانونى، فلسفى، تحدٍ بلحاظ علوم الاجتماع، تحدٍ علمى، تاريخى، أديانى، تحدٍ إدارى - بحسب علوم الإدارة - وتحدٍ بحسب علوم مختلفه: أنك لن تجد مذهباً كمذهب أهل البيت، أكثر تحسناً حول الشرعيه، فى تساؤله عن مصدرها وعن وجهه مسارها.. لن تجد فى المسيحيه، ولا فى القانون البشرى الجديد، ولا فى الأمم المتحده، فحتى بنود الأمم المتحده فى مجالاتها المختلفه، لا تثير فى الوعى البشرى التساؤل حول الشرعيه، بقدر مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، لذا فإن بصمات مدرسه ومذهب أهل البيت فريده جداً؛ لأنه دين السماء، وهو دين الأنبياء الصحيح.

شرعيه علاقتك مع الله:

يثير هذا المذهب التساؤل حول الشرعيه حتى فى علاقتك مع الله - سبحانه وتعالى -، كما يقول الصادق من آل محمد فى كتاب الكافى، بأنه حتى

تسليماً لله عَزَّ وَجَلَّ، وهذا الذى تطرحه الحداثويه الجديده - هم يطرحون هذه المدارس، ظناً منهم أنهم يدركون العقل الإسلامى - حتى فى علاقتك مع الله عَزَّ وَجَلَّ، قال الإمام الصادق (عليه السلام): «أن أول الامور ومبدأها وقوتها وعمارتها التى لا ينتفع شئ إلا به، العقل الذى جعله الله زينه لخلقه ونورا لهم، فبالعقل عرف العباد خالقهم، وأنهم مخلوقون، وأنه المدبر لهم، وأنهم المدبرون، وأنه الباقي وهم الفانون، واستدلوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه، من سمائه وأرضه، وشمسهِ وقمره، وليله ونهاره، وبأن له ولهم خالقاً ومدبراً لم يزل ولا يزول، وعرفوا به الحسن من القبيح، وأن الظلمه فى الجهل، وأن النور فى العلم، فهذا ما دلهم، عليه العقل»^(١)، ليس عقلك مغلقاً، وليس فكرك أصمّاً، ولا وجدانك، بل يجب أن تحكم بين عقلك وصميم قلبك، وهذا غير مطروح فى اليهوديه والمسيحيه - المحرفتين طبعاً؛ لأن ما بعث به الخاتم هو ما بعث به جميع الأنبياء، فهو دين واحد وإن اختلفت الشرائع، بكون التفاصيل الجزئيه مختلفه لكن الأسس واحده - والشرعيه الدوليه المنتهجه والمذاهب الإسلاميه الأخرى والبوذيه والسيخيه وغيرها، فتش فيها، ولن تجد ديانه يحملها رواد كائمه أهل البيت (عليهم السلام) مُنادين بفتح الفكر والعقل حتى فى علاقتك مع ربك، فضلاً عن علاقتك مع نبيك.

ص: ١١٤

١- (١) تكمله الحديث الشريف «قيل له: فهل يكتفى العباد بالعقل دون غيره؟ قال: إن العاقل لدلاله عقله الذى جعله الله قوامه وزينته وهدايته، علم أن الله هو الحق، وأنه هو ربه، وعلم أن لخالقه محبه، وأن له كراهيه، وأن له طاعه، وأن له معصيه، فلم يجد عقله يدله على ذلك وعلم أنه لا- يوصل إليه إلا بالعلم وطلبه، وأنه لا ينتفع بعقله، إن لم يصب ذلك بعلمه، فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذى لا قوام له إلا به». الكافى ج ١ ص ٢٩.

لا- يعنى الاتباع والخضوع للنبي (صلى الله عليه و آله) عدم السماح بالمساءله، فالمساءله شىء والرفض الأعمى والعناد والتكبر شىء آخر، والتساؤل شىء والإباء والرفض النزوى شىء آخر. كلامنا فى التساؤل، حتى فى العلاقه مع سيد الأنبياء، بل مع الأنبياء جميعاً، ليس هناك غلق للفكر البشرى، فبحث الشرعيه مطروح، (من أين؟ وكيف؟ وإلى أين؟)، وحتى فى علاقتنا مع أئمتنا (عليهم السلام)، بالنظر إلى سيره أتباع أهل البيت، لا نراهم عمياويين فى اتباعهم لأئمه أهل البيت (عليهم السلام).

رصد شعبى عجيب أولاً لسيد الأنبياء، سيد الأنبياء الذى أوجد فلسفه تسع زوجات، وهؤلاء التسع زوجات فى الواقع، هى عيون خبريه لشعوب وقبائل مختلفه، حول الوضع الداخلى لسيد الأنبياء، من مصر، ومن شمال الجزيره، ومن وسط الجزيره، ومن جنوب الجزيره، فهؤلاء النساء فى الحقيقه قنوات خبريه ترصد سيد الأنبياء، فى حركته حتى الداخليه، البيتيه، وفى صدق مصداقيه نبوته وسؤدده على الأنبياء فى ممارساته وسلوكه الخفى؛ لأن الإنسان - غالباً - مثل الرؤساء أو عظماء التاريخ، سلوكهم فى الظاهر شىء، وسلوكهم فى البيت مع الأسره شىء آخر، والكثير منهم عبر الإعلام شىء، وفى الواقع الخارجى شىء آخر.

له تسع زوجات (صلى الله عليه و آله)! وفى الواقع، لا يستطيع الإنسان التوفيق بين الاثنتين والثلاث والأربع، فكيف بالتسع مع سيد الأنبياء وكيف لم يختل

تديره الإدارى معهن؟! إنَّ عهده - عليه وآله الصلاه والسلام - إعجاز حتى فى الإداره والتدبير.

مع هذه المسؤوليات الضخمه الجباره التى كانت على كاهل سيد الأنبياء، من إقامه دين جديد، ودعوه الأمم المختلفه إلى ديانه الإسلام، وتدبير الدوله الإسلاميه، وتربيه المجتمع وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنَّ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ١، ومن جهه تسع زوجات، كيف الوفاق بينهن!! هو إعجاز فى الإداره والتدبير، بحيث لم يشهد المسلمون شكايه ولا مشكله داخلية أسريه. هو كله مراقبه وضعها الله عَزَّ وَجَلَّ ليقيم الحجه على البشر، عبر شهودهم تدبير سيد الكائنات وإدارته وقيادته وخلقه: وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ٢.

شرعيه علاقتك مع إمامك:

و كذلك كان شيعه أهل البيت مع أئمتهم، فلم يكن إمام من الأئمه، يقفز على البيئات أو الإثباتات العلميه، أو التجسم العلمى. مدرسه أهل البيت فى علاقتها مع أئمتها، هى علاقه العقل المفتوح، بالبرهان وعدم التعامى عن البيئات. ولم يكن النواب الخاصون للحجه (عجج الله) فى الغيبه الصغرى، يتسلمون هذا المنصب عبثاً، بل كان فقهاء الشيعه وعلماؤهم والشيعه ترقبهم، وترصدهم، فى كل

خطوه يخطونها، وقد وثقهم الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، فلا بد - قطعاً - أن سند الوثائق ومستنداتهما باقية معهم.

شرعيه علاقتك مع مرجعيتك:

تؤهل المرجعيه الشيعيه وفقهاء الشيعه تحت شرائط معينه للمرجعيه والفقاهه، ولا بد من توافر الشرائط لهم استمراراً لبقائهم، فبتعبير أحد المحققين الفقهاء في الحوزه العلميه في قم: «ربما قل نظيره في مجموعه بشريه اجتماعيه، أن ترصد وتراقب قيادتها، كرصده الطائفه الشيعيه لمراجعتها، ومن قبل لأئمتها». كل فئات المجتمع ترصده، وتراقبه، تلتحم معه، وتباشره، في السراء وفي الضراء وفي سلوكه الداخلي أو الخارجي، ثم يؤهل لقياده الطائفه الشيعيه، نيابته عن المعصوم.

أى فئه من المجتمعات البشريه تمارس هذا الترشيح والمراقبه والدراسه والامتحان كما في الشيعه، حتى أن الإعلام لا ينجز ذلك، وهم أشد تحسساً فلديهم قضيه المرجعيه، بل لا بد أن يكون إمام الجماعه - كما في شرائط مدرسه أهل البيت - عادلاً، ورجل الدين كذلك، فهو إن كان منكباً على باب السلطان فهو طالب دنيا، أما إن كان معرضاً عن باب السلطان الذي هو يأتي إليه، فهو طالب آخره، ومن هذا القبيل.

قل نظير تحسس الشرعيه في المذاهب غير مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، لذلك فالمذاهب الأخرى تشطب على حجييه العقل، مثل مذهب السلفيه (الوهاييه)

أو حتى المذاهب الأخرى، العقل أيضاً يُحاسب في المذهب الشيعي، بالقلب والوجدان. مراقبه مصدر الشرعيه على مصدر آخر؛ لأن قوى الإنسان المختلفه في التفكير أو في تحديد الرؤيه، تراقب بعضها البعض برؤيه مدرسه أهل البيت (عليهم السلام)، وإلا فالعقل الظنى أو النظرى التجريدى الحدسى التخمينى لا- يجعل الإنسان يسلم زمام قيادته لأحد، فإن كانت له تجربه - مثلاً - يستخلص منها نظريه ظنيه، لا يستطيع أن يؤسس عليها رؤيه، وهو نوع من التثبت في مدرسه أهل البيت (عليهم السلام)، فلا بد من الإثبات، ولا- يمكن البناء على نظريات حدسيه من دون تثبت، ولذلك بحث الحجيه وعدم الحجيه، وبعبارة أخرى نستطيع أن نصل إلى نفس بحث الإمامه والقياده.

الحساسيه حول الإمامه:

يقال: كثيراً ما تثيرون - أنتم أتباع مذهب أهل البيت - حساسيه حول الإمامه. وفي الواقع إن إثارة الحساسيه حول الإمامه هي حول الشرعيه، فإذا خمد في وعى الشيعة هذا التحسس تحت عناوين وشعارات مغفله، اعلموا أن وعينا قد خمد، والبحث في الإمامه موقع رامن للبحث حول الشرعيه.

لا تجعلك مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) متعامياً تمشى لا تدرى من أين جئت وإلى أين تذهب؟ فالتساؤل المطروح دائماً هو: من أين؟ وإلى أين؟ وكيف؟، هذا هو الذى نريده في هذا البحث، إذا أردنا أن نكون شيعة

للحسين، كيف نوصل وكيف نربي المجتمع الدولي والشعوب الدوليه برسالة الحسين (عليه السلام)، إن لا نكون نحن في خطواتنا - والعياذ بالله - أعداءاً لسيد الشهداء في حركته؟ هو منقذ البشرية بحركته من براثن الشرعيه المزيغه، نتساءل هنا: هل نحن دعاه لهذه المدرسه؟ أم أننا - والعياذ بالله - نوجد خمود هذه المدرسه؟ هذا ما سنواصل الحديث فيه إن شاء الله، مع تكمله البحث والتحسس حول الشرعيه.

التحسس حول شرعيه البديل:

من الأمور التي سنهنا سيد الشهداء أيضاً لجميع البشريه من أتباع الديانات، التحسس حول الشرعيه في البديل. ربما هناك خط إصلاحى، أو جماعه إصلاحيه بشريه تُشخّص الداء في النظام البشرى أو النظام الاجتماعى، لكنها تغفل عن تشخيص الدواء والعلاج، فتخوض في معالجه الداء وتُنكب وتبلى الجسم البشرى بداءٍ هو أكثر عيًّا، فيستفحل داء البشرى أكثر مما هو عليه.

إذاً فتشخيص الفساد في النظام البشرى، وتشخيص المرض والإحساس بضروره التغيير، هو بمفرده ليس كافياً؛ لأنّ الإنسان يشرع له أن ينتهج خط الإصلاح الصحيح، كى يكون إصلاحاً، لا إفساداً أكثر مما هو عليه الفساد القائم، وهذا أمر يغفل عنه الكثير من الإصلاحيين - مع الأسف -.

تميز سيد الشهداء (عليه السلام) عن بقية الإصلاحيين في تاريخ البشريه، وعمن

أتى بعده حتى يومنا هذا، هو في هذا البُعد من التحسس في الشرعيه. التحسس في الشرعيه لا يعنى فقط التحسس من شرعيه النظام القائم، بل إن هناك تحسساً لأمر ربما لا يقل خطوره، وربما يزيد خطوره عن التحسس والتساؤل عن شرعيه النظام الذى يعيش فيه البشر، فالتحسس وإدراك أهميه وخطوره البديل فى منطق سيد الشهداء ومنطق أهل البيت (عليهم السلام)، يفوق تشخيص نفس الداء أهميه، وقد عاشت البشريه الكثير من دعاه الإصلاح، لكنها بليت بفساد أكبر من سابقه.

مثال على عدم التحسس حول البديل:

عاشت البشريه فى القرن الأخير دعوات الإصلاح كالشيوعيه والاشتراكيه، شخصت الداء إجمالاً، فأخبرت بوجود مرض سرطانى فى الرأسماليه، فى نظام السوق، إلا أنها لم تشخص الدواء والعلاج. قد تشخص أنت وجود الداء ووجود العدو ووجود ما يجب تغييره فى أى بند من بنود النظام البشرى الحاكم على البشر أو الحاكم على المجتمع، سواء فى أشخاصه التنفيذيين أو فى نظامه التشريعى أو فى برنامجه القضائى أو أى برنامج آخر، قد يشخص الإنسان إجمالاً وجود الفساد، لكن من الأهميه بمكان، التفكير فى رفقاء الإصلاح، فمن ترافق أنت فى نهجك الإصلاحى؟ وأى برنامج تتبنى وتتخذ بديلاً فى الإصلاح؟

أدركت الشيوعيه أن هناك إقطاعاً مدمراً للمجتمع يوجب رزح

عموم المجتمع تحت سطوة الإقطاعيين وقراصنه المال، لكنهم أرادوا أن يعالجوا الداء بما هو أدهى، وهذا الذى حدث، فعاشت البشرية عقوداً من السنين، وربما قرابه القرن، ثم تبين لها أن هذا العلاج مفسد أكثر من فساد الرأسمالية.

مرّ بنا أنّ الخوارج، وحتى النماذج الأخرى المطالبة بالتغيير، قد لاحظوا بقعه فساد فى النظام الاجتماعى، واستهدفوا إصلاحها بكل حماس، لكن بنحو جعلهم يفرطون ببيت البشرى، كما أن الإنسان الذى يرى جانباً من الحائط يوشك أن ينقض، ويريد أن يتداركه، لكنه بهوجائيه معينه يهدم بقيه الجدار! فيكون إفساده هذا أكثر من إصلاحه، فهو وإن سماه إصلاحاً لكنه فى الواقع إفساد، وأعمى بذلك العين بدل أن يكحلها.

فإذاً، التحسس حول شرعيه نفس بنود الإصلاح، ورسميه وشرعيه الإصلاح البديل أمر مهم جداً، وهذا ما أثاره سيد الشهداء فى مدرسته ونهجه بشكل مؤكد ومغلظ وبتحسس كبير، ومن ثم كان أعضاء البطوله فى حركه سيد الشهداء متقيدين بالمبادئ، لا يتهاونون ولا يفرطون فى مبدأ من مبادئهم؛ لأن هذا البرنامج الإصلاحى لديهم أهم من مجرد قلع الفساد، فانت إن قلعت الفساد ووضعت مرضاً أدهى بدلاً عنه، أنكبت بذلك البشرى وأنكبت النظام الاجتماعى. لذا نرى مبدأه هذا (عليه السلام) فى كل حركاته وسكناته وخطواته، وهذا نهج أبيه سيد الأوصياء وجده من قبل سيد الأنبياء.

التحسس في الشرعيه وفي البنود البديله أمر هام جداً، وأهميه التفكير في الدواء تفوق أهميه التفكير في الداء، كثير منا يفكر في الداء، عندما يستهوننا الإصلاح وتغيير ذلك الداء وذلك الفساد، ونتغافل أو نتناسى ونعيش سبات لذه الإصلاح والتغيير السريع دون أن نشرع البديل الصالح، المعالج للكل.

قلما نرى مدرسه بشرية إصلاحية أو خطأً إصلاحياً بشرياً في دول عديده تأتي بالبديل الصالح، أو تفكر أو تولى أهميه عظيمه للبديل، تفوق تشخيص الداء، بينما كان هذا نهج سيد الشهداء، وفي الواقع هو نهج مدرسه أهل البيت وأتباع مدرسه أهل البيت، فهذا التحسس فائق الوجود عندهم، وقد طالعنا الأحداث الأخيره بذلك الأمر حتى عند شيعه العراق.

موقف المرجعيه الدينيه وشيعه العراق:

قدمت مرجعيه العراق (عموم المراجع) وشيعته خلال مخاض، نماذج عدده نيره لمدرسه أهل البيت (عليهم السلام)، عندما بدأ العدوان الأمريكي على العراق من جانب، وكان الطاغية صدام من الجانب الآخر، فأصبحوا في موقف بين المطرقه والسندان.

هناك صيحات من فئات إسلاميه عديده، صاحت بالمرجعيه الشيعيه، ونادت شيعه العراق، مُسائله عن موقفهم تجاه هذا العدوان، هذا الاحتلال. وربما نحن أيضاً لم نشخص الرؤيه التي شخصتها المرجعيه الشيعيه بذلك

الوعى، عندما تختلط الأوراق يصعب إِبصار الطريق، - ذكرنا أن عظمه سيد الأنبياء وسيد الأوصياء وسيدى شباب أهل الجنة كانت لأنهم واجهوا تعقيداً فى النظام الاجتماعى البشرى، ليس نظير الحياه البدائيه البشريه فى زمن النبى إبراهيم ونوح وموسى وعيسى - على نبينا وعلى آله وعليهم السلام -، هنا تعقيد، وإلى يومنا يزداد التعقيد أكثر فأكثر، وهذه عظمه الإصلاح الذى سيقوم به مهدي آل محمد - صلوات الله عليه - . تختلط الأوراق فيصعب عليك تشخيص الدواء فضلاً عن تشخيص الداء، أين الداء؟ وأين الدواء؟ أين الدواء الشرعى ذا الصلاحيه القانونيه الطبيه للإصلاح؟

هتف الكثير بالطعن فى موقف شيعه العراق، لكنه كان موقفاً ذكياً بين سبعين يتصارعان. كان شيعه العراق فى جملة من مواقفهم، يدافعون عن حرمت ووطنهم، لكن بنحو لا- يصب فى مصلحه النظام الديكتاتورى، وهذا تشخيص دقيق، كثير من المنظرين الإسلاميين نادوا «هيا بكم، انضوا تحت رايه النظام الجائر! حتى ندفع السبع الأكبر أمريكا - على الأقل -!» ربما استهوت هذه المقوله بعضاً منا أتباع مذهب أهل البيت(عليهم السلام)، فمن أجل عدم التضحيه بالعراق، لننضو تحت رايه النظام الجائر، لكن الموقف الحكيم للمرجعيه والشيعه فى العراق كان أبصر وأنفذ من هذا التحليل، لأن المعركه الضروس لم تكن قد حسمت بعد بين السبعين، والدخول فيها سيودى بهم ضحيه لسبع أو سبع آخر، لذا فالموقف النموذجى والمثالى، كان أن تواجه بطريقتك السبع الآخر بعد أن تحسم المعركه بين السبعين، حين يتفرد لك الميدان.

أطالع لكم بعض الكلمات التي أطلقها البعض ندد فيها بموقف الشيعة في إيران ولبنان، فضلاً عن استهدافه الأول للمرجعية الشيعية والشيعة في العراق، لاحظ الكلمات في تحليله، كنموذج على أننا إذا لم نشخص الدواء، فالداء ليس أهميه تشخيصه بذى أهميه حاسمه.

شخصنا داء العدو الأمريكي الذي يهاجم العراق، والذي أغراه بهذا الطريق هو نفسه النظام الطاغيه، في هذه المحنه والفتنه والدوامه، الكثير رأى في نفسه ذا بصيره سياسيه وبصيره قانونيه وبصيره واعيه بالمنطقه، وشخص حينئذ الوقوف أمام العدوان الأمريكي، هذا أمر مسلّم به بالطبع، إنما القول عندما أقف أنا هذا الموقف، أليس له تداعيات أخرى؟ ألا يصب في مجرى آخر؟ وما شرعيه هذا الموقف؟

لاحظوا بعض التعبيرات التي أقرأها لكم من مقاله نشرت في أماكن كثيره، يقول مخاطباً الشيعة: «هل كان الحسين مستعداً للاستعانه بالروم لتحرير بلاد الإسلام من ظلم يزيد؟!» ذهب بنا إلى نفس نهج الحسين (عليه السلام) فقال: هل يضع الحسين (عليه السلام) يده مع الروم لقلع نظام يزيد؟ في الواقع، هذا أحد التساؤلات أو الطعون التي يريدون إثارتها حول علي (عليه السلام) أو حول الحسين (عليه السلام)، فكيف يذهب أمير المؤمنين أو سيد الشهداء إلى إصلاح الوضع الداخلي والحال أن الحدود الإسلاميه مهدده.

أحد الأمور التي يسجلونها كما أخذ أو كتساؤل حول أمير المؤمنين وحول سيد الشهداء، عن عكوف على (عليه السلام) على الإصلاح الداخلي، ولم يتوجه إلى التوسع في الدولة الإسلامية، وإن كان كل تخطيط الفتوحات من أمير المؤمنين (عليه السلام) في ملفات تاريخيه وُقِف عليها أخيراً، إلا أن الكلام تركز على نهج أمير المؤمنين في إصلاح الداخل، فلم يعبأ بذريعة التهديد الموجود عند الثغور والحدود الإسلامية، واتخذ لها موازنه أخرى، تحت هذه الذريعة، حتى أن البعض ممن حول أمير المؤمنين أشاروا عليه بإبقاء معاويه، وبعد ذلك يتخذ تدبير آخر، مثل هذه الإدارة ومثل هذا التدبير، يراه أمير المؤمنين موجباً نهجاً عفناً في سنة هذه الأمة الإسلامية؛ لأن أفعالهم سنة (عليهم السلام)، فإذا سنَّ مثل هذه السنة، ستكون سنة إلى يوم القيامة للتفريط بالمبادئ، ولعدم التشدد بمبادئه المبادئ، ولتبرير الغايه نمط الوسيله.

الإصلاح الداخلي أولاً:

فعكف من ثمَّ على الإصلاح الداخلي، كما هو الحال في نهج الحسين (عليه السلام)؛ لأنه بالخروج كان سيدافع عن هيكل قشري لا-جسم، أما الفتوحات فكانت فتوحات إزالة الكفر، بلا بديل، فلا يبقى من الإسلام شيء إلا رسمه. هل البديل هو ما انتهجه الخلفاء الأوائل من التفرقه في العطاء بين العربي وبين غير العربي(1)، ومنع غير العرب من التزوج بالعرب، كانت هذه سنن الخلفاء

ص: ١٢٧

١- (١) راجع من حياه الخليفه عمر بن الخطاب ص ١٨٠ - ١٨٢.

منع الخليفة الثانى غير العرب من الدخول للمدينه المنوره؟! و التفرقه فى الضمان الاجتماعى والكفاله الاجتماعيه بين القرشى وغير القرشى وبين المهاجر وغير المهاجر؟! كانت الطبقه على قدم وساق، وهى الطبقه ذاتها التى كانت فى الجاهليه، عادت مره أخرى تحت رايه التشهد بالشهادتين، وهى حاويه من بنود الشهادتين وبرنامجهها. لم يفكروا فى البديل: (لماذا ندعو الأمم؟ وللدخول فى ماذا؟ وما هو البديل؟)، بل نظروا إلى القشر فقط! ليست الخطوه التى تخطوها هى المهمه فقط، إنما المهم ما يترتب على هذه الخطوه، وإن كانت خطوه إصلاحيه، فما الذى يترتب عليها؟ ولدى أهل البيت تحسس شديد من ذلك. لذا نجيب هذا المهاجم بهذا الجواب.

المشكلة فى النخبه المتفقہ الاسلاميه:

مشكله الأمة الإسلاميه ليست مشكله فساد الحكم فحسب، إنما المشكله فى وجود البديل عنهم. هى إحدى المشاكل المهمه بالطبع، وليس هذا تبريراً لبقاء الفساد فى إداره الحكم، لكننا إن كنا نريد أن نستبدل بما هو أدهى، فهى مشكله.

ولست هذه دعوه لدعم اليأس عن الإصلاح، وإنما يجب أن يكون تفكيرنا منصباً فى بديل، بدرجات فائقه عميقه علميه، أكثر من تفكيرنا فى الداء فقط. فمثل هذا القائل الذى يتصدر، تنظيم إسلامى عريق، من تنشئه الشيعة طبعاً.

الإشعاعات الإصلاحية هي دوماً من مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، لكن لننظر إلى البديل، هذا يقود تياراً إصلاحياً وله تداعياته على الدول الأخرى، له هذا التفكير، الذي يربط مصير السلطنة بمصير الإسلام، ومصير البلاد بمصير السلطنة. أحقّ هذا التعبير الذي يعبر به، ولسنا في محل نيز بالألقاب، فنحن بعيدون عن هذا، لكن أى سنه هذه؟ هل هي السنه النبويه أم سنه السلطان أم سنه الخلافه؟ وأى جماعه؟ فالمجتمع الدولي الآن جماعه! إن الجماعه هم من كانوا مع الحق، وإن قلوبا، وليست الجماعه هي الكثره، وإلا فالعرف الدولي السائد الآن هو الكثره الكاثره، وأكثر من المسلمين.

ليست السنه هي الجماعه والإجماع، إنما السنه سنه الحق، سنه النبي (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام)، وبعبارة أخرى، البرنامج الصحيح البديل، لا التعارف الموجود والرضا بالوضع السائد، ومعنى هذا، إن قلنا (سنه الجماعه)، فيعنى ذلك الإقرار بالوضع السائد!

فالمشكله عندهم إلى الآن، أنهم يخلطون في وعيهم وتفكيرهم السياسى بين مصير الدين والأمة ومصير السلطان، ويعتقدون أن مصير الأمة ونجاتها حلقه في عنق السلطان. هذا خطأ، إلى الآن، مع أن هذه حركات تحريره تنادى بالإصلاح.

كيف نكون مبشرين لنهج سيد الشهداء:

ملخص الحديث، هو أننا إذا أردنا أن نكون دعاة مبشرين لنهج سيد الشهداء، ولمدرسه أهل البيت - طبعاً نهج سيد الشهداء (عليه السلام) ونهج أهل البيت (عليهم السلام) فيه عطاء عظيم للبشرية، لكن من الذى يوصل هذا العطاء

وهذه الثروه التي صارت البشريه فى أمس الحاجه لها، ومن الذى يوصل هذه المحاسن؟ -.

عهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر والأمم المتحده:

عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الأشتر فى نهج البلاغه. ذكره الأمين العام للأمم المتحده (1) قبل ثلاث سنين، وأمام مجلس الأمم المتحده العام والجمعيه العامه، حيث قال: «أنا أقترح أن يكون عهد على ابن أبى طالب لمالك الأشتر أحد مصادر التشريع الدولى، لأن فيه فقره هزتنى إلى الأعماق: [الناس] - إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الخَلْقِ»، يجب أن تضع كل منظمه حقوقيه هذا الشعار كخطه عمل لها»، ما الذى ربط (كوفى عنان) بعلى ابن أبى طالب (عليه السلام)؟ ليس الدين ولا العرق ولا اللون ما الذى ربطه بعلى، إنما ربطه بأمر المؤمنين إعجاز تشريع أهل البيت (عليهم السلام)، ولم نصل نحن إليه.

ومن باب الشىء بالشىء يذكر أقول: إن أهل البيت (عليهم السلام) لا يقتصرون على جهد الشيعه ولا على جهد المسلمين فى نشر نورهم، فلهم أساليبهم الخاصه، لكن كلامنا هذا هو حول مسؤوليتنا نحن تجاه هذا المنهج العظيم، وهذه المدرسه العظيمه. وبعد مضى سنه، يصير الأمين العام للأمم المتحده على التصويت فى الأروقه الحقوقيه للأمم المتحده على هذا العهد بعد

ص: ١٣٠

١- (١) كوفى عنان، وهو مسيحي وغير عربى.

مدارسه فى لجان الامم المتحده الحقوقيه والقانونيه. وقد صوتت اكثره الدول على ان يكون عهد امير المؤمنين هو احد مصادر التشريع الدولى، وتم التصويت بعد ذلك على جملة من العهود فى نهج البلاغه، لتكون كمصدر فى التشريع الدولى.

الفاتيكان والصحيفه السجديه:

إحدى المؤسسات الدينيه فى قم المقدسه منذ ثلاثين سنه. أرسلت إلى بابا الفاتيكان آنذاك، الصحيفه السجديه باللغه الإيطاليه، فىأتى الجواب من قبل مكتب الفاتيكان، ويعترف فيها البابا بقوله: «إن الزخ الروحى والمعنوى والعرفانى الذى عند إمامكم السجاد، هو أكثر مما نجده عند نبينا النبى عيسى».

الفاتيكان والإمام الحسين عليه السلام:

مكتبه الفاتيكان، بأجنحتها المتعدده، هناك جناح خاص حول الإمام الحسين (عليه السلام)، وفيه كل الكتب التى كتبت حول سيد الشهداء بكل اللغات.

وهناك قول لمدير المكتبه حول ذلك: «إننا رأينا فى الحسين عنصراً تبشيراً عجباً وجذاباً، غير موجود لدينا فى طريقه التبشير، فحاولنا دراسته شخصيه الحسين، والدراسات قائمه عليها».

انتشار الثقافه المهدويه:

الثقافه المهدويه أيضاً آخذة فى الانتشار والتشبع فى العالم، وأستحضر الآن ما يذكره الخبير الأمنى الاستراتيجى (فرانسوا توال) الذى ألف كتاباً

باسم (الجغرافيا السياسيّه للشيعه (Shi Geo Politic) ، لم يتجاوز السنه تقريباً، وهو من الخبراء الكبار فى الأمن الاستراتيجى الفرنسى. يتحدث عن الشيعه ويقول:

إنّ مرادهم من الغيبه هى خفاء الإمام المهدي فى كيفيه حركته السياسيّه، لأن الخفاء أكبر عامل قوه يؤمن حيويه النشاط وحيويه الحركه وحيويه التدبير.

هذا الخبير الأمنى يفهم معنى شفره الغيبه فى علم الأمن، ويقول عن العداله المهدويه التى ينادى بها الشيعه: أنا أهيب بالساسه العالميين والمراقبين الدوليين، بأن هذه النظرية وهذه العقيدته مرشحه أن تنتشر بين شعوب العالم بين ليله وضحاها وتعتنقها المجتمعات المختلفه، وبأشد مما انتشرت الشيوعيه والاشتراكيه؛ لأن هذه النظرية متكامله، لا تضع ميزاً للعرق ولا القوميه...، وهى أنشوده الأمل البشرى الآن، فمن اللازم على هؤلاء المراقبين والساسه أن يتعرفوا على هذه النظرية وهذه العقيدته بعمق، وأن يتعاملوا معها بحذر؛ لأنها مرشحه لذلك.

ويقول فيما يقول: إننا لا يمكن أن نواجه مذهب التشيع عبر الفلسفات الغربيه وعبر الإنتاج الحداثوى - الهيرمونطيقى - الغربى، لأن هذا المذهب يجمع بين ثوابت الدين وبين استيعاب كل متغير وإعتماد الوحي فى فهم والعقل، ونبذ ما هو طالح فيه ورسم وإقامه ما هو صالح، ومن ثم فإن عمق فكر المذهب الشيعى ليس على النحو الذى نتصور أن نهاجمه من خلال فلسفه أو فكر معين؛ لأن فيه قابليه استيعاب كبيره للمتغيرات، فهو يجمع

بين هذه الثوابت الدينيه وبين تحكيم العقل فى قراءه كل المستجدات والمتغيرات، لنبد كل ما هو سىء منها وإقامه ما هو صالح. فمذهب أهل البيت (عليهم السلام) آخذ فى الانتشار، وإنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ حَتَّمَ أن هذا المنهج الصائب هو الذى يسود البشريه، تمهيداً للحجه (عجج الله)، لكن الكلام فى ماهى مسؤوليتنا ودورنا فى هذا الموقع.

علينا تجسيد أخلاق أهل البيت عليهم السلام فى عاشوراء:

إذا كان الموسم عاشوراء، فلا بد أن نجسد البطوله فى الأخلاق؛ لأنَّ أعضاء ملحمة كربلاء، كانت لهم بطوله فى الأخلاق، قبل أن تكون لهم بطوله فى الفروسيه والشجاعه. هل نقيم نحن مراسم عاشوراء بهذه النموذجيه؟ يجب أن نكون قدوه «دعاه للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاه والخير، فإن ذلك داعيه»^(١)؛ لأنَّ هذا الدين، دين عملاق وقيم وعظيم، فمن الذى يحمله للبشريه؟

نحن نعيش الآن فى عصر الإغراءات الشديده، وإن كنا نريد أن نكون بمستوى المسؤوليه، وبمستوى العصر، بمستوى هذه الحقبه البشريه، بمستوى هذه الرساله العظيمه فى هذه الحقبه، التى هى أصعب الحقب، الموطئه للإصلاح الشامل، إن كنا نريد أن نكون فائزين، علينا خلق إرادته قويه لدينا، مقابل الإغراء الشديد، نحتاج إلى رياضه روحيه شديده، وإلا كان

ص: ١٣٣

المصيد هو الانزلاق أمام الإغراء، وبدل أن نكون دعاه إلى أهل البيت (عليهم السلام)، نسب النفور عن مدرسه أهل البيت (عليهم السلام). والحال أنَّهم (عليهم السلام) خاطبونا، أن نتدارس فكرهم ونستنير ببصائرهم، ونتحمل هذا الفكر بخلقنا من أنفسنا نماذج أمثولة؛ لنجذب الناس بدل أن نبعدهم عن مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

فالمفروض في موسم عاشوراء أن نعيش حاله مثاليه روحيه فائقه جداً، بجانب تعايشنا حاله الحزن والبكاء ومُدارسه المدرسه الحسينيه، لكننا لا بد أن نتشدد في الجهات الأخلاقية أيضاً؛ لكي يكون انجذاب الآخرين إلى المرسم الحسيني وإلى المهرجان الحسيني كبير، ولا يكون رعاه ضيوف الاستقبال منفرين، وإن شاء الله هذا هو المأمول من الجميع، أن نجسّم أخلاقيات كربلاء، وأخلاقيات سيد الشهداء، الذي يتشدد في الصغيره والكبيره من المبادئ. هذا مسلم ابن عقييل، وهذا أبو الفضل العباس، وهذا على الأكبر، نماذج قمم روحيه في الأخلاق في كل خطواتهم، وحتى في حاله اضطراب الوضع العسكري والروحي والنفسي، لا يفقدون الأخلاقيات.

لاحظ شده المحنه، وشده الزلزال والبركان، عندما كان مسلم بن عقييل مهدداً في نفسه وفي مسيره سيد الشهداء، لكنه لم يتناس المبدأ، ف-

«الإسلام قيد الفتك»^(١)! ولم يبرر لنفسه بأنه: الآن في بركان، وفي هذه الحاله يدوس على المبادئ! هذا يحتاج إلى تنميه عظيمه، لكي نكون كنموذج

ص: ١٣٤

سفير الحسين (عليه السلام)، سفير هذه المدرسه. آتني بدعاه إصلاحيين كهكذا نماذج، يعيش الزلزال ولا يفقد توازنه ومبادئه وأخلاقياته! والنماذج كثيره فى كربلاء؛ ليخاطبوا الوجدان البشرى، فأنتم أيها الإصلاحيون إذا فُتنتم بالإصلاح والتغيير، لا تفقدوا الأخلاقيات، لا تفقدوا الشعارات ولا تفقدوا المبادئ.

إذا أردنا أن نلبس السواد - إن شاء الله نوصل ركبنا بركب سيد الشهداء - يجب حين ذاك أن نعيش هذه الأخلاقيات فى ظل هذا الجو، لكي نكون دعاءً للمدرسه الحسينيه، بدل أن نكون معوقين.

ولا نجسد هكذا أخلاق سيد الشهداء، ولا ندعو بسلو كنا القاصر إلى نهج سيد الشهداء، ومجيئنا إلى المراسم الدينيه الحسينيه لإقامتها وإقامه العزاء لجذب الناس لا لتنفيرهم وو تعكير صفو صوره سيد الشهداء، فيجب على ذلك أن نكون بقدر المسؤليه.

الفصل الثالث : الحسين (عليه السلام) حاضر و مستقبل لا ماضٍ فقط

اشاره

بقلم

إبراهيم البغدادي

ص: ١٣٧

الحسين عليه السلام حاضر ومستقبل لا ماض فقط

البكاء على سيد الشهداء عليه السلام:

هناك شعار للبكاء ذكره القرآن الكريم ويؤكد عليه الإمام زين العابدين (عليه السلام) فعن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: بكى على بن الحسين على أبيه الحسين بن علي (عليهم السلام) عشرين سنة أو أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعاماً إلا بكى على الحسين، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إنى أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: إنما اشكوا بشى وحزنى إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، إنى لم أذكر مصرع بنى فاطمه إلا خنقتنى العبره لذلك (١).

وفى روايه أُخرى: أشرف مولى لعلى بن الحسين (عليه السلام) وهو فى سقيفه له ساجد يبكى، فقال له: يا مولاي يا على بن الحسين أما آن لحزنك أن ينقضى، فرفع رأسه إليه وقال: ويلك - أو ثكلتك أمك - والله لقد شكى يعقوب إلى ربه أقل مما رأيت حتى قال: يا أسفى على يوسف ٢، إنه

ص: ١٣٩

١- (١) كامل الزيارات لابن قولويه: ٢١٢ الباب ٣٥.

فقد أبناً واحداً وأنا رأيت أبي وجماعه أهل بيتي يذبحون حولي(١).

ونلاحظ هنا أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) واجه نفس الموقف الذي واجهه النبي يعقوب (عليه السلام) في إنكار ونكير أبنائه عليه في البكاء والحزن الطويل على يوسف (عليه السلام)، وهذا الجواب الذي صدر من يعقوب (عليه السلام) أصبح شعاراً للبكاء، لأن القرآن الكريم يقص من أفعال وأقوال الأنبياء وغيرهم من الأوصياء ما يكون عبرة نعتبر بها، فعندما اعترض أبناء يعقوب حينما أبيضت عيناه من الحزن قالوا تَاللَّهِ تَفْتُو تَذْكَرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ٢ أجابهم (عليه السلام) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣ وهنا نلاحظ أن جواب يعقوب (عليه السلام) كان في جملتين:

الجملة الأولى: قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ فهو يريد أن يوضح لهم أنى لست أشكوا بئى وحزنى من الله بل إلى الله، والفرق واضح بينهما، فإنه لو كان حقيقه بكاءه ومنطقه أشكوا من الله فالشكايه هنا على الله - والعياذ بالله - وهذا نوع من السخط على الله عَزَّ وَجَلَّ وقدره، ولكن الشكايه هنا هى شكايه إلى الله يعنى نوع من التوجه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ لعرض هذه المحنه وهذه البليه والإستمداد والمدد والفرج من الله عَزَّ

ص: ١٤٠

وَجَلَّ، وبالتالي يكون البكاء الذى عنوانه هو الشكايه إلى الله وليس إلى المخلوقين هو نوع من الدعاء، ونوع من التوجه ونوع من السؤال، ونوع من ذكر الله ف- أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ هو نوع من ذكر الله لأنه توجه إليه سبحانه وتعالى وهذا نظير ما ورد فى دعاء الندبه

«وإليك أستعدى فعندك العدوى..»(١) يعنى طلب المقاضاه وبالتالي فإن هذا البكاء سوف يكون خطاب وحوار مع الله واستغاثه وتوجه إليه تعالى، فعندما يبكى الباكي فإنه يتوجه بألم وحزن يثته إلى الله ينفس عن آلامه وحسرتة عبد البارى تعالى، وأنه يا ربى ويا إلهى أن هذا الصفى من أصفيائك وأوليائك هكذا ظلم، وهذا بعينه مفاد الدعاء

«اللَّهُمَّ ألعن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد..»(٢). ومفاد

«اللَّهُمَّ رب الحسين أشف صدر الحسين» (٣).

البكاء نوع من الإصرار على مشروع التغيير والإصلاح الشامل:

هذا البكاء هو نوع من الطلب الملح والتوجه به إلى الساحة الربويه لينتقم من بناء وكيان ونظام الظالمين ومن مسيره اللا عداله، وفى نفس الوقت هو طلب من الله عَزَّ وَجَلَّ أن ينجز مسيره العداله على يد من أعدهم الله لأن يكونوا هم ذوى كفاءه وقدره إلهيه لقنوات العدل الذى يعجز عنه كل البشرىه وهذه قضيه مصيريه للأممه فى الأرض على يد خلفاء

ص: ١٤١

١- (١) دعاء الندبه، مفاتيح الجنان: ٥٣٧ ط. دار التعارف التاسعه.

٢- (٢) زياره عاشوراء.

٣- (٣) كامل الزيارات: ٤١٤.

الله فى أرضه وأولياءه وأصفائه.

فالبكاء يحمل نوع من هم المسؤوليه الكبيره إتجاه الدين الإلهى بل هو إقامه الدين من التوحيد والعدل فى الأرض على يد أصفياء الله وأولياءه من النبى وعترته صلوات الله عليهم.

ولا يخفى أن طلب الانتقام هنا ليس هو بمعنى التشفى النفسانى النابع من تراكم أحقاد، بل هو نسخ وإزاله أعراف الظالمين فى البشر واستبدالها بأعراف الصالحين أو بالمله الحنيفيه المتمثل بمنهاج النبى (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام)، وهذا ما تربينا عليه الشريعه والدين، وبالتالى هو إزاله البرائن والمفاسد التى عشعشت فى عادات وأعراف وسلوكيات المجتمع والبشر وإزاله الظلم عن الناس، ولكن ليس كشعار فضفاض، وإنما عبر أسس ونسيج برنامجى إلهى وهو النقمه والانتقام من الظالمين الذين هم عامل أساسى لبقاء كيان ونظام الظلم والفساد فى الأرض.

روى أنه لما قتل عبيدالله ابن زياد سجد على بن الحسين (عليه السلام) شكراً لله تعالى وقال: الحمد لله الذى أدرك لى ثأرى من عدوى، وجزى الله المختار(1).

ففرح الإمام زين العابدين (عليه السلام) من انتقام المختار ليس هو للتشفى النفسى الشخصى وإنما هو من أعراف بنى أميه التى تفشت فى العراق قد دكدت وأزيلت بانتقام المختار، لأن عناصر وأتباع بنى أميه بتواجدهم فى

ص: ١٤٢

١- (١) بحار الأنوار ج ٣٨٥: ٤٥.

المجتمع كانوا يربون ويفشون فيه النهج الأموى الذى هو نهج فساد وإنحاط أخلاقى، والعراق الذى هو بلد النبيين والصدّيقين كيف يكون مآله بلد فجور الامويين وفسوقهم ومجونهم؟!

ولكن عندما تقطع هذه الجذور الخبيثه منه فهذا هو معنى الانتقام وهذا يعنى ازاله عروق الفساد التى أصبحت متكثره ومتفشيه فى أعراف ونسيج المجتمع.

البكاء عباده:

فالبكاء عباده من العبادات التى نتقرب بها إلى الله، وهذا نظير الصلاة حيث نتوجه فيها وبها إلى الله، وكذلك الصوم حيث يتوجه به إلى الله، وكذلك الحج والزكاه والزياره فكذلك البكاء، ولذلك نرى القرآن الكريم يمدح البكاء إلا ما ندر، وعكس ذلك نرى الفرح والبطر إلا ويذمه القرآن إلا ما ندر، فالبكاء الذى يمتدحه القرآن هو كالصلاه التى يتوجه بها العبد إلى الله إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ، فَإِنِ الْإِنْسَانُ عِنْدَمَا يَبْكِي فَهُوَ يَتَوَجَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ شَكْوَى إِلَى اللَّهِ مِنَ الظَّلامه وتفشى الظلم ومن العدوان الذى اعتدى به على خلفاء الله وحججه وأوليائه الذين هم نور وطهاره وأمل فى إسعاد البشرى، فيخفت القلب والروح فى التوجه والشكايه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فمثلاً الطفل أو الضعيف عندما يبكى فإنه يتوجه ببكائه إلى قوى ويكون بكائه بمثابة نداء واستغاثة ودعاء واستنصار

لمن يوجه البكاء له فبكائه ليس يأساً ولكن طلب وإلحاح لإنجاز ما يريد.

فنفس البكاء هذا هو شكايه، ونحن البشر ضعفاء إتجاه قدره الإلهيه لا أتجاه المخلوقين الآخرين، ولذلك نرى أن يعقوب (عليه السلام) لم يقل لأولاده أشكو بئى وحزنى إليكم أنتم أيها الظالمون ليوسف وإنما إلى الله سبحانه وتعالى.

ومن خلال كل هذا يتضح أن الشكايه هي عبارته عن التماس ونوع تدمر من الظالمين ولكن هو بالتوجه إلى الحضرة الإلهيه، وهو نوع من الاعتراض على الظالمين لكن في معرض طلب المقاضاه الإلهيه ليكون تعالى هو الحكم، وبالتالي سوف يكون هذا البكاء منطوى على أمل وطلب الإصلاح ورجاء للمستقبل الواعد.

الجملة الثانيه: وَ أَعْلَمَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ فسرت هذه الآيه في الروايات بعدم اليأس وفي نفس السوره تفسير لها وذلك عندما جاء البشير بقميص يوسف حيث قال تعالى فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ١، يعنى رجاء الأمل والفرج والانتظار للغوث من البارى تعالى، فبكائه لم يكن أياس وليس حبط آمال وهمم بل هو تطلع إلى المشروع وطلب إنجازه من الله، وهذا هو عنفوان النشاط والحيويه والحركه والعمل وذلك بسبب الاعتقاد بمفاد وَ أَعْلَمَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أى

الاعتقاد والعلم بأن الله تعالى منه الفرج وحل كل عقده وشده لان الله تعالى لا يعجز عن شىء وهو قادر على كل شىء، فأنتم تقولون أن يوسف انتهى وانقضى عمره واندرس أما أنا فلا زلت أنتظر الأمل والفرج من الله وهذا التوجه والإلحاح فى الدعاء بأسلوب البكاء وبلغه الشكايه إلى الله تعالى كى يرفع هذه المحنه والبليه ويكشف هذه الغمه وبالتالي سوف يمدد بالشىء الموعود بالإنجاز إِنَّهُ لَا يَيْئَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ١.

ومن خلال هذا كله يتضح أن البكاء عباره عن استدعاء من الله أن ينجز ذلك المشروع الإلهى وبالتالي فهو إصرار على إصلاح وبناء ما تهدم وبناء ما لم يبنى فهو عنفوان الإصرار والثبات على الهدف والاستقامه.

فقه الشعائر الدينيه:

فقد يستدل فى ذلك الموضوع بلفظه أو معنى آخر لم يرد عنوان الشعائر فيه أصلاً ولم يرد فى الآيه أو الروايه مرادفه اللفظى، نعم المعنى لم يرد بتفاصيله وبخصوصياته، ولكن أجزاء منه وردت كثيراً فى العناوين الأخرى. كما فى مثال لفظ موضوع الشعائر فى تعالى: وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ٢، تضمن بعض وجزء مشترك مع معنى الشعيره والشعائر وإنما نذكر هذه الأمثله لكى يتبين كيفيه أن المعانى تفتق وتحلل، وإذا كان الباحث

لا يخوض فى بطن المعنى ويفككه ويفصله فمن الأفضل له أن لا يخوض فى الأستدلال ولا يدعى التحقيق العلمى أصلاً.

فمثلاً إن الشعيره أو الشعائر معناها العلامه، وهذا المعنى نفسه يشترك مع لفظ ومعنى الأسم والوجه والوجه والآيه كما بيّنا ذلك سابقاً.

إذن الشعيره على شؤون الذات الإلهيه، أى هى مضافه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وهذا معناه العلامات إلى الله وكل المفسرين والفقهاء قالوا المضافه إلى دين الله أى شعائر دين الله، فلا بدّ من الخوض فى التحليل أما قفل سطح الألفاظ فهذا ليس إستدلال ولا إجتهد بل يكون هذا شبيه بالحفظ لألفاظ محفوظه.

٢ - فى القاموس: أشعره الأمر: أعلمه، أشعرها: جعل لها شعيره، وشعار الحج: مناسكه وعلاماته، المشعر: موضعها أو معالمها التى ندب الله إليها. ابن فارس: الإشعار: الإعلام من طريق الحس، المشاعر: المعالم وهى المواضع - الحسيه - التى أشعرت بالعلامات.

القرطبي نقلاً عن بعض اللغويين: كل شىء لله فيه أمراً شعر به وأعلم يقال له: شعار، الشعار العلامه، أشعرت: أعلمت.

الآن السلفيه يقولون المواليه التى نحتفل بها كمولد النبى (صلى الله عليه و آله) بدعه، فلنفهم ما هو معنى البدعه أو الخدعه، وما هو معنى السلعه والدين، وما شابه ذلك. الشعيره هى العلامه على دين الله، والعلامه تطلب دلالة على ذى العلامه، وذى العلامه مضافه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

فشعائر الله علامات على دين الله فأى منهما المَجْعُول دين الله أم العلامات، وهنا تساءل آخر شعيره الله تعنى شعيره دين الله عَزَّ وَجَلَّ، وهى علامه على دين الله، والدين من جعل الله أى تشريع الله عَزَّ وَجَلَّ ولا ريب فى أن دين الله هو الذى شرعه البارى تعالى: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا ١.

إذن إضافه الشعائر إلى الله عَزَّ وَجَلَّ لأن ذى الشعيره وهو الدين مضاف إلى البارى تعالى، ومنه فرض الفرائض وشرع الشرائع: لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا ٢، ثم نأتى إلى العلامه أو العلائم الداله على دين الله، من أين أتت عظمه هذه العلامه كما فى قوله تعالى: ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ٣، يعنى يعظم العلامه، وهذا التعظيم لأجل عظمه الدين، فالدين معظم عند الله عَزَّ وَجَلَّ: فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٤ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ٥ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ

الْقِيَمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ ١.

فالبارى عَزَّ وَجَلَّ يشيد بالدين، فإذا أشدت أنت بالدين فأنت حينئذ تشيد بالعلامه على الدين، إذن منشأ تعظيم العلامه هو لتعظيم ذى العلامه، وحينئذ يأتى التسؤل: هل هذه العلامه لا بد أن تكون مجعوله من قبل الشرع، لأن الدين مجعول من قبل الشرع، فالمعاني هى التى تدلّ عليها الشعيره أو العلامه، فالدين مجعول من قبل الله تعالى وتعظيم الشعيره أو العلامه هو بسبب تعظيم ذى العلامه. والدلاله والبدال يجوز أن يكون بوضع من العرف، فإن عالم الدلالات يتحقق بالتواضع التوافقى فيما بين العرف العقلانى علقه جعليه بين الدال والمدلول.

وقد تكون هذه الرابطه أو هذه الدلاله مجعوله من قبل الله عَزَّ وَجَلَّ كما جعل البدنه من شعائر الله: وَ الْبُذُنَ جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ٢ أى علامات للحج.

شعيره الأذان:

أيضاً جعل الله عَزَّ وَجَلَّ الأذان شعيره للصلاه، فإن شعيره الصلاه علامه داله على الدين، أى فصل من الدين للبارى تعالى، فالأذان هنا أصبح علامه للصلاه، وفى نفس الوقت هو نداء للصلاه.

ص: ١٤٨

إذن الأذان شعيره على الصلاه، وهذه الشعيره وضعها الله عَزَّ وَجَلَّ وشرعها، ولكن ليس من الضروري أن تكون العلامه دلالتها على الدين من وضع الشارع، فقد تكون هناك علامات هي من وضع العرف وبالتالي تكون هذه العلامات من الشعائر، مثل القيب، فإن كل مذاهب الفقه الإسلامى ليس لها أى مستند للقب لا من الآيات ولا من الروايات، ولكن الآن القبه صارت علامه على المساجد، وهذه العلامه - القيب - أتخذها المسلمون وجعلوها دلالة على المسجديه، وبالتالي أصبحت شعيره دينيه لأنَّ المسجد من دين الله.

وهذا الباب الأحتفال بميلاد النبى (صلى الله عليه و آله) هل يلزم أن يكون بالأمر الخاص بالأحتفال من الشارع أو يكفى أن الشارع قد عظم المعنى.

فإذا عظم المعنى فإن هذا يدل على التعظيم تلك العلامه الداله على ذلك المعنى، لأن تعظيم العلامه ليس لأجل العلامه وإنما تعظيم العلامه نابع من تعظيم ذى العلامه قال تعالى: ذَلِكَ وَ مَنْ يُعْظَمُ شَعَائِرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ۝١، وكذلك قوله تعالى: وَ الْيَدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ، فإن كل هذا تعظيم للدين وذلك بأعتبار أن الشعائر علامات ومعانى على الدين، فإن كل هذا تعظيم للدين، وذلك بأعتبار أن الشعائر علامات ومعانى على الدين.

إشاره

إن زياره الأربعين هى عباره عن مهرجان إلهى تعبوى يتم فيه نوع من دخول البشر فى النور، وبالتالى يدرّبون على التضحيه فى سبيل القيم والمبادئ ومن ثم على رفعه معدن الذات والطينه الإنسانيه، فبدل أن تكون خسيسه، دنيئه، دنيه، أسيره للشهوات أو للغرائز أو للدنيا أو لحب البقاء، وبدل أن تكون ذليله ورهينه السفاسف سوف تتصاعد وتحلق إلى المعالى، وتبنى شخصيه الإنسان فى هذا المعسكر، وتتشبع فيها القيم والمعالى والفضائل والعزه.

ولذلك نرى كل المراقبين الدوليين المترصدين - ومن مصادر عديده - يقرون بأن هذه الزياره الملايينى هى أكبر معهد ومعسكر تدريب للنفس البشريه بشكل عظيم، حيث يدرّبها على التضحيه والفداء والعطاء. بحيث أى دوله كبرى لو أرادت أن تعبئ شعبها ولو لشرائح قليله منه استعداداً لحرب - مثلاً - أو حرب طوارئ التى تطرأ على البلد فلا تستطيع أن تجند إلا القله القليله وبالتريغيب والترهيب، بينما فى زياره الحسين (عليه السلام) نجد الملايين من البشر، بل زحف بشرى ملايينى وطوعى من نفس البلد ومن خارجه، فما هذه القدره فى التعبئه؟!

زياره الأربعين والمراقبه الدوليه:

إنّ كل المراقبين الدوليين على وجل وخوف من هذا المهرجان العبادى

الروحي العملاق، لأن هذه الوقود والقدره فى التعبئه المليونيه والسنوويه لا- يمتلكها أكبر نظام على وجه الأرض، ولا أى دوله عظمى ولا الوسطى ولا الدول الأخرى، بل حتى الدول الإسلاميه بل وبصراحه حتى النظم الشيعيه لا تمتلك هذه القدره وبشكل لا ملل ولا كلل، وإنما الذى يمتلك هذه القدره والوميض والمحرك هو الإمام الحسين (عليه السلام) وبشكل طوعى ليس فيه أى ترغيب أو ترهيب، بل فيه المخاطر والتضحيه بالنفس والمال للزائرين المشاه بسبب الإرهاب الحاقده الأعمى البغيض.

فقد ذكر عده من الأ-خوه من ذوى الرصد والمتابعه أن بعض الدوائر الغربيه تجرى دراسه خاصه سنويه عبر إذاعاتها ومواقعها وعبر الانترنت حول ما يفعله الخطباء والرواديد من تأثير فى نفوس الشباب.

زياره الأربعين والنظام البائد:

وقد كان النظام البائد - كما جاءت الأنباء والمصادر بذلك - يستعرض فيلما وثائقيا عن هذه الظاهره الحسينيه على أعضاء القيادة القطريه قبل سقوط النظام العفلقى بأشهر، وأخذ يستنطقهم ويستدرجهم لأخذ آرائهم فى كيفيه قمع هذا البركان الحسينى، فتخوف كل أعضاء قيادته ولم يجيبوا بشىء لا نفيًا ولا إثباتًا خوفًا من غطرسه طاغيتهم، وبعد ذلك أجابهم أن هذا الزلزال الحسينى لم يهدأ أبداً ولكنى فى السنه القادمه سوف أفعل ما أفعل، وأخذ يتهدد ويتوعد بقطع الأيدى والأرجل والأذان - ولكن يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ

وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ١.

فالذى كان يقرف العفالفه وطاففهم العفن فوفاف ووفلاً ومن وراف نظامهم فواف فولفه كالفره هف المخططه لهفاه الأمور هو أن هفاه الففاره الففوفه الففسفنه رغم إرفاههم لم فسففففوا أن فوففوا الفرفب على الشفاعة والفراه الموفوفه فى معسكر الففسن (علىه السلام) فالعراق هو قلب الشرق الأوسط وهو مفرق ففرافى إلى قاره آسفا وأرففقا فبالفالى هو مفرق الففصارات والأفان ومفصل لكل شىء؁ وهو قلب نابض والففسن رابط فى هفا القلب وكل هفاه الففارات الففوفه موفوفه عنفه (علىه السلام).

المشروع المهدوى قائم بالمشروع الففسنى:

ومن فلال ما سبف فإنّ الففسن (علىه السلام) هو الفاصر لولفه المهدى (عفف الله) وهو الذى فعد العفه له (عفف الله) لأنّ هفا الفرفب الروفى وهفاه الفرفبه الروففه وهفا الفناء الروفى الإنسانى لأفبال المؤمنف ففم ففب الففسن (علىه السلام) فهو الذى فوطىء للظهور ولنصره ولفه المهدى (عفف الله) ومن هنا فسففف أن نقول أن المهدى ففصر بالففسن (علىه السلام)؁ وهفاه نقطه مهمه.

والنقطه الأخرى أن المشروع المهدوى لا- فقوم له قائمه بفون الففسن (علىه السلام)؁ وبعباره أخرى أن ولاء المؤمنف للإمام المهدى (عفف الله) ففشعب عن ولائهم واستماتتهم وموفدتهم بففه الففسن (علىه السلام) ولفس العكس؁ وهفاه النقطه ففبن

ص: ١٥٢

موقع الاعتقاد بالإمام الحسين (عليه السلام) وكيف هو متقدم على موقع الاعتقاد بالإمام المهدي (عجج الله) ويشير الى مراتبهم (عليه السلام) ما فى الزياره

«لعن الله أمه دفعتمكم عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التى رتبكم الله فيها»، فإعتقاد المؤمن أولاً بالله وبالنبى (صلى الله عليه و آله) هو الذى يدعوهم لنصره الإمام المهدي (عجج الله)، فكذلك اعتقاد المؤمن بأمر المؤمنين أولاً هو الذى يدعوهم لنصره الإمام المهدي (عجج الله) ثانياً. وهنا كذلك فاعتقاد المؤمن بالإمام الحسين هو الذى يكسبهم الولاء للإمام المهدي (عجج الله) فواضح أن المشروع المهدوى قائم بالمشروع الحسينى، وبعبارة أخرى أيها المهدويون يا عشاق المهدي (عجج الله) ويا عشاق الظهور والفرج بابكم الأوسع لنصره الإمام المهدي (عجج الله) ولإقامه المشروع المهدوى هو مشروع الحسين (عليه السلام) والشعائر الدينيه وهذا أمر عظيم جداً يجب الالتفات إليه، ومن ثم فزياره الأربعين هى بنفسها وبحجمها الملايينى هى تربيته على الإعداد للظهور وللمشروع المهدوى.

المراقبه الدوليه لزياره الأربعين:

هناك مصادر موثقه وموجوده ولكن بما أن البحث بحث معرفى فسوف نعرض عن ذكر التسميات حتى لا يأخذ البحث مسارات أخرى.

هناك مراقبون دوليون يراقبون الظاهره المسيريه الملايينيه التى يخرج لها شعب بأكمله ومن جميع المحافظات، بحيث تفرغ أغلب هذه المحافظات عن بكره أبيها، فلو نلاحظ أى تجمع بشرى الآن وفى أى مدينه حتى من البلدان المتحضره صناعيا وتقنياً كالغرب وغيره أنهم كم يحتاجون لأجل

تجمع بشرى ما من ناحيه البعد الأمنى إلى مؤونه لحراسه هذا التجمع، وكيف يتم تدبير الرعايه الصحيه، الرعايه المروريه، رعايه التموين الغذائى، الرعايه الأمنيه من داخل التجمع ومن خارجه، الرعايه فى جدولہ البرامج، الرعايه الإداريه فى تنسيق هذه البرامج بين بعضها البعض، الرعايه البلديه وغير ذلك، وبعباره أخرى مرافق الدوله بوزاراتها الخدميه وغير الخدميه وحتى السياديه لا تستطيع أن تنظم مثل هذه الظاهره الملايينه إذا كانت فى بقعه ومنطقه واحده فكيف إذا كانت منتشره على جميع الطرق من المدن المختلفه التى تؤدى نهايتها إلى كربلاء الحسين (عليه السلام) ولعده أيام أو أسابيع.

فنظم هذه الأمور فى علم الإدارة، العلوم الإستراتيجيه، العلوم البلديه، علوم إداره المدن لو تمت هذه العلوم فى نظم هذا المجموع ورعايته فلا تستطيع السيطرة عليه بل هو خارج عن قدره الدوله تماماً، فمثلاً الحج قد يصل عدد الحجيج فيه إلى ثلاثه ملايين ولأيام معدوده وفى داخل بقعه جغرافيه محدوده وهى مكه المكرمه والمشاعر، وفى كل هذا التطور الحاصل فيها من الأبنيه والمرافق والمرور تقع فيها الضحايا والشكاوى وغير ذلك، فكيف بالانتشار البشرى الذى يمر عبر طرق بين المدن والصحراء وبمسافات تقدر بمئات الكيلومترات، فكيف يمكن لدوله أن تنظمه، والحال أنه ليست الدوله هى التى تنظمه وإنما هو ينظم تلقائياً من المؤمنين.

أحد الرموز ذكر أن مسؤول القوات المسلحه للشرق الأوسط للإداره الأمريكيه راقب هذه الظاهره والمظاهره الحسينيه عبر الأقمار الاصطناعيه لمدته أسبوعين أو أكثر وبث مباشر فأنبهر وقال: أنا اعترف أنتم - الشيعة - أكثر

تحضراً بالمقاييسه مع الأحداث التي تقع في نيويورك أو باريس.

وهذا واقع وليس فيه أى تعجب، لأنه راقب الحدث مباشرة فلم ير أى فتنه أو قتال أو عراقك أو اصطدام أو إرباك، حسب ما يقول، في حين سمعنا وربما البعض منا شاهد ذلك أن الكهرباء أنطفأت لدقائق قليلة في الدول المتحضرة في الآليات التقنيه المعدنيه والصناعيه كالغرب فأختل الوضع الأمنى حيث حصل سطو وسرقات، بينما هنا في زياره الأربعين لم يحدث أى شىء من هذا القبيل، وهذا ليس بصدفه بل هو إعجاز ولكن لا الإعجاز بمعنى أن نرى يد من الملكوت وإنما نفس برامج قيم وتعاليم أهل البيت (عليهم السلام) لحقايق القرآن هي إعجاز، فإن نور تربيته أهل البيت (عليهم السلام) إعجاز، معارف وآداب أهل البيت (عليهم السلام) إعجاز.

زياره الأربعين والمدينه الفاضله:

إنَّ معسكر الأربعين هو عبارته عن تجسيد المجتمع والمدينه الفاضله أمام مرأى البشر، وهذا التجسيد يتجدد في كل عام من قبل المؤمنين، وأحد تفسيرات المدينه الفاضله التي فسرت من قبل الحكماء وأصحاب العلوم الاجتماعيه هي التي لا تحتاج إلى رئيس وموجه، فكأنما البشر فيها قد وصلوا إلى مرحله البلوغ العقلي والروحي والإدارى والعلمى، فإن نسيجهم الطبيعي هو الذى يدبر نفسه بنفسه، وهذا في الحقيقه هو غلبه العقل والنور على الغرائز، لأن الغرائز الهابطه الأرضيه كما يصفها القرآن الكريم وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَى

حِينَ ۱ منشأها هو الحرص والطمع وهذا ما بينه الكتاب الكريم قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۲.

فإذا كان العقل والنور والقلب يطغى فسوف تكون هناك جنة وأمان، ولهذا السبب نرى أكثر الحكام الجبابرة والأنظمة الحاكمة على مذهب أهل البيت يتخوفون من هذه الظاهرة الحسينية وهذا ما أشارت إليه التقارير الدولية التي تراقب هذا الحدث بخفيه وغير خفيه.

فلا يمكن أن ننظر إلى زياره الأربعين كطقوس عباديه محضه بقدر ما هو عباده بناء مجتمع وبناء رؤيه ثاقبه، ومرآه ناصعه للبشرية.

فلو نلاحظ مفهوم التكامل ومفهوم التضامن وكل المفاهيم الأخلاقية وليس على الصعيد الفردي والأسرى بل على الصعيد المجتمعي تتجسد في زياره الأربعين، كحل الأزمه الاقتصاديه، وحل الأزمه الأمنيه، وحل الأزمه العنصريه والتميز العنصرى وغير ذلك من الأمراض الكثيره التى تعانى وتقض من مضجع البشريه كل هذه الأزمات حلولها فى مدرسه ومنهاج الحسين (عليه السلام) فتعالوا واشهدوا هذا المجتمع الفاضل والمجتمع النورى، والذين يعيشون أيام مسيره الأربعين يعيشون فى الواقع حاله الصفاء الروحى والنورى ويتمنى كل فرد منهم أن يعيش هذه الحاله طول عمره.

ولهذا نرى المؤمن إذا دخل فى معسكر هذه الأجواء للشعائر الحسينيه

يعيش حياه هذا المجتمع النورى الفاضل ولكن إذا رجع إلى مدينته أو بيته وتناسى الحسين (عليه السلام) فبقدر ما نبتعد عن الحسين (عليه السلام) نبتعد عن هذا النور وعن هذه الجنه والجنان والمثاليه، وبقدر ما نعيش ونقبل على الحسين (عليه السلام) نعيش هذه الجنان الحسينيه كما روى عنهم (عليهم السلام): من أقبل علينا أقبلنا عليه ومن أدبر عنا أدبرنا عنه.

فبقدر ما يقبل المؤمنون على مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) يعيشون الصفاء والنور والثمار، وفي نفس الوقت يجسدون حاضره متمدنه لم تشهدها إلى الآن البشريه، فهناك تحدى بين قياده سيد الشهداء وتأثير سيد الشهداء وتربيته سيد الشهداء للبشريه وبين كل الحضارات والأنظمه والمدارس البشريه وكل المصلحين البشريين بما فيهم المسلمين والمؤمنين.

فلا يوجد أى مصلح غير الحسين (عليه السلام) يمكنه أن يربى ويصهر النفوس على مسار ذهبي ولو كان عالماً مؤمناً.

الحسين عليه السلام أسوه قدماً:

ففى حديث عظيم لأمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يصف ولده الحسين (عليه السلام): يا أبا عبد الله أسوه (١) أنت قدماً (٢).

يعنى أنت منذ القدم أسوه وقدوه حتى للأنبياء والرسل، وهذه منقبه

ص: ١٥٧

١- (١) الأسوه: القدوه، وما يأتسى به فى الاستقامه أمام الشدائد والبلايا، أى ثبت قديماً أنك أسوه الانبياء والخلق يقتدون بك، أو يأتسى بذكر مصيبتك كل ممتحن مبتلى بالصعاب.

٢- (٢) كامل الزيارات: ١٤٩، الباب ٢٣/ ح: ٣.

ومعجزه لسيد الشهداء (عليه السلام) كما أنه برهان عصرى نشهده الآن، فباب الحسين (عليه السلام) وسفينته أوسع وأكبر، وما نشاهده الآن فى المجتمعات البشرية المضرم فيها التكالب والتطاحن والحروب والعداوات واللى تأن من الظلم الاقصادى بسبب الأزمه المالیه الراهنه الآن، ومن الظلم والتميز الهمجى، وكل الأنظمه اللى حكمت وجاءت بالاشتراكيه والرأسماليه والشيوعيه والديمقراطيه إلى الآن لم تقدم أى حلول لهذه الأزمت، وفى ظل هذا نرى هناك بيعه وانقياد بشرى طوعى سلمى سلس وسنوى لسيد الشهداء (عليه السلام) والقريب والبعيد والعالم وغير العالم تأثر فى هذه المدرسه وفى هذه الدوله اللى رقعته النفوس والبشر وليس الجغرافيه، هذه الدوله قائمه ومبنيه على يد سيد الشهداء (عليه السلام) فكم هى قدره قياده الإمام الحسين (عليه السلام) للمجتمعات.

وقول أمير المؤمنين (عليه السلام) يا أبا عبد الله أسوه أنت قدماً يعنى أن الحسين (عليه السلام) تأثيره ليس فيما بعد واقعه عاشوراء بل قبل، حيث علم به الأنبياء والأوصياء، فماذا صنع بهم الحسين لكى يكون لهم أسوه؟!

حيث أن الله عزَّ وَجَلَّ كان يوحى ويقص على الأنبياء ما يجرى على سيد الشهداء (عليه السلام) فى واقعه عاشوراء لكى يعضهم ويربيهم على الصبر(1) وعندما يستعرض لهم واقعه عاشوراء كان يأخذهم بالبكاء، وهذا نوع من الآليه والبرنامج التربوى من الله عزَّ وَجَلَّ لأنبيائه كى يكامل بهم إلى المعالى، ومن هنا كانت مواقف سيد الشهداء فى الطف اللى هى بالقياس للأنبياء مستقبل.

ص: ١٥٨

١- (١) راجع بحار الأنوار ج ٢٢٢: ٤٤، الباب (٣٠) إخبار الله تعالى أنبيائه ونبينا (ص) بشهادته.

وبذلك أصبح سيد الشهداء (عليه السلام) بهذا التقدير من الله عَزَّ وَجَلَّ منذ القدم إماماً للأنبياء والرسل لما سيقوم به، وليس يقتصر ذلك على جانب الصبر والتحمل في الدين وجانب الإخلاص والخلوص وغير ذلك من الكمالات العظيمة، ولكن أيضاً أحد الجوانب الأخرى وهو أن بكاء الأنبياء على سيد الشهداء (عليه السلام) نفسه هو برنامج تربوي روحي، فكما سيكون خوفاً من الله فبكائهم حزناً على الحسين يكامل ذلك البكاء، لأن البكاء يوجب رقة الروح، ويوجب تواضع الإنسان، ويوجب كبح هيجان الغرائز بل له فوائد للعقل لأن العقل يعمى بالشهوه، هذا بالنسبة إلى الأنبياء.

وأما بالنسبة إلى الأئمة (عليهم السلام) فقد تظالعتنا الروايات المستفيضه أن سيد العابدين (عليه السلام) قضى أربعين سنة من عمره في البكاء على أبيه الحسين (عليه السلام) حتى عد أحد البكائين الخمسة.

فعن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: البكاؤون خمسة (آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين) وأما على بن الحسين (عليه السلام) فبكى على الحسين عشرين سنة أو أربعين سنة وما وضع بين يديه طعام إلا بكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله): إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون إني لم أذكر مصرع بني فاطمه إلا خنقتني لذلك عبره (1).

ص: ١٥٩

فقد صنع الإمام الحسين (عليه السلام) لأبنة السجادة (عليه السلام) جواً تربوياً وقلب حياته إلى رياضته ذكر الله تعالى عبر توجهه بالبكاء على أبيه إلى الله تعالى وهي أسلوب للشكايه من الظلم بتوجيه الشكايه إليه تعالى.

بل لنترفع أكثر، هناك روايات ومن مصادر الفريقين قد أحصاها الشيخ الأميني (١) في خمسه عشر مجلس أقامه النبي (صلى الله عليه و آله) بكاءً على سيد الشهداء (عليه السلام) وكذلك السيد شرف الدين (٢)، فقد أقام النبي (صلى الله عليه و آله) يوم ولادته وقبلها ويوم السابع من مولده وبعده في بيت فاطمه وفي حجرته وعلى منبره وفي بعض أسفاره وتاره يبكيه وحده، ومره هو والملائكه، وأحياناً هو وعلى و فاطمه، وكان النبي (صلى الله عليه و آله) يجهش في البكاء، فبكائه (صلى الله عليه و آله) تعالى روي، وان كان سيد الأنبياء أعظم شأناً من سيد الشهداء ولكن نور الحسين يؤثر على نفس النبي (صلى الله عليه و آله) كما أن نور النبي (صلى الله عليه و آله) أعظم من نور الحسين ولكن نور الحسين (عليه السلام) يؤثر على بدن النبي (صلى الله عليه و آله) ويؤثر على النفس النازله للنبي (صلى الله عليه و آله) يعني

«حسين مني وأنا من حسين» ولا يخفى أن بدن النبي (صلى الله عليه و آله) وروحه ونفسه أعظم من بدن وروح الحسين (عليه السلام) لكن نور الحسين (عليه السلام) إذا قيس إلى النفس النازله للنبي (صلى الله عليه و آله) حسب بيانات أهل البيت (عليهم السلام) هو قبل مقام النفس النازله للنبي (صلى الله عليه و آله) صدوراً في عالم الخلقه لأنه أول ما خلق الله نور النبي ثم نور على ثم نور فاطمه ثم نور الحسن

ص: ١٤٠

١- (١) سيرتنا وسنتنا للعلامه الأميني صاحب كتاب الغدير.

٢- (٢) المجالس الفاخره في ماتم العتره الطاهره.

ثم نور الحسين ثم الأئمة التسعة المعصومين (عليهم السلام) (١).

وهذا شبيه ما ذكرناه فى مقامات فاطمه الزهراء (عليها السلام) بالنسبه لتسميه النبى (صلى الله عليه و آله) لفاطمه (عليها السلام) بأم أبيها، فكيف تكون السیده الزهراء (عليها السلام) أمّاً لأبيها المصطفى وهو أبوها وسيدها، فإن نورها شىء والنفس النازله للنبي (صلى الله عليه و آله) شىء آخر.

وهكذا الأمر فى القرآن والعترة، ففى بعض الروايات أن القرآن هو الثقل الأكبر، وفى بعضها أن العتره هم الثقل الأكبر، وهذا ليس تناقضاً فى الروايات وإنما كل طبقه صفتها هكذا، فهناك طبقات فى العتره إذا قيست مع الطبقات النازله من القرآن فإن العتره هى الثقل الأكبر، والطبقات العليا فى القرآن إذا قيست مع الطبقات النازله فى العتره فالقرآن هو الثقل الأكبر، وإن كان من حيث المجموع سيد الأنبياء هو سيد الأنبياء، ولذلك ورد فى الروايات

«يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك ولولا على لما خلقتك ولولا فاطمه لما خلقتكما» (٢).

وهذا ليس معناه تفضيل فاطمه على النبي وعلى أو تفضيل على على النبي (عليه السلام) - والعياذ بالله - وإنما المقصود هو ما بيناه سابقاً، وهذا نظير

«على

ص: ١٤١

١- (١) بحار الأنوار ج ١٤٢: ٥٣.

٢- (٢) مجمع النورين للمرندي: ١٤.

منى وأنا من على»(١)و

«حسين منى وأنا من حسين»(٢)وورد

«حسن منى وأنا من حسن».

إذن تداعيات نهضة الحسين (عليه السلام) أورثت للنبي (صلى الله عليه وآله) حالات روحية خاصة، وإلى الآن يقيم النبي (صلى الله عليه وآله) وعلى وفاطمه وذريتهما الرثاء لسيد الشهداء (عليه السلام) بل يزورونه هم وجميع الأنبياء، فإن أرواح النبيين (عليهم السلام) تستأذن الله فى زيارته فيأذن لهم كما ورد ذلك فى الروايات(٣).

وهكذا صنع سيد الشهداء (عليه السلام) مع باقى الأئمة (عليهم السلام) حتى قال الإمام المهدي (عجج الله):

«فلأندبنك صباحاً ومساءً ولا بكنين عليك بدل الدموع دماً» فلم يزل سيد الشهداء أسوه قدماً من الزمن الأول وإلى الآن كما ورد فى قول أمير المؤمنين له، وإذا كان هذا صنع الحسين (عليه السلام) بالمعصومين الأربعة عشر فكيف صنعه بالأنبياء السابقين، فحقاً كان سلوه وأسوه لهم فى الصبر والتحمل والزهد فى الدنيا وهو قول أمير المؤمنين (عليه السلام) يا أبا عبدالله أسوه أنت قدماً.

الحسين هو الذى يحكم العراق والبلدان:

الحسين حاكم القلوب:

فالحسين (عليه السلام) الذى قد أستشهد قبل أربعه عشر قرناً لا زال مسيطراً على النظم البشرية وعلى المجتمع البشرى أقوى من سيطره أى نظام فى

ص: ١٦٢

١- (١) روضه الواعظين: ١١.

٢- (٢) كامل الزيارات: ١١٦ ح ١٢٧.

٣- (٣) التهذيب ج ٤٩: ٤٠٠، الوسائل ج ٣٦٥: ١٠٠، نور العين: ١٠٠.

العالم، وهذا ما نشاهده الآن في زياره الأربعين، حيث يخرج زمام الأمر من يد الدوله ويكون بيد الحسين (عليه السلام) وهذا ما قاله بعض المسؤولين من أن الحسين (عليه السلام) هو الذى يحكم العراق خلال زياره الأربعين.

ولو أطلق الفضاء للشعوب الأخرى حتى الغربيه إذا أطلق سراحهم عن سيطره أنظمتهم لرأيانهم ينجذبون وينقادون للحسين وما تمليه مبادئ الحسين وقيم الحسين والجو التربوى لسيد الشهداء لعاشت البشريه فى الجنان لأنه (عليه السلام) يحكم القلوب إلى الصفاء، وليست البشريه وحدها تنقاد له (عليه السلام) بل حتى الملائكه فعن أبى عبدالله (عليه السلام) قال: ليس من ملك فى السماوات والأرض إلا وهم يسألون الله عَزَّ وَجَلَّ أن يأذن لهم فى زياره قبر الحسين (عليه السلام) ففوج ينزل وفوج يعرج (١).

المشى إلى العباده عباده:

وهذه قاعده فقهيه وهى أن المشى إلى العباده عباده (٢)، فهناك نصوص خاصه تدل على أن السير إلى سيد الشهداء كالسير إلى زياره أمير المؤمنين (عليه السلام) وبقية الأئمه وله فى كل خطوه حجه وعمره وهذه بعض النصوص:

عن بشير الدهان عن أبى عبدالله (عليه السلام) فى حديث له قال: فقال: يا بشير إن الرجل منكم ليغتسل على شاطئ الفرات ثم يأتى قبر الحسين (عليه السلام) عارفاً

ص: ١٦٣

١- (١) كامل الزيارات: ٢٢٣.

٢- (٢) قد أشار إليها الشيخ الأستاذ فى بحث الحج على العروه الوثقى ولكن قرر الآن بعض الأخوه الأعزاء هذه القاعده بشكل أوسع من السابق. راجع الفصل الرابع.

بحقه فيعطيه الله بكل قدم يرفعها أو يضعها مائه حجه مقبوله، ومعها مائه عمره مبروره، ومائه غزوه مع نبي مرسل إلى أعداء الله وأعداء الرسول(١).

وأيضاً عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: ما عبد الله بشيء أشد من المشى ولا أفضل منه(٢).

حرمه مناسبه وموسم الأربعين:

وهناك قاعده شرعيه أخرى وهى أن حريم أى مناسبه شرعيه لا- يقتصر تبجيلها وتعظيمها بيوم تلك المناسبه بل ما قبلها وما بعدها أيضاً لهما نفس حرمه ذلك اليوم، وهذا شبيه بحرمه الموقع الجغرافى المقدس مثل الكعبه جعل لها المسجد الحرام حرمه لها ومكه حرمه للمسجد والحرم المكى حرمه لمكه والمواقيت حرمه للحرم المكى.

وهكذا حرم المدينه المنوره جعل لها النبي (صلى الله عليه و آله) حرم فهى تحيط بالمسجد النبوى.

وهكذا مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث ذكر الشيخ الطوسى (قدس سرّه)(٣) أن الصلاه عند أمير المؤمنين (عليه السلام) من ناحيه القصر والتمام كالمساجد الأربعة التى يتخير فيها المسافر بين القصر والتمام، وعلل ذلك إن تمام الصلاه فى

ص: ١٦٤

١- (١) الكافى ج ٥٨١: ٤، كامل الزيارات.

٢- (٢) وسائل الشيعه ج ٧٨: ١١.

٣- (٣) المبسوط ج ١٤١: ١.

مسجد الكوفة لأنها حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) والقبر هو موضع الحرم ومركزه.

فعن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال: من مخزون علم الله الإتمام في أربع مواطن: حرم الله وحرم رسوله وحرم أمير المؤمنين وحرم الحسين ابن علي (عليهم السلام) (١).

وأصل حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) مرقده وفي شعاعه مسجد الكوفة.

وبذلك أفتى الشيخ الطوسي بل السيد المرتضى وابن الجنيد والشيخ حسين العصفوري بالتخيير في النجف الاشرف وكل المشاهد المشرفة للمعصومين (عليه السلام).

والحاصل أن المكان الجغرافي المقدس يؤخذ ماحواليه حريماً له ويتسع هذا الحريم، فكل ميقات جغرافي أو ميقات زمني له حريم والأمثلة في ذلك كثيرة لا يسع المجال لعرضها الآن.

ومن خلال كل هذا يتضح أن ما قبل يوم الأربعاء وما بعده هو من حريم يوم الأربعاء ويعتبر الأربعاء موسماً كما هو الحال في موسم الحج، وهذا أمر له دلائل كثيرة لشرعيتها.

العلمانية الجديدة وزياره الحسين عليه السلام:

إنَّ البعض من مدعى العلمانية الجديدة يستنكر قضيه السير الى الامام الحسين (عليه السلام) لأنه يسبب تعطيل وتجميد حياه الكثير من الناس والمواطنين حسب أذعائه، وهذا البعض يرى أن الحضاره والتمدن.

ص: ١٦٥

هناك إثارة يثيرها البعض وهو أنه لماذا هذا التخزين الكثير والتعبئه النفسيه، وشحذ الأنفس بنحو الدوام والتكرار لمصاب سيد الشهداء (عليه السلام) سنوياً ويومياً

«السلام عليك يا صاحب المصيبه الراتبه»(١)بل في كل ساعه وآن، وقد أشار إلى ذلك الإمام الصادق (عليه السلام) عندما سئل عن زياره الحسين (عليه السلام) فقليل له: هل في ذلك وقت أفضل من وقت؟

فقال: زوروه صلى الله عليه في كل وقت وفي كل حين، فإن زيارته (عليه السلام) خير موضوع فمن أكثر منها استكثر من الخير، ومن قلل قلل له(٢).

فما هو السر في هذا التركيز والتكرار هل هي تعبئه أحقاد أم هي تعبئه إنفعال وإنفجار؟!

هناك أسرار كثيره للإجابة على هذه الإثارة ومن الطبيعي هذه الأسرار لا نستطيع الإحاطه بها بقدر ما استطعنا أن نفهمها من بيانات القرآن وبيانات مدرسه أهل البيت (عليه السلام).

السر الأوّل: إن مشروع أهل البيت (عليهم السلام) من أضخم المشاريع الإلهيه:

وهذا المشروع يحتاج إلى وقود وطاقه ضخمه، ومرّ بنا أن هذه الطاقه الضخمه هو الإمام الحسين (عليه السلام).

ص: ١٦٦

١- (١) البحار ج ٢٨٧: ٩٧.

٢- (٢) الوسائل ج ٤٧٣: ١٤.

إذن: هذا التركيز ليس عبثاً بل له غايه كونه مشروعاً يهيمن على كافة أرجاء الأرض ويستمر إلى يوم القيامة فلا بد أن يؤمن الجهد والطاقت لهذا المشروع اللامتناهى.

السر الثاني: وهو أن الإنسان يحتاج إلى دوام الذكر:

إشاره

وَمَرَّ بنا سابقاً أن البكاء يكبح الشهوات ويكبح الغرائز ويكبح القوى النازله للإنسان وفي نفس الوقت ينير القلب ويقوى العقل، فالإنسان دائماً يحتاج إلى توازن وترويض ومسك زمام للغرائز النازله، ومن هنا فالبكاء على سيد الشهداء (عليه السلام) من أقوى الأبواب للوصول إلى هذه الغايه وهو الدوام والسيطره على الغرائز بشكل متوازن كما ذكرنا، والخلاص من ميول النفس الدائم جذبها للإنسان، فلا بد من دوام المثير لها إلى الصعود عن التلوث فى نفع الرجاسه وهذا المثير هو سيد الشهداء (عليه السلام).

فهو (عليه السلام) ثوره على النفس فى إنحطاطها فى براثن الشهوات والغرائز وطيران إلى سماء العلو فى الفضائل والسمو إلى النور والصفاء والطهاره القدسيه عند الساحه الربوبيه وتصوير أوضاع عصره (عليه السلام) وكيف تبرثن وتسربل كثير من نجوم ووجوه عصر ذوى الأسماء اللامعه من الصحابه وأولادهم فى الدنيا وحب البقاء فى الملاذ والوداعه ولو على حساب الدين، فثار من حظيظ السقوط لدى معاصريه وأهل عصره إلى أوج العهد النبوى وإحياء ذكر الآخره وسرعه الإندفاع فى طلاق الدنيا والدنيه وكالشهاب الثاقب فى الصعود إلى المعالى الروحيه والتحرر من أسر الأطماع النفسيه

والحرص الغريزي وحبس الشهوات والهوى إلى رحاب الخلاص في الخلوص من حب النفس واللذات.

الفرق بين المعسكرين:

إن المشهد النفسى والروحى فى واقعه كربلاء المتمثله فى شخصيات المعسكرين، عندما تتمثل للإنسان كشريط مسجل مرئى (فيلم) نشاهده فى خاطره، وشده الامتحان النفسى فى الجانبين لا سيما مع المراهنه بين الهوى والميول النفسى مع أصل الدين الذى يمثله الحسين (عليه السلام) من وجود النبى (صلى الله عليه و آله) الذى هو أصل الدين الذى أرتد الناس عنه بقتل الحسين (عليه السلام) شحن مجمع الرذائل النفسى فى المتمثل فى معسكر بنى أميه وشحن مجمع الفضائل فى معسكر أهل البيت (عليهم السلام).

وبعبارة أخرى حضيض النفس فى المعسكر الآخر، وأوج النفس فى معسكر سيد الشهداء، فدوام ذكر هذا المشهد بتفاصيله وبأمثله الكبيره التى تتعرض إلى جهات عديده فى النفس البشرى تعطى للإنسان عبره عن الوقوع فى المستنقعات الكثيره لدى النفس.

السر الثالث: طاعه أولى الأمر أوالمعصيه:

اشاره

وهو أن الله عَزَّ وَجَلَّ قرن طاعه رسوله (صلى الله عليه و آله) بطاعته فى عشرات الآيات أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ كَمَا أَنَّهُ فى آيه من الآيات قرن الله تعالى

ص: ١٤٨

بطاعته وبتطاعه النبي قرن طاعه أولى الأمر يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ١ وكما بينا فى بحوث سابقه أن (الأمر) هو الذى يتنزل فى ليله القدر تنزل الملائكهُ وَ الرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ٢.

وكما فى قوله تعالى: يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ٣.

وقوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ٤.

وهذا - الأمر - نفسه هو الروح الأمري الذى ذكره تعالى فى سورة الشورى وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ٥.

فعالم الأمر يعنى عالم الإبداع وعالم الملكوت فأولى الامر ليس معناه دائره صغيره والتي هى الشؤون العامه السياسيه، بل العالم الملكوتى يشمل الأرض وما عليها وبقية عوالم الخلقه، وليس محبوسا ومقتصرًا على الشأن السياسى بل يشمل ساحات وميادين وبيئات أخرى كثيره.

ومن خلال هذا يتضح أن الله تعالى أمر بطاعتهم المطلقة والمقترنه بطاعه الرسول (صلى الله عليه و آله)، وطاعه الرسول (صلى الله عليه و آله) مقترنه بطاعته سبحانه وتعالى، وهذا يعنى أن هناك رديف تبعى لطاعه الله بطاعه الرسول (صلى الله عليه و آله)، و رديف تبعى لطاعه الرسول بطاعه أولى الأمر، وهذه طاعه عظيمه الشأن وهى تستدعى إنقياد تام من الإنسان لأصحاب ولايه الطاعه، بل جعل الله تعالى موده وقربه النبى (صلى الله عليه و آله) أجر رسالته قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ١.

فهذه معادلات وحلقات واضحه فى أن الروح الأمرى ينزل على من هم أصحاب القرآن فى الكتاب المكنون أو فى اللوح المحفوظ وهم المطهرون إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ٢ وهم أصحاب الكتاب الذى هو الأمر الذى ينتزل ليله القدر والذى لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ٣.

فهؤلاء المطهرون الذين قرن الله طاعتهم بطاعته وطاعه رسوله (صلى الله عليه و آله) سوف ينقاد الإنسان إلى طاعتهم وولايتهم عندما يتعرف على المزيد من فضائلهم ومصائبهم بشكل رتيب راتب، وكلما قلت معرفه الإنسان بفضائل أهل البيت(عليهم السلام) وبمدى مقاماتهم فى المحن والابتلاءات كلما صار انقياده إليهم أقل وبالتالي سوف يعصى الله فى عدم الطاعه بالانقياد المطلق.

ف- (أَطِيعُوا اللَّهَ) أى أطيعوا الله فى كل الدين، وكذلك إطاعة الرسول (صلى الله عليه و آله) فى كل الدين أعم من القضاء والتشريع وأعم من السلطه التنفيذيه، بل فى كل الدين بما للدين من سعه التى تعم الدنيا والآخره.

وبما أن طاعه أولى الأمر مقرونه بطاعه رسول الله (صلى الله عليه و آله) فأيضاً كذلك أولى الأمر طاعتهم هى طاعه الدين بما للدين من سعه، ومن هنا فلا ينقاد الإنسان إلى مثل هذه الطاعه الشديده والمهمه إلا إذا عرف المزيد من فضائلهم، ولا ينجذب إليهم إلا بالمزيد من معرفه محنهم ومصائبهم، فكثره ذكر سيد الشهداء (عليه السلام) ومصائبه ومحنه وفضائله ومقاماته توجب جذب الإنسان إليه وبالتالي سوف يطيع الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه و آله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمه من ذريته (عليه السلام) والذي هو الانقياد للدين كله.

وبقدر ما تنقص معرفه الإنسان بالحسين (عليه السلام) وبأهل بيته بقدر ما ينقص انقياده اتجاههم (عليهم السلام).

عن عبد العزيز القراطيسى قال: دخلت على أبى عبدالله (عليه السلام) فذكرت له شيئاً من أمر الشيعة ومن أفاويلهم، فقال: يا عبد العزيز الإيمان عشر درجات بمنزله السلم له عشر مراقى وترتقى منه مرقات بعد مرقات، فلا يقولن صاحب الواحده لصاحب الثانيه لست على شىء، ولا يقولن صاحب الثانيه لصاحب الثالثه لست على شىء حتى أنتهى إلى العاشره

قال: وكان سلمان في العاشرة، وأبو ذر في التاسعة، والمقداد في الثامنة، يا عبد العزيز لا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، إذا رأيت الذي هو دونك فقدرت أن ترفعه إلى درجتك رفعاً رقيقاً فافعل، ولا تحملن عليه ما لا يطيقه فتكسره فإنه من كسر مؤمناً فعليه جبره، لأنك إذا ذهبت تحمل الفصيل حمل البازل فسخته (١).

فإن سلمان رضوان الله عليه انقياده لأمر المؤمنين (عليه السلام) أشد من أبي ذر رضوان الله عليه.

إذن هذا المقام الكبير إنما يصل الإنسان إليه بسبب كثره وشده ذكره لهم صلوات الله عليهم، وهذا لا يحصل إلا ب- «السلام عليك يا صاحب المصيبة الراتبه» يعنى الرتيبه كل ساعه وكل آن وكل يوم وليس كل موسم مثلما نقول الراتبه يعنى الراتبه والدئيه والدؤب.

السر الرابع: زائر الحسين يعيش هم المستضعفين:

إنَّ الإنسان تكون خواطره دائماً وقلبه تحوم حول اهتمامات المعيشه أو حول اهتمامات ذاته من أن هذا آذاني أو يبغضني أو هذا يحبني، والمهم أنها تدور حول الأنا التي نسميها بالأنايه أو فرعونيه الذات أو النفس، وإذا ترك الإنسان هكذا فسوف يعيش هموم نفسه ليل ونهار، ولكن إذا تعلق الإنسان وانجذب في سيد الشهداء (عليه السلام) أكثر وعاش هم الحسين لا هم

ص: ١٧٢

نفسه وكان هذا الإنجذاب بحب وبشفافيه فسوف يعيش هم الحسين (عليه السلام) وليس هم نفسه من أنه كيف ظلم، ومتى ينتقم الله تعالى له، ومتى ينجز الله وعده على يد الحسين (عليه السلام) أو ولده المهدي (عجج الله) وبقيما دوله العدل وهكذا.

إذن هناك فرق بين هذين الهمين اللذان هما هم نفسه وهم الحسين (عليه السلام) فإذا عاش هم الحسين (عليه السلام) فبالتالى سوف يعيش هم الدين، وهم علو كلمه الإسلام، علو كلمه الإيمان، علو كلمه الحق والعدل، علو نور أهل بيت النبوه، فأين هذا الهم بالقياس إلى هم الإنسان المتفوق والمتقزم فى دائره نفسه.

فإن كثره ذكر سيد الشهداء (عليه السلام) يرقى الإنسان من حضيض أنانيه النفس إلى أوج أهداف الدين النورانيه، ومن أقصر الطرق لطيران الإنسان فى همه من حضيض نفسه إلى أوج نور الإيمان والولايه هو انجذابه للحسين (عليه السلام) وبالتالى سوف يورث الخلوص والإخلاص العظيم الموجود فى الإنسان ويحرره من هذه التعلقات النفسانيه التى فى ذاته، وهذا السر نراه فى مشايه زياره الأربعين، فإنهم - لا- أقل فى زياره الأربعين - يخرجون من كونهم بشرأ إلى ملائكه خلقاً وأدباً وإيثاراً وتسامحاً. لأنهم يعيشون هم الحسين (عليه السلام) بدل أن يعيشوا همهم وهذا مما يقلب ويصهر جوهر ذاتهم إلى الفضاء الرحم النورى والأخروى الإلهى بتوسط الحسين (عليه السلام) فلا تحدث أى حادثه فى طريق الحسين (عليه السلام) لأن الحادثه إنما تقع متى ما كانت النفوس ضيقه وحريصه وذات أطماع، أما إذا كانت تلك النفوس عاليه الهمه فلا يحدث بينهما أى اصطكاك أو عراك.

ومن هنا سوف يكون الحسين (عليه السلام) قبله وكعبه القلوب وليس قبله الأبدان، فإن طافت القلوب بهذه المصيبة الراتبه وطافت حول كعبه روح الحسين فهي قد وصلت إلى الله عَزَّ وَجَلَّ كما روى عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام)

«من زار قبر أبي عبدالله (عليه السلام) بشط الفرات كان كمن زار الله فوق عرشه»(١).

لأن الحسين (عليه السلام) هو متفانى في الله عَزَّ وَجَلَّ وذائب فيه، فمن يذوب في من ذاب في الله عَزَّ وَجَلَّ فسوف يذوب في الله عَزَّ وَجَلَّ، ومن يفد على الحسين (عليه السلام) فهو يفد على الله عَزَّ وَجَلَّ لأن سيد الشهداء سوف يوصله إلى الساحة الإلهية، وبالتالي سوف يعيش هم الدين وهم المظلومين وهم المستضعفين وهم المحرومين.

السر الخامس: كتاب أسمه الحسين:

إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قَدَّرَ أَنْ يَكُونَ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) مُصَدِّراً وَمَلْجأً وَمَرْكَزاً لَيْسَ لِإِصْلَاحِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَطْ بَلْ لِعُمُومِ الْبَشَرِ وَمَنْ ثَمَّ قَدَّرَ أَنْ عِلْمُهُ يَبْقَى عَلَى مَدَى الْأَيَّامِ يَرْفَرُ عَلَى كُلِّ الْمَظْلُومِينَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ كَمَا صرَّحتْ بِطَلَّةِ كِرْبَلَاءِ (عَلَيْهِ السَّلَام) بِذَلِكَ وَهِيَ تَخَاطَبُ سَيِّدِ السَّاجِدِينَ (عَلَيْهِ السَّلَام)...

«وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يمحي رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجهدن أئمه الكفر وأشياع الضلال في محوه

ص: ١٧٤

وطمسه فلا يزداد اثره إلا علواً..» (١).

وهذا معناه أن البارى لكى يستصلح البشريه فى مرحله الإصلاح والاستصلاح فى طريق الكمال لابد أن تمر فى مدرسه الحسين، ولابد أن تتعرف كل البشريه على سيد الشهداء (عليه السلام) لتعلم أن هناك حل بين جذبات وغرائز النفس الخسيسه النازله وبين إمكانيه التغلب على كل هذه التعلقات فى أى ظروف وفى أى بيئات إلى الطيران نحو نور الكمال ونور الصلاح والإصلاح والفضائل، وهذا مثل إلهى عظيم أراد الله أن تبقى شجره زيتونه مباركه كنور لجميع البشريه، ولذلك لابد أن يبقى ذكر الحسين (عليه السلام) يعبأ ويشحذ بصوره أكثر وأكثر حتى يصل شعاعه إلى كل البشريه، فلا يخمد ولا يطفأ ولا يحجب.

فهذه التعبئه وهذا الشحذ الكبير حتى من المؤمنين التى نظرتهم ضيقه وأفقهم ضيق وإن كانوا ينجذبون فى واقعهم إلى الحسين (عليه السلام) ولكن فى بعض الأحيان تخالجهم هذه الأمور الضيقه، وهو لا يدري أن هذا العلم قد قدر الله له أن يرفرف على كل البشريه كما فى رايه الحسين (عليه السلام)، ورايه ظهور المهدي (عجج الله) لأنها رايه نبراس تستضىء به نفوس البشر ودول البشر كلها لاستصلاحهم، فليس فى التقدير الإلهى أن الحسين يستصلح مقتصرأ على فئات قليله فى بلدان الشرق الأوسط بل قدر الله تعالى أن يكون

ص: ١٧٥

١- (١) كامل الزيارات: ٢٢.

الحسين (عليه السلام) مصلح لكل البشر حتى قبل ولده الموعود المنتظر (عجج الله) فإنه من الطبيعي أن الله لا يخمد هذا العلم بل كل يوم يزداد اتساعاً وتعبئه ليصل صداه وتصل هذه النعمة العظيمة لكل العالم كمأدبه نوريه تستضيء بها البشرية بأجمعها، إذ أنه إلى الآن لم تصل إلى كل البشرية، فنحن إلى الآن لم نقم بحق ما تستحقه هذه الشجرة النورية بكل أغصانها من إعلام ومن إحياء ومن فضائل مجلجله ومن روح نوريه جذابه، فالمفروض أن يشاركنا كل البشر في التمتع بها، وإلا فنكون نحن سبب من أسباب حرمانهم.

ولهذا فإن البشرية إذا أرادت أن تتكامل وتسعد فلا بد لها أن تقرأ كتاب أسمه الحسين (عليه السلام)، ولا بد أن تتعلم في صف أسمه الحسين (عليه السلام) ولا بد أن تمر بمرحلة من مراحل فكرها وعقلها وروحها بمرحلة أسمها الحسين (عليه السلام) حتى تصل إلى الحسن ثم فاطمه ثم علي ثم رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذين هم رأس الخيمة لمشروع الإمام المهدي (عجج الله).

أرواحكم في الأرواح:

فإن كل روح لها علاجات، وكل بدن له علاجات وقد قدر الله عزَّ وَجَلَّ أن تكون حقيقه الحسين (عليه السلام) بما فيها من جمال وكمال وفضائل هي من العلاجات التي

«أرواحكم في الأرواح وأنفسكم في النفوس وأجسادكم في الأجساد»^(١).

ص: ١٧٤

١- (١) بحار الأنوار ج ١٠٧: ٩٩ دعاء الندبه - والزياره الجامعه.

وهذا يعنى أن كل نفس لا بد أن تتغذى بهذا المنبع الروحى، وإلا فلن يكون للنفس توازن، وبصيره ونور وتكامل، وهذا شبيه ماهو موجود فى علم الرياضيات حيث أنه لا- يمكن أن يتخطى أى مرحله من المراحل التى قبل ذلك لأن كل مرحله قوام فى علم الرياضيات، والنفس فى علم الفطره هكذا، فلا بد لهذه الأنوار الخمسه التى أكد عليها القرآن فى سوره النور أن تضىء لكل فطره روحيه، ولا بد أن تتلقاه وإلا فلا يمكن أن تتوازن ولن تسعد ولن تتكامل ولن تصل إلى الفضائل فإن مصباح الهدى وسفينه النجاه ليس لمجتمع خاص بل لكل البشريه ولكل الأجيال، وهذا ما صرح به النبى (صلى الله عليه و آله)

«إن الحسين مصباح الهدى وسفينه النجاه»(١)، ومعنى هذا أن الله أعظم الحسين (عليه السلام) أن يقتصر ويكون لقرن أو قرنين من الزمن، أو لمنطقه الشرق الأوسط بل قدر سبحانه وتعالى أن يكون هذا عطاء منه لكل البشر «فلا يزداد أثره إلا علواً» .

الحسين هو القرآن المتجسد فى واقعه كربلاء:

إن استعراض واقعه عاشوراء عبارته عن استعراض مشهد مرئى أمام الإنسان، حيث يرى فيها إمتحانات وتجارب وأمثله كبيره، وكيف أن النفوس سقطت بأسباب مختلفه وبسبب فتن وقوى نفسانيه مختلفه، وفى المقابل كيف نجحت نفوس أخرى وصعدت واعتلت.

ص: ١٧٧

إنَّ هذا المشهد النفسى والروحى الذى فيه العشرات بلُّ مئات النماذج هى مدرسه تربويه للإنسان بشكل عميق جداً، ولذلك فإنَّ الإنسان يحتاج دائماً إلى هذا القرآن المتجسد فى واقعه كربلاء، حتى يتلوه ويحفظه ويذكر به نفسه لأنه فيه آيات كثيره، فكل واقعه آيه، وكل حدث فى كربلاء آيه، وهذا ليس صدفة إذ قد جعل الله عَزَّ وَجَلَّ الإمام قرآناً ناطقاً بل هو قرآن عيني، وبالتالي فكل ما يدور حوله هو آيات وسور وإذا أردنا أن نلمس بشكل مرئى محسوس للآيات القرآنيه وللصور، والبنود التى فيها هى فى واقعه الطف، التى بدأ مشوارها من المدينه إلى مكه ثم إلى كربلاء ثم إلى الشام ثم إلى كربلاء ثم المدينه.

وهذه المسيره هى عباره عن صفحات عديده من القرآن أو من الآيات والسور، وإذا تدبرنا فيها ملياً ومره بعد أُخرى فسوف نجد فيها كنوزاً وخزائناً لا تنفذ، والكثير منا لاحظ هذا الأمر أن كل إنسان إذا تدبر فى واقعه عاشوراء كل سنه فسوف يكتشف ويقف فيها على عبر وأسرار لم يلتفت ويتفطن إليها من قبل كما هو الحال فى القرآن الكريم.

فإنَّ القنوات الفضائيه فى العالم كلها احتشدت فى أوَّل أربعين بعد سقوط النظام البعثى، حيث كان فى انطباعهم أن هذه المسيره وهذا التجمع الملايينى هو حدث سياسى مرتبط بخصوص تشكيل النظام الجديد وليس له أى مساس عقائدى، كما يفعلون فى المهرجانات البشريه السياسيه العاديه، وما نقلوه وسجلوه فى خلال ثلاثه أيام من مشهد الأربعين أصبحوا فى ذهول

وإعجاز وإعظام وإكبار لقضيه عاشوراء وشخصيه الحسين (عليه السلام)، حتى أن بعض الأخوه رصد الكثير من الفضائيات الدوليه وخصص بعض المراسلين للحكاية عن واقعه عاشوراء أو الأربعين الشيء المذهل ولقطات مثيره فى نشر حقائق واقعه الحسين، وهذا كله يفرح قلوبنا بصدق الوعد الإلهى يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ١.

الشعب يريد الحسين:

ولو أردنا أن نسرد جملة من الوقائع التى نقلها بعض الأخوان وبوسائط قليلة عن أحداث أو نخب فى البشر متأثره بسيد الشهداء لضاق بنا المجال، ولكن الحسين (عليه السلام) نور وبركان يسرى تحت السطح، وسوف يأتى ذلك اليوم الذى تصل فيه البشريه إلى مستوى الوعى وبدل أن تقول الشعب يريد إسقاط النظام الجائر والظالم سوف يهتف ويقول الشعب يريد الحسين والشعب يريد المهدي.

لأن كل البشريه سوف تعلم أن أساس العدل متجسد كله فى الحسين، والسعاده متمثله بالحسين (عليه السلام) فإنهم أيقنوا أن الشيوعيه والرأسماليه والاشتراكيه والديمقراطيه والحريه الجنسيه وشعار العداله حسب النظم والتقنيات البشريه والمساواه كلها آلت إلى السقوط وفشلت كل أنظمتها، فإذا وصل الوعى البشرى إلى أن الحريه والعداله المأموله المطموح لها هى برنامج خزنه

الله فى حاسوب إلهى وهو الحسين (عليه السلام). فإن العدالة الحسينيه لا توجد فى كتاب ولا فى رساله أو أطروحه الجامعات ولا توجد فى مراكز الدراسات ولا-المختبرات ولا- فى أطروحه عقول البشر، بل نظام العدالة موجود فقط فى علوم الحسين (عليه السلام).

الإمام الحسين والرجعه:

وهناك نقطه مهمه قد غفل عنها الكثير، وهى كما نحن نطالب ومأمورون بالفرج لظهور الإمام المهدي كذلك نحن مطالبون فى أن نطلب وندعو من الله بظهور الإمام الحسين (عليه السلام) نفسه ليرجع بعد أبنه المهدي (عجج الله) ليقيم الله العدل فى الأرض على يديه (عليه السلام)، وهذا فى الحقيقه نوع ومرحله من الرجعه.

فالرجعه عباره عن أن الشعوب والطبيعه البشريه إذا وصلت إلى ذلك الوعى فسوف تطلب وتريد وتطمح إلى ذلك العدل الذى برمجه الله تعالى فى الحسين (عليه السلام) وهذا البرنامج غير موجود وغير محتفظ فى عقل آخر، ولا فى روح أخرى، ولا فى أى قائد آخر، فإن العدل الذى يظهر على يد سيد الشهداء (عليه السلام) أعظم من العدل الذى يظهر على يد الإمام المهدي (عجج الله) حسب ما صرحت بذلك روايات أهل البيت (عليهم السلام).

فعن رفاعه بن موسى قال: إن أول من يكر إلى الدنيا الحسين بن على (عليه السلام) وأصحابه ويزيد بن معاويه وأصحابه فيقتلهم حذو القذه بالقذه ثم قال أبو عبدالله (عليه السلام):

«ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَ أَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنَ

وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا» (١).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إن أول من يرجع لجاركم الحسين (عليه السلام) فيملك حتى تقع حاجباه على عينيه من الكبر (٢).

وأيضاً عن أبي عبدالله (عليه السلام) سأل عن الرجعة أحق هي؟ قال: نعم فليل له: من أول من يخرج؟ قال: الحسين (عليه السلام) يخرج على أثر القائم (عليه السلام)، فقلت: معه الناس كلهم؟ قال: لا. بل كما ذكره الله تعالى في كتابه: يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ٣ قوم بعد قوم (٣).

فإن عقيدة الرجعة هي فهم أعمق لمعرفة الحسين (عليه السلام) ف- «من زاره عارفاً بحقه» (٤) أحد درجات معرفه الحسين (عليه السلام) هو الحسين المستقبل وليس الحسين الماضي فقط.

برنامج المعصوم أمل البشريه:

إنّ البشريه الآن بدون انقيادها للمعصوم عاجزه أن تبدي أى برنامج اقتصادى عادل تنظيراً فضلاً عن التطبيق والتنفيذ والاجراء العملى، وعاجزه عن أن تبدي نظام بنك مركزى عادل، أو نظام زراعى عادل بحيث لا يظلم فيه بيئه عن بيئه لأنهم إذا أرادوا أن ينموا بيئه ففى مقابل ذلك

ص: ١٨١

١- (١) تفسير العياشى ج ٢٨٢: ٢.

٢- (٢) مختصر بصائر الدرجات: ٢٨.

٣- (٤) المصدر السابق: ٤٨، الإيقاظ من الهجعه بالبرهان على الرجعه: ٣٣٨.

٤- (٥) كامل الزيارات: ٢٦٢ - ٢٧٨.

يدمرون بيئه أخرى، فنظام البيئات المحيط بالإنسان الطبيعيه كثيره فضلا عن نظام النقد العادل، نظام حقوقى عادل، نظام سياسى عادل، بتمام معنى العداله، نظام أمنى عادل، نظام كمركى عادل، نظام إعلامى عادل، كل هذه الأنظمه ولو تنظيراً قد عجزت البشريه عنه تماماً إلى حد هذا اليوم وهذا القرن.

ومن باب المثال الأزمه الماليه فى أوروبا الآن ما يقارب ثمان سنوات عاجزه البشريه عن حلها ولو تنظيراً فضلاً عن التطبيق، وهذا دليل واضح معجز على التحدى فى الآيه الكريمه من أن العداله لم ولن ولا تتحقق إلا على يد قربى النبى (صلى الله عليه وآله) من أهل بيته (عليهم السلام) المطهرين: ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كئى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ١.

واللام هنا - أى فى الآيه الكريمه - هى لام ملكيه الإدارة والولايه فى التصرف وليست الملكيه الشخصيه بل ملكيه الإدارة لتصرف على الطبقات المحرومه «كئى لا يكون دولة بين الأغنياء» .

فالعداله لا تتم فى كل أرجاء الأرض إلا بالنبى (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) ولذلك هذا البرنامج - برنامج العداله - مودع فى الإمام المهدي (عليهم السلام) ومودع

بشكل أعظم في الإمام لحسين (عليه السلام) فإذا وعت البشرية كما يقول البروفسور الألماني (يوخن روبكا) (١) إلى ما تطمح وترغب وتتطلع إليه هو هذا الرجل المهدي وآبائه (عليهم السلام).

الإمامه في ذريه الحسين عليه السلام:

عن محمد ابن مسلم قال: سمعت أبا جعفر، وجعفر بن مُحَمَّد (عليهما السلام) يقولان:

إنَّ الله تعالى عوض الحسين (عليه السلام) من قتله أن جعل الإمامه في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابته الدعاء عند قبره، ولا تعد أيام زائريه جائئاً وراجعاً من عمره (٢).

إن شدة المحنة التي ابتلى بها الإمام الحسين (عليه السلام) في الطف جعل الله عزَّ وَجَلَّ الأئمه من ذريته، فنور تسعه من المعصومين لا- سيما المهدي (عجج الله) جعلهم الله من نسل الحسين (عليه السلام) جزاءً لما ابتلى به (عليه السلام) في واقعه الطف كما في روايه عن الإمام الصادق (عليه السلام) في حديث حيث قال:

«.. وخلق من نور الحسين تسعه أئمه فدعاهم فأطاعوه من قبل أن يخلق الله تعالى سماء مبنيه وأرضاً مدحيه..» (٣)، وهذا يبين أن حمل نور تسعه من الأطهار يتطلب

ص: ١٨٣

١- (١) رئيس جامعه قسم الاقتصاد في جامعه مالبورن الاستراليه.

٢- (٢) الأمالى للطوسى: ٣١٧، بحار الأنوار ج ٢٢٤: ٤٤.

٣- (٣) مصباح الشريعه: ٦٤.

وصوله (عليه السلام) إلى مقام خاص، وهذا المقام الخاص ضريرته هو الشهاده التي فيها محن عظيمه وليست أى شهاده، وهذا مقام خاص لسيد الشهداء حتى أصبح أبو الأئمه لعظم وشأن خطوره مقام الإمامه.

إذن مقام الإمامه يتطلب براهه من كل الطغاه والجبابره وطريق الإنحراف، لأن حمل الإمامه لها أرضيه وهو نوع القطيعه من الظالمين والمنافقين والرجوع إلى الفطره الإلهيه العظيمه.

قبه السماء الحسينيه والتربه الروحيه:

ولم يجعل الله عَزَّ وَجَلَّ الذريه الطاهره من صلبه (عليه السلام) فحسب بل جعل استجابته الدعاء تحت قبته، وليس المراد من هذه القبه القبه الطينيه بل قبه السماء من عند قبره حتى شعاع منتهى البصر فى الأفق وتلاقى السماء والأرض، بل بمعنى أنه عند الاقتراب من سيد الشهداء لا يكون هناك حاجب من الجبت والطاغوت أو من جبابره الخلق بل هناك شفافية خاصه عنده بالاتصال بالساحه الربوبيه، فطريق الحسين هو طريق حصد الطغاه والجبابره. فإن الجبت - كما فى اللغه - هو نوع من الجدران الكثيفه، وهذه الجدران أو السدودات التى تكون عقبه وحاجب عن الوفود على الله تعالى كلها تحصد فى طريق الحسين (عليه السلام) من خلال استجابته الدعاء تحت قبته (عليه السلام) ومن ثم فإن تلك البركات السماويه سوف تنزل بعد كسر هذه الموانع الفرعونه وموانع الشرك بالله.

وهذا ليس فقط فى استجابته الدعاء بل حتى الشفاء فى تربته، ولا نقصد بهذه التربه الجغرافيه فحسب بل حتى التربيه المعنويه والروحيه والتي هى بمعنى الاقتراب من سيد الشهداء (عليه السلام) فاستجابته الدعاء تحت قبته (عليه السلام) يعنى قبول مطلق العبادات، والشفاء فى تربته (عليه السلام) يعنى نزول البركات وكل ذلك جاء عن طريق سيد الشهداء:

ومن كل ما تقدم يتضح أن العقائد وقبول الأعمال مشروطه بإمامته وولايته حيث أن من أصول العقيده هى الإمامه والذريه من صلبه وكذلك قبول الأعمال، وأما الدعاء الذى تحت قبته فهذا ينبى عن أن أعمالنا مشروطه بولايته (عليه السلام).

لماذا لم يخرج الحسين بمفرده:

هناك إثاره تطرح بين الحين والآخر، وهى أنه لماذا خرج الإمام الحسين (عليه السلام) بمعيه عياله من الأطفال والنساء ولم يخرج بمفرده وهو يعلم بأن الشهاده لا محال منها.

إن فلسفه وسر ذلك أكثر من وجه كما ذكر أكثر من واحد، وقد أجاب عن ذلك الإمام الحسين (عليه السلام) نفسه عندما سأله محمد بن الحنفية فأجاب (عليه السلام):

«إِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاهُنَّ سَبَايَا»^(١).

ولكن أحد الأسباب المهمه هو أن سيد الشهداء (عليه السلام) يجسد للبشرية

ص: ١٨٥

١- (١) اللهوف: ٦٤، البحار: ج ٣٦٤: ٤٤.

عبره وقده وأسوه، فإن كل إنسان له تعلقات عديدة في حياته الدنيوية من قبيل التعلق بالزوجيه والتعلق بالأولاد والتعلق بالأخوان والتعلق بالأصحاب وبالأحبه وبالعشيريه، كما في قوله تعالى قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ۖ

فكل هذه التعلقات كانت موجوده في واقعه الطف ومع هذا يقدم الحسين على الشهاده ولا تعيقه أبداً بل جندها وعبدتها ووظفها وفداها لطريق الدين.

فأخذ عيالاته وكل حرمه (عليه السلام) في عرصه كربلاء وعرصه المواجهه، واضح أن كل هذه الأمور لا تقف جبل أو عقبه أمام استبسال سيد الشهداء (عليه السلام) بل وظفها في سبيل الله، وهذا غير أنه يستشهد بنفسه فقط، فهناك فرق كبير بين أن تستشهد بنفسك وبين أن تأتي بكل شؤون نفسك الأخرى وما لديك وتفديه وتخاطر به إلى آخر لحظه من حياتك.

وليس ما لديك من مال وبنين بل بما لديك من مریدين ومحبين وأولياء، وهذا يعنى أنك تفدى وجودك المعنوى الذين يحملون أسمك في المجتمع تفديهم في سبيل الله وهذا هو الموقع السياسى والموقع الاجتماعى كل هذا وذاك لم يكن عائناً لفداء سيد الشهداء إلى الله تعالى.

وبسبب كل ذلك أصبح الحسين (عليه السلام) مدرسه وجامعه وكتاب جامع في

صفحات الشباب وصفحات الأولياء والمريدين والتابعين، يعنى صفحات تتصفح فى كل صفحه ففها دروس وعبر لشريحه من شرائح المجتمع، ولذا نرى جميع شرائح المجتمع ينجذب لسيد الشهداء (عليه السلام) شاء أم أبى.

الحوار العين من نور الحسين عليه السلام:

فعن رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«... وفتح نور الحسين (عليه السلام) وخلق منه الجنان والحوار العين، والحسين والله أفضل من الجنان والحوار العين...»(١).

فهناك تناسب فى عالم الخلقه والتكوين، فحوار العين مما تزين بالجمال وهذا يعنى أن رشحه من رشحات جمال نور الحسين خلقت منه الحوار العين بل كل جمال عالم خلقه الآخرة، وهذا الجمال خزنه الله فى الحسين وكما فى بعض الروايات أن الحسن والحسين قرطى العرش.

وفى بيان لسيد الأنبياء يضيف أن الحسن والحسين أكرم الناس نسباً حيث روى الأعمشى أن النبى (صلى الله عليه و آله) أتى باب المسجد فقال: يا بلال هلم علىّ بالناس فنادى منادى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى المدينه فاجتمع الناس عند رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى المسجد فقام على قدميه فقال: يا معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس جداً وجده، قالوا بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين فإن جدهما محمد وجدتهما خديجه بنت خويلد، يا معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس أباً وأماً، فقالوا بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين فإن أباهما على يحب الله

ص: ١٨٧

١- (١) الروضه فى فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) الشاذان بن جبرئيل القمى: ١١٣.

ورسوله ويحبه الله ورسوله وأمهما فاطمه بنت رسول الله.

يا معاشر الناس ألا أدلكم على خير الناس عمأ وعمه، قالوا بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين فإن عمهما جعفر بن أبي طالب الطيار فى الجنة مع الملائكه، وعمتهما أم هانى بنت أبى طالب، يا معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس خالاً وخاله، قالوا بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين فإن خالهما القاسم بن رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم أشار بيده هكذا يحشرنا الله، ثم قال: اللهم إنك تعلم أن الحسن فى الجنة والحسين فى الجنة وجدتهما فى الجنة وجدتهما فى الجنة وأباهما فى الجنة وأمهما فى الجنة وعمهما فى الجنة وعمتهما فى الجنة وخالهما فى الجنة وخالتهما فى الجنة، اللهم إنك تعلم أن من يجهما فى الجنة ومن يبغضهما فى النار(١).

فإن كل الذى يحيط بالحسين جمال ونور، وهذا مثل نواه الزهره، وهذا الجمال والنور أودعه الله فى الحسن والحسين (عليه السلام).

وهذا الجمال فى الحسين (عليه السلام) هو الذى يبين لنا السبب فى انجذاب أهل بيته وأصحابه إليه فوق الميل العقلى المعتاد أى درجه الربيون وهكذا كل جيل بشرى سبق زمانه واقعه الطف أم تأخر من الأجيال اللاحقه وهو الذى يفسر هذه القدره المعنويه على جذب الملايين من البشر فى الأربعين وغيرها من المواسم على بذل الغالى والنفيس لأجل الحسين (عليه السلام) فى سبيل

ص: ١٨٨

١- (١) آمالى الصدوق: ٣٥٦ (المجلس السابع والستون).

الله، والذي يفسر جذب الشهداء للاستشهاد في سبيل الله عندما يهتف بهم ليبيك يا حسين.

فالحسين يجعل الموت والقتل - الذي له مراره وخوف - له حلاوه ولذته.

أصحاب الحسين عليه السلام سادته الشهداء:

وليس الأمر يقتصر عليه (عليه السلام) وإنما أصحابه لهم منزله وأنجذاب فضلاً عنه (عليه السلام) فقد ورد نعتهم بساده الشهداء كما في الزياره الوارده عن المعصوم

«أنتم سادته الشهداء في الدنيا والآخرة»^(١) فما هو سر ذلك؟!

إنَّ محنه الاستضعاف في ملحمة الطف كانت محنه شديده، لأن احتمال الظفر والنصر كان ضئيل جداً، ولم تكن المحنه في أنفسهم فقط بل محنوا في أولادهم ونسائهم وممتلكاتهم، فكان الجميع يعلم أن نسائهم سوف تسبى وتسجن كبقية حريم الحسين (عليه السلام) وكذلك أولادهم وشملهم سوف يشئت، ودورهم سوف تصادر وتحرق وهذا كل ما يملكونه سوف ينسف تماماً. فهم عاشوا أيام عديده لهذا الامتحان وأما الباقين فهم منكفؤون على أنفسهم، فمن لم يكونوا أعداء وشاركوا في معسكر بنى أميه وعمر ابن سعد وعبيد الله بن زياد فهم لا أقل متخاذلين ومنكبين على أنفسهم، وكان بعض هؤلاء من الصحابه والتابعين ومن الأسماء اللامعه. بينما أصحاب الحسين (عليه السلام) عاشوا هم طلاق الدنيا وليس في لحظه من اللحظات وإنما

ص: ١٨٩

١- (١) كامل الزيارات: ٣٦، الباب: ٧٩، الكافي ج ٥٧٤: ٤.

لعدة أيام، فتاره الإنسان يستشهد فجأة فهو يرى الحدث لحظات ثم يقتل، أما هنا فالأمر مختلف تماماً فهم عاشوا الشهادة لأيام وأسابيع لأن قائدهم بشرهم ونأهم بكل ما يجرى عليهم وعلى عيالاتهم وتراهم يجيبون إمامهم بقولهم:

«والله لا- نخليك، حتى يعلم الله إنا قد حفظنا غيبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيك، والله لو علمت أنى أقتل، ثم أحيى، ثم أحرق حياً ثم أذر ويفعل ذلك بى سبعين مره ما فارقتك»(١).

والآخر يقول: «والله لا- نفارقك، ولكن أنفسنا لك الفداء، نقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا، فإذا قتلنا كنا قد وفينا وقضينا ما علينا»(٢). بل كان لديهم إندفاع ونشاط وحيويه، ولم يصبهم أى زلزال أو اضطراب أو تملل نفسى وهذا هو العلو فى همه النفس ونجاتها.

بل حتى نسايتهم كانت لهن هذه الامتحانات التى بدأت قبل محرم إلى ما بعد عاشوراء التضحية والفداء، فإن دعم هذه النسوة يزيد فى الهمه والقوه للرجال.

إذن سؤدد شهداء الطف سببه هذا الامتحان الطويل وفى كل ميادين النفس ولم تكن لهم شهادة بأبدانهم ودمائهم فقط بل شهادات علو نفسانى وفى ميادين كثيره من فضائل النفس، فليس جهادهم كباقي الجهاد كما فى

ص: ١٩٠

١- (١) ابن كثير ج ١٧٧: ٨، وابن طاووس فى اللهوف: ٣٦.

٢- (٢) المصدر السابق.

شهداء بدر فقد وعدهم الله بالنصر الدنيوى ولكن فى شهداء الطف عاشوا شدة الاستضعاف أى الذى يعبر عنه بالقتل التدريجى ونراهم يتمنون القتل ألف مره ليس فداءً لسيدهم الحسين (عليه السلام) فحسب بل لما دونه لأهل بيته كما يقول زهير بن القين «والله لو وددت أنى قتلت ثم نشرت، ثم قتلت، حتى أقتل كذا ألف قتله، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك، وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك»(١).

زوار الحسين عليه السلام يشغلون بجماله عن الحور العين:

إنّ أساس العلاقة التى بين أولاد الحسين مع الحسين، وأخوه الحسين مع الحسين، وأصحاب الحسين مع الحسين هى الحب، وهذا ليس قصه تكليف، ولا- قصه استجابة عقلية، فإن كل أحداث عاشوراء لا نستطيع تفسيرها بأنها دعوه عقلية لطاعه سيد الشهداء (عليه السلام) لأن هذه الطاقه لا تتولد من العقل ولا من القلب ولا من التكليف «ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً فى جنتك» لأن بعض الأفعال التى تصدر ممن يحيط بالحسين (عليه السلام) لا تفسر خوفاً من النار ولا طمعاً فى الجنة التى هى دعوه العقل، بل لا تفسر إلا «وجدتك أهلاً للعباده فعبدتك»(٢).

وهذا هو الحب، فإن الحب له هذه الطاقه وهذه الحركه، أما حركه

ص: ١٩١

١- (١) الإرشاد للمفيد: ٢٣١، تاريخ الطبرى.

٢- (٢) بحار الأنوار، ج ١٨٦: ٦٤.

قوه التكليف فأقل من ذلك بكثير، ولذلك يقولون الطف حركة حب وليست حركة عقليه بل فوق قوه حركة التكليف والعقل، ولذلك نرى أن زوار الحسين (عليه السلام) يوم القيامة ينشغلون بالنظر إلى جمال وجه سيد الشهداء ويتركون أزواجهم من الحور العين حتى تجزع تلك الحور من الانتظار.

فعن زراره، عن أحدهما (عليه السلام) أنه قال: يا زواره مافى الأرض مؤمنه إلا وقد وجب عليها أن تسعد فاطمه (عليها السلام) فى زياره الحسين (عليه السلام)، ثم قال: يازواره انه إذا كان يوم القيامة جلس الحسين (عليه السلام) فى ظل العرش، وجمع الله زواره وشيعته ليصروا من الكرامه والنضرة والبهجه والسرور إلى أمر لا يعلم صفته إلا الله، فيأتيهم رسل أزواجهم من الحور العين من الجنة فيقولون: إنا رسل أزواجكم إليكم؛ يقلن: إنا قد أشتقناكم وأبطأتم عنا، فيحملهم ما هم فيه من السرور والكرامه على أن يقولوا لرسولهم: سوف نجيئكم إن شاء الله (1).

وهذا يعنى أن التعلق بالحسين (عليه السلام) فوق قدره التكليف العادى وفوق قوه قدره العقل ولذلك من أعظم صفات سيد الأنبياء أنه (حبيب الله) وهذا لم يناله أحد من أولى العزم وغيرهم.

وبعبارة أخرى فى بعض الخطوات جهنم ليست لها أى قدره داعويه، وكذلك الجنة بأكملها ليست لها قدره داعويه باعثيه محرقيه للإنسان أن

ص: ١٩٢

١- (١) نوادر على بن أسباط: ١٢٣ المطبوع ضمن الاصول السه عشر، بحار الانوار ٧٥: ١٠١، مستدرک الوسائل ٢٢٨: ١٠ - ٢٢٩

يخطوها، ولكن الذى خطى كل هذا هو من يحيط بسيد الشهداء (عليه السلام) لأن عالم النور أعظم تأثيراً فى النفوس جذبا وتحريكا من عالم الجنان وعالم النيران. ولذلك يترك زوار الحسين (عليه السلام) الحور العين لأنهم يرون نور الحسين (عليه السلام) أبهى من الجنة فكيف يتركوه «ما عبدتك طمعاً فى جنتك بل وجدتك» وكرر وجدتك وجدتك، «فما الذى فقد من وجدك وما الذى وجد من فقدك»، ففى قوله (عليه السلام)

«فإنى لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابى، ولا أهل بيت أبر وأوصل من أهل بيتى...» فما الذى جذبهم إلى الحسين (عليه السلام) وهم يتقنوا أنهم سيقتلون ويقطعون؟!!

إنّ الذى جذبهم هو نور الحسين (عليه السلام) والذى هى أكثر قدره جاذبيه من الجنة، وأكثر قدره محركيه من فوق النيران. ولذلك فإن كل طبقه من طبقات المجتمع وكل شريحة من شرائحه وكل سن وعمر من أعمار الإنسان يجد نسخه كمال له متناسبه ومتناغمه فى كتاب كربلاء، وكتاب الحسين، وكتاب الطف، وهذا إنجذاب عام لسيد الشهداء (عليه السلام).

نعم لتسييس الشعائر، لا لتسييس الشعائر:

هناك إثارتان متقابلتان:

الأولى: لماذا تسييس الشعائر الحسينيه وتأخذ صبغه السياسه وبالتالي سوف تفقد روحيتها وصفائها ونورها وخلصها.

ص: ١٩٣

الثانية: لماذا تجعلون الشعائر الحسينيه جوفاء وليس لها أى مؤدى ينعكس على واقعنا السياسى.

الجواب الأول:

فى البحوث السابقه كنا نذكر جواب وسطى لهاتين الإثارتين وهو: أن المعصوم عدل القرآن فهو القرآن الناطق، ومن هنا فإن المعصوم حاله حال القرآن وحال الوحى وحال الشريعة إن عزلت الشعائر عن الواقع التطبيقى فهو كعزل القرآن عن الواقع البيئى الحياتى، فإذا لم يكن للشعائر الحسينيه أى أداء لواقعنا المعاشى وعزلت تماماً - كما فى القول الأول - فسوف تكون الحياه معزوله عن الدين وكأنما الدين شىء والدنيا شىء آخر.

ونفس هذا الجواب أيضاً نقوله على الاعتراض الثانى وهو أن إخلاء الشعائر الحسينيه عن مضمونها الأصلى وتصبح بحث عن الشجون، وهذا أيضاً عزل للوحى عن الواقع المعاشى ولكن بصوره شعار وهو أن نعالج الشؤون المعاصره ونغفل حينئذٍ عن رؤى وأنوار الوحى التى نستمدّها من القرآن الناطق والقرآن المجسم الذى هو سيد الشهداء (عليه السلام).

إذن الطريقه الوسطى هى الطريقه المألوفه والمعهوده منذ القديم أنه يستمد من الوحى بشكل مفاد عام، قالب عميق، كبرى، وأيضاً ينقح الموضوع كصغرى وكواقع تطبيقى ليستمد الحلول مع رعايه ودراسه الواقع الموضوعى من الوحى.

ص: ١٩٤

إذن هو نوع من المواكبه ولكن لمنهل ونمير العين الوحيانيه لسيره المعصوم ومن ثم تطبق على واقع علاجنا.

الجواب الثانى:

وهناك جواب آخر أعمق وأوسع من الجواب السابق، فنقول نعم لتسييس الشعائر وفى نفس الوقت لا لتسييس الشعائر، بمعنى أن نجعل الشعائر أو القرآن أو الوحي المجنده والمسيسه إلى سياسيات لأشخاص أو فئات فتكون قالب بيد اتجاهات، فإنه مهما تكون الفئات البشريه المعاصره ليست هى بأفق المعصوم أو بأفق الوحي فسوف تكون لها خصائصها الشخصانيه المحدوده التى تتناولها أو تتجاذبها النزعات الذاتيه والنفسانيه، والتى ليست لها سعه بسعه الخلووص عن الذاتيات وعن الأنانيات والعريقات والقوميات والفئويات إلى رحاب خلوص وخلاص إلى رحاب النظره التوحيديه الخلووصيه الإخلاصيه الواسعه الأفق بحسب آفاق الخلقه الإلهيه جمعاء. فإن لون الحسين (عليه السلام) لونه التوحيد، والشعائر لونها لون الدين كله ولجميع البشر والفئات.

أمّا إذا أريد أن تجير الشعائر الحسينيه إلى سياسيات ضيقه وقزمه بقامه الفئات والجماعات والأشخاص ومن ثم توظيفها لآفاقهم ومآربهم المحدوده بحدودهم وأغراضهم المؤقتة بنزعاتهم الذاتيه فسوف تلوث الشعائر الحسينيه بتلوث الأنانيه الفئويه، لأن هذا نوع من البرثنه لها - الشعائر - فى حضيض ذاتيات وانانيات وفئويات ضيقه، فإن الشعائر الحسينيه وسيعه

ص: ١٩٥

بوسع الدين، ووسيعه بوسع البشريه وبوسع كل الفئات والجماعات، فإذا كانت هذه الشعائر المقدسه تتخذ لأجل جعلها سلاح يتخذه بعض الفئات لتمرير أهداف ونظرات محدوده لهم فلا لتسييس الشعائر الحسينيه بسياسات جزئيه وضيقه.

نعم الدين يعالج الكلى والجزئى، الوسيع والضيق ولكن حصره فى الأفق الضيق فهذا غير صحيح إطلاقاً، فإذا كان التسييس بهذا المعنى فنقول لا لتسييس هذه الشعائر المقدسه.

التسييس الإلهى:

ولكن من جهه أخرى نقول نعم لتسييس الشعائر إذا كانت بسياسات إلهيه واسعه الأفق بسعه المبادئ، وبشفافيه خالصه من كدوره العصبيات وتمصلح الفئات، بسياسه يكون مركزها المعصوم وبرنامج مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) وبرنامج الثقلين، فإن المشروع الكبير الذى لدى الثقلين أضخم من مشروع الفئات أو مشروع القوميه الخاصه والفئه الخاصه، فإن مشروع أهل البيت (عليهم السلام) يمتلك برمجته للفئات وبرمجته للقوميات بل لكل الجماعات ولكن فى ضمن المشروع الكبير والضخم لسعاده كل المؤمنين وكل المسلمين وكل البشريه بل لكل الموجودات التى تفتح على مشروع الإمام المهدي (عجج الله) وينفتح على مشروع وأنوار أهل البيت (عليهم السلام) فى أصقاع الأرض. فهذا المعنى نقول نعم لهذا التسييس الذى يسعى لإرساء العدالة والعقل والتعقل والرقى

العقلى والروحى والمعنوى فى سائر الأرجاء ضمن شعار أهل البيت (عليهم السلام) كشعار المشروع المهدوى الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً أى توحيداً ونبوه وولايه وعدلاً. أما فى ظل سياسات ضيقه ومحدوده فلا لهذا التسييس.

الانجذاب الروحى لسيد الشهداء عليه السلام:

هناك مشاهدته محسوسه عيانية للجميع وهى بمثابة برهان معنوى وفكرى وروحى بحسب منطق العلوم البشريه الإنسانيه، وبحسب منطق العقل، وبحسب منطق الدين والوحى، وهى أنه يلاحظ فى فضاء الجو الروحى لشعائر سيد الشهداء (عليه السلام) والتعلق به هناك جاذبيه روحيه خاصه إلى الحسين وأهل بيته وأصحابه المستشهدين معه.

وهذه الجاذبيه الروحيه ليسى لدى المؤمنين فقط بل لعامة البشر فضلاً عن المسلمين. لأنهم منبع روحى كلما تجدد فى خاطر البشرى ولكل شرائح المجتمع فسوف يستمد منه حراره ووهج وتوجيه وإثاره وجاذبيه روحيه لا تنفذ.

وبعبارة أخرى لو قايسنا قدويه جاذبيه سيد الشهداء (عليه السلام) للوهج الروحى والمعنوى عند المؤمنين بل حتى المسلمين الذين يلتزمون - على أقل تقدير - عدم البغض والنصب والعداء لأهل البيت (عليهم السلام) وينظرون إلى الحسين (عليه السلام) بموضوعيه وحياديه فإن انجذابهم لا يقاس بأنجذاب المسيحيين للنبي (صلى الله عليه وآله)، فإن ما يقومون به من البكاء على النبي عيسى ابن مريم (عليها السلام) يوم

قتله حتى يسيلون الدماء عليه (عليه السلام) لا نجد عندهم هذا الارتباط والانشداد الروحي بين محبي الحسين (عليه السلام) ومن كل فئات البشر بالحسين (عليه السلام) (١).

إنَّ هذا الانشداد الشديد لو قايسناه مع أنجذاب أى مله بقدوتهم فلم نجد ولا نجد هذا العنقوان الروحي وهذا الجيشان الروحي الشفاف القوى المؤثر حتى فى خلق المنجذب لسيد الشهداء (عليه السلام) بحيث يبدله ويغيره ويصهره من حيث يشعر أو لا يشعر.

واللطيف أن كل طبقات المجتمع وشرائحه يجدون لون خاص لهم فى مدرسه سيد الشهداء (عليه السلام) تجعلهم ينجذبون إليه (عليه السلام) وهذا ليس صدفة عقلاً، فما هذه الدرجه الجماليه أو الكم الفضائلى أو الكم والمخزون الروحي الهائل الموجود فى روح ونور سيد الشهداء بحيث لا ينضب هذا المعين.

فلو كان شىء معدود فمجموعه ينضب، ولكن هو عين ومنهل النмир غير المحدود فى سعه مادته فلا ينزف، وهذا شبيه القرآن الكريم الذى يبين أحد مظاهر الملكوت فى الجنه الأبدية من أنه عين لا تنزف، وهذا غير معقول من جهه العلوم الروحيه والعلوم العقليه أن البشريه بأفكارها وخواطرها وقلوبها كالفراش تحوم حول شمعته الحسين (عليه السلام) وهذه الشمعه

ص: ١٩٨

١- (١) فهناك تقارير ل- (BBC) تصرح أن هناك تنامى فى الشعائر الحسينيه بعد سقوط النظام ليس فى العراق فحسب بل فى كل بلدان العالم بما فى ذلك الدول الأوربيه وغيرها وأعتبروا هذا التنامى بالظاهره الخطيره، لأنها ضد الظلم والباطل حيث يقول المراسل أروا دايمون (w don) مراسم عاشوراء، رمز الوقوف ضد الظلم والباطل.

لا تنطفىء في القلوب والروح وفي أنجذاب الروح لها.

وهذا يدل على عصمه سيد الشهداء (عليه السلام)، بل أعظم من فضيه العصمه فإنها تدل على مرتبه (عليه السلام) في الاصطفاء الإلهي ففي الجذب الروحي يغاير مرتبه النبي عيسى (عليه السلام) وغير مرتبه باقي الأنبياء مع اتباعهم، فلم نجد هكذا إنجذاب لأتباع موسى أو عيسى أو إبراهيم أو يحيى أو داود (عليه السلام) لهؤلاء الأنبياء وغيرهم، بحيث يذوبون ويتموتون لأنبيائهم كما نجد ذلك في أتباع الحسين (عليه السلام) ومن عامه المسلمين والبشر عدا النواصب في انجذابهم إلى الحسين (عليه السلام) بلا كلل أو ملل، فإن الكلل والملل لا يرفعه الشعر أو الخيال بل تغذيه الحقائق وتغذيه الحقيقه الروحيه الحاره في عالم الروح وفي عالم الكمالات.

إن لقتل الحسين حراره:

فلا نجد أى عزوف عن الحسين (عليه السلام) بل تجدد لا يبلى، وهذا - كما مرَّ - شبيه القرآن الكريم فإن الحسين (عليه السلام) عدل القرآن، فكما أن القرآن لا يبلى لأنه يانع أكثر فأكثر فهكذا فضيه الحسين (عليه السلام) فإنها تزداد اشتعالاً ونوراً في الأجيال القادمه، وهذا ما صرح به النبي (صلى الله عليه و آله): إن لقتل الحسين حراره في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً(١).

إن هذه الحراره لا توجد عند قلوب المؤمنين الصالحين فحسب بل حتى عند غير الصالحين، وهذا برهان واضح على علو روحى ومخزون

ص: ١٩٩

لديه (عليه السلام) ترتوى منه هذه القلوب، وهذا ليس تعبيراً عاطفياً أو تعبيراً نثرياً أو شعرياً بل بمعنى فلسفى، عقلى، منطقى، بحسب العلوم الروحية، بأعتبار أن هناك نوع من ارتباط الأرواح تطلع وترائى بين الروح والروح، ونوع من الاتصال، وهذه المصطلحات باتت واضحة لدى البشر فى العلوم الروحية فى شرق الأرض وغربها، وليس قولنا هذا من قبيل اصطلاحات وسفسطات وهلوسات باطنيه بل هذه الأمور أصبحت من الأمور العلميه الواضحه لدى البشر.

وهذا الأرتواء الذى فى النفوس لا ينقطع وبلا فتور جيلاً بعد جيل، ولا نجد من يضح هذا العطاء الروحى حتى المسيح ابن مريم أو بقيه الأنبياء (عليهم السلام) فى البشر عدا سيد الأنبياء وسيد الأوصياء وسيده النساء وذريتهم الطاهره، نعم سيد الشهداء له مكانته الخاصه «لا يوم كيومك يا أبا عبد الله» كما يقول الإمام الحسن (عليه السلام) بل كل الأئمه (عليهم السلام) فلا يوم بمعنى أن عالم الحسين (عليه السلام) عالم خاص، فلا يمكن أن يكون هذا الإنشداد والإنجذاب من فراغ روحى وإلا فكيف يصير عطاء من هذا النموذج الروحى الذى يتمثل مثاله حذاء الأرواح، لأنه كعبه القلوب وكعبه الأرواح التى تطوف حولها تلك الأرواح دائماً، وأصبح مركزيه للأرواح والأفكار والقلوب فهو (عليه السلام) ممد الأرواح وممد النفوس بهذه الفضائل الجماليه حيث ينتشلها من براثن واقعها إلى سمو ما هو يتحلى به من جمال ومن فضائل ومن نور وصفاء، فلا يطفأ روحياً ولا معنوياً، وهذا مما يدل على موقعه سيد الشهداء (عليه السلام) وفضيلته ومقامه بالقياس مع بقيه البشر.

مشاركه المرأة لزياره الأربعين:

١- قد أئفق علماء الإماميه، على عدم إئتراط وجود المَحْرَم فى حج المرأة نذباً كان الحج، فضلاً عن ما كان واجباً خلافاً للعامه، حيث إئتراطوا ذلك، وقد جاءت الروايات الصحيه بنفى إئتراط المَحْرَم وقد، أورد صاحب الوسائل فى مجلد -١١- أبواب وجوب الحج الباب -٥٨- هذه الروايات مثل:

- صحيه صفوان الجمال: وهو فقيه حملدار قال: قلت: لأبى عبدالله (عليه السلام) قد عرفتني بعملى، تأتني المرأة أعرها بإسلامها وحبها إياكم، وولايتها لكم، ليس لها مَحْرَم، قال: إذا جاءت المرأة المسلمه فإحملها، فإن المؤمن من محرم المؤمنه ثم تلى هذه الايه وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ .

- وفى صحيح معاويه بن عمار سألت أبا عبدالله (عليه السلام)،

«عن المراه تحج بغير ولى؟ قال: لأبأس وإن كان لها زوج، أو أخ، أو ابن أخ، فأبوا أن يحجوا بها، وليس لهم سعه، فلا ينبغي أن تقعد ولا ينبغي لهم أن يمنعوها».

وغيرها من الروايات الكثيره فى هذا الباب، وقد عنون فقهاء علماء الإماميه هذه المساله فى شرائط وجوب الحج، هذا مع أن الإكتظاظ بين الرجال والنساء فى الطواف، وفى رمى الجمرات مشهود إلى يومنا هذا، فضلاً عن النوم فى عراء الصحراء فى مزدلفه ليلاً .

٢ - إعلم إن عموم قوله تعالى:- وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى - مخصص بقوله تعالى: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا- وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ والايه شامله للحج الواجب والمستحب وللحج الندبى، وكذا يخصص بقوله تعالى - وَ أذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحِجِّ يَا تُوكُّ رِجَالًا - (أى راجلين على الأرجل) وَ عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ (أى الدابه) يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ .

وكذا قوله تعالى - رَبَّنَا إِنِّي أَسِيءْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ - وهذه الآيه كما تندب إلى حج بيت الله الحرام لكل الناس رجالاً ونساءً، كذلك تندبهم إلى زياره ذريه إبراهيم (عليه السلام) من إسماعيل (عليه السلام) وهم محمد وآل مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله)، لتهى القلوب إليهم، لا إليه إلى بيت الله الحرام، أى الغايه من السفر إلى الحج وبيت الله الحرام لا- تتحقق إلا بزياره محمد وآل مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله)، هوياً لقلوب الناس إليهم كما وردت بذلك الروايات عن أهل البيت(عليهم السلام)، فى شرح ظاهر مفاد الآيه، فشد الرحال والسفر من الرجال والنساء كما أمروا به إلى بيت الله الحرام، سواء فرضاً أو ندباً، فكذلك أمروا بزياره محمد

وآل مُحَمَّد (صلى الله عليه و آله)، وهذه الآيات الواردة فى الحج والزيارة ليس تخصيصاً لآيه - قرن فى بيوتكن - فحسب، بل آيه غير شامله لسفر العباده أصلاً من رأس كى نحتاج إلى مخصص لها، وذلك لأنها فى الخروج للتبرج والتهتك ومجالسه الرجال فى أنديتهم ونحو ذلك مما يفقد المرأة الحشمه والعفاف والستر كما هو المشهود فى زماننا فى الوسط الجامعى غالباً، حيث أنقلب الجو فيه بدل أن يكون طلباً للعلم، أصبح مثار إستعراض مفاتن الألبسه المتهتكه بين الجنسين .

وأما الخروج بحجابٍ وحشمهٍ وبغرضٍ عبادى أو راجح، فغير مشمول للآيه .

٣ - ومما يؤكّد ماتقدم قوله تعالى فى شأن مريم، وَ اذْكَرْ فِى الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا... .

فحملته فانتبتت به مكاناً قصياً، (أى قاصياً بعيداً) فأجاها....، فَإِذَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا * فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ مَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ وَ مريم مثلُ ضربها الله لعفافِ المرأة وعفتها، ومع ذلك أنتبتت وخرجت عن قومها إلى مكان شرقى ثم عاودت الخروج إلى مكان قاصى عن بيت المقدس، وهو كربلاء لتضع حملها فيه، ثم تحوّلت إلى الكوفه ذات ربوه وقرار معين، ثم عادت إلى محفل قومها وقامت بخطابهم

بالإشارة، وكل هذه الخطوات والسعى خارج خدرها قامت به مريم في عفةٍ وعفافٍ وحشمهٍ وإحتجاب، مما يؤصل إنّ سعى المرأه خارج المنزل بنشاطٍ بهدفٍ راجحٍ مع حفظ ورعايه الحشمه والعفاف ليس منظوراً من آيه القرار في البيوت، وكذا قوله تعالى في شأنها وهي الصديقّه التي أحصنت فرجها فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أُنَبِّئُهَا نَبَأًا حَسِينًا وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ ... فتواجد في بيت المقدس وركوعها مع الراكعين، و خطاب زكريا لها كل ذلك في جو العفه والحشمه، ضربه الله مثلاً للذين آمنوا .

وكذلك خديجه الكبرى كانت تدير أكبر تجاره ثراء في قريش، ولاسيما في الجو الجاهلي لقريش، ولكن ذلك لم يتنافى مع كمال الحشمه والعفاف، فإنّ قريش تألبت على عداوتها لما تزوجت النبي (صلى الله عليه و آله)، ومع ذلك لم يجدوا خرماً في وقارها وجلالها يستطيعوا الطعن عليها .

وكذلك خروج الصديقه الكبرى سيده كل النساء وكل الأمه، متكرراً للخطبه في المسجد النبوي، ومواجهه أصحاب السقيفه، وخروج أمير المؤمنين (عليه السلام) معها عشرات الليالي على بيوت المهاجرين والأنصار، لإقامه الحجه عليهم لنصره الحق، وكذلك خروجها كل أسبوع لزياره قبر سيد الشهداء عمها الحمزه (عليه السلام)، وقبور الشهداء، بل فعلها هذا، سنّه وحجّه تقتدى بها المؤمنات.

وكذلك خروجها بعد إنتهاء غزوه أحد مع عمتها صفيه، لمداواه جراح النبي (صلى الله عليه و آله)، وكذلك كانت النساء يخرجن مع النبي (صلى الله عليه و آله) في غزواته لمداواه الجرحى .

وكذلك خروج الحسين (عليه السلام) مع العقيله وعيالاته، فلم يكن ذلك إستثنائياً طارئاً كما قد يتوهم، بل هو نهجٌ ومنهاجٌ مغايرٌ لخروج التبرج، بل هو سعيٌ عباديٌّ للطاعة يراعى فيه الحشمه والعفه والحجاب .

٤ - إنه قد وردت النصوص المستفيضه الحائنه للنساء على زياره الحسين (عليه السلام) ففى:

١ - صحيحه إبنى داود المسترق عن أم سعيد الأحمسيه - وهى حسنه الحال - قالت: قال لى أبو عبدالله (عليه السلام): يا أم سعيد تزورين قبر الحسين (عليه السلام)؟ قالت: قلت: نعم. قال: يا أم سعيد زوريه فإن زياره الحسين (عليه السلام)، واجبه على الرجال والنساء .

وروى ابن قولويه هذا الحديث من عده طرق بأسانيد كثيره.

قال الشيخ حسين آل عصفور فى سداد العباد: وتجب زياره الحسين (عليه السلام)، على الرجال والنساء من القادرين على ذلك، للتعبير فى جمليه من المعبره وغيرها بأنه فريضة واجبه على الرجال والنساء، ومن لم يقدر على ذلك فليجهز غيره، والمشهور بين أصحابنا الإستحباب المؤكد، ومنهم من جمع بالواجب الكفائى كمحدث الوسائل .

٢ - وفي محبته محمد بن مسلم التي رواها في كامل الزيارات - ب ٤٨ - عن زياره الحسين (عليه السلام) - عن أبي عبدالله (عليه السلام): قال: قلت له: إذا خرجنا إلى أبيك أفلسنا في حج قال: بلى قلت: فيلزمنا ما يلزم الحاج قال ماذا؟ قلت من الأشياء التي يلزم الحاج قال يلزمك حسن الصحبه لمن يصحبك، ويلزمك قله الكلام إلا بخير، ويلزمك كثره ذكر الله، ويلزمك نظافه الثياب، ويلزمك الغسل قبل أن تأتي الحائر، ويلزمك الخشوع وكثره الصلاه، والصلاه على محمد وآل محمد، ويلزمك التوقى لأخذ ماليس لك، ويلزمك أن تغض بصرك، ويلزمك أن تعود إلى أهل الحاجه من أخوانك إذا رأيت منقطعاً والمواساه، ويلزمك التقيه التي قوام دينك بها، والورع عما نهيت عنه، والخصومه، وكثره الأيمان، والجدال الذي فيه الإيمان، فإذا فعلت ذلك تم حجك وعمرتك، وأستوجب من الذي طلبت ما عنده بنفقتك وإغترابك عن أهلك، ورغبتك فيما رغبت أن تنصرف بالمغفره والرحمه والرضوان .

٣ - وروى الصدوق في الفقيه: كانت فاطمه (عليها السلام) تأتي قبور الشهداء كل غداه سبت، فتأتي قبر حمزه فترحم عليه وتستغفر له (١).

ورواه الخزاز القمي المعاصر للصدوق في كفايه الاثر - ص ١٩٧ - بطريق آخر بسند متصل إلى محمود بن لبيد وهو صحابي قال: لما قبض رسول

ص: ٢٠٤

١- (١) الفقيه ج ١- ص ١٨٠ - ح ٥٣٧؛ وراه الطوسي في التهذيب - ج ١ - ص ١٢١ - ح ١٥٢٣- مسنداً عن يونس عن الصادق (عليه السلام) وسنده وطريقه محسن .

الله (صلى الله عليه وآله)، كانت فاطمه تأتي قبور الشهداء، وتأتي قبر حمزه وتبكي هناك، فأمهلتها حتى سكتت فأتيتهما، وسلّمت عليها وقلت: ياسيده النسوان قد والله قَطَّعتِ أنياطِ قلبي من بكائكِ فقالت: يا أبا عمر يحقُّ لى البكاء، ولقد أصبت بخير الآباء رسول الله (صلى الله عليه وآله)، واشوقاه إلى رسول الله، ثم أنشأت (عليها السلام) تقول:

إذا مات يوماً ميتاً قلّ ذكره وذكر أبى مات والله أكثر

قلت: ياسيدتى، يأتى سائلك عن مسأله تُجلجج فى صدرى.

قالت: سل قلت: هل نصّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل وفاته، على علي بالإمامه؟

قالت: واعجباً أنسيتم يوم غدیر خم.

الحديث لا يخفى إنَّ فى الحديث دلالاتٌ عديدةٌ على قيامها بالإرشاد والهدايه للعباد للإيمان، وغير ذلك من السنن.

الفصل الرابع : قاعده فى توسعه حريم مواسم الشعائر الدينيه زماناً ومكاناً

اشاره

ص: ٢٠٩

قاعده فى توسعه حريم مواسم الشعائر الدينيه زمانا ومكانا

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد واله الطاهرين واللعن الدائم على اعدائهم اجمعين إلى قيام يوم الدين...
وبعد

قد تكرر إبداء التساؤل عن وجه توسعه زياره الأربعين قبل يوم الأربعين من أيام صفر لاسيما منذ بدايه اليوم الحادى من صفر مع أن الزياره فى ظاهر الروايات والأدله وارده فى خصوص يوم الأربعين وكذلك الحال بالنسبه إلى الزياره الشعبانيه فإن هناك الغفير من المؤمنين يأتون بها قبل النصف من شعبان ولكن بعنوان زياره النصف من شعبان فكيف يوجه ذلك .. وكذلك يطرح تساؤل آخر وبكثره الأمر عن وجه توسعه هذه الزيارات المليونيه من جهه المكان فإن الحجم الغفير من الزوار يصل فى زيارته إلى مشارف وضواحي كربلاء المقدسه فيزور عند تلك المشارف ويرجع لشده الزحام أو لخوف الازدحام وبعضهم قد يقترب من الاحياء القريبه من الحرم الشريف فيزور حيث يشاهد القبه الشريفه فيرجع والبعض

ص: ٢١١

الثالث يكتفى بالزياره من الشوارع المحيطه بالحرم الشريف ثم يرجع فهل تتسع الزياره مكاناً إلى هذه المدايات الجغرافيه بحيث يصدق أنه زار سيد الشهداء فى الأربعين أو فى النصف من شعبان أم أنه لا بدّ من دخوله الحرم الشريف. ولمعرفه حقيقه الحال والحكم فى مورد السؤال لا بدّ من تقديم مقدمه.

قد ثبت لجمله من المناسبات الشرعيه موسم زمانى غير مضيق بيوم المناسبه الشرعيه والميقات الزمانى لها فقط ويعبر عن التوسعه فى توقيت المناسبه الشرعيه بالحريم الزمانى سواء السابق على توقيته الشرعى بقليل بحسب الحاجه أو متأخر عنه بل قد تقرر ذلك نصاً وفتوى فى الميقات المكانى والبقاع المكانيه الشريفه حيث رسم لها اوسع من المحدود المكانى بها ولناخذ فى تعداد امثله التوسعه الزمانيه كحريم للمناسبه الزمانيه ثم تقرير الضابطه الكليه فى التوسعه الزمانيه الدينيه كحريم لميقات المناسبه الزمانيه.

وإليك جمله من الوجوه التى يمكن أن يستدل بها فى المقام.

الوجه الأول:- «الاستقراء المتصيد من الابواب الفقهيه لتوسعه الشارع

اشاره

ص: ٢١٢

وفيه أبواب:

الأول: باب الحج:

أولاً: الوقوف بعرفه: - فإنه قد توسع الشارع فى الوقوف بعرفه إلى الوقوف ليلاً لمن لم يدرك نهار عرفه بل أفتى جملة الفقهاء باجزاء الوقوف الظاهري مع العامه. مع أنه قد يكون فى الواقع يوم الثامن من ذى الحجه من باب التوسع الزمانى ومن ثم اكتفى جملة من الفقهاء بالوقوف مع العامه حتى مع القطع بالخلاف.

واستدلوا على ذلك بوجه منها روايه عن الصادق (عليه السلام)

«الفطر يوم يفطر الناس والاضحى يوم يضحى الناس»^(١). وغيرها من الروايات وقربوا ذلك بأن العباده الشعائريه والشعيريه قوامها بالعمل الجماعى كشعائر وشعار وتظاهر معلن، فلذا يتسع حريمها بحسب سعه ذلك الإظهار والإبراز.

ص: ٢١٣

١- (١) الوسائل / ابواب ما يمسك عنه الصائم، ٥٧، ح ٧.

ثانياً: الوقوف بمزدلفه، فإن الشارع وسَّع الوقوف ليلاً. لمن اضطر إلى ذلك ولم يقدر على الوقوف بين الطلوعين، متقدماً على الميقات الزماني، كما وسع الوقوف متأخراً إلى زوال يوم العيد لمن فاتته الوقوف بين الطلوعين.

ثالثاً: ورد أن من أراد أن يدرك عمره رجب، يمكنه أن نشئ الإحرام في أواخر رجب وإن أتى بالأعمال في شعبان (١)(٢) وبذلك يدرك عمره رجب، وفي ذلك توسعه من ناحيه الميقات المكاني والميقات الزماني (٣).

رابعاً: في أعمال منى يوم العيد، فقد وسع الشارع الاتيان بها في ليله العيد مسبقاً، للضعفه والعجزه من الحجيج، كما وسع لمن لم يدركها إلى أيام التشريق الأربع لاحقاً.

خامساً: في أعمال مكه يوم العيد. فإنه قد سوَّغ الشارع المجئ بها قبل يوم التاسع، ولو بأيام، لذوى الاعذار، كما سوَّغ لمن يقدر عليها يوم العيد أن يأتي بها أيام التشريق بل إلى آخر ذى الحجه.

ص: ٢١٤

١- (١) الوسائل/١٢ من المواقيت/ح ١ صحيحه معاويه بن عمار:- قال سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) ليس ينبغي أن يُحرم دون الوقت الذي وقته رسول الله (ص) إلا أن يخاف فوت الشهر في العمره.

٢- (٢) نفس المصدر/ج ٢: سألت أبا إبراهيم (عليه السلام) عن الرجل يجيء معتمراً ينوي عمره رجب، فيدخل عليه الهلال قبل أن يبلغ العقيق فيحرم قبل الوقت، ويجعلها لرجب، أم يؤخر الأحرام الى العقيق ويجعلها لشعبان، قال يحرم قبل الوقت لرجب، فإن لرجب فضلاً وهو الذي نوى.

٣- (٣) التهذيب ج ٥/باب المواقيت /ص ٥١ /ح ٦/الوسائل ابواب المواقيت/باب جواز الاحرام قبل الميقات/باب ١٣/ح ٢.

الثاني: في باب الصلاة:

أولاً: في صلاة الليل، فإنه قد سوغ الشارع المجيء بها قبل منتصف الليل، لذوى العذر، عن المجيء بها في وقتها.

ثانياً: في نوافل الظهرين، فقد سوغ الشارع المجيء بها قبيل الزوال، لمن يعجز عن الأتيان بها في وقتها.

ثالثاً: في نافله الفجر، مع أن الوقت المقرر لها هو بعد الفجر الكاذب، إلا أنه وسع الشارع المجيء بها بعد صلاة الليل.

رابعاً: في خطبتي صلاة الجمعة، فأنهما كبديل عن ركعتين بعد الزوال، إلا أن الشارع سوغ المجيء بهما قبل الزوال.

خامساً: قد ورد أنه من ادرك ركعه من الوقت، أو من آخر الوقت، فقد ادرك الوقت، كما ورد اجزاء من صلى قبل الوقت فأدرك الوقت ودخل عليه قبل أن يسلم لمن صلى قبل الوقت غفله.

الثالث: موارد متفرقة:

أولاً: أن يوم عاشوراء يوم عظيم، لذا جعل أهل البيت (عليهم السلام) له حريماً زمانياً متقدماً عليه بتسعة أيام، فقد ورد عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)، أن حزنه (عليه السلام) كان يبدأ من أول يوم من محرم فلا يرى باسمًا قط، فإذا كان يوم العاشر، كان يوم مصيبتته (عليه السلام) (١) فقد روى الصدوق في أماليه بسنده عن

ص: ٢١٥

إبراهيم بن أبي محمود عن الرضا (عليه السلام) أنه قال: كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكاً وكانت الكآبه تغلب عليه حتى يمضى منه عشره أيام. فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبتته وحزنه وبكائه ويقول: هو اليوم الذى قتل فيه الحسين (عليه السلام) (١).

وروى فى البحار عن بعض مؤلفات المتأخرين أنه قال حكى دعبل الخزاعى دخلت على سيدى ومولاي على بن موسى الرضا (عليه السلام) فى مثل هذه الأيام فرأيتة جالساً جلسه الحزين الكئيب وأصحابه من حوله فلما رآنى مقبلاً قال لى مرحباً بك يا دعبل مرحباً بناصرنا بيده ولسانه ثم أنه وسع لى فى مجلسه وأجلسنى إلى جانبه ثم قال لى يا دعبل أحب أن تنشدى شعراً فإن هذه الأيام أيام حزنٍ كانت علينا أهل البيت وأيام سرور كانت على أعدائنا. خصوصاً بنى أميه (٢) الحديث.

وفى هذه الروايه وإن كانت مرسله تصريح بأن المناسبه وإن كانت يوماً واحداً إلا أن ما يحتف بها من أيام ما قبلها وما بعدها تلك الأيام تنسب إلى تلك المناسبه وذلك اليوم بحسب العرف والاعراف المختلفه بل هذه الروايات نص بالخصوص على ما نحن فيه صغروياً وإن هذه التوسعه فى الارتكاز العرفى قبل أن تكون تناسيباً شرعياً وهذا وجه مستقل برأسه وهو استقراء الاستعمال العرفى لعنوان الأيام المضافه إلى مناسبه ما، وكانوا

ص: ٢١٤

١- (١) أمالى الصدوق، المجلس رقم ٢٧، الرقم ٢.

٢- (٢) البحار، مجلد ٤٥، ص ٢٥٧.

يعدون هذه الأيام أيام الحزن (١).

ثانياً: في ليلة القدر، فإن يومها بمنزلتها (٢) بل ورد أن ليلة التاسع عشر والواحد والعشرين حريم زمانى متقدم ليله الثالث والعشرين (٣) بل ورد أن شهر رمضان من اوله، حريم ليله القدر (٤) بل ورد ايضاً أن حريم ليله القدر يبدأ من ليله النصف من شعبان (٥) كما أن ليلة القدر حريم لولايه آل مُحَمَّد (عليهم السلام)، باعتبارها ظرف زمانى شريف لتنزل روح القدس عليهم (عليهم السلام).

ثالثاً: فى غسل يوم الجمعة فإنه سوغ الشارع المجئ به فى يوم الخميس لمن يعجز عن الماء يوم الجمعة أو يخاف العوز (٦).

رابعاً: قد جعل الشارع حريم ليله الجمعة، يمتد قبلها، من بعد زوال ظهر يوم الخميس (٧)، كما جعل لأعمال يوم الجمعة حريماً متأخراً وهو ليله السبت، بل يظهر من الشارع أن كل يوم ذو فضيله وحرمة، تبدأ حرمة قبله فتكون الليله السابقه حريماً له، كليله عرفه وليالى العيدين وليله

ص: ٢١٧

-
- ١- (١) بحار الانوار ج ٤٥ ص ٢٥٦.
 - ٢- (٢) الامالى للصدوق ص ٧٥١.
 - ٣- (٣) نور الثقلين ج ٥ ص ٦٢٥.
 - ٤- (٤) الوسائل ج ٧ الباب ١٨/ من ابواب أحكام شهر رمضان ح ١ ص ٢١٩/ تحرير الأحكام ج ١ ص ٥١٦.
 - ٥- (٥) الحدائق الناظره/ ج ١٣ ص ٤٤٨/ روح المعانى للالوسى ج ٢٥ ص ١١٣.
 - ٦- (٦) الوسائل: كتاب الطهاره ابواب الاغسال المسنونه/ ٩ باب استحباب تقديم الغسل يوم الخميس لمن خاف قله الماء يوم الجمعة.
 - ٧- (٧) بحار الانوار ج ٨٦ ص ٣٦١.

الجمعه وليله النصف من شعبان كما تقدم وليله المبعث الشريف مع أن المبعث الشريف في فجر يومها وغيرها من الليالي التي شرفت كحریم سابق لأيامها الشريفه.

خامساً: ورد في فضائل يوم الغدير أنه مستمر إلى ثلاثة أيام (١) وكذلك ما ورد في اليوم التاسع من ربيع الأول (٢).

ص: ٢١٨

١- (١) اقبال الاعمال ج ٢ ص ٢٦١.

٢- (٢) المختصر ص ٦٥.

وقد مرّ بعض منها:

أولاً: أن الكعبه كأول بيت وضع للناس، لها عظمه وحرمة وشرافه، لذا جعل المسجد الحرام حريم لها، وجعلت مكه المكرمه حريماً للمسجد الحرام، وجعل الحرم المكي حريماً لمكه المكرمه، وجعلت المواقيت حريماً للحرم المكي، وقد ورد بكل ذلك النصوص.

ثانياً: في مرقد الرسول (صلى الله عليه وآله)، فقد ذكر السمهودي في مقدمه كتابه، إجماع أهل الجمهور على أن قبره صلى الله عليه وآله أعظم حرمة من مكه المكرمه، بل نقل عنهم، أنه اعظم من العرش، لذت جعلت الروضه المباركه بين القبر والمنبر حريماً للقبر الشريف، وجعل المسجد النبوي حريماً للروضه المباركه، وجعلت المدينه المنوره حريماً للمسجد النبوي، وجعل الحرم المدني بين الجبلين حريماً للمدينه المنوره، وبعض الروايات عند الفريقين، تبين أن ما بين الحرم المكي والحرم المدني، ملحق في بعض الآثار

ص: ٢١٩

«من مات بين الحرمين، بعثه الله فى الآمين يوم القيامة»(١) وكذلك فى الروايه

«من مات بين الحرمين لم ينشر له ديوان»(٢).

ثالثاً: فى كل مراقده أهل البيت (عليه السلام)، فإنَّ قبورهم بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فلها الحرمه والعظمه بنص القرآن الكريم والسنة الشريفه، وقد ذكر كاشف الغطاء (قدس سرّه) فى كتابه كشف الغطاء: ٥٤/ عند قراءه الفاتحه بعد الطعام ورجحان الشعائر الحسينيه، أن مراقدهم (عليهم السلام) مشاعر شعرها الله عزَّ وجلَّ، ويتبعها فى الحرمه، ما حولها من البقاع الشريفه، لذا قد ورد أن الكوفه حرمت لأجل أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومن ثم ذهب الشيخ الطوسى فى المبسوط، إلى أن حكم التخيير الصلاه بين القصر والتمام للمسافر فى مسجد الكوفه بتبع التخيير فى مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام)(٣) وما يؤيد ذلك ما رواه محمد بن الحسن عن أبيه عن أحمد بن داود عن أحمد بن جعفر المؤدب عن يعقوب بن يزيد عن الحسين بن بشار الواسطى قال: سألت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) ما لمن زار قبر ابيك قال: زره قلت: فأى شىء فيه من الفضل قال فيه من الفضل كفضل من زار قبر والده يعنى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقلت فأنى خفت فلم يمكننى أن ادخل داخلاً، قال سلم من وراء الحاير (الجسر، الجدار خ ل)(٤)، وفيه دلالة على التوسعه المكانية.

ص: ٢٢٠

١- (١) البحار/ج ٤٧ ص ٣٤١.

٢- (٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٢٢٩.

٣- (٣) النهايه للشيخ الطوسى/ص ٢٨٥.

٤- (٤) الوسائل/ابواب المزار وما يناسبه/الباب ٨٠ ح ٤.

رابعاً: ورد في حرم سيد الشهداء (عليه السلام)، أن الحَيْر حريم للقبر الشريف، وحرمت مدينه كربلاء كحريم للقبر الشريف(١) بل ورد أن لمرقد الحسين (عليه السلام) حريم بمقدار فرسخ من كل جانب من القبر الشريف(٢) وهذا يطابق ما ورد مستفيضاً، من استجابته الدعاء تحت قبته(٣) فإنه ليس المراد من ذلك القبه الطينيه فوق المرقد الشريف، بل قبه السماء، فالواقف عند القبر الشريف يكون امتداد القبه بمقدار امتداد نظره في الأفق حيث يتماس خط السماء بالارض، وهذا المقدار يساوى الفرسخ تقريباً وهو حوالى خمسہ كيلومترات ومن ثم ذهب جمله ممن تقدم، الى التخيير بين القصر والتمام فى تمام مدينه كربلاء(٤).

والروايات الواردة فيه كالتالى:

١- مرفوعه منصور بن عباس عن أبى عبدالله (عليه السلام) قال حرم الحسين (عليه السلام) خمسُ فراسخ من أربع جوانبه.

أى فتكون حوالى شعاع سبعة وعشرين كيلومتر من كل جانب من جوانب القبر ومثلها مرسله الصدوق فى الفقيه(٥).

ص: ٢٢١

١- (١) كامل الزيارات /ص ٢٦٨ /الوسائل ابواب المزار ٥١٠/١٤.

٢- (٢) التهذيب ٧٠/٦، كامل الزيارات ص ٤٥٦، مصباح المتهجد ٦٧٤-٦٧٥، البحار ١٠١ ص ١١١.

٣- (٣) الوسائل/الباب ٧٦ من المزار، الأمالى ص ٣١٧ المجلس ١١/ح ٩١.

٤- (٤) الشيخ الطوسى فى المبسوط/السيد المرتضى/وبن الجنيد.

٥- (٥) الوسائل، أبواب المزار، باب ٦٧، ح ٨.

٢- وما رواه الشيخ الطوسي بسنده عن محمد بن إسماعيل البصرى عن روه عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: حرم الحسين (عليه السلام) فرسخ في فرسخ من أربع جوانب القبر(١).

٣- وما رواه الشيخ الطوسي بسنده عن محمد بن أحمد بن داود بن الحسن بن محمد عن حميد بن زياد عن سنان بن محمد عن أبي الطاهر (يعنى الورقاء) عن الحجال عن غير واحد من أصحابنا عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: التربه من قبر الحسين بن على (عليه السلام) على عشرة أميال(٢).

٤- ما رواه فى كامل الزيارات بسنده عن محمد بن جعفر عن محمد بن الحسين عن رجلٍ عن أبي الصباح الكناني عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: طينُ قبر الحسين (عليه السلام) فيه شفاء وإن أخذ على رأس ميل(٣).

٥- وما رواه فى التهذيب بسنده عن سليمان بن عمر بسراج، عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله (عليه السلام): قال يؤخذ طين قبر الحسين (عليه السلام) عن عند القبر على سبعين ذراعاً(٤) ورواه ابن قولويه فى المزار إلا أنه قال على سبعين باعاً فى سبعين باعٍ(٥).

ص: ٢٢٢

١- (١) الوسائل، أبواب المزار، باب ٦٧، ح ٢.

٢- (٢) التهذيب، ج ٦، ١٣٦/٧٢.

٣- (٣) كامل الزيارات، ٢٧٥.

٤- (٤) التهذيب، ٧٤: ١٤٤/٦: ١٤٤/٦: ٥٨٨: ٥/٤.

٥- (٥) الباع: مسافه ما بين الكفين أن ابسطهما وهو قدر مد اليدين وما بينهما من البدن (لسان العرب).

٦- وما رواه بسنده عن أبي القاسم جعفر بن محمد عن محمد بن جعفر الرزاز عن محمد بن الحسين ابن أبي الخطاب، عن الحسن بن محبوب عن إسحاق بن عمار قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: أن لموضع قبر الحسين (عليه السلام) حرمه معروفه من عرفها واستجار بها أُجبر، قلت: فصف لي موضعها، قال: امسح من موضع قبره اليوم خمسه وعشرين ذراعاً من ناحيه رجله، وخمسه وعشرين ذراعاً من ناصيه رأسه وموضع قبره من يوم دفنه روضه من رياض الجنه، ومنه معراج يُعرج فيه بأعمال زواره إلى السماء، وما من ملك في السماء ولا في الأرض إلا وهم يسألون الله (أن يأذن لهم) في زياره قبر الحسين (عليه السلام) ففوج ينزل وفوج يعرج (١).

ورواه الكليني والصدوق أيضاً.

٧- وفي معتبره عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: قبر الحسين (عليه السلام) عشرون ذراعاً مكسراً روضه من رياض الجنه (٢) ورواه في كامل الزيارات/٢٢٥. وهذا التفاوت في تحديد المكان مضافاً إلى امكان حمله على تفاوت الفضل فإنه يشير أيضاً إلى التوسيع في حريم وحرمة المكان والميقات المكانية.

خامساً: ورد أن الله تعالى يدفع البلاء عن مدينه بغداد، بقبر الإمام موسى

ص: ٢٢٣

١- (١) الوسائل، أبواب المزار، باب ٦٧/ح ٤.

٢- (٢) الوسائل، أبواب المزار، باب ٦٧، ح ٦.

بن جعفر (عليه السلام) (١) وورد أيضاً حرمة مدينه سامراء بقبر العسكرين (عليهما السلام) (٢)، وأن مدينه طوس حرم لمرقد الرضا (٣) بل ورد أن ما بين الجبلين المحيطين بطوس، جعل حريماً لمرقد الرضا (عليه السلام) (٤) وقد ذهب السيد المرتضى وابن الجنيد وظاهر على بن بابويه وبعض المتقدمين إلى التخيير في الصلاه بين القصر والتمام للمسافر في كل المراقد المطهره لأهل البيت (عليهم السلام) (٥).

سادساً: ما ورد من تنزيل زياره المعصومين (عليهم السلام) من على سطح المنزل بمنزله الزياره عن قرب لمن عجز عن السفر لمانع (٦).

سابعاً: ما ورد في غسل الاحرام في مسجد الشجره، فقد سَوَّغ الشارع الغسل في المدينه المنوره لمن يعجز عنه في مسجد الشجره (٧).

ثامناً: ورد أنه إذا ضاقت مزدلفه بالحجيج، يسوغ لهم أن يصعدوا إلى الجبل (٨) وكذلك في منى إلى وادي محسّر (٩).

ص: ٢٢٤

-
- ١- (١) البحار ج ٥٧/ص ٢٢٠/دار احياء التراث.
 - ٢- (٢) البحار ج ٩٩ ص ٥٩.
 - ٣- (٣) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٠٨.
 - ٤- (٤) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٠٩.
 - ٥- (٥) جُمل العلم والعمل (رسائل الشريف المرتضى) ج ٣ ص ٤٧.
 - ٦- (٦) كامل الزيارات/ باب ٩٦ ح ٧.
 - ٧- (٧) ما رواه الحلبي:/ سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن الذي يغتسل في المدينه للاحرام أيُجزيه عن الغسل في الميقات. قال (عليه السلام): نعم /حوالى اللئالي ج ٣ - باب الحج ح ٢٨.
 - ٨- (٨) الوسائل كتاب الحج/ابواب احرام الحج والوقوف بعرفه/باب ١١ ح ٣.
 - ٩- (٩) نفس المصدر ح ٤

تاسعاً: ما ورد في باب عدم وجوب استلام الحجر وتقبيله وعدم تأكد استحباب المزاحمه عليه واجزاء الإشاره والايماء، وتشير الى ذلك روايات:

منها: ما رواه الكليني عن عده من اصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد عن صفوان بن يحيى عن سيف التمار قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) اتيت الحجر الأسود فوجدت عليه زحاماً فلم التقي إلا رجلاً من أصحابنا فسألته، فقال: لا بد من استلامه فقال: إن وجدته خالياً وإلا فسلم «فاستلم» من بعيد (١).

منها: وعنهم عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن محمد بن عبيد «عبد» الله قال: - سئل الرضا (عليه السلام) عن الحجر الأسود وهل يقاتل عليه الناس إذا كثروا. قال: - إذا كان كذلك فأوم إليه إيماء بيدك (٢).

منها: محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبي ايوب الخزاز عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: - ليس على النساء جهر بالتلبيه ولا استلام الحجر ولا دخول البيت ولا سعى بين الصفا والمروه يعنى الهروله (٣)، أى يكفيهن الإيماء من بعد للحجر الأسود.

ص: ٢٢٥

١- (١) الوسائل الباب ١٦ من ابواب الطواف/ح ٤.

٢- (٢) نفس المصدر/ح ٥.

٣- (٣) الوسائل الباب ١٨ من ابواب الطواف/ح ١.

الوجه الثاني: السيره العقلانيه الممضاه:

تقرر فى السيره العقلانيه على أنه هناك حريم فى البقاع المملوكه فللدار حريم، وللبئر حريم، وللطريق حريم من جانبيه، وللمدينه حريم من ضواحيها، وضابطه مقدار الحريم أن يكون بحسب الحاجه التابعه له، فليس يتحدد بقدر يقف عليه ثابت لا يزيد ولا ينقص، بل هو يتسع وينقص بمقدار ما تستدعيه الحاجه.

وهذه السيره العقلانيه ليست خاصه بتوسعه الحريم المكانى.

بل هى جاريه أيضاً بتوسعه الحريم الزمانى، فنراهم يقولون (عام الفيل) و (عام الحزن) و (عام الفتح)، مع أن الحدث المناسبه حدثت فى أيام قلائل، ولم تمتد لكل العام، كما فى وفاه أبى طالب وخديجه (عليهم السلام) فى عام الحزن. وكذلك يقال أن النبى (صلى الله عليه وآله) ولد فى شهر ربيع الأول، أو أن أمير المؤمنين ولد فى شهر رجب مع أن الولاده حدثت فى ساعه واحده كما روى الصفار بسنده عن حفص الابيض التمار قال دخلت على أبى عبد الله (عليه السلام) أيام صلب المعلّى ابن الخنيس (١) والحال أن المعلّى صلب فى يوم واحد وروى الحميرى عن جعفر عن أبيه (عليهما السلام) أن علياً (عليه السلام) كان يأمر مناديه بالكوفه أيام عيد الأضحى (٢) والحال أن الأضحى يوم واحد.

وفى روايه أخرى عن على بن رافع اخذنا منها موضع الحاجه وهو

ص: ٢٢٦

١- (١) بصائر الدرجات ص ٤٢٣.

٢- (٢) الكافى ١٩٦/٨ ج ٢٤٤.

«وأنا أحب أن تُعرّنيه أتجمل به في أيام عيد الأضحى»^(١) مع أن عيد الأضحى يوم واحد ولكن عبّر عنه بأيام وهذا يدل على أن الشارع جعل لتلك الأزمنة حريماً زمانياً عبّر عنها بالأيام كما هو كذلك عند العقلاء.

وهذا مما يبرز لنا وجه التوسعة عند العقلاء، فهو لأجل طبيعته التوسعة في الظرفية والاسناد الزماني

وكذلك الحال في التوسع في الظرف المكاني، فيقال أن النبي (صلى الله عليه وآله) ولد في مكة وكل ذلك نوع من التقريب في التحقيق، والتحقيق في التقريب، من جهة تحقق الاسناد وتوسع الظرف وكأن هذا هو المنشأ للارتكاز العقلاني.

وهذه السيره العقلانيه هي سيره متشرعيه أيضا، كما اتضح من الامثله أعلاه.

الوجه الثالث:

قوله تعالى وَ ذَكَّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ٢ حيث يمكن أن يستنبط منها عرفاً

، سواء بحسب الارتكاز العقلاني أو المتشرعي، أن التذكير الوارد في الآيه المباركه، ليس لخصوص اليوم الذي فيه المشهد الإلهي العظيم، بل يشمل الأيام المحتفه به أيضا، فيكون مفاد الآيه الكريمه، الاحتفاء والاحتفال بالميقات الزماني الشعيري بما يشمل حريم ذلك الميقات الزماني، من قبل الميقات ومن بعده.

ص: ٢٢٧

١- (١) تهذيب الأحكام للطوسي، ج ١٠/١٥٤، باب من الزيادة.

الوجه الرابع: قاعده تعدد مراتب المستحبات:

تُبين هذه القاعده أن طبيعه المستحبات من حيث الأجزاء و الشرائط و القيود و التي منها الزمان و المكان طبيعه ذات مراتب و تعدد في المطلوب في أساس جعلها و تشريعها و من ثم لا يرتكب الفقهاء عمليه التقييد بين المطلق و المقيّد و لا عمليه التخصيص بين العام و الخاص بل يحملون المقيّد و الخاص على تعدد مراتب الفضل و أن الشرائط و القيود هي شرائط و قيود كمال وليست شرائط و قيود صحه فمن ثم يكون مقتضى الظهور الأولى في باب المندوبات هو على تعدد المطلوب إلّا أن تقوم قرينه على خلاف ذلك، و هذا يوسع الزياره المندوبه زماناً و مكاناً، و إن كان الأقرب فالأقرب زماناً و مكاناً هو الأفضل فالأفضل في مراتب الفضل و الكمال.

الوجه الخامس: (قاعده الميسور لا يسقط بالمعسور):

هذه القاعده أو قاعده ما لا يدرك كله لا يترك جله. تنطبق على المراتب الزمانيه و المكانيه للعمل المقيّد بالزمان و المكان، فيكون الأقرب فالأقرب هو الميسور المقدم.

زيد المخاض: المحصله من الوجوه:

ويتحصل من هذه الوجوه. هو أن كل موضع زمانى أو مكانى، جعل في الشريعه ميقاتاً لشعييره دينيه له حريم يحيط به، يسبقه ويتأخر عنه.

وإن ما عليه المتشرعه في زماننا من التوسع زماناً و مكاناً بحسب

الحاجه فى زياره الأربعين لسيد الشهداء (عليه السلام) أو زياره عاشوراء أو زياره أمير المؤمنين (عليه السلام) أو زياره الجوادين (عليهما السلام) أو زياره العسكرين (عليهما السلام) أو غيرها من مواسم الزيارات العظيمه التى يكون فيها الزحام شديد هذا التوسع مطابق لقاعده فقيهه شرعيه. متصيده من الأبواب الفقيهيه ومعتضده بوجه أخرى مفادها «أن لكل ميقات زمانى أو مكانى لشعيره دينيه عباديه حريم يحيط به يتوسع وبحسب ظرفيه وقابليه الحاجه إلى الحدود التى تتصل بذلك الميقات».

الفصل الخامس : قاعده: المشى إلى العباده عباده

اشاره

ص: ٢٣١

قاعده: المشى إلى العباده عباده

إن فضيله المشى كعباده قد وردت فيها طوائف من الروايات الآتية وهو مسأله قد تداولها الفقهاء بحثاً وتنقيباً وتحقيقاً لاسيما فى كتاب الحج بل إن فى طوائف تلك الروايات ما يدل على أن المشى له خصوصيه ذاتيه عباديه بغض النظر عن ما هو غايه للمشى من العباده الأخرى وبغض النظر عن كونه موجباً لزياده ثواب تلك الغايه العباديه فهذه حيثيات ثلاث:

الأولى: كون المشى عباده فى حدّ نفسه.

الثانيه: اتصافه بالمقدميه للعباده.

الثالثه: زياده كمال و ثواب الغايه العباديه التى يتوسط المشى مقدمه لها.

الرابعه: ورود الأمر الخاص بخصوص المشى للحج لبيت الحرام والأمر خاص بالمشى إلى زياره النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل البيت (عليهم السلام) كزياره أمير المؤمنين (عليه السلام) وزياره الإمام الحسين (عليه السلام) وسائر المراقد المطهره.

الخامسه: ولا يخفى أن المشى فى مقابل الركوب يوجب مشقه للنفس

ص: ٢٣٣

كما يشير إليه قوله تعالى وَ الْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَ حِينَ تَسِيرُونَ * وَ تَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَ زِينَةً ١.

وما يوجب مشقه النفس يضعضع من النفس ويهونها لدى ذاتها فى مقابل الرفاه والنعيم والاستغناء وهو ما يوجب طغيانها واستكبارها كما يشير إليه قوله تعالى إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ٢.

وقوله تعالى فى وصف أصحاب الشمال إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ٣. وقد ورد فى قوله تعالى طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ٤ فى صحيحه أبى بصير عن أبى جعفر (عليه السلام) فى ذيل الآيه وكان رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقوم على أطراف اصابع رجله فانزل الله سبحانه وتعالى ما أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ٥.

وفى معتبره أخرى عن أبى جعفر وأبى عبيدالله كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) إذا صلى قام على أصابع رجله حتى تورمتا فأنزل الله تبارك وتعالى طه *

ما أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ١.

وفى روايه الاحتجاج أنه كان إذا قام إلى الصلاه... ولقد قام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَشْرَ سِنِينَ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ وَاصْفَرَ وَجْهَهُ يَقُومُ اللَّيْلَ أَجْمَعَ حَتَّى عَوْتَبَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ طَه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ٢ وَرَوَى الطَّبْرَسِيُّ فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ قَالَ رَوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كَانَ يَرْفَعُ أَحَدَ رِجْلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ لِيَزِيدَ تَعَبَهُ فَانزَلَ اللهُ تَعَالَى طَه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى فَوَضَعَهَا (١) وَفِي مَوْثُوقِ ابْنِ بَكِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَالَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بَعْدَ مَا عَظُمَ أَوْ بَعْدَ مَا ثَقُلَ كَانَ يَصَلِي وَهُوَ قَائِمٌ وَرَفَعَ أَحَدِي رِجْلَيْهِ حَتَّى انزَلَ اللهُ تَعَالَى طَه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى فَوَضَعَهَا (٢).

وفعله (صلى الله عليه وآله) ذلك وإن نُهي عنه إلّا- أن وجه الحكمه فيه هو الاجتهاد وحمازه العمل. فإن ثقل العباده والخضوع يكسر جموح النفس ويضعضعها ويُذهب أنفتها ويطأطأ شموخها إلى خضوع العبوديه لله تعالى وقد ورد استحباب لبس الخشن والثقل من الألبسه فى الصلاه وهو يؤدي نفس هذا المؤدى ومنه يتضح كبرى عامه فى العبادات أن الجهد والاجتهاد والجد

ص: ٢٣٥

١- (٣) الطبرسى فى مجمع البيان، ذيل الآيه [طه * ما أَنْزَلْنَا...].

٢- (٤) أبواب الوسائل، الباب ٣، ح ٤.

فيها اخضع خشوعاً في عباديه العباده وهذه قاعده عامه اخرى كبرى اوسع من القاعده التي نحن فيها وهي صغرى تطبيقه لها وقد أفتى الأصحاب بها كما وردت النصوص والدلائل من الآيات والروايات بها.

وقال تعالى

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَوَّغَى لَهَا سَعْيَهَا (١) منطبق بعمومه على المشى للطاعه وفي صحيح هشام بن سالم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ما عبد الله بشيء أفضل من المشى (٢).

أدله القاعده:

اشاره

وقد وردت طوائف من لروايات داله على مفاد القاعده:

الطائفة الأولى: ما ورد أن مطلق المشى عباده:

١- صحيحه عبد الله بن سنان عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال:

ما عبد الله بشيء أشد من المشى ولا أفضل (٣).

٢- روايه الزبيدي: عن فضل بن عمرو، عن محمد بن إسماعيل بن رجاء الزبيدي عن أبي عبد الله (عليه السلام) ما عبد الله بشيء فضل من المشى (٤).

٣- صحيحه هشام بن سالم قال دخلنا على أبي عبدالله (عليه السلام) أنا وعتبه

ص: ٢٣٦

١- (١) سورة الإسراء: الآية ١٩.

٢- (٢) الوسائل، أبواب وجوب الحج، باب ٣٢، ح ٢.

٣- (٣) الوسائل، أبواب وجوب الحج، ب ٣٢، ح ١.

٤- (٤) نفس المصدر، ح ٤.

بن مصعب وبضعه عشر رجلاً من أصحابنا فقلنا جعلنا فداك أيهما أفضل المشى أو الركوب فقال ما عبد الله بشيء أفضل من المشى ، فقلنا أيما أفضل نركب إلى مكة فنعجل فنتقيم بها إلى أن يقدم الماشى أو نمشى فقال الركوب أفضل (١).

وذيل الحديث وإن كان في خصوص المشى إلى الحج إلا أن صدره واضح هو في عموم قضيه المشى كقضيه كليه لا تختص بالمشى إلى الحج فمن ثم كان الصدرُ قضيه عامه في عموم المشى وبعبارة أخرى أن السؤال في الذيل حول حكم المشى إلى الحج ناشئ من الإثارة الحاصل فتقريب عموم الصدر تام بل الصدر وكذلك الروايتين السابقتين دال على رجحان عباديه المشى بغض النظر عن كون غايته عباديه.

وأما في ذيل صحيحه هشام من ترجيحه الركوب على المشى بعد ما ذكر في صدر الحديث من رجحان المشى على الركوب فهو لأجل نص الروايه أن المشى أفضل إلا أن جهات أخرى مزاحمه قد تغلب فضيلته كاعمار مكة بالمؤمنين أو المجيء بمزيد من الطوائف ونحو ذلك من الأعمال البالغة الرجحان في مكة وإلا فقد روى كما سيأتى أن الحسن (عليه السلام) حجَّ عشرين مره ماشياً من المدينة وكذلك السجاد (عليه السلام) فلا بد من ملاحظات الجهات المختلفه.

وتقريب دلالة هذه الطائفة على عباديه المشى الذاتيه فضلاً عن ما إذا

ص: ٢٣٧

مقدمه لعباده أو لطاعه الله هو أن المشى تواضع والتواضع هو الحاله الأقرب لعبوديه العبد شعوره بالفقر والحاجه والضعه إلى البارى تعالى كما أن فى المشى مشقه تكسر جموح وطغيان النفس فكما أن حاله الإنسان التى وصفت فى قوله تعالى: إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَن لِّيْطَغْي * أَنْ رَأَاهُ اسْتِغْنَى فَكَذَلِكَ الْعَكْسُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لِيَتَّضِعَ أَنْ رَأَاهُ افْتَقَرَ وَمَنْ كَانَ الْفَقْرَ شِعَارَ الصَّالِحِينَ وَهَذَا بِنَفْسِهِ إِشَارَةٌ إِلَى تَقْرِيْبِ وَجْهِ عَقْلِيْ مُسْتَقِلِّ فِي عِبَادِيهِ الْمَشْيِ الْذَاتِيهِ.

الطائفة الثانية: ما ورد فى المشى إلى الحج وهى على السن:

إشاره

اللسان الأوّل: وهو دال على فضيله المشى إلى الحج على الركوب كما فى:

١- معتبره أبى الربيع الشامى عن أبى عبدالله (عليه السلام) قال ما عبد الله بشيء أفضل من الصمت والمشى إلى بيته (١).

٢- معتبره أبى اسامه عن أبى عبد الله (عليه السلام): قال خرج الحسن بن على (عليه السلام) إلى مكه سنه ماشياً فورمت قدماه فقال بعض مواليه لو ركبت لسكن عنك هذا الورم فقال كلا، إذا أتينا هذا المنزل فإنه يستقبلك اسود ومعه دهن فاشترى منه ولا تماسكه الحديث (٢).

٣- صحيح الحلبي قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن فضل المشى فقال: أن الحسن بن على (عليه السلام) قاسم ربه ثلاث مرات حتى نعلًا ونعلًا وثوبًا وثوبًا

ص: ٢٣٨

١- (١) الوسائل، أبو أب وجوب الحج، باب ٣٢، ح ٧.

٢- (٢) نفس المصدر، ح ٨.

وديناراً وديناراً وحج عشرين حجه ماشياً على قدميه (١).

٤- رواه أبي المنكدر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال ابن عباس ما ندمت على شى صنعته ندمى على أن لم احج ماشياً لأننى سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول من حج بيت الله ماشياً كتب له سبعة آلاف حسنه من حسنات الحرم قبل يا رسول الله وما حسنات الحرم قال حسنه ألف ألف وقال فضل المشاه فى الحج كفضل القمر ليله البدر على سائر النجوم وكان الحسين بن على (عليهما السلام) يمشى إلى الحج ودابته تقاد وراءه (٢).

٥- روى المفضل بن عمر عن الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) أن الحسن بن على كان أعبد الناس وازهدهم وفضلهم فى زمانه وكان إذا حج حج ماشياً ورمى ماشياً وربما مشى حافياً (٣).

٦- روى المفيد فى الارشاد بسند متصل عن إبراهيم بن على قال حج على بن الحسين (عليه السلام) ماشياً فسار عشرين يوماً من المدينة إلى مكة (٤).

٧- ما رواه فى علل الشرائع قال أمير المؤمنين (عليه السلام) حج آدم سبعين حجه ماشياً وروى أنه (عليه السلام) أتى البيت ألف آتية وسبعمائنه حجه وثلاثمائنه عمره.

صحيح حماد بن عيسى عن اخبره عن العبد الصالح فى حديث قال،

ص: ٢٣٩

١- (١) نفس المصدر، ح ٣.

٢- (٢) نفس المصدر، ح ٩.

٣- (٣) الوسائل، أبواب وجوب الحج، باب ٣٢، ح ١٠.

٤- (٤) نفس المصدر، ح ١١.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما من طائفٍ يطوف بهذا البيت حين تزول الشمس حاسراً عن رأسه حافياً يقارب بين خطاه ويغض بصره ويستلم الحجر في كل طوائف من غير أن يؤذى أحداً ولا- يقطع ذكر الله عن لسانه إلا كتب له عَزَّ وَجَلَّ له بكل خطوه سبعين ألف حسنه ومحى عنه سبعين ألف سيئه ورفع له سبعين ألف درجه واعتق عنه سبعين ألف رقبه ثمن كل رقبه عشره آلاف درهم. وشفع في سبعين من أهل بيته وقضيت له سبعون ألف حاجه إن شاء فعاجله وإن شاء فأجله(١).

اللسان الثاني: ما ظاهره إلى الركوب للحج أفضل من المشى:

١- صحيح رفاعه وابن بكير جميعاً عن أبي عبدالله أنه سئل عن الحج ماشياً أفضل أو راكباً فقال بل راكباً فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حج راكباً. وطريق هذه الروايه مستفيض عن رفاعه(٢).

٢- صحيح سيف التمار قال قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) أنه بلغنا وكنا تلك السنه مشاه، عنك انك تقول فى الركوب؟ فقال (عليه السلام) أن الناس يحجون مشاه ويركبون فقلت ليس عن هذا اسئلك فقال عن أى شىء تسألنى فقلت أى شىء أحب إليك نمشى أو نركب؟ فقال تركبون احب الى فإن ذلك اقوى على الدعاء والعباده(٣).

ص: ٢٤٠

١- (١) الكافي، مجلد ٤، ص ٤١٢.

٢- (٢) أبواب وجوب الحج، باب ٣٣، ح ٤.

٣- (٣) نفس المصدر، باب ٣٣، ح ٥.

وصريح هذه الروايه أن أفضليه الركوب على المشى إنما هي بلحاظ جهات طارئه أخرى كالتحفظ على القدره لأجل الدعاء والعباده فى الحج لا للرجحان الذاتى للركوب على المشى ولعل وجه ركوب رسول الله (صلى الله عليه و آله) هو لأجل أن لا يشق على أمته فيضعفوا عن أداء مناسكهم وعن جملة من العبادات الراجحه فى الحج أو أن الركوب فيه جهه تأسى برسول الله صلى الله عليه وآله وإن كان ما فعله رسول الله (صلى الله عليه و آله) ليس بداعى جعل السنه منه فى ذلك بل من باب ترك المشى الراجح لثلاثه أمه فى المشقه أو التفريط فيما هو ارجح من العبادات الأخرى.

٣- موقى عبد الله بن بكير قال قلت لأبى عبدالله (عليه السلام) إنا نريد الخروج إلى مكه فقال لا تمشوا واركبوا فقلت أصلحك أنه بلغنا أن الحسن بن على (عليه السلام) حجه عشرين حجه ماشياً فقال أن الحسن بن على (عليه السلام) كان يمشى وتساق معه محامله ورحاله (١).

ومثله روايه سليمان عن أبى عبد الله (عليه السلام).

والوجه فى مفاد هذا التعليل فى هذه الروايه ما سيأتى فى معتبره أبى بصير عن الصادق (عليه السلام) أنه سأله عن المشى أفضل أو الركوب فقال إذا كان الرجل موسراً فمشى ليكون أفضل لنفقتة فالركوب أفضل (٢).

ص: ٢٤١

١- (١) الوسائل، أبواب الحج، باب ٣٣، ح ٦.

٢- (٢) نفس المصدر، ح ١٠.

ورواه الصدوق في العلل بسندٍ آخر.

وفي الرواية تصريحٌ بأن أفضليه الركوب لا لرجحانه الذاتى على المشى بل المشى الراجح ذاتاً على الركوب وإنما يرجح ويفضل الركوب لجهاتٍ طارئه أخرى لثلا يكون المشى لتقليل النفقه وفيما كان الركوب زياده انفاق للمال فى سبيل الله.

وبذلك يظهر ما فى تعليق الروايه السابقه من أن حج الإمام الحسن (عليه السلام) ماشياً لم يكن التقليل للنفقه بل كان مع بذل كامل لنفقه الركوب ومن ثم استظهر صاحب الوسائل فى تفسير الروايه السابقه أن تسوق الرحال والمحامل معه (عليه السلام) الذى أوجب بقاء المشى على رجحانه وأوجب معالجه الجهات الطارئه المزاحمه هو لاحتتمال الاحتياج إليها عند العجز عن المشى أو ليطمئن خاطر وتطيب النفس بذلك فلا تعانى من المشقه وتعزرها بها عن الذل والمهانته الشديده فى المشى نظير ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) من وثق بماءٍ لم يظماً ولكونها وسيله آمنٍ لو واجهه قطاع الطريق والاعداء.

وما يدلُّ على صحه هذا التفسير للسان الثانى وأن المشى فى ذاته أفضل من الركوب لولا الجهات الطارئه ما يأتى فى اللسان الثالث من الروايات الوارده فى لزوم الوفاء بنذر المشى.

اللسان الثالث: فى نذر المشى إنه يلزم الوفاء بع إلا أن يتعب فيركب، وفى بعض إنحلاله إذا كان مجهداً له.

ص: ٢٤٢

منها: صحيحه رفاعه بن موسى قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): رجل نذر أن يمشى إلى بيت الله قال: فليمش، قلت فإنه تعب قال فإذا تعب ركب (١).

ومنها: عن الحلبي قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) رجل نذر أن يمشى إلى بيت الله وعجز عن المشى قال: فليركب وليسق بدنه، فإن ذلك يجزى عنه إذا عرف الله منه الجهد (٢).

ومنها: صحيحه ذريح المحاربي قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن رجل حلف ليحج ماشياً فعجز عن ذلك فلم يطقه، قال فليركب وليست الهدى (٣).

ومنها: رواه أبي بصير، فقال: من جعل لله على نفسه شيئاً فبلغ فيه مجهوده فلا شيء عليه، وكان الله أعذر لعبد (٤).

ومنها: أحمد بن محمد بن عيسى في (نواده) عن محمد بن مسلم، عن أحدهما (عليهما السلام) قال: سألته عن رجل جعل عليه شيئاً إلى بيت الله فلم يستطع، قال: يحج ركباً (٥).

وعلى أى تقدير كل هذه الألسن ليس فيها ما يدل على المرجوحية الذاتية بل دأله على رجحانية ذات المشى كعباده.

ص: ٢٤٣

١- (١) الوسائل: الباب ٣٤/ح ١.

٢- (٢) الوسائل: الباب ٣٤/ح ٣.

٣- (٣) نفس المصدر/ح ٢.

٤- (٤) الوسائل الباب ٣٤/ من أبواب وجوب الحج/ح ٧.

٥- (٥) نفس المصدر/ح ٩.

وخصوص اللسان الثانيه يوهّم خلاف ذلك ولكنه غير تام كما مرّ لأن أفضليه الركوب لجهات عارضه مزاحمه، لا تنافى رجحان المشى الذاتى عباده.

إن قلت: إنّ مفادها مرجوحيتها لكونه تركاً لسنه رسول الله (صلى الله عليه و آله) فتعارض اللسان الأول.

قلت: الظاهر عدم المنافاه وذلك إذا أتى بالركوب تأسيماً بالنبي (صلى الله عليه و آله) فقد أدرك الفضل ولكن فعله (صلى الله عليه و آله) من الركوب كما مرّ، لعلّه لأجل عدم إيقاع الأمه فى مشقه المشى لا أن المشى فى نفسه أرجح نظير ما ورد من الاستقاء فى ماء زمزم فى صحيح الحلبي (١) أنه قال (صلى الله عليه و آله)

«لولا أن أشقّ على أمتى لاستقيت منها ذنوباً أو ذنوبين» فإنه صريح فى كون الاستقاء، فعلاً راجحاً ولكنه لم يفعله (صلى الله عليه و آله) لأجل عدم إيقاع الأمه فى المشقه.

وقد روى البرقى بسنده عن أبى جعفر (عليه السلام) قال: قال ابن عباس ما ندمت على شىء صنعت ندمى على انى لم أحجّ ماشياً لأنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول من حجّ بيت الله ماشياً كتب له سبعة آلاف حسنه من حسنات الحرم قيل يا رسول الله ما حسنات الحرم قال: - حسنه ألف ألف حسنه وقال

«فضل المشاه فى الحج كفضل القمر ليله البدر على سائر النجوم وكان الحسين بن على (عليه السلام) يمشى إلى الحج ودابته تقاد وراءه»، ومفادها صريح فى تفصيله له (صلى الله عليه و آله)، المشى على الركوب وإنه (صلى الله عليه و آله) قد أمر بالمشى.

ص: ٢٤٤

١- (١) الوسائل: ابواب أقسام الحج/باب ٢ ح ٤.

إن قلت: ما الفرق بين فعله (صلى الله عليه وآله) إنشاءً للتشريع وبين قوله (صلى الله عليه وآله) فكليهما بمفاد واحد فلو كانت هناك مشقة لما أمر به (صلى الله عليه وآله).

قلت: مفادهما وإن كان واحداً إلا أن في فعله (صلى الله عليه وآله) خصيصة زائده على الأمر اللفظي وهي عنوان التأسى به (صلى الله عليه وآله) لقوله تعالى لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فَإِنَّ هَذَا الْعِنَانِ يَضِيفُ إِلَى الْفِعْلِ مَلَكَاً زَائِداً عَلَى الْمَلَائِكَةِ الْذَاتِي الَّذِي فِيهِ بَلٌ لَوْ كَانَ الْفِعْلُ مِنَ الْمَبَاحَاتِ الْعَادِيَاتِ وَطَرَأَ عَلَيْهِ عِنَانُ التَّأْسَى لَكَانَ يَحْدُثُ فِيهِ مَلَكَاً أَيْضاً.

إن قلت: فعلى ذلك يشمل التأسى الأفعال العادية التي كان يأتي بها لا في مقام التشريع وتبليغ الأحكام الإلهية بل ينتهي الأمر حينئذٍ إلى أن كل أفعاله (صلى الله عليه وآله) لها مدى تشريع.

قلت: إنه مع الاشتراك في عموم التأسى هناك فارق بين الأفعال العادية والأفعال التي يأتي بها (صلى الله عليه وآله) بقصد الإنشاء وبقصد تبليغ أحكام الله فإن العاديات لا إنشاء في إتيانها كما لا رجحان في ماهيتها بما هي هي بخلاف الأفعال من النمط الثاني كما أن العاديات لا يراد بها كل فعل يشترك فيها (صلى الله عليه وآله) مع نوع البشر بل ما تميز به (صلى الله عليه وآله) مما يدخل في المكرمات ونحوها.

ثم إن مدرك القول بانحلال أو جواز حلّ النذر إذا قيس متعلق النذر إلى فعل آخر هو ما ورد [\(١\)](#) في اليمين من أن الحالف إذا رأى مخالفتها خيراً

ص: ٢٤٥

من الوفاء بها جاز له أن يدعها ويأتي بالذی هو خير هذا إذا لم تحمل هذه الروایات على شرطیه عدم مرجوحیه المتعلق ولو بلحاظ حال المزاحمه بینما الكلام فی أفضلیه الفعل المغایر وإن لم یکن مزاحمه فی البین.

ثم إنه لا- إشكال فی دلالة الروایات المشار إليها فی الیمین على ذلك مضافاً الى دلالة الروایات الواردة فی خصوص النذر. بل الروایات الواردة فی خصوص المسأله مثل صحیح أبی عیبید الحذاء، قال سأل أباً جعفر (عليه السلام) عن الرجل نذر أن یمشى الى مكه حافياً، قال إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) خرج حافياً فنظر الى امرأه یمشى بین الأبل، فقال من هذه؟ فقال أخت عقبه بن عامر، نذرت أن یمشى الى مكه حافیه، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«يا عقبه إنطلق الى أختك فمرها فلتركب فإن الله غنى عن مشيها وحففيها قال فركبت» (١)

وقد تعرض اليزدى فی العروه الوثقى الى صور ثلاث فی النذر (٢).

الأولى: إذا نذر الحج ماشياً أو نذر الزياره ماشياً نذراً مطلقاً عن التقييد بسنه معينه فخالف نذره فحج أو زار راكباً حكم المشهور بوجوب الإعادة وعدم الكفاره لإمكان الامتثال.

ص: ٢٤٦

١- (١) الوسائل/باب ٣٤/أبواب وجوب الحج/ج ٤.

٢- (٢) مسأله ٣١: إذا نذر المشى فخالف نذره فحج راكباً فإن كان المنذور الحج ماشياً من غير تقييد بسنه معينه وجب عليه الإعادة ولا- كفاره إلا- إذا تركها أيضاً وإن كان المنذور الحج ماشياً فى سنه معينه فخالف وأتى به راكباً وجب عليه القضاء والكفاره، وإذا كان المنذور المشى فى حج معين وجبت الكفاره دون القضاء لقوات محل النذر، والحج صحيح فى جميع الصور.

نعم عن المحقق في المعبر والعلامه في المختلف والتذكرة والتحرير والمنتهى والإرشاد وظاهر إيمان القواعد احتمال صحه وقوع الحج عن المنذور وحصول الحنث بترك المشى، وكذا حكموا بسقوط القضاء وحصول فيه الحنث في الصورة الثانيه وهى ما إذا كان التقييد بسنه معينه حيث ذكر في المختلف (أن يجرى فيه ما ذكر في المطلق لأنه لما نوى بحجّه المنذور وقع عنه وإنما اخلّ بالمشى قبله وبين أفعاله فلم يبقى محل للمشى المنذور يُقتضى إلا أن يطوف أو يسعى ركباً فيمكن بطلانهما فيبطل الحجّ والزياره حينئذٍ إن تناول النذر للمشى فيهما) وفي كشف اللثام أنه قوى إلا أن يجعل المشى شرطاً فى عقد النذر كما فصل فى المختلف وتقريب ما ذكره أن نذر الحجّ ماشياً أو الزياره ماشياً هو النذر لكل من المشى والحجّ والزياره وحيث السعى والمشى ليس من شرائط صحه الحجّ والزياره وإنما هو من المندوبات فى نفسه التى طرفيها قبل الحجّ نظير السعى لزياره الحسين (عليه السلام) فإن الثواب على السعى نفسه بذلك القصد مضافاً للثواب وللزياره والنذر لا يغير ماهيه المنذور فى نفسه ولا يتصرف فيه وإنما يتعلق به على ما هو عليه، ومقتضى ذلك وقوع الحجّ مصداقاً للحجّ المنذور أو الزياره المنذور نظير ما إذا نذر صيام ثلاثه أيام ولم يصم الثالث فإن اليومين يقعان مصداقاً للصوم المنذور، ويجب عليه قضاء يوم واحد فقط ومن ثم حكم الشيخ الطوسى والمفيد فى المحكى عنهما فى مسأله ماله مشى بعضاً أنه يصحّ ما أتى به ماشياً مصداقاً للنذر ولكن يجب عليه بعد اتيان المشى فى المواضع التى ركب فيها

مضافاً إلى ظاهر الروايات الواردة في نذر مشى الحج نذراً مطلقاً أنه مع عجزه عن المشى لا يسقط وجوب الحج النذري عنه الدال على التفكيك بينهما في مقام التحقق.

نعم في المقام في الصورة الأولى حيث أن النذر مطلقاً فيماكانه أداء المشى ولو في ضمن الحج غير النذري.

وأما صحه الحج والزياره في هذه الصور فلما عرفت من أن المشى ليس من شرائط صحه الحج أو الزياره ولا النذر يسبب شرطيه للحج أو الزياره.

وما استدلل به على بطلان الحج المأتي به أمور:

أولاً: أن الأمر بالشىء يقتضى النهى عن ضده وقد تقرّر في محلّه عدم الاقتضاء بل لا يقتضى عدم الأمر بضده أيضاً وإنما يقتضى عدم تعين تنجيز ضده.

ثانياً: إنّ البطلان من جهه أن ما قصد لم يقع وهو الحج النذري وما وقع هو حج النافله ففيه:

أ - إنا بنى وفاقاً للفاضلين على صحته مصداقاً للحج المنذور والزياره المنذوره في الصورتين فما قصد قد وقع.

ب - أن قصد الأمر النذري لا ملزم له لأن عباديه الحج الفاضله وكذا الزياره، إنما هو بالأمر الندبي المتعلق بهما في نفسه في رتبه سابقه على الأمر

النذرى والأمر النذرى توصلى فى نفسه ومن ثمه لو بنينا على عدم صحه ما أتى به عن النذر لكان ما أتى به صحيحاً ندباً.

ج- - أن إتيان الحج أو الزياره - ولاسيما فى الصوره الثالثه وهو فيما لو نذر المشى فى حجّ معين أو زياره معينه، بأن يكون الحج المعين ظرفاً للمنذور لا جزء المنذور - عله لتفويت متعلق النذر وعله المعصيه وإن لم نلتزم بحرمتها الشرعيه إلا أن إيجادها قبيح عقلاً فلا تصحّ عبادۀ لأن العباده يشترط فيها أن يكون صدورها حسناً عقلاً.

وفيه:- أن الكبرى المزبوره وإن كانت متينه إلا أنها لا صغرى لها فى المقام حيث أنه بالترك قبل أعمال الحج يكون قد حنث فى نذره بإرادته متعمداً لا بأعمال الحج والزياره كما فى تركه للمشى قبل الميقات وبعد الميقات بعد ما أحرم فى الميقات.

نعم يظهر من الشيخين فيما تقدّم حكايته من قولهما فيما لو ركب بعضاً ومشى بعضاً أن نذر المشى استغراقى لا مجموعى وحينئذٍ لا يسقط بقاء الخطاب النذرى بالمشى أثناء الأعمال وهذا إنما يتأتى فى خصوص الصوره الأولى وهى النذر المطلق وأما الصورتين الآخرتين فيتحقق حنث النذر بمجرد ترك المشى إلى الميقات.

وبعباره أخرى: أنّ الوفاء بالنذر وعدم حنثه ارتباطى مجموعى لأنّه تعهد وحدانى غايه الأمر أن متعلق النذر إذا كان أفعالاً متعدده مستقله عن

بعضها البعض فى نفسها بحسب مشروعيّتها فى نفسها السابق على طرو النذر عليها تكون صحتّها بنحو منفك عن بعضها البعض دون مقام الوفاء بالنذر هذا مع أن الصوره الأولى وهى النذر المطلق لا وجه للمعصيه بناءً على قول الشيخين بعد إمكان الامتثال فيما يُعد تبويضاً فقولهما فى مقام الامتثال وصحّه الأفعال فى نفسها لا فى مقام الوفاء بالنذر ولك أن تقول إن هناك ثلاث جهات:

الأولى: صحّه الافعال فى نفسها.

الثانية: الوفاء بالنذر وهو مجموعى.

الثالثة: سقوط قضاء النذر وهو ليس بمجموعى أى أن سقوط قضاء نذر الحج أو نذر الزياره أو نذر الصوم غير معلق على الوفاء بالنذر بل القضاء معلق على ترك الصوم النذرى والزياره النذريه والحج النذرى وهو لا يصدق مع اتیان الصوم والحج والزياره ولو منفرداً عن بقية الأفعال التى ضمها إليها فى نذر الصوم أو نذر الحج أو نذر الزياره فمن ثم تبين انفكاك موضوع القضاء عن عدم الوفاء وقد اتضح مما مر ما ينفع فى تنقيح الحال فى الصورتين الباقيتين.

الصوره الثانية: إذا نذر الحج أو الزياره فى سنه معينه فخالف وأتى بهما ركباً فلا يجب قضاءهما كما عرفت للصحه وإن تحقق حنث النذر ووجبت الكفاره.

ص: ٢٥٠

الصورة الثالثة: إذا نذر الحج أو الزياره ماشياً مع الاطلاق من دون تقييد في سنه معينه فيجب عليه إعادته المشى ولو في حج اجارى أو زياره اجارى أو غيرهما بعد فرض تحقق الحج النذرى بناءً على عدم تبعض المشى وقد تقدمت الإشارة إلى قولى المفيد والطوسى وجماعه بتبعيض المشى فى مقام الامتثال مقام الوجوب كفعال مستقله متعدده لا فى مقام الوفاء فى النذر أى أن كل خطوه فى السعى إلى الحج صحتها كعباده غير مرتبطه بالخطوات اللاحقه كما تفيد الروايات الوارده فى فضيله المشى وهو متين إلا أن منصرف التعبير فى صيغه النذر هو إلى المشى المتواصل بقرينه زياده المشقه فمن ثم يكون المنذور حصه خاصه لا مطلق المشى. وقد اتضح بذلك الجهات المتعدده فى نذر المشى لحج بيت الله الحرام واجباً أو مستحباً وكذا فى نذر المشى للزياره.

وقد يقرب بأن امتثال متعلق النذر بالمصداق الأفضل من طبيعه النذر مجزئ وبأنه إيجاد للطبيعه الواجبه بالنذر فى ضمن أفضل مصاديقها هذا إذا كان الفرد الأفضل من نفس طبيعه النذر نوعاً أو صنفاً لا ما إذا كانتا متباينتين. كما إذا نذر الصلاه فى مسجد المحله فأتى بها فى المسجد الجامع أو المسجد الحرام لاسيما مع الالتفات إلى أن ما هو متعلق بالنذر الأمر النبى المتعلق به فى نفسه وهو شامل للفرد الأفضل والمفروض أنّ النذر يتعلق بالمتعلق بما هو عليه من المشروعيه ولك أن تضمّم مقدمه ثالثه وهى أن ظهور تعلق النذر فى مقام الانشاء عند التقييد بفرد هو خصوصيه

التقييد بفرد بمعنى التحديد بعدم كونه دون ذلك لا التحديد بعدم كونه فوق ذلك الفرد، وإلا لكان هذا قيداً ثانياً وبعبارة أخرى إن الأمر الندبي قد تعلق بالطبيعه ولم يتعلق بالخصوصيه إلا في الخصوصيات الراجحه بلحاظ ما دونها لا الخصوصيات التي هي بلحاظ ما فوقها من الأفراد.

إن قلت: فعلى ذلك لو نذر الصيام يوماً فله أن يأتي به في يوم غيره أرجح منه كصوم يوم النصف من شعبان أو يوم الغدير مع أنه خلاف النص والفتوى.

قلت: إن مورد الكلام في الطبيعه البدليه ذات الأمر الواحد بحيث يكون امتثال الأفضل لنفس الأمر وهذا بخلاف الطبيعه الاستغراقيه فإن لكل فرد أمر يخصه وإن تفاضلت الأفراد ويدل على ذلك ما ورد من أن من نذر أن يتزوج أمه فتزوج بنت مهيره أن ذلك وفاء.

وحيث يقال في المقام بمقتضى ما تقدم وإن كان السعى إلى الحجّ مشياً أفضل من الركوب إلا أنه قد تعرّض كما تقدم جهات للمشى توجب رجحان الركوب عليه فحيث يكون السعى بالركوب أفضل من المشى كما مرّ. إلا أن ظاهر طائفه أخرى من الروايات كصحيحه رفاعه بن موسى قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): رجل نذر أن يمشى إلى بيت الله قال: فليمش، قلت: فإنه تعب، قال: فإذا تعب فليركب، وصحيح ذريح المحاربي سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن رجل حلف ليحجن ماشياً فعجز عن ذلك فلم يطقه.

قال فليركب ويسوق الهدى ونظيرهما روايات أخرى (١) وصحيح إسماعيل بن همام عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) في الذي عليه المشى في الحج إذا رمى الجمره زار البيت راكباً وليس عليه شيء.

وفي صحيحته الأخرى عنهم (عليهم السلام) في الذي عليه المشى إذا رمى الجمره وزار البيت راكباً وصحيحه السندی بن محمد عن صفوان الجمال قال: قلت: جعلت على نفسى المشى إلى بيت الله الحرام، قال: كفر عن يمينك فإنما جعلت على نفسك يميناً وما جعلته لله فف به (٢) وغيرها من الروايات (٣) فإن ظاهرها تعين المشى في مقام امتثال نذره، ولعل وجه عدم أفضليه الركوب في نفسه على المشى وإنما الأفضليه بلحاظ جهات أخرى كالتقوى على الدعاء واستحباب الانفاق في طريق الحج ونحوها من الجهات الأجنبية عن الركوب الملازمه لها اتفاقاً. فلا تتحقق صغرى الامتثال بأفضل الأفراد لأنها في موارد أفضليه الفرد في نفسه.

فتحصل: - أن نذر المشى ينعقد مطلقاً إلا أن يطرأ عليه جهات مرجوحه بحيث تكون أقوى من رجحانه الذاتى الذى فيه.

وإلا أن يعجز عنه فينحل النذر ويستحب له أن يكفر لما تقدم من الروايات الدالة عليه، هذا كله في شقوق الصوره الأولى وأما فى الصورة

ص: ٢٥٣

١- (١) ب/٣٤ أبواب وجوب الحج، ح ١، ٢.

٢- (٢) ب ٨/ أبواب النذر، ح ٤.

٣- (٣) ب/٢١ أبواب النذر و ب ٣٥ أبواب وجوب الحج.

الثانية وهو نذر الحج ماشياً فقد حكى الماتن اليزدى بانعقاده مطلقاً، وكفايه رجحان المقيد وتنقيح الكلام في المقام يتضح بما قدمناه في الصورة الأولى من أن القيد إذا كان مباحاً أو راجحاً ينعقد النذر مقصوداً على تلك الحصه من الطبيعه أو أنه بشرط لا ما دونها من الحصص وأما بلحاظ ما فوقها من الحصص فهي بنحو لا بشرط وقد تقدم أنه لو نذر الطبيعه في ضمن حصه متشخصه بأوصاف مباحه أو راجحه فإنه يجوز له امتثال نذر الطبيعه بصحه أرجح بخلاف ما لو نذر الخصوصيه الراجحه أى نذر الركوب نفسه وكان راجحاً فإنه لا يسوغ له إتيان ما هو أرجح منه إلا أن تفرض المزاحمه.

وما في صحيحه الحذاء من أمر النبي (صلى الله عليه وآله) بركوب أخت عقبه بن عامر مع كونها ناذره أن تمشى إلى بيت الله حافيه قضيه في واقعه يمكن أن يكون لمانع من صحه نذرهما لأستلزام كشفها أو تضررها أو غير ذلك وهذا ما ذهب إليه اليزدى قده (١) وذهب إليه الفاضلان وآخرون وتوقف فيه بعض متأخري العصر، وفي الدروس أنه لا ينعقد نذر الحفاء في المشى للصحيحه وبقصد صحيحه أبي عبيده الحذاء قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن رجل نذر أن يمشى إلى مكه حافياً؟ فقال إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرج حاجاً فنظر إلى امرأه تمشى بين الإبل فقال: من هذه؟ فقالوا أخت عقبه بن عامر نذرت أن تمشى إلى مكه حافيه فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله)

«يا عقبه انطلق إلى اختك فمرها»

ص: ٢٥٤

فلتركب فإن الله غنى عن مشيها وحفاها قال: «فركبت» (١).

ومثلها معتبره أبى بصير على الأصح ويعارضها صحيحه رفاعه وحفص قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن رجل نذر أن يمشى إلى بيت الله حافياً؟ قال: فليمش فإذا تعب فليركب (٢) وحملت الصحيحه الأولى على أنها قضيه فى واقعه نظراً إلى كون فرض المسأله فى امرأه وهى تمشى بين الإبل فالفعل بلحاظها مرجوح فلا يعارض صحيحه رفاعه و حفص.

وأشكل عليه بأنّ حكاية الباقر (عليه السلام) قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى تلك الواقعة هو بيان للحكم الكلى للنذر المزبور فكيف يكون مخصوص بتلك الواقعة لاسيّما وأنّ أبا بصير قد سأل الصادق (عليه السلام) عن ذلك فأجاب بنفس البيان مضافاً إلى أن الجواب فى صحيحه رفاعه قد يفهم منه الإعراض عن انعقاد النذر بخصوصيه الحفاء وأنّ المنعقد منه هو خصوص المشى.

ولا يشكل عليه بأنّ لا يفكك بين المقيّد والقيّد فى انعقاد النذر إذ قد يفهم من قصد الناذر تعدد المطلوب فينعقد على الطبيعه دون القيّد لأنه مرجوح أو أنّه إذا انعقد فلا يلزم إتيان تلك الحصّه بنفسها بل له أن يأتى بحصه أفضل بأن يمشى منتعلاً لكن الصحيح عدم التعارض بين الروايات وذلك لأن مفاد الروايتين الأولىين لو ابقى على ظاهره البدوى لكن دالاً على مرجوحيه المشى فى نفسه، مع انه قد تقدّم رجحانه الذاتى فذلك قرينه

ص: ٢٥٥

١- (١) ب/٣٤ أبواب وجوب الحجّ ح ٤.

٢- (٢) ب ٨ كتاب النذر و العهد، ح ٢.

على كون المرجوحه في المورد المحكى كونها امرأه بين الرجال واختلاطها بالإبل مما يعرضها إلى المحاذير فمن ثم أضيف في تعبير الروايه المشى المستغنى عنه والحفاء إليها لا مطلق المشى والحفاء.

ندبيه الأحتفاء فى المشى:

وأما وجه بيان الصادقين (عليهما السلام) قوله (صلى الله عليه و آله) فى مقام بيان الحكم الكلى لنذر المشى حافياً فهو إشاره إلى عدم انعقاده مطلقاً فيما إذا استلزم المرجوحه نظير ما ورد فى المشى نفسه من الحث على الترك واختيار الركوب فى قبال الروايات الأمره به والناعته له بأفضل العباده ويشير إلى فضيله الحفاء فى المشى إلى العباده ما ورد من الندب إليه فى مشى إمام الجماعه إلى صلاه الجمعه كما فى فعل الإمام الرضا (عليه السلام) عندما استدعاه المأمون للصلاه بالناس صلاه الجمعه وكان فعله اقتداء بما فعله النبى (صلى الله عليه و آله) كما هو مورد الندب إليه أيضا فى صلاه العيدين والاستسقاء حتى للمؤمنين فى الاستسقاء، بل لا يبعد فى صلاه الجمعه أيضاً، مضافاً إلى أنه زياده فى الخضوع والخشوع والذلّ فى مقام السعى إلى مواطن العباده والوفود إلى الله تعالى.

مضافاً إلى ما ورد فى الحجّ أيضاً من استحباب ترك الترفّه فيه وقد ذكر الماتن اليزدى (قدس سرّه) فى حج العروه (١) ثلاث حالات لنذر المشى العجز وأخرى الضرر وثالثه الحرج، وهى كما تتأى فى الحج تتأى فى مطلق نذر

ص: ٢٥٦

المشى لزياره الأئمه (عليهم السلام) أيضاً.

أما الأولى:- (العجز):- مضافاً إلى أن اخذها بمقتضى نفس النذر إذ لا يتعلق الإلتزام بغير المقدور قد دلت الروايات عليه ايضاً الوارده فى خصوص نذر المشى فى الأبواب المشار إليها آنفاً.

وأما الثانيه:- (الضرر):- فبعد تحريم الاضرار بالنفس كما عليه المشهور ولو لم يكن إهلاكاً ونحوه لها، يكون المتعلق مرجوحاً فينحلّ النذر.

وأما الثالثه:- (الحرص):- فقد فصّل تاره فيها بين الحرج الابتدائى وبين الحرج الطارئ بعد ذلك وأخرى بين الحرج المعلوم والمتوقع للنادر وبين الحرج المجهول فقد ذهب اليزدى قده للتفصيل بكون المجهول مسقطاً دون المعلوم معلماً بأن الحرج لا ينافى المشروعيه لكن اللازم على ذلك عدم التفصيل والتزام المشروعيه فى كلا الشقيّين من دون عزمه ومن ثم علّل آخرون هذا التفصيل الأول يراد به التفصيل الثانى وإلا لا وجه له بخصوصه وقد يقال بمنع شمول قاعده الحرج للمقام لعدم شمولها للأحكام الإلزاميه التى ينشئها المكلف على نفسه بالالتزام الحقيقى كما هو الحال فى العقود وكما لو انشأ المكلف عمره أو الحج الاستحبابيّن فإنه يلزم باتمامهما ولو كانا حرجيين.

وبعباره أخرى: أن فى الإلتزامات العهديه والعقديه إنشاء حقّ للطرف الآخر ومفاد دليل الحرج رفع التكليف عزمه لا رفع المفاد الوضعى ولا

رفع التكليف المترتب عليه لأنّ ظاهر أدلّته هو فى التكاليف التى يجعلها الله على المكلف ابتداءً.

نعم، قد وردت الأدله بترخيص ترك النذر مع الحرج الشديد البالغ جدّاً كما فى روايه الرجل الذى نذر المشى ورآه الرسول (صلى الله عليه و آله) يتهادى بين أبنيه(1) دون الحرج المعتاد الذى هو لازم لطبيعته المشى أو الحفاء، ففى صحيحه رفاعه بن موسى قال:- قلت لأبى عبد الله (عليه السلام)

«رجل نذر أن يمشى إلى بيت الله؟ قال: فليمش قلت فإنه تعب قال فإذا تعب ركب»(2).

- أما بالنسبه الى مسأله المبدأ والمنتهى فمقتضى القاعده هو بحسب قصد الناذر بحسب المبدأ والمنتهى ولكنّه ليس بحسب القصد التفصيلى فقط بل ولا بحسب القصد الإجمالى بل القصد المراد هو القصد الاستعمالى والتفهيمى على ما هو عليه ومطوى فيه من اجزاء المعنى، ولو إجمالاً.

فمثلاً- لو قصد الناذر أو العاقد فى معاوضه أو منشأ لشرط فى المعاوضه قصد عنوان بما له من المعنى والمعنون والمسّمى مع الجهل بتفصيل ماهيه ذلك المعنى وجهله بتمام آثاره تفصيلاً، فإنّ هذا لا يخلّ بحصول القصد ولا يمانع عن مؤاخذته بما للمعنى من مقتضيات.

نعم لو قصد تفصيلاً خلاف ما للمعنى من طبيعه أوليه ودلّل على

ص: ٢٥٨

١- (١) ب ٣٤/أبواب وجوب الحجّ، ح ٨.

٢- (٢) ب ٣٤/أبواب وجوب الحجّ، ح ١.

ذلك بقيد أو لفظ لتعين ما قصد تفصيلاً ومن ذلك يظهر ما فى كلمات الأعلام فى المقام ونظائرها من الحوالة على قصد الناذر أو المنشأ حيث إن هذه الحوالة تعليق لا ينفع فى تحديد وبيان ما للمعنى من طبيعه أو ليه فالحرى هو بيان مقتضى المعنى الدال عليه اللفظه إذ هو محل الترديد لا- القصد التفصيلى للناذر فيما إذا دلل عليه بألفاظ وقيود خاصه. فمن حيث المبدأ نُسب إلى الشيخ فى المبسوط أنه من بلد النذر ونسب الشهيد الاوّل من بلد الناذر كذلك وآخرين من اقرب البلدين.

وفى كشف اللثام أنه من حيث يبدأ المسير إلى الحج ولعل الأخير هو الأقرب إذ يكون كقرينه حاله غالباً، كما أنه لا بد من الالتفات إلى حال الأعراف الخاصه التى تشكل قرائن حاله مختلفه فمثلاً فى زماننا هذا الكائن فى الجزيره العربيه يكون مسير الحج من مدينته وهذا بخلاف القاطن خارجها من الدول الأخرى بعد إقامه فواصل الحدود الجمر كيه فإنه قد ينصرف إلى المشى من المدينه المنوره.

وأما من حيث المنتهى:- فتارة ينذر المشى إلى بيت الله الحرام أو الى مشهد الحسين (عليه السلام) وأخرى ينذر الحج أو الزياره ماشياً وثالثه ينذر المشى إلى مكه أو كربلاء. ويقصد من تلك الالفاظ مع التديل عليها بقرائن هو خصوص منتهى حد معين كمشارف مكه أو الوصول إلى بيت الله الحرام ونحو ذلك فيؤخذ بما قصد تفصيلاً، وأما إذا لم تكن هناك قرائن خاصه أو الالفاظ الخاصه بل من قبيل تلك الأمثله التى ذكرنا ألفاظها المطلقه فهى فى

نفسها تحتمل المشى إلى مجرّد الوصول إلى مكة أو كربلاء أو زيارة البيت بعد الاعمال أو زياره المرقد الشريف أو تمام الاعمال وقد ورد في تحديد المعنى صحاح متعدّده وأنه إلى منتهى رمى الجمره أى جمره العقبه والمراد به أعمال يوم النحر فى منى فينقطع المشى حينئذ ويزور البيت راكباً.

ففى بعضها فى الذى عليه المشى إذا رمى الجمره زار البيت راكباً وفى بعضها الآخر إذا حججت ماشياً ورمى الجمره فقد انقطع المشى وفى بعضها زياده وحلق رأسه وفى بعضها الآخر التقييد برمى جمره العقبه(١) ولا تنافى بينها لأن زياره البيت إنما تشرع بعد رمى جمره العقبه وإتيان أعمال يوم النحر وظاهر هذه الروايات هو تحديد المنتهى بحسب مقتضى طبع المعنى لا- أنها محموله على ما إذا كان قصد الناذر التفصيلى ذلك فإنه خلاف ظاهر الروايات فكان العمل بها متعين.

نعم فى موثقه يونس بن يعقوب قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) متى ينقطع مشى الماشى قال: إذا أفاض من عرفات(٢) وهى كما ذكر صاحب الوسائل الشرط فيها مطلق قابل للتقييد وإن أشكل عليه أنّ مدلولها فى مقام التحديد فتعارض بقيه الروايات ولكن كفى بذلك رجحاناً لبقية الروايات دلالة وعدداً.

وقد تعرّض اليزدى قده فى مسأله الثلاثين من حج العروه فى نذر

ص: ٢٦٠

١- (١) ب ٣٥ من أبواب وجوب الحج.

٢- (٢) ب ٣٥ من أبواب الوجوب/ح ٦.

الماشى إلى صور ثلاث وتتأتى هذه الصو فى نذر المشى الى زياره الحسين (عليه السلام) أو احد الأئمه (عليهم السلام):-

الصوره الأولى:- ماذا نذر المشى وكان بإمكانه ذلك مع وجود طريق بحرى فلا يجوز له حينئذ الركوب لأنه محالفه للنذر إذ هو كما لو ركب الدابه نعم لو كان قد قيد نذره بالمشى بالطريق المتعارف لأهل بلده ولو بانصراف الصيغه لذلك لكان متعلق نذره حينئذ هو المشى فى المقدار البرى للطريق المتعارف كما قد يدعى ذلك فى أهل السودان والحبشه وهذا استدراك منقطع.

الصوره الثانيه:- ما إذا اضطرّ إلى ذلك لعروض المانع فى سائر الطرق البريه فحكم بسقوط النذر واستدرك عليه بعض المحشين بسقوط خصوص المشى دون الحجّ أو الزياده وقد يقال بسقوط المشى فى خصوص المقدار البحرى دون ما تبقى من المقدار البرى كالذى بين المواقيت إلى آخر الأعمال والوجه فى ذلك أنّ النذر تارةً يتعلق بالمشى فى ظرف ما إذا حجّ أو زار المكلف فإنّه حينئذٍ الوجه ما ذكره اليزدى قده لأن المنذور هو خصوص المشى معلقاً على حجّه أو زيارته وقد تعدّر. وأخرى ينذر المشى إلى الحجّ أو الزياره غير معلق المشى المنذور على ظرف الحجّ أو الزياره، بل يكون مع نذر الحجّ أيضاً كما هو الغالب فى مثل هذا الاستعمال فحينئذٍ يشكل سقوط النذر حيث إنه بتعدّر صوره المنذور الأوليه يعدّ هذا بدل له عرفى وشرعى نظير ما إذا نذر الصلاه نافله وتعدّر عليه القيام فيجلس أو الركوع والسجود فيومى ولا ريب أنّ الحجّ ماشياً طوال الطريق يكون

الحجّ ماشياً بعض الطريق بدلاً رتبياً له.

وبعبارة أخرى: البدليه عرفاً بمعنى تعدّد المطلوب بلحاظ أصل الطبيعه ومارتبها كمالاً ونقصاً.

ويستدل له بمعتبره السكونى عن جعفر (عليه السلام) عن أبيه عن أبائه (عليهم السلام) أن علياً (عليه السلام) سُئل عن رجل نذر أن يمشى إلى البيت فعبر (فمرّ) في المعبر؟ قال (عليه السلام): - فليقم في المعبر قائماً حتى يجوزه (١) وقد أشكل على سند الروايه بضعف السكونى والنوفلى ولكن قد أجيب في الأعصار الأخيره كما قاله الشيخ في العده أن العصابه عملت باخبار السكونى مضافاً إلى ما ذكره الميرزا النورى في خاتمه المستدرک من القرائن على وثاقته عند تعرضه لكتاب الأشعثيات (الجعفریات) ومنه يستفاد وثاقه النوفلى لأن أكثر روايات السكونى هي بتوسط النوفلى مضافاً إلى قرائن أخرى على توثيق حاله.

أما الدلاله: فقد يشکل عليها تاره بعدم ظهورها في انحصار الطريق في ذلك وتكون حينئذ مطروحه. وأخرى بأن ما تضمّنته هو لزوم القيام حال العبور ولا يلتزم بوجوبه، لأنه على تقدير عدم سقوط النذر وانحلاله فإنّما هو بتقريب خروج هذا المقدار عن المتعلّق انصرفاً ونحو ذلك فلا يجب القيام مع أنه ليس ميسوراً للمشى كى يلتزم ببدليته.

ويمكن الإجابة عن ذلك بأن عموم الروايه لا يشمل مورداً يكون فيه قطع الطريق. بمقدار كبير بالوقوف قياماً ولذا عبر الراوى بالمعبر والمرور

ص: ٢٤٢

١- (١) ب ٣٧ من أبواب الوجوب، ح ١.

وهذا تتناوله صيغته النذر لاسيما إذا كان يسيراً جداً وظاهر الرواية وجوب القيام كبديل وليس من اللازم تخريجه كبديل على مقتضى القاعده أو من باب قاعده الميسور.

الصوره الثالثه: وهو ما إذا كان الطريق منحصر فيه من الأول فحكم اليزدى (قدس سرّه) بعدم انعقاد النذر وظاهر المحكى عن العلامه أنه ينعقد فى المقدار الممكن مشبه وهو الأقوى لأن النذر ينصرف إلى ذلك المقدار.

نعم إذا فرض جهل الناذر بذلك فيكون حكمه حكم الصوره الأولى كما تقدّم.

الطائفة الثالثه: طائفه من روايات المشى إلى المساجد:

الروايه الأولى: ما رواه محمد بن الحسن باسناده عن محمد بن أحمد بن يحيى، عن يعلى بن حمزه عن الحجال، عن على بن الحكم، عن رجل، عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: من مشى إلى مسجد لم يضع رجلاً رطبٍ ولا يابس إلا سبّحت له الأرض إلى الأرضين السابعه. محمد بن على بن الحسين قال: قال الصادق (عليه السلام) وذكر الحديث... (١).

الروايه الثانيه: وعن أبيه، عن سعد، عن أيوب بن نوح، عن الربيع بن محمد بن المسلى عن رجل، عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: ما عبد الله بشيء

ص: ٢٤٣

١- (١) تهذيب الأحكام: ج ٣ ص ٢٥٥ ح ٧٠٦، وسائل الشيعة: ب ٤ من أبواب أحكام المساجد ج ١ ص ٣.

مثل الصّمت والمشى إلى بيته.

الروايه الثالثه: فى (عقاب الأعمال) باسناده تقدم فى عياده المريض عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من مشى إلى مسجد من مساجد الله فله بكلّ خطوه خطاها حتى يرجع إلى منزله عشر حسنات، ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات (١).

الروايه الرابعه: وروى أيضاً

«من مشى إلى مسجد يطلب فيه الجماعه كان له بكل خطوه سبعون ألف حسنه ويرفع له من الدرجات مثل ذلك» (٢).

الطائفه الرابعه: المشى فى حاجه المؤمن:

الروايه الأولى: وعن أبى عبد الله (عليه السلام):- من مشى فى حاجه أخيه كتب الله له بها عشر حسنات وأعطاه الله عشر شفاعات (٣).

الروايه الثانيه: عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: من سعى فى حاجه أخيه المسلم طلب وجه الله كتب الله عزّ وجلّ له ألف ألف حسنه يغفر فيها لأقاربه ومعارفه وجيرانه وإخوانه، ومن صنع إليه معروفًا فى

ص: ٢٤٤

١- (١) الوسائل: أبواب أحكام المساجد/الباب ٤ ح ٣، ثواب الأعمال ص ٢٥٩.

٢- (٢) الوسائل: الباب ١ من أبواب صلاه الجماعه الحديث ٧ - ١٥.

٣- (٣) مستدرک الوسائل للنورى، ج ١٢، ص ٤٠٩.

الدنيا فإذا كان يوم القيامة قيل له ادخل النار فمن وجدته فيها صنع إليك معروفاً في الدنيا فأخرجه بإذن الله عزَّ وجلَّ إلا أن يكون ناصياً^(١).

رواه المفضل بن صالح روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) في غير مورد، وهي كثيرة منها: ما رواه محمد بن يعقوب بسنده عن محمد بن علي عن أبي جميله: قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول:

«من مشى في حابه أخيه ثم لم يناصحه فيها كان كمن خان الله ورسوله وكان الله خصمه»^(٢).

الطائفة الخامسة روايات (من مشى لصله رحم ولمطلق الطاعات):

أولاً: وبإسناد الصدوق عن شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد، عن الصادق (عليه السلام) عن آباءه (عليهم السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) - في حديث المناهي: قال:-

من مشى إلى ذي قرابه بنفسه وماله ليصل رحمه أعطاه الله اجر مائه شهيد، وله بكل خطوه اربعون ألف حسنه ومحا عنه أربعين ألف سيئه، ورفع له من الدرجات مثل ذلك، وكان كأنما عبد الله مائه سنه صابراً محتسباً^(٣).

ثانياً: وبإسناده عن عماد بن عمرو وأنس بن محمد، عن أبيه جميعاً عن الصادق (عليه السلام)، عن آباءه - في وصيه النبي (صلى الله عليه وآله) لعلى (عليه السلام) قال: يا على، لا- ينبغى العاقل أن يكون ضاعناً إلا في ثلاث: مرمه لمعاش، أو تزود لمعاد، أو لذه في غير محرم - إلى أن قال - يا على، سر سنتين بر والديك، سر سنه صل رحمك، سر ميلاً عد مريضاً، سر ميلين شيع جنازه سر ثلاثه أميال أحب دعوه، سر

ص: ٢٤٥

١- (١) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٣٦٦.

٢- (٢) الكافي، ج ٢، كتاب الإيمان والكفر، ١، باب من لم يناصر أخاه المؤمن، ١٥٣.

٣- (٣) الوسائل: أبواب آداب السفر إلى الحج، الباب ٢، ح ٥.

أربعة أميال ذر أخاً في الله، سر خمسة أميال أجب الملهوف، سر ستة أميال انصر مظلوماً وعليك بالاستغفار(١).

ثالثاً: ما رواه الصدوق بسنده عن سعيد بن جبیر بن عباس في حديث سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لو علمتم ما لكم في رمضان لزدتم الله تعالى ذكره شكراً.

- ثم ذكر أثواباً عظيماً لأول ليله - ثم قال (صلى الله عليه وآله) وكتب الله عزَّ وجلَّ لكم اليوم الثاني بكل خطوه تخطونها في ذلك اليوم عباده سنه وثواب نبي وكتب لكم صوم سنه(٢).

الطائفة السادسة: من مشى في نيه الخبر أو فعل طاعه:

منها: في (التوحيد) معتبره محمد بن أبي عمير عن حمزه بن حمران عن أبي عبد الله (عليه السلام). قال:-

من هم بحسنه فلم يعملها كتب له حسنه فإن عملها كتبت له عشرأ ويضاعف الله من يشأ إلى سبعمائه(٣).

ومنها: محمد بن الحسن في (المجالس والأخبار) باسناده عن أبي ذر عن النبي (صلى الله عليه وآله) في وصيته له قال: يا أبا ذر: هم بالحسنه وإن لم تعملها لكي

ص: ٢٦٦

١- (١) الوسائل: أبواب آداب السفر إلى الحج، الباب ١، ح ٣.

٢- (٢) أمالي الصدوق، ص ١٠٣.

٣- (٣) الوسائل: أبواب مقدمات العبادات، الباب ٦، ح ٢٠.

ومنها: وعن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن جميل بن دراج عن بكير عن أبي عبد الله (عليه السلام). أو عن أبي جعفر (عليه السلام): إن الله تعالى قال لآدم (عليه السلام) يا آدم جعلت لك أن من همّ من ذريتك بسيئه لم تكتب عليه. فإن عملها كتبت عليه سيئه. ومن همّ منهم بحسنه فإن لم يعملها كتبت له حسنه وإن هو عملها كتبت له عشرًا (٢).

الطائفة السابعة: روايات استحباب المشي إلى زيارة الحسين (عليه السلام):

الأولى: عن الحسين بن ثوير بن أبي فاخته، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) يا حسين إنه من خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين بن علي (عليه السلام) إن كان ماشياً كتب الله له بكل خطوه حسنه ومحا عنه سيئه (٣).

الثانية: عن بشير الدهان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن الرجل ليخرج إلى قبر الحسين (عليه السلام) فله إذا خرج من أهله بأول خطوه مغفرة ذنوبه ثم لم يزل يقسّ بكل خطوه حتى يأتيه فإذا أتاه نجاه الله تعالى فقال: عبيد سلني أعطك ادعني أجيبك اطلب مني أعطيك سلني حاجه أقضها لك، قال:

ص: ٢٦٧

١- (١) الوسائل: أبواب مقدمات العبادات، الباب، ح ٢٤.

٢- (٢) نفسه المصدر، ح ٨.

٣- (٣) ثواب الأعمال ١١٦ - ١١٧، كامل الزيارات ٢٥٢ - ٢٥٣، وسائل الشيعة ١٤/٤٢٠، بحار الأنوار، ٢٧/١٠١ - ٢٨ - ٧٢.

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): وحقّ على الله أن يعطى ما بذل (١).

الثالثة: عن الحارث بن المغيرة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال أن الله ملائكة موكلين بقبر الحسين (عليه السلام): فإذا هم الرجلُ بزيارته أعطاهم الله ذنوبه فإذا خطى محوها ثم إذا خطى ضاعفوا له حسانه، فما تزال حسناته تتضاعف حتى توجب له الجنة (٢).

عن جابر المكفوف، عن أبي الصامت قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) وهو يقول: من أتى قبر الحسين (عليه السلام) ماشياً كتب الله له بكل خطوه ألف حسنه، ومحا عنه ألف سيئه ورفع له ألف درجه، فإذا أتيت الفرات إغتسل وعلّق نعليك وامشى حافياً وامشى مشى العبد الدليل، فإذا أتيت باب الحائر فكبر أربعاً ثم إمشى قليلاً ثم كبر أربعاً ثم أتى رأسه فقف عليه فكبر أربعاً واسأل حاجتك (٣).

الرابعة: رواه رفاعه النخاس: عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال اخبرني أبي أن من يخرج إلى قبر الحسين (عليه السلام) عارفاً غير مستكبرٍ، وبلغ الفرات ووقع في الماء وخرج من الماء كان مثل الذي يخرج من الذنوب وإذا مشى إلى الحسين (عليه السلام) فرفع قدماً

ص: ٢٤٨

١- (١) كامل الزيارات: ٢٥٣ - ٢٥٤، ثواب الأعمال ١١٧. بحار الأنوار: ٢٤/١٠١، وسائل الشيعة: ٤٢٠/١٤، أبواب المزار ب ٣٧/ج ٢٨.

٢- (٢) كامل الزيارات: باب ٦٢/ج ٣، ٢٥٤، مستدرک الوسائل، ١٠/٢٤٦.

٣- (٣) كامل الزيارات: ٢٥٤ - ٢٥٥، جامع أحاديث الشيعة، ١٢/٤٣٢.

ووضع أخرى، كتب الله له عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات(١).

الخامسة: رواه على بن ميمون الصائغ عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال يا علي زر الحسين (عليه السلام) ولا تدعه قال: قلت ما لمن أتاه من الثواب قال من أتاه ماشياً كتب الله له بكل خطوه حسنه ومحى عنه سيئه ورفع له درجه الحديث... (٢).

ومثلها رواه سدير الصيرفي(٣).

وفى روايه عبدالله بن مسكان أن لكل خطوه ألف حسنه ويمحى عنه ألف سيئه وترفع له ألف درجه(٤).

السادسة: وفى روايه أبى سعيد القاضى عند أبى عبدالله (عليه السلام) من أتى قبر الحسين (عليه السلام) ماشياً كتب الله له بكل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبه من ولد إسماعيل(٥).

السابعة: معتبره بشير الدهان قال قلت لأبى عبد الله (عليه السلام) ربما فاتنى الحج فاعرف عند قبر الحسين (عليه السلام) فقال احسنت يا بشير إيمان مؤمن أتى قبر الحسين (عليه السلام) عارفاً بحقه فى غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجه وعشرين عمره مبرورات مقبولات وعشرين حجه وعمره مع نبي مرسل أو امام

ص: ٢٦٩

١- (١) الوسائل، أبواب المزار، الباب ٥٩، ح ٤.

٢- (٢) كامل الزيارات، باب ٤٩، ح ٦.

٣- (٣) نفس المصدر، ح ٧ - ٨.

٤- (٤) نفس المصدر، ح ٧ - ٨.

٥- (٥) نفس المصدر، ح ٩.

عدل قال قلت كيف لى بمثل الموقف قال فنظر الى مثل المغضب ثم قال لى يا بشير أن المؤمن إذا اتى قبر الحسين (عليه السلام) يوم عرفه واغتسل من الفرات ثم توجه إليه كتب الله له بكل خطوه حجه بمناسكها ولا أعلمه إلا قال وغزوه(١).

الثامنه: روى ابن قولويه بسند متصل عن قدامه بن مالك عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من زار الحسين (عليه السلام) محتسباً لا- أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعه محصت عنه ذنوبه كما يمحص الثوب فى الماء فلا يبقى عليه دنس ويكتب له بكل خطوه حجه وكل ما رفع قدماً عمره(٢) ورواه الشيخ فى التهذيب(٣).

التاسعه: وفى معتبره أخرى لبشير الدهان سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) وهو نازل بالحيره وعنده جماعه من الشيعة فأقبل التى بوجهه فقال يا بشير حجه العام قلنا جعلت فداك ولكن عرفت بالقبر قبر الحسين (عليه السلام) فقال يا بشير والله ما فاتك شىء من أصحاب مكه بمكه قلت جعلت فداك فيه عرفات فسر لى فقال يا بشير أن الرجل منكم يغتسل على شاطئ الفرات ثم يأتى قبر الحسين (عليه السلام) عارفاً بحقه فيعطيه الله بكل قدم يرفعها أو يضعها مائه حجه مقبوله ومعها مائه عمره مبروره ومائه غزوه مع نبي مرسل إلى اعداء الله وأعداء الرسول (صلى الله عليه و آله)(٤).

ص: ٢٧٠

١- (١) الكافى، مجلد ٤، ص ٥٨٠، كامل الزيارات، الباب ٧٠، ح ١.

٢- (٢) كامل الزيارات، الباب ٥٧، ح ١.

٣- (٣) التهذيب، مجلد ٦، ص ٤٤.

٤- (٤) كامل الزيارات، الباب ٧٥، ح ٣.

الطائفة الثامنة: استحباب زياره أمير المؤمنين (عليه السلام) ماشياً ذهاباً وعوداً:

الروايه الأولى: محمد بن الحسن باسناده عن محمد بن أحمد بن داود عن محمد بن همام قال: وجدتُ في كتاب كتبه ببغداد جعفر بن محمد قال: حدثنا عن محمد بن الحسن الرازي عن الحسين بن إسماعيل الصميرى، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من زار أمير المؤمنين (عليه السلام) ماشياً كتب الله له بكل خطوه حجه وعمره، فإن رجع ماشياً كتب الله له بكل خطوه حجتين وعمرتين (١).

الروايه الثانيه: وبإسناده عن محمد بن أحمد بن داود، عن أحمد بن محمد المجاور، عن أبي محمد ابن المغيره عن الحسين بن محمد بن مالك عن أخيه جعفر عن رجاله يرفعه قال: كنت عند جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) وقد ذكر أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام)؟ فقال: يا ابن مارد من زار جدى عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوه حجه مقبوله وعمره مبروره، والله يا ابن مارد ما تطعم النار قدماً تغيرت في زياره أمير المؤمنين (عليه السلام) ماشياً كان أو راكباً يا ابن مارد اكتب هذا بماء الذهب (٢).

الروايه الثالثه: وروى ابن المشهدى عن الحسن بن محمد، عن بعضهم، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد عن الحسن بن عيسى، عن هشام بن سالم، عن صفوان الجمال قال: لما وافيت مع جعفر بن محمد

ص: ٢٧١

١- (١) الوسائل: الباب ٢٤/ح ١ أبواب المزار.

٢- (٢) الوسائل: أبواب المزار، الباب ٢٣، ح ٣.

الصادق (عليه السلام) الكوفه نريد أبا جعفر المنصور قال لى: يا صفوان أنخ الراحله فهذا قبر جدى أمير المؤمنين (عليه السلام) فانختها ثم نزل فاغتسل وغير ثوبه وتخفى، وقال لى: افعل كما افعل، ثم أخذ نحو الذكوات ثم قال لى: قصر خطاك وألق ذقنك إلى الأرض يكتب لك بكل خطوه مائه ألف حسنه، وتمحى عنك مائه ألف سيئه، وترفع لك مائه درجه، وتفضى لك مائه ألف حاجه، ويكتب لك ثواب كل صديق وشهيد مات أو قتل، ثم مشى ومشيت معه وعلينا السكينه والوقار نسيح ونقدس ونهلل إلى أن بلغنا الذكوات وذكر الزياره إلى أن قال: وأعطاني دراهم وأصلحت القبر(١).

ويستخلص مما تقدم جملة من آداب المشى والسنن الراجحه المرعيه فيه ولا يخفى أن هذه الآداب لها ميسس بحقيقه وجوهر عباديه المشى والإخلال بماهيته عباديه المشى بحقيقه وجوهر عباديه المشى والإخلال بها يوجب الإخلال بماهيته عباديه المشى.

١- الاحتفاء أى المشى حافياً فقد مرّ فى روايات مستفيضه أن مشى العباده يزداد ثواباً مع الاحتفاء.

٢- دوام ذكر الله على لسان الماشى.

٣- غصّ البصر.

٤- عدم الايذاء أو المدافعه لأحد أثناء مشيه فى ما أداء ازدحم المشاه.

ص: ٢٧٢

١- (١) الوسائل: أبواب المزار، باب ٢٩ الحديث ٧.

٥- حسر الرأس لما فيه من حاله التذلل.

٦- أن يكون مشيه لا أشراً ولا بطراً، والاشر في اللغة المرح وفسر الأشر بالبطر أيضاً وهو المتسرع ذو حده وقيل الأشر أشد البطر ومن معانى البطر التبخر والتجبر وشده الفرح وكذلك شده المرح، وقيل الأشر والبطر النشاط للنعمه والفرح بها ومقابله النعمه بالتكبر والخيلاء والفخر بها وكفرانها بعدم شكرها، وكذلك من معانى البطر: الطغيان عند النعمه وطول الغنى.

٧ - أن يخلص في مشيه بنيه الطاعه من الرياء والسمعه.

٨ - أن يسوق معه محمله مما فيه مؤنته.

٩ - أن لا يكون مشيه بداعى تقليل النفقه.

ص: ٢٧٣

الفصل السادس : الحث على زياره الحسين (عليه السلام) مع الخوف

اشاره

ص: ٢٧٥

الحث على زياره الحسين عليه السلام مع الخوف:

وردت روايات مستفيضه فى الحث على زياره الحسين (عليه السلام) ولو مع الخوف على النفس, وقد أشار الشيخ المجلسى فى البحار إلى أن الأسانيد الواردة فى ذلك جمه, بل نجد فى تلك الروايات التحذير من ترك زياره الحسين (عليه السلام) من أجل الخوف(١).

وقد استفاد منها جماعه من الفقهاء رجحان عموم الشعائر الحسينيه ولو مع الخوف على النفس فضلاً عما دونه من الأضرار.

وقد ذهب إلى ذلك كل من الشيخ خضر بن شلال فى أبواب الجنان(٢), والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.

ص: ٢٧٧

١- (١) بحار الأنوار: ج ١٠: ٩٨.

٢- (٢) وسيأتى نقل كلامه والمصدر.

والروايات الآتية لا- تقتصر على الحث على زياره الإمام الحسين (عليه السلام) عند الخوف, بل تشدد ذلك وتوجب زياره إجمالاً كما سيظهر, بل ولا تكتفى بذلك, وإنما ترتقى إلى درجه رابعه وهى التحذير من ترك زياره بسبب الخوف.

ولا يخفى مدى قوه هذه الدلاله على تأكيد رجحان زياره كأبرز مصداق فى طبيعه الشعائر الحسينيه ولو مع الخوف على النفس من الهلاك؛ وأن ملاك الرجحان فى زياره والشعائر الحسينيه تُسترخص فيه بذل النفس لإقامه وتشيد تلك الأغراض الشرعيه فى الشعائر.

من قُتل دون ماله فهو شهيد:

وكيف لا- تُسترخص النفس فى زياره الحسين (عليه السلام) وإقامه شعائره, وقد استُرخص بذل النفس فى فضيله دون ذلك بكثير. كالذى ورد فى النص والفتوى المتفق عليهما عند المشهور أن من قُتل دون ماله فهو شهيد كما قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «من قُتل دون ماله فهو بمنزله الشهيد» (1), مع أن خطب الدفاع عن حرمة الأموال وردع الغير والعدوان عن الأموال لا يضاهى ولا يقايس بحرمة الولايه لأهل البيت (عليهم السلام).

ومن الروايات الوارده:

ص: ٢٧٨

١- صحیحہ معاویہ بن وہب، بل ہی قطعیه الصدور عنه لكثره الطرق إلى معاویہ بن وہب لكل من الكلینی والصدوق وابن قولویہ، بل الأخير یانفراده له عدہ طرق عن معاویہ بن وہب. ومن الطرق ما اشتمل جميع سلسلته على رؤساء المذهب؛ كطریق الصدوق عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن يعقوب بن يزيد عن ابن أبي عمير عن معاویہ بن وہب قال: عن أبي عبد الله (عليه السلام): قال لي:

«يا معاویہ، لا تدع زیاره قبر الحسين (عليه السلام) لخوف، فإن من ترك زیارته رأى من الحسره ما يتمنى أن قبره كان عنده، أما تُحب أن يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى وفاطمه والأئمه»^(١).

قول الشيخ خضر بن شلال في المقام:

وقال الشيخ خضر بن شلال: بعد ما ذكر أن الأخبار الواردة في فضيله زیاره الحسين (عليه السلام)، فائقه حدّ الإحصاء المذكوره في مطولات الأصحاب وأنه لكثرتها ذكر والد الشيخ المجلسي^(٢) أن الاحتياط لكل من زار الحسين أو جدّه أو أباه أو أحد الأئمه (عليهم السلام) في أول مره أن لا يقصد الاستحباب بل ينوى القربه المطلقه، أى حيطه للوجوب.

واستحسنه، ثم نقل عنه أنه حمل الأخبار الواردة في زیاره الحسين مع

ص: ٢٧٩

١- (١) الكافي ج ٥٨٢: ٤/ ١١؛ ثواب الأعمال: ١٢٠/ ٤٤؛ كامل الزيارات/ ابن قولويه/ باب ٤٠/ ح ٧، ٦، ٥، ٤، ٣، ٢، ١. باب ٤٥/ ح ٣.

٢- (٢) الشيخ خضر شلال في كتاب أبواب الجنان: ٢٥٩ - ٢٦١.

الخوف والتقيه على خصوص ما لم يبلغ من الخوف والتقيه إلى مظنه الضرر وعدم السلامه, أو خصوص ما يُخشى منه فوات العزه والجاه وفوات المال, لا- تلف النفس والعرض الذى قد يكون أعظم من النفوس, وإن احتمل الجواز أيضاً, وخصوصاً فى ابتداء الأمر الذى قد نقول بوجوب زياره الحسين (عليه السلام) فيه, ولو مع العلم بتلف النفس؛ نظراً إلى أنه من باب حفظ بيضه الإسلام الذى قد كان السرّ فى قدوم الحسين (عليه السلام) وأصحابه على القتال, مع العلم بما يؤول إليه الأمر الفطيع حفظ بيضته, وبيان ما قد يخفى على بعض طغام المسلمين من فسادها (١).

قول الشيخ المجلسى:

- وقال المجلسى بعد نقل الروايات الداله على أفضيله زياره الحسين (عليه السلام), والتي تحث على زيارته فى الخوف, قال: (لعلّ هذا الخبر (يشير إلى خبر معاوية بن وهب) بتلك الأسانيد الجمّه محمول على خوف ضعيف يكون مع ظن السلامه, أو على خوف فوات العزه والجاه وذهاب المال, لا تلف النفس والعرض, لعمومات التقيه والنهى عن إلقاء النفس إلى التهلكه والله يعلم.

ثم اعلم أن ظاهر أكثر أخبار هذا الباب وكثير من أخبار الأبواب الآتية وجوب زيارته (عليه السلام), بل كونها من أعظم الفرائض وآكدها, ولا يبعد

ص: ٢٨٠

القول بوجوبها في العمر مرّه مع القدره إليه كما كان يميل الوالد العلامه (نور الله ضريحه), وسيأتي التفصيل في حدّها القريب والبعيد ولا يبعد القول به أيضاً. والله يعلم(١).

-وقد شرح هذه العبارة, الشيخ خضر بن شلال في عبارته قائلاً:

وما قد صدر في السقيفه التي قد أولدت فتننتها ما أولدته من عزل الوصي, المنصوص عليه من الله ورسوله, وغصب الزهراء البتول (عليها السلام), وحرب الجمل, وصفين والنهروان, ووقفه الطف التي يهون من أجلها انطباق السماء على الأرض, وسائر المفاسد التي من أقلها تقديم معادن الأبن واللؤم, على معادن العلم والكرم, فتدبر في ما قد يستفاد منه حُسن ما ذكره المجلسي من الاحتياط.

ثم ذكر جملة أخرى من الروايات إلى غير ذلك مما قد يستفاد منه وجوب الإستتابه على من لم يتمكن من زيارته في العمر مره, كما يُندب إليها في سائر الأوقات حتى لمن قد كان مصاحباً لنائبه الذي لو كان متعدداً لكان أفضل, وخصوصاً إذا كان من العلماء الذين قد لا يرتاب ذو مسكه في أن زياره واحد من أتقيائهم خير من زياره عالم من غيرهم(٢).

ص: ٢٨١

١- (١) (بحار ١٠: ٩٨) / باب: زيارته (عليه السلام) واجبه مفترضه مأمور بها وما ورد من الذنب والتأنيب والتوعد على تركها, وأنها لا تترك من الخوف).

٢- (٢) أبواب الجنان / الباب الرابع / الفصل الثاني / بيان فضل زياره الحسين (عليه السلام): (٢٦٠).

وفى الصحيحه المتقدمه هذا الموضوع أيضاً من قول الصادق (عليه السلام) فى دعائه لزوار الحسين:

«وأصحبهم, وأكفهم شرَّ كل جبار عنيد, وكل ضعيف من خلقك أو شديد, ومن شر شياطين الجن والإنس» مما يشير إلى احتفاف زيارته (عليه السلام) آنذاك بل غالباً وفى معظم الأزمان بمخاطر ومخاوف تهدد الزوار.

٢ - ما ورد من روايات مستفيضه بل متواتره عن الصادق (عليه السلام), بل عن سائر أئمه أهل البيت (عليهم السلام) فى الحث على زياره الحسين (عليه السلام) فى عصورهم بالإضافة إلى الحث المطلق على ذلك؛ حثاً أكيداً, بل والتوبيخ الشديد على تركها, مع أن الزياره فى عصورهم (عليهم السلام) كانت محفوفه بالخوف على النفس, والمخاطر والملاحقه من بنى أميه وبنى العباس, بل إن الطريق إلى الحسين (عليه السلام) كان خلال بعض المناطق التى يسكنها النواصب.

حَثُّ رُؤَسَاءِ الشَّيْعَةِ لِلزِّيَارَةِ:

بل إن فى هذه الروايات الحثَّ الشديد لرؤساء الشيعة, أمثال زراره, والفضيل بن يسار, وأبان بن تغلب, وأبى الجارود, ومعاويه بن وهب, ومحمد بن مسلم, ويونس بن ظبيان, وعبدالله بن بكير, وعبد الملك بن حكيم الخثعمى, وهؤلاء رؤساء المذهب والشيعة وممن يظنّ بهم ولا- يُفرطُ بهم, ومع ذلك يزجهم الإمام (عليه السلام) لزياره الحسين (عليه السلام) مع المخاوف ويعاتبهم عتاباً شديداً:

٣ - ما رواه ابن قولويه بسنده المتصل المعتبر عن زراره قال، قلت لأبي جعفر (عليه السلام): ما تقول في من زار أباك على خوف. قال (عليه السلام):

«يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر، وتلقاه الملائكة بالبشارة، ويقال له: لا تخف ولا تحزن هذا يومك الذي فيه فوزك»^(١).

دلاله الروايه:

ولا يخفى دلاله هذه الروايه على جهات عديده،

الأولى: أن زياره الحسين (عليه السلام) في زمن الإمام الصادق (عليه السلام) كانت محفوفه بالخوف والمخاطر، وسيأتي الدلاله على ذلك في روايات عديده، فقد كان الحال كذلك منذ شهادته (عليه السلام) إلى عصر المتوكل العباسي، وإلى زماننا هذا. وسنذكر الأدله على هذه الحقيقه التاريخيه بجمله من الروايات الآتيه.

الثانيه: حث الإمام الباقر (عليه السلام) لشخص زراره على ذلك، مع أنه من رؤساء المذهب.

٤- وفي صحيح آخر لزراره ومحمد بن مسلم (بل مقطوع الصدور) عن أبي جعفر قال: كم بينكم وبين قبر الحسين (عليه السلام). قال: قلت: ستة عشر فرسخاً، أو سبعة عشر فرسخاً، قال: ما تأتونه؟ قلت: لا، قال: ما

ص: ٢٨٣

٥ - وكذلك في صحيح الفضيل بن يسار (بل هو مقطوع الصدور): قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام):

«ما أجفاكم.... يا فضيل, لا تزورون الحسين, أما علمتم أن أربعه آلاف ملك شعثاً غيراً سيكونه إلى يوم القيامة»(٢).

٦ - ومعتبره سليمان بن خالد, قال سمعتُ أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: عجباً لأقوام يزعمون أنهم شيعة لنا ويقال (يقولون): إن أحدهم يمرّ به دهرًا لا يأتي قبر الحسين (عليه السلام) جفاءً منهم, وتهاوناً وعجزاً وكسلاً, أما والله لو يُعلم ما فيه من الفضل, ما تهاون وما كسل.

قلت: جعلت فداك وما فيه من الفضل, قال (عليه السلام): فضلٌ وخير كثير, أما أوّل ما يصيبه أن يُغفر ما مضى من ذنوبه, ويُقال له: استأنف العمل»(٣).

٧ - ما رواه, في كامل الزيارات بعده أسانيد عن حنان بن سدير, وفيها الصحيح, عن أبي عبد الله (عليه السلام):

«يا سدير, تزور قبر الحسين (عليه السلام) في كل يوم, قلت: جعلت فداك: لا. قال: ما أجفاكم, فتزوره في كل جمعه, قلت: لا. قال: فتزوره في كل شهر, قلت: لا. قال: فتزوره في كل سنة, قلت: قد يكون ذلك. قال: يا سدير, ما أجفاكم

ص: ٢٨٤

-
- ١- (١) الوسائل / أبواب المزار ب ٣٨ / ح / ٢٠؛ كامل الزيارات: باب ٩٧ / ح ٧.
 - ٢- (٢) كامل الزيارات / باب ٩٧ / ح ٨؛ (الوسائل / أبواب المزار / باب ٣٨ / ح ١).
 - ٣- (٣) كامل الزيارات / باب ٩٧ / ح ٨؛ (الوسائل / أبواب المزار / باب ٣٨ / ح ١).

بالحسين (عليه السلام), أما علمت أن الله ألف ملك شعثاً غيراً, ويكونه, ويرثونه لا يفترون, زواراً لقبر الحسين (عليه السلام), وثوابهم لمن زاره». مع أنه (عليه السلام) يعلم أن سديراً قاطن في الكوفة, والطريق مرحلتان من الكوفة إلى كربلاء ويستغرق آنذاك على الدواب يوماً ومع ذلك فإنه يحثه على الزيارة كل يوم من موضعه.

٨- وفي طريق آخر:

«... زره ولا تجفه فإنه سيد الشهداء, وسيد شباب أهل الجنة»(١).

٩- وفي طريق ثالث:

«... إنك لمحروم من الخير».

وفي متن لطريق رابع, قال: قال لي أبو عبدالله. يا سدير, تكثر من زياره قبر أبي عبدالله. قلت: أنه من الشغل. الحديث.

- وفي متن لطريق خامس, قال: قال أبو عبدالله: يا سدير, وما عليك أن تزور قبر الحسين في كل يوم جمعه خمس مرات, وفي كل يوم مره. قلت: جعلت فداك, إن بيننا وبينه فراسخ كثيره. الحديث(٢).

وفي متن لطريق سادس قال قال لي أبو عبدالله يا سدير تكثر من زياره قبر أبي عبدالله قلت انه من الشغل الحديث.

وفي متن لطريق سابع قال, قال أبو عبدالله: يا سدير وما عليك أن

ص: ٢٨٥

١- (١) كامل الزيارات/باب ٢/٩٧, ٤, ٩؛ الوسائل/أبواب المزار/باب ٣٨/ح ١٧, ١٨).

٢- (٢) كامل الزيارات/باب ٢/٩٧.

تزور قبر الحسين في كل جمعه خمس مرات، وفي كل يوم مره، قلت: جعلت فداك، إن بيننا وبينه فراسخ كثيره (١).

١٠- ما رواه في كامل الزيارات بسنده عن أبي الجارود قال: كم بينك وبين قبر الحسين (عليه السلام)، قلت: يوم للراكب، ويوم وبعض يوم للماشى. قال: أفتأتيه كل جمعه، قلت: لا، ما آتية إلّا في حين، قال: ما أجفاكم. أما لو كان قريباً منا لاتخذناه هجره، أى نهاجر إليه (٢).

١١- وفي صحيح محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: من لم يأت قبر الحسين (عليه السلام) من شيعتنا كان منتقص الإيمان، منتقص الدين (٣). «وإن دخل الجنه كان من دون المؤمنين في الجنه».

نواب القتل والحبس والتنكيل في طريق الزياره:

١٢- في مصحح هشام بن سالم عن أبي عبدالله (عليه السلام)، في حديث طويل، قال: أتاه رجل فقال: يا ابن رسول الله، هل يُزار والدك، قال: فقال: نعم، ويصلى عنده، ويصلى خلفه، ولا يُتقدم عليه... قال: فما لمن أتاه؟ قال: الجنه إن كان يأتّم به.. قال: قلت: فما لمن قُتل عنده، جار عليه سلطان فقتله. قال أول قطره من دمه يُغفر له بها كل خطيئه، وتُغسل طينته التي

ص: ٢٨٦

١- (١) كامل الزيارات / باب ٧٨ / ح.

٢- (٢) كامل الزيارات / باب ٩٧ / ح ١١, ١٠.

٣- (٣) كامل الزيارات / باب ٩٦ / ح ٥.

خلق منها الملائكة، حتى تخلص كما خلصت الأنبياء المخلصين. ويذهب عنها ما كان خالطها من أجناس أهل الكفر، ويُغسل قلبه، ويُشرح صدره ويُملأ إيماناً، فيلقى الله وهو مُخلص من كل ما تخالطه الأبدان والقلوب، ويكتب له شفاعته في أهل بيته وألف من إخوانه، وتولّى الصلاة عليه الملائكة مع جبرئيل وملك الموت. ويؤتى بكفنه وحنوطه من الجنة. ويوسّع قبره عليه، ويوضع له مصابيح في قبره، ويُفتح له باب من الجنة، وتأتيه الملائكة بالطُرف من الجنة. ويُرفع بعد ثمانية عشر يوماً إلى حظيره القدس، فلا يزال فيها مع أولياء الله، حتى تصيبه النفخة التي لا تُبقى شيئاً. فإذا كانت النفخة الثانية، وخرج من قبره كان أول من يصافحه رسول الله (عليه السلام) وأمير المؤمنين (عليه السلام) والأوصياء، ويبشرونه، ويقولون له إلزمننا، ويقيمونه على الحوض، فيشرب منه؛ ويسقى من أحب. قال: قلت: فما لمن حُبس في إتيانه. قال: له بكل يوم يُحبس ويُعتم فرحه إلى يوم القيامة. فإن ضُرب بعد الحبس في إتيانه، كان له بكلّ ضربه حوراء؛ وبكل وجع يدخل على بدنه، ألف ألف حسنه، ويُمحي عنه بها ألف ألف سيئه، ويُرفع له بها ألف ألف درجة، ويكون من محدّثي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حتى يفرغ من الحساب، فيصافحه حمله العرش. ويُقال له سل ما أحببت، ويؤتى بضاربه للحساب، فلا يُسأل عن شيء، ولا يُحتسب بشيء؛ ويُؤخذ بضبعيه حتى يُنتهى به إلى ملك يحبوه ويُتحفه بشربه من الحميم.. وشربه من غسلين، ويوضع على

مقال (١) من نار، فيقال له ذُق بما قدمت يداك، فيما أتيت إلى هذا الذي ضربته، وهو وفد الله، ووفد رسوله، ويؤتى بالمضروب إلى باب جهنم، ويُقال له أنظر إلى ضاربك، وإلى ما قد لقي، فهل شفيت صدرك، وقد اقتص لك منه؛ فيقول: الحمد لله الذي انتصر لي ولولد رسوله منه (٢).

ويظهر من سؤال هشام بن سالم، وهو من فقهاء أصحاب الصادق والكاظم (عليه السلام)، أن زياره الحسين (عليه السلام) آنذاك بحيث يتعرض الزائر إلى القتل أو السجن أو التعذيب، وأن ذلك كان متعارفاً معهوداً لدى الشيعة، وأن سيرتهم بالزياره للحسين (عليه السلام) رغم هذه المخاطر هي بدفع وتحريك من الأئمة (عليهم السلام)، لاسيما الباقر والصادق، ومع كونها في معرض القتل أو الحبس، أو التعذيب والتنكيل، وسيأتي مصحح الحسين بن بنت أبي حمزه الثمالي، الدال على ذلك.

١٣ - وروى مثلها بنفس المضمون بطريق مصحح، صفوان الجمال عن أبي عبد الله (٣).

١٤ - وفي معتبره زراره، قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): ما تقول فيمن زار أباك على خوف؛ قال: يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر، وتلقاه الملائكة بالبخاره، ويقال له:

ص: ٢٨٨

١- (١) قلى الشيء: أنضجه وشواه حتى ينضج، والمقلى والمقله الآله، جمعها مقالى.

٢- (٢) كامل الزيارات: باب ١٤٤/ح ٢.

٣- (٣) كامل الزيارات: باب ١٤٨/ح ٣.

لا تخف ولا تحزن هذا يومك الذى فيه فوزك (١).

زياره الحسين عليه السلام حاله التقيه:

١٥ - معتبره يونس بن ظبيان عن أبى عبد الله, قال: قلت له, جعلت فداك, زياره قبر الحسين (عليه السلام) فى حال التقيه. قال: إذا أتيت الفرات فاغتسل, ثم ألبس أثوابك الطاهره, ثم تمر بأزاء القبر وقل:

«صلى الله عليك يا أبا عبد الله, صلى الله عليك يا أبا عبد الله, صلى الله عليك يا أبا عبد الله, ثلاث مرات, فقد تمت زيارتك» (٢).

- وظاهر هذه الروايه بوضوح الحث على زياره الحسين (عليه السلام) ولو فى حاله التقيه كما تدل على ابتلاء الزوار بالخوف الشديد فى ذلك الزمان, ومن ثم علمه (عليه السلام) طريقه للزياره, يوارى فيها توجهه للقبر الشريف, بأن يمرّ بحدائه من دون أن يتجه إليه مباشره.

مع أن يونس بن ظبيان ممن يحافظ ويهتم بسلامته من أصحاب الإمام (عليه السلام).

تناسب الثواب مع الخوف:

١٦ - روى محمد بن مسلم فى حديث طويل, قال: قال لى أبو جعفر محمد

ص: ٢٨٩

١- (١) كامل الزيارات: باب ٤٥/ح ١).

٢- (٢) كامل الزيارات: باب ٤٥/ح ٤؛ - الفقيه ج ٣٦١: ١٦١٦/٢؛ - التهذيب ج ١١٥: ١٦/ح ٢٠٤.

هل تأتي قبر الحسين (عليه السلام) قلت: نعم, على خوف ووجل؛ فقال: ما كان من هذا أشدّ فالثواب فيه على قدر الخوف, ومن خاف في إتيانه, آمن الله روعته يوم القيامة. يوم يقوم الناس لربّ العالمين, وانصرف بالمغفرة, وسلّمت عليه الملائكة؛ وزاره النبي (صلى الله عليه و آله), ودعا له, وانقلب بنعمه من الله وفضل لم يمسه سوء واتبع رضوان الله, ثم ذكر تتمه الحديث (١).

ومفاد هذه الرواية إطلاق رجحان الزيارة مع مطلق درجات الخوف, وإن بلغ ما بلغ, لاسيما مع ما تقدّم من الروايات المستفيضة أن الخوف كان على النفس, وأهونه السجن والضرب والأذى, فمعرضيه الخوف على النفس معتاده في الزيارة آنذاك بكثوره, حتى أن أكثر رؤساء الشيعة من أصحاب الإمام الباقر والصادق (عليه السلام) كانوا ينقطعون عن الزيارة بسبب الخوف عن النفس أو السجن والملاحقه والإيذاء والاستهداف لأشخاصهم, وكذلك سائر الرواه ذوى الفضيله وكذلك عموم الشيعة؛ ومع ذلك ورد التأكيد الشديد على خصوص رؤسائهم كزراره ومحمد بن مسلم وأبان بن تغلب, وهشام بن سالم, وعبدالله بن بكير ومعاوية بن وهب, ويونس بن ظبيان, والحلبى, وعبدالله بن سنان, والمفضل بن عمر وعبدالمملك بن حكيم الخثعمى, وغيرهم من أكابر فقهاء الشيعة, ورد التأكيد بالالتزام

بالزياره رغم الظروف الصعبه, فضلاً عن عموم الفضلاء وعموم الشيعة.

١٧ - معتبره عبدالملك الخثعمي, عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال لي:

«يا عبدالملك, لا تدع زياره الحسين بن علي (عليه السلام), ومُر أصحابك بذلك».

- ورواها كل من: ابن قولويه في كامل الزيارات(١). والصدوق في ثواب الأعمال والفتيه(٢).

١٨ - وروى ابن قولويه, والكليني في الكافي بسند صحيح أعلاني عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام), قال:

«مروا شيعتنا بزياره قبر الحسين» ثم علل (عليه السلام) ذلك بأن إتيانه مفترض على كل مؤمن يقّر للحسين (عليه السلام) بالإمامه من الله(٣).

وظاهر مفاد هذه الصحيحه القطعيه الصدور, حيث أن رواها كلهم من زعماء الشيعة. أن توصيه الإمام الباقر (عليه السلام) لمحمد بن مسلم الذي هو من فقهاء الشيعة ومراجعهم في الكوفه, أن يتصدى لحث عموم الشيعة بإقامه شعيره زياره الحسين (عليه السلام) رغم الظروف الصعبه التي فيها المخاطره في الأنفس والتعرض للمصاعب والملاحقه من المسالحي (نقاط عسكريه وأمنيه للتفتيش) من الدوله الظالمه الأمويه والعباسيه, والتضييق في المعيشه

ص: ٢٩١

١- (١) باب ٦١ / ٦.

٢- (٢) ١١٦ - ج ٣٤٧: ٢.

٣- (٣) (٣) كامل الزيارات: باب ٦١ / ح ١؛ الكافي: ج ٤ / ٥٥١.

على من يعرف ويشتهر بذلك, كما تقدمت روايات بذلك.. فإن الإمام الباقر (عليه السلام) يعلّل هذا الأمر بأن الزيارة فريضة. وهذا ممّا يشير بوضوح أن درجة الوجوب فى الشعائر المرتبطه بالحسين (عليه السلام), - ولو كان كفاثياً, فضلاً عن الوجوب العينى, والتخيرى فضلاً عن التعيىنى - يفوق ملاك حكم حفظ النفس.

نظير باب الجهاد بل هو من أعظم أبوابه, لأنه جهاد لإقامه صرح الإيمان.

ولا يخفى أنه لم يختص هذه التوصيه من الإمام الباقر (عليه السلام) لمحمد بن مسلم الفقيه, بل قد مرّ توصيته (عليه السلام) لعبد الملك بن حكيم الخثعمى, وقد كان عيناً وجيهاً. ذا موقعه فى الشيعة..

زياره الحسين عليه السلام فى حاله الخوف:

ويدل على رجحان الزيارة, زيارته (عليه السلام) ولو كان هناك خوف على النفس فضلاً عمّا دونها, جمله من الروايات.

ولا يخفى أن مقتضى مفادها, ليس رجحان الزيارة ومشروعيتها فى هذه الحاله فحسب, بل يستفاد من هذه الماده التشريعيه جمله من التشريعات الهامه فى باب الشعائر الحسينيه, من قبيل درجه الضرر والإضرار المشروع تحمله فى باب الشعائر الحسينيه, كما يستفاد من دلالتها درجه أهميه الشعائر الحسينيه فى معالم الدين وأركانه وجمله أخرى من الفوائد الصناعيه والفقيهيه والمعرفيه التى سنشير إليها فى جمله من الأبحاث.

١٩ - ما رواه ابن قولويه بسند محسن، عن مسمع بن عبد الملك كردين البصرى قال: قال لى أبو عبدالله (عليه السلام): يا مسمع أنت من أهل العراق؟ أما تأتى قبر الحسين (عليه السلام)، قلت: لا، أنا رجل مشهور عند أهل البصره، وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفه، وعدونا كثير من أهل القبائل من النصاب وغيرهم، ولست آمنهم أن يرفعوا حالى عند ولد سليمان فيمثلون بى، قال لى: أفما تذكر ما صنع به؟ قلت: نعم. قال: فتجزع. قلت: إى والله واستعبر لذلك. الحديث (١).

- ولا يخفى أن مبادرته (عليه السلام) لمسمع بحثه على زياره الحسين (عليه السلام) فى ظل ظروف حكم خلفاء بنى مروان وسليمان بن عبد الملك المروانى، لا تخفى على الإمام (عليه السلام) شدة وإرهاب السلطه لشيعة أهل البيت (عليهم السلام)، كما لا يخفى عليه وضع وظروف قبائل البصره آنذاك، ولا يخفى عليه العذر الذى تذرعه به الراوى كسبب لعدم زياره سيد الشهداء (عليه السلام)، ورغم ذلك يبادر (عليه السلام) بالسؤال الاستنكارى على مسمع من تركه لزياره الحسين (عليه السلام). ويعاتبه على ذلك.

وأن هذه الظروف رغم قساوتها وشدتها، ليست عذراً فى ترك هذا الأمر المطلوب شرعاً.

ص: ٢٩٣

ليست التقيه مبرراً لترك زياره الحسين عليه السلام:

مع أن الإمام الصادق (عليه السلام) وسائر أئمه أهل البيت (عليهم السلام) شددوا في التزام التقيه, وتجنب الاشتهار والإذاعه والإفشاء, لما يوجب المخاطره بالنفس أو بالمؤمنين, ورغم كل ذلك في باب التقيه, إلا أنه (عليه السلام) لم ير أن التقيه مبرر لترك زياره الحسين (عليه السلام), ولا عذر في ذلك. ثم لما رأى ضعفاً وتردداً في الراوى من القيام بالزياره, لم يترك المجال للانقطاع وترك الارتباط بشعائر سيد الشهداء فأخذ يحثه على طريقه وآليه أخرى للشعائر الحسينيه وهى إقامه العزاء والمأتم وذكر المصاب مئياً يبين مدى إصرار الشريعه على الشعائر الحسينيه, بل ولم يكتف (عليه السلام) بالدرجه النازله من إقامه الشعائر, بل طالب الراوى بالجزع رغم ظروف التقيه.

- وهناك روايات كثيره داله على: أن الحاله آنذاك التى صدرت فيها الروايات عن الباقر والصادق (عليه السلام), وقبلهما عن أمير المؤمنين (عليه السلام), الحائثه على زياره الحسين (عليه السلام), وكذا من مطلقات الروايات الحائثه على ذلك؛ صدرت فى ظرف الخوف والشده.

فبالتالى يكون حثها, وإن لم يكن منحصراً بذلك الزمن, بل بنحو القضيئه الحقيقيه, إلا أنها وارده فى ذلك الظرف. وهى موجهه فى بادى الأمر إلى زمن صدور النص؛ وعلى هذا الأساس, فكل عمومات الروايات المتواتره والمستفيضه الأمره بزياره الحسين (عليه السلام), بل وكذا زياره أبى الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) هى تحتّ على الزياره فى ظرف الخوف, وإن لم تشمل

فتكون كافه هذه الروايات هي أمره, ومشملة على طلب الزيارة في حاله الخوف, ومن تلك الروايات أيضاً:

٢٠ - ما رواه بسنده إلى الحلبي, ولا- يبعد اعتباره قال: قال لى أبو عبدالله (عليه السلام) فى حديث عن قتل الحسين (عليه السلام).. فقال له الحلبي: جعلت فداك إلى متى أنتم ونحن فى هذا القتل والخوف والشده.

فقال: حتى يأتى سبعون فرجاً أجواب, ويدخل وقت السبعين فإذا دخل وقت السبعين, أقبلت الرايات تترى كأنها نظام. فمن أدرك ذلك الوقت قرّت عينه. الحديث (١).

- وأجواب: جمع جوبه, والجوب جمع قطعه القطع, والجوبه الفجوه بين البيوت والفرجه بين السحاب والجبال, ولعلّ مراده (عليه السلام), أى أن بين كل فرج وآخر انقطاع وتخلل شده, أو بين كل شده وشده انقطاع وفرج فلا يتصل ببعضه ببعض.

٢١ - ما رواه فى محسنه عبدالله بن حماد البصرى عن أبى عبدالله (عليه السلام), قال: قال لى: إن عندكم (أو قال: فى قربكم) لفضيله ما أوتى أحد مثلها, وما أحسبكم تعرفونها كنه معرفتها, ولا تحافظون عليها ولا على القيام بها, وإن لها لأهلاً خاصه قد سُموا لها, وأعطوها بلا حولٍ منهم ولا قوه, إلّا ما كان

من صنع الله لهم, وسعاده جباهم الله بها ورحمه ورأفه وتقدّم. قلت: جعلت فداك, وما هذا الذى وصفته ولم تسمّه؟ قال: زيّاره جدّى الحسين بن على.... إلى أن قال (عليه السلام): لا يأتيه إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان وعزّفه حقنا, فقلت له: جعلت فداك, قد كنت آتية حتى بُليت بالسلطان وفي حفظ أموالهم, وأنا عندهم مشهور, فتركت للتقيه إتيانه وأنا أعرف ما فى إتيانه من الخير, فقال: هل تدرى ما فضل من أتاه, وما له عندنا من جزيل الخير, فقلت: لا, فقال: أما الفضل فيباهيه ملائكة السماء, وأما ما له عندنا فالترحم عليه كل صباح ومساء. الحديث (١).

زيّاره النصف من شعبان:

ثم قال (عليه السلام): بلغنى أن قوماً يأتونه من نواحي الكوفة وناساً من غيرهم, ونساء يندبنه, وذلك فى النصف من شعبان, فمن بين قارئ يقرأ, وقاص يقص, ونادب يندب, وقائل يقول المراثى. فقلت له: نعم, جعلت فداك, قد شهدت بعض ما تصف, فقال (عليه السلام): الحمد لله الذى جعل فى الناس من يفد إلينا ويمدحنا ويرثى لنا, وجعل عدونا من يطعن عليهم من قرابتنا وغيرهم يُهدرونهم, ويقبحون ما يصنعون. الحديث (٢).

- أى يهدرون دماءهم فهذا تصريح منه (عليه السلام) على ظرف الزائرين

ص: ٢٩٤

١- (١) كامل الزيارات/ باب ١٠٨/ ح ١.

٢- (٢) باب ١٠٨/ ح ١.

للحسين (عليه السلام) آنذاك ورغم ذلك فهو (عليه السلام) يحث على الزيارة كشعيره عظيمه من الشعائر الحسينيه.

٢٢ - ما رواه ابن قولويه بإسناده عن محمد بن سليمان, عن أبي جعفر الجواد (عليه السلام) فى حديث, سأل: فأيهما أفضل, هذا الذى قد حجّ حجه الإسلام يرجع فيحج أيضاً, أو يخرج إلى خراسان, إلى أبيك على بن موسى الرضا (عليه السلام), فيسلم عليه, قال: بل يأتى خراسان فيسلم على أبى الحسن أفضل, وليكن ذلك فى رجب. ولكن لا ينبغى أن تفعلوا هذا اليوم, فإن علينا وعليكم خوفاً من السلطان وشنعه(١).

- ومفاد هذا الحديث وإن كان فى زياره الإمام الرضا (عليه السلام), وأن الأولى ترك الزيارة مع الخوف؛ إلا أن فى زياره الحسين (عليه السلام) الأمر على العكس, وهو شاهد على كون زيارتهم (عليهم السلام) مشتمله على الخوف من بنى أميه وبنى العباس.

الفرق بين زياره الحسين عليه السلام وزياره بقية الأئمه:

٢٣ - وروى أيضاً فى الصحيح إلى الحسين بن يسار الواسطى, قال: سألت أبا الحسن الرضا (عليه السلام): ما لمن زار قبر أبيك (عليه السلام): قال, فقال (عليه السلام): زوروه. فقلت: أى شىء فيه من الفضل. قال: له من الفضل كمن زار والده يعنى رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ص: ٢٩٧

قلت: فإن خفت ولم يمكن لى الدخول داخله؛ قال: سلم من وراء الجدار. وفي نسخه بدل (من وراء الحائر) (١).

- وفيه دلالة على أن زياره موسى بن جعفر (عليه السلام) في بغداد كانت على خوف وتقيه، فكيف بزياره الحسين (عليه السلام)...

٢٤ - وفي روايه أخرى أيضاً، في طريق مصحح إلى الحسين بن يسار الواسطي قال: قلت للرضا (عليه السلام): أزور قبر أبي الحسن (عليه السلام): في بغداد؟

قال: «إن كان لا بد منه فمن وراء الحجاب» (٢)، وهو أيضاً دال على وقوع الخوف في زياره موسى بن جعفر (عليه السلام) آنذاك.

وتوصيته (عليه السلام) بالتحفظ بالتقيه، هو على خلاف ما ورد عنهم (عليهم السلام) في زياره الحسين (عليه السلام) في الحث على الزياره مع الخوف من دون مراعاة التحفظ.

٢٥ - مصحح الحسين بن بنت أبي حمزه الشمالى، قال خرجت في آخر زمان بنى مروان إلى زياره قبر الحسين (عليه السلام) مستخفياً من أهل الشام حتى انتهيت إلى كربلاء فاخفيت في ناحية القريه، حتى إذا ذهب من الليل نصفه، أقبلت نحو القبر فلما دنوت منه، أقبل نحوى رجل فقال لى: انصرف مأجوراً فإنك لا تصل إليه، فرجعتُ فرعاً حتى إذا كان (٣) يطلع

ص: ٢٩٨

١- (١) كامل الزيارات: باب ٩٩: ح ٦؛ الوسائل / أبواب المزار / باب ٨٠ / ح ٤؛ التهذيب ج ٨٢ / ٦ / ١٦١.

٢- (٢) كامل الزيارات: باب ٩٩ / ح ٣ - الوسائل / أبواب المزار / باب ٨٠ / ح ٧.

٣- (٣) لعله النسخه الأصح (كاد).

الفجر، أقبلت نحوه حتى إذا دنوت منه، خرج إليّ الرجل، فقال: يا هذا، إنك لا تصل إليه؛ فقلت له: عافاك الله. ولم لا أصل إليه، وقد أقبلت من الكوفة أريد زيارته فلا تُحل بيني وبينه، وأنا أخاف أن أصبح فيقتلونى أهل الشام إن أدركونى ها هنا.

فأقبلت حتى إذا طلع الفجر، أقبلت نحوه، فلم يحل بيني وبينه أحد فدنوت من القبر، وسلّمت عليه، ودعوت الله على قتلته، وصلّيتُ الصبح، وأقبلتُ مسرعاً مخافه أهل الشام»(١).

٢٦ - معتبره عبدالله بن بكير، عن أبي عبدالله (عليه السلام)، قال: قلت: إنى أنزل الأرجان(٢) وقلبي ينازعنى إلى قبر أبيك، فإذا خرجتُ فقلبي وجلّ مشفق حتى أرجع خوفاً من السلطان والسعاه وأصحاب المسالِح؛ وقال: يا بن بكير، أما تُحب أن يراك الله فينا خائفاً، أما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظله الله في ظلّ عرشه؛ وكان محدّثه الحسين (عليه السلام) تحت العرش، وآمنه الله من أفراع يوم القيامة، يفزع الناس ولا يفزع، فإن فزع وقّرتَه الملائكة، وسكّنت قلبه بالبشاره»(٣).

وقد تقدم معنى المسالِح أنها نقاط تفتيش عسكريه أمنيّه من الحكم الأموى والعباسى.

ص: ٢٩٩

١- (١) كامل الزيارات: باب ٣٨/ ح ٢، ح ٥، ٦.

٢- (٢) مدينه من بلاد فارس ولعلها ما تسمى حالياً أرگان قرب الأهواز.

٣- (٣) كامل الزيارات: باب ٤٥/ ح ٢.

وهذه الروايه داله على أن حكومه سلطان بنى أميه وبنى العباس كانت تمنع من زياره الحسين (عليه السلام) أشد ممانعه بالإرهاب الأمنى والعسكرى وكانت تقيم شبكات مخابراتيه, لرصد ومراقبه الطريق إلى الزياره, والموضع الشريف, وهو المعبر عنه ب- «السعاه» - كما أنها كانت تقيم سيطرات عسكريه مسلحه على الطريق. فهذه الروايه تبين بوضوح أن زياره الحسين (عليه السلام) فى عهد الصادق (عليه السلام) كانت محفوفه بكل هذه المخاطر, كما أشارت إليه بقيه الروايات السابقه, وتشير إلى أن الروايات المطلقه الحاثه على زياره الحسين (عليه السلام), هى صادر فى هذه الظروف الصعبه وهذا الجو المملوء بالمخاطر. ولا ريب أن تلك الروايات المطلقه الصادره عن الباقر والصادق (عليه السلام) مستفيضه بل متواتره..

فيتم تقريب الأمر بزياره الحسين (عليه السلام) مع الخوف على النفس, فضلاً عن الخوف على البدن والأطراف والأعضاء والأموال والعرض.

ومن ثم يظهر فى هذه الروايه أن ابن بكير بعد ما ذكر للإمام (عليه السلام) هذه الحاله فى زياره الحسين (عليه السلام) رغم الخوف على النفس, والوجل, والإشفاق والاضطراب النفسى, مع كل ذلك حث الإمام على زياره الحسين (عليه السلام) ببالغ التأكيد والتشديد, وعظيم الأجر الخاص الذى لا يُترقب من سائر الطاعات حتى من القتل فى سبيل الله فى ساحات الجهاد, بل اختص بزياره الحسين (عليه السلام) ومع أن مثل عبدالله بن بكير من فضلاء وفقهاء الرواه وتلامذته (عليه السلام) ممن يضمن بهم.

٢٧ - موثقه المفضل بن عمر, قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام), فى حديث

عن ثواب زياره الحسين (عليه السلام), وفيه:

«... وكأني بالمؤمنين يزورونه ويسلمون عليه, فيقول الله (عز وجل) لهم: أوليائي: سلوني فطالما أوذيتم وذللتم واضطهدتم. فهذا يوم لا- تسألوني حاجه من حوائج الدنيا والآخرة إلّا قضيتها لكم, فيكون أكلهم وشربهم في الجنة. فهذا والله الكرامه التي لا انقضاء لها ولا يُدرَك منتهاها»(١).

- وظاهر الروايه حصول الإيذاء والذلّ والاضطهاد في الزياره والطريق إليها؛ بسبب حكام الجور.

٢٨ - محسنه أحمد بن عبدوس عن أبيه, قال: قلت للرضا: إن زياره قبر أبي الحسن (عليه السلام) علينا فيها مشقه. وإنما نأتيه فنسلم عليه من وراء الحيطان, فما لمن زاره من الثواب. قال: والله مثل ما لمن أتى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله)(٢).

دعاء الإمام الصادق عليه السلام لزوار الحسين عليه السلام:

٢٩- صحيحه معاويه بن وهب التي رواها الكليني وابن قولويه والصدوق بأسانيد متعدده فيها الصحاح قطعيه الصدور.. قال: استأذنت على أبي عبدالله (عليه السلام) فقبل لي: ادخل، فدخلت فوجدته في مصلاه، في بيته، فجلست حتى قضى صلاته، فسمعتة وهو يناجي ربه، ويقول: يا من خصنا

ص: ٣٠١

١- (١) كامل الزيارات: باب ٥٠ / ح ٣.

٢- (٢) الوسائل / أبواب المزار / باب ٨٠ / ح ١٠.

بالكرامه، وخصنا بالوصيه، ووعدنا الشفاعة، وأعطانا علم ما مضى، وما بقى، وجعل أفئده من الناس تهوى إلينا، اغفر لى ولإخوانى، ولزوار قبر أبى عبدالله الحسين (عليه السلام)، الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبه فى برنا، ورجاء لما عندك فى صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك صلواتك عليه وآله، وإجابه منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدونا، أرادوا بذلك رضاك، فكافهم عنا بالرضوان، واكلأهم بالليل والنهار، واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، واصحبهم واكفهم شر كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك، أو شديد، وشر شياطين الإنس والجن. وأعطهم أفضل ما أملوا منك فى غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم.

اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا، وخلافاً منهم على من خالفنا. فارحم تلك الوجوه التى قد غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التى تقلبت على حفره أبى عبدالله (عليه السلام)، وارحم تلك الأعين التى جرت دموعها رحمه لنا، وارحم تلك القلوب التى جزعت واحترقت لنا، وارحم الصرخه التى كانت لنا، اللهم إنى أستودعك تلك الأنفس، وتلك الأبدان حتى نوافيهم على الحوض يوم العطش، - فما زال وهو ساجد يدعو بهذا الدعاء، فلما انصرف قلت: جعلت فداك، لو أن هذا الذى سمعت منك كان لمن لا يعرف الله، لظننت

أن النار لا تطعم منه شيئاً، والله لقد تمنيت أن كنت زرته ولم أحج، فقال لى: ما أقربك منه، فما الذى يمنع من إتيانه، ثم قال: لِمَ تدع ذلك؟ قلت: جعلت فداك، لم أدر أن الأمر يبلغ هذا كله، قال: يا معاويه، من يدعو لزواره فى السماء أكثر ممن يدعو لهم فى الأرض (١).

٣٠ - مارواه الكلينى فى حسنه الحسن بن عباس بن الحريش ، عن أبى جعفر (عليه السلام) فى حديث ، قال:

«... ولا أعلم فى هذا الزمان جهاداً إلّا الحج والعمرة والجوار» (٢) أى جوار البقاع المقدسه ومراقده الأئمه (عليهم السلام).

- ويتحصل من هذه الروايات المستفيضه، بل هى مع جملة الروايات المطلقة تكون متواتره، بأن زياره الحسين (عليه السلام) باعتبارها من أبرز الشعائر الحسينيه، فلا يقوى على رفع مطلوبيتها، الخوف من هلاك النفس، فإن ملاكها أعظم من ملاك حفظ النفس، كما هو الحال فى الجهاد فى سبيل الله وغيره، بل يظهر من هذه الروايات المستفيضه والمتواتره أن باب زيارته من أعظم أبواب الجهاد، فى سبيل الله. وفى سبيل الإيمان فى قبال الجاحدين والمعاندين، الذين يريدون أن يطفئوا نور الله وهو الإيمان، وبعبارة أخرى أن زياره سيد الشهداء (عليه السلام) - كشعيه من الشعائر لا- يُنظر إليها من الخصوصيه الفرديه وأن زياره مستحبه، فكيف تُقدّم على حفظ النفس من الهلاك الذى

ص: ٣٠٣

١- (١) الكافى ج ٥٨٣: ٤ - كامل الزيارات: باب ٢/٤٠.

٢- (٢) الكافى ج ٢٥١: ١ -

هو واجب، وهو أعظم من كثير من الواجبات، فكيف يتم هذا بحسب قواعد وصناعه الفقه؛ والجواب:

التخريج الفقهي لتقديم الزيارة على حفظ النفس:

أن زياره الحسين وبقية الشعائر المرتبطه به (عليه السلام)، بل والمرتبطة بأهل البيت (عليهم السلام) من زياراتهم وشعائرهم، هي متضمنه لطبائع واجبه، نظير إقامه وحفظ الولاية، ونشر نور الإيمان، وهداياه البشر، وإقامه فريضه التوكل والتبري، وتجديد العهد بولايتهم ومحبتهم، والبيعه لهم، إلى غير ذلك من طبائع الواجبات المرتبطه، ببيضة الدين والإيمان، فكيف لا- تقدم هذه الواجبات على حفظ النفس. ومن السطحيه بمكان ملاحظه الطبيعه الفرديه للشعيره كزياره ونحوها من نماذج أفراد وأصناف الشعائر الحسينيه، أو شعائر أهل البيت (عليهم السلام) مع الإغفال عن جملة الطبائع الواجبه العظيمة، المرتبطه بأصول الدين وأركانها، والمنطويه في الشعائر الحسينيه تضمناً.. وقد وقع في هذه الغفله، عدد كثير من أصحاب النظر والأعلام.. وقد ذكرنا شرطاً وافراً من هذه النكته الصناعيه في مبحث (أحكام العتبات المقدسه).

ثم لا يخفى أنه في جملة كثيره من هذه الروايات المتقدمه التعليل بعموم أهميه الملاك والمصلحه الشامل لكل الشعائر المضافه لأهل البيت (عليهم السلام).

- نظير قوله (عليه السلام): «أما تحب أن يراك الله فينا خائفاً» .

الذي قد مرّ تحت رقم الحديث (٢٦) الدال على عموم موضوع

الحكم وهو ليس لزيارتهم (عليهم السلام) فحسب, بل لكل شعيره تضاف إليهم (عليهم السلام). وبالتالي يدل على رجحان الشعائر الحسينيه ولو مع الخوف على النفس .

ص: ٣٠٥

الفصل السابع : أثر البكاء على الحسين (عليه السلام) في تنوير الفكر والمعرفه

اشاره

ص: ٣٠٦

أثر البكاء على الحسين عليه السلام فى تنوير الفكر والمعرفه

- إنَّ البكاء من الشعائر الحسينيه المنصوص عليها بالخصوص كتاباً وسنه , ونذكر بدايه معنى البكاء فى اللغه ثم نمضى فى البحث تدريجاً .

البكاء فى اللغه:

- الصياح: وهو رفع الصوت فى البكاء.

- البكاء بالمد, كما فى تصریح غير واحد من أهل اللغه بالفرق بينه ممدوداً ومقصوراً. ففى الصحاح ومجمع البحرين, البكاء يُمد ويقصّر, فإذا مددت أردت الصوت الذى يكون مع البكاء, وإذا قصرت أردت الدموع وخروجها.

وفى المجمل: قال قوم: إذا دمعت العين فهو مقصور, وإذا كان ثم نشيج وصياح فهو ممدود.

وعن الخليل, إذا قصرت البكاء فهو بمعنى الحزن, أى ليس معه صوت,

ص: ٣٠٨

وإذا كان معه نسيح وصياح فهو ممدود.

قال الراغب: بالمد سيلان الدمع على حزن وعويل. يقال: إذا كان الصوت أغلب - وبالقصر: يقال إذا كان الحزن أغلب.

وبعد هذه المقدمة في بيان معنى البكاء في اللغة نذكر نبذة تمهيديه وبعض المصادر في ذلك:

الأول: البكاء على الحسين (عليه السلام) من سنن النبي (صلى الله عليه وآله)، فقد أمر (صلى الله عليه وآله) بهاء وربى عليها المسلمين .. وقد كفى العلامة الأميني (قدس سرّه) الباحثين مؤونه التتبع لهذه المصادر (1)، وكذا قام بذلك العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين في رسالته في الشعائر الحسينيه .

- ومنه: قوله (صلى الله عليه وآله): «لكن حمزه لا بواكى له» (2) .

- قوله (صلى الله عليه وآله): «فعلى مثل جعفر فلتبكي البواكى» (3).

- بكاؤه (صلى الله عليه وآله) يوم توفي عمه أبو طالب (4).

- ومنه: بكاؤه (صلى الله عليه وآله) يوم استشهاد حمزه وجعفر وما روى في شدة بكاءه (صلى الله عليه وآله)

ص: ٣٠٩

١- (١) للمزيد من الإطلاع حول ذلك، راجع كتاب (الشعائر الحسينيه بين الأصالة والتجديد، محاضرات الشيخ محمد السند، بقلم رياض الموسوي، دار الغدير، قم، ص: ٤١٧).

٢- (٢) الاستيعاب ح ٣٧٤: ١.

٣- (٣) النص والاجتهاد: ٢٩٦.

٤- (٤) السيره الحلييه باب أبي طالب وخديجه .

على عمه حمزه حتى أغمى عليه (١).

- ومنه: بكاءه (صلى الله عليه و آله) على قبر أمه آمنه (٢).

- ومنه: ماروى ان فاطمه (عليها السلام) كانت تبكى وتصلى عند قبر عمّها حمزه كل يوم جمعه (٣).

الثانى: مصادر أهل السنه فى بكاء السماء على الحسين (عليه السلام).... فقد ورد فى تفسير الطبرى, سوره الدخان فى ذيل الآيه الكريمه فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَ مَا كَانُوا مُنظَرِينَ ٤, حيث ذكر بسنده عن السدى قال:

«لما قتل الحسين بن على رضوان الله عليهما بكت السماء عليه، وبكاؤها حمرتها» (٤).

كما ذكر ابن كثير فى تفسيره، بسنده عن عبيد المكتب عن إبراهيم، قال:

«ما بكت السماء منذ كانت الدنيا إلا على إثنين، قال: وماتدرى بكاء السماء؟ قلت: لا. قال: تحمر وتصير ورده كالدهان: إن يحيى بن زكريا عليه الصلاه والسلام لما قتل احمرت السماء، وقطرت دما، وإن الحسين بن

ص: ٣١٠

١- (١) ذخائر العقبى: ١٨٠.

٢- (٢) الدر المنثور للسيوطى. ج ٢٨٤ : ٣

٣- (٣) وفاء الوفاء للسمهودى ج ١٣٦١ : ٣.

٤- (٤) تفسير جامع البيان، ابن جرير الطبرى جزء ١٦٠ : ٢٥.

على رضى الله عنهما لما قتل احمرت السماء»(١).

ومارواه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ج ١١١:١٤) - ومارواه ابن ابى حاتم الرازى فى تفسيره (ج ٣٢٨٨:١٠).

وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام):

«...يا زواره أن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم»(٢).

وأصل مفاد هذه الروايات هو مامر من قوله تعالى فى آيه الدخان، من أن شأن السماء والأرض هو البكاء على الأولياء، لا على المستكبرين والعصاه .

ولا بأس بذكر الآيات الافاقية التى ظهرت بعد مقتل سيد الشهداء (عليه السلام) منها:

* بكاء السماء حزناً على الحسين (عليه السلام). كامل الزيارات/باب ٢٦، ح ١٦٧:٨.

* تغير الآفاق وسقوط التراب الأحمر. تهذيب الكمال ٤٣٢:٦.

* ظهور الكواكب نهائياً. مجمع الزوائد ج ١٩٧: ٩.

* لم يرفع حجر فى ذلك اليوم إلا وتحتته دم عييط يغلى(٣).

* مكثت السماء سبعة أيام بلياليها كأنها علقه (دم). مجمع الزوائد ج ١٩٦: ٩.

* بقيت الشمس زماناً تطلع محمره على الحيطان والجدر بالغداه والعشى.

ص: ٣١١

١- (١) تفسير ابن كثير ج: ٤ ص: ١٥٤.

٢- (٢) كامل الزيارات/ باب ٢٦: حديث ١٦٧ : ٨ .

٣- (٣) كامل الزيارات باب ٢٤ / ح ٢ .

* حدوث الحمرة في السماء كأنها الدم. المصدر السابق، ص: ١٩٧.

* أصبحت الكواكب يضرب بعضها بعضاً. المصدر السابق، ص: ١٩٧.

* إصابه العمى من بشر بمقتل الحسين (عليه السلام).

* أمطرت السماء دماً عبيطاً ثلاثه أيام. تاريخ حلب ٦: ح ٢٦٤٩.

* كانت حيطان دار الإمارة تسيل دماً. تهذيب الكمال ج ٤٣٤: ٦.

* أصبحت حيطان بيت المقدس ملطخه بالدماء.

كامل الزيارات، باب ٢٤/ح ٢.

* صيروره الورد (١) الذي نهبهه من معسكر الحسين (عليه السلام) رماداً.

الخصائص الكبرى، ج ١٢٦: ٢.

* ما طبخ من لحوم نياق معسكر الحسين (عليه السلام) أصبح ناراً ولم يتمكنوا من أكله.

ترجمه الإمام الحسين (عليه السلام) لابن عساكر: ٣٦٤.

* الكسوف للشمس. كامل الزيارات باب ٢٦/ح ٨.

* الجبال تقطعت وانتشرت. كامل الزيارات، باب ٢٦/ح ٨.

ص: ٣١٢

* البحار تفجرت .المصدر السابق.

* بكاء الوحوش عند قبره .المصدر السابق: باب ٨/٢٦.

إنشباك النجوم(١).

أمطرت السماء تراباً أحمرأ(٢).

وقد ورد: «إن فاطمه (عليها السلام) لتبكيه وتشهق, فتزفر جهنم زفره لولا أن الخزنه يسمعون بكاؤها»(٣).

الثالث: ارتباط البكاء مع الموده: إن أحد أدله البكاء هي: آيه الموده, لاسيما مع الالتفات أن الموده من أصول الدين وارتباط ذلك بالقاعده القرآنيه من إرتباط المواساه بالحزن للمصاب كمقتضى من مقتضيات الموده, أى أن المؤمن يفرح لفرح النبي ويحزن لحزنه..

وهو مفهوم قوله تعالى: إِنَّ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَ يَتَوَلَّوْا وَ هُمْ فَرِحُونَ ٤.

الرابع: البكاء سنه تشريعيه وتكوينييه، أما كون البكاء سنه تشريعيه، فلما مر من الأمر به كتاباً وسنّه مضافاً إلى ما قدمناه فى الجزأين السابقين من

ص: ٣١٣

١- (١) كامل الزيارات باب ٢٤ / ح ٢.

٢- (٢) كامل الزيارات باب ٢٨ / ح ٣.

٣- (٣) كامل الزيارات: ١٧.

كتاب الشعائر الحسينيه، واما كونه سنه تكوينيه فلما أشارت إليه الدخان المتقدمه، وما ورد في ذيلها من أحاديث عن النبي (صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته (عليهم السلام) في ذلك .

الخامس: وقد ورد أن الأرض تبكى على المؤمن أربعين يوماً، ففي مصنف ابن أبي شيبه الكوفى بسنده عن وكيع عن سفيان، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس قال:

«الأرض تبكى على المؤمن أربعين صباحاً»(١).

وإذا كان هذا حال الأرض تجاه المؤمن فكيف حالها معه إمام وأئمة المؤمنين (عليهم السلام) .

السادس: إن أحد أدله رجحان البكاء والحزن على المصطفين الحجج على العباد من الأنبياء والرسل والأئمة الأوصياء المنصوبين من قبل الله تعالى هو قوله تعالى في شأن يعقوب، وحزنه على النبي يوسف، لا بما هو ولد له، بل لخصيصه نبوه يوسف وإمامته: وَ تَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسِيفَى عَلَى يُوسُفَ وَ ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُنُوا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٢.

فإن ابيضاض عيني يعقوب من شدة البكاء واستمرار حزنه وكمده حتى قال له أهله: قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ، ولم يقطع

ص: ٣١٤

١- (١) مصنف ابن أبي شيبه ج ١٩٨: ٨:

بكاءه بسبب الخوف من الهلكه، ولا خوف ذهاب بصره، وهذا يدل على مدى عظمه أهميه البكاء على المصطفين من حجج أنبياء وأئمه، بقوله: لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ خَيْرًا مِّنْ مَّا يَدْرِي وَ لَكِنَّ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . أى أن قصصهم (عليهم السلام) عبره ليتخذ منها سنه ولتكون قدوه للعالمين .

السابع: ماورد فى زياره الناحيه المقدسه:

«فلأندبنك صباحاً ومساءً ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً»(١).

وتقريب مفاده، أن البكاء على مصاب الحسين (عليه السلام) يتأكد استمراره ولو أدى الى خروج الدم من العين بسبب الاستمرار والشده، وتعبير المعصوم (عليه السلام) يجل عن الخيال، ويرتفع عن التصوير الشعري، بل هو بيان حقيقه وتثبيت مفهوم واقعى، وهذا عين مفاد ماامر فى بكاء النبى يعقوب (عليه السلام) فى سوره يوسف.

الثامن: ماورد من أن البكاء نفسه خشوع، لذا نرى أن القرآن الكريم يمتدحه، بينما يذم الضحك والفرح.

فلا يخفى من أن مقتضى قوله تعالى: إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَ آتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ

ص: ٣١٥

١- (١) المزار المشهدى: ٥٠١، بحار الانوار ج ٢٣٨: ٩٨ .

أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۗ ۱.

إنَّ البكاءَ مقابلَ الفرحِ، فالأولُ إنكسارُ النفسِ عن الطغيانِ والتجبرِ والتكبرِ، والثاني تبخترُ النفسِ وخيلاؤها بالنزعه الذاتيه، وهذه فلسفه عظيمه تربويه فى كمالِ النفسِ نتيجه البكاءِ، معاكسه لردله الفرحِ والبطرِ.

- نكيرِ واعتراضِ السجادِ (عليه السلام) على التوقفِ والكفِ عن البكاءِ.

- فقد روى ابن قولويه فى كاملِ الزياراتِ، بسنده عن إسماعيلِ بن منصورٍ، عن بعضِ أصحابنا: قال: أشرفَ مولى لعلی بن الحسينِ (عليه السلام) وهو فى سقيفه له ساجد يبكى، فقال له: يا مولای يا على بن الحسينِ، أما آن لحزنك أن ينقضى، وفرغ رأسه إليه، وقال:

«ويلك، أو ثكلتك أمك.. والله لقد شكى يعقوب إلى ربه فى أقل مما رأيت، حتى قال: يا أسفى على يوسفٍ،

إنه فقد إبناً واحداً، وأنا رأيت أبى وجماعه أهل بيتى يذبحون حولى»^(١).

حقيقه البكاء على الحسين (عليه السلام) شكوى إلى الله، وليست شكوى من الله:

البكاء على الحسين (عليه السلام) خطاب مع الله:

- حث روى فى طريق آخر لابن قولويه، وهو صحيح إلى أبى داود المسترق، عن بعض أصحابنا عن أبى عبدالله (عليه السلام)، قال: بكى على بن الحسين (عليه السلام) على أبيه الحسين بن على عشرين أو أربعين. وما وُضع بين يديه طعام إلّا

ص: ٣١٦

١- (٢) كامل الزيارات : باب ٣٥ / ح ٢.

وبكى على الحسين (عليه السلام). حتى قال له مولى له، جعلت فداك يا ابن رسول الله إنى أخاف عليك أن تكون من الهالكين. قال (عليه السلام): إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ .

إنى لم أذكر مصرع بنى فاطمه إلّا وخنقتنى العبره(١).

- وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أى أعلم أن البكاء مفتاح للفرج، ومدعاه للتيسير، أداء لرفع الكرب والغمه.. ومجلبه لإزالة الضيق والمحنه، لذا جعل القرآن هذين شعارين وعنوانين للبكاء، عندما اعترض أولاد يعقوب على أبيهم كثره البكاء، فأجابهم على استنكارهم، إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ .

- ويدل على تأكيد هذين العنوانين على هويه البكاء على مظلوميه الحجج (عليهم السلام) ما قاله يعقوب أيضا بعد ان ارتد بصيرا وجاءته البشارى بقاء يوسف فلما أن جاء البشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ *قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ - أى أن البكاء شكوى الى الله لطلب الفرج، وهذا هو.. قد جاء الفرج؛ فالشاكى إلى الله ببكائه يطلب منه العدى، والله يعلم بتوكله عليه تعالى من دون يأس من روح الله سبحانه .

ص: ٣١٧

١- (١) كامل الزيارات : باب ٣٥/ح ١- ورواه الصدوق فى الأمالى ص: ١٤٠ - والخصال (٢٧٢).

الصرخه والصيحه والعيويل والشهقه أنواع فى شعيره البكاء:

- وقد ورد فى ذلك عدّه من الروايات فى الزيارات وغيرها:

١ - ما رواه ابن قولويه (١)، من زياره طويله فى الحسين (عليه السلام)، وفيها:

«... أتقرّب إلى ربّي بوفودى إليك وبكائى عليك ووعويلي (٢)؛ وحسرتى وأسفى وبكائى... جئتكم مستشفعاً بكم إلى الله، اللهم إنى استشفع إليك بولد حبيبك وبالملائكه الذين يضجون عليه ويكون ويصرخون لا يفترون ولا يسأمون، وهم من خشيتك مشفقون. ومن عذابك حذرون ولا- تغتيرهم الأيام، فى نواحى الحير يشهقون، وسيدهم يرى ما يصنعون، وما فيه يتقلبون، قد انهملت منهم العيون فلا ترقأ، لم تجف ولم تسكن، واشتد بهم الحزن بحرقه لا تطفأ».

٢ - وفى صحيحه معاويه بن عمار التى هى قطعيه الصدور: أنه دخل على أبى عبدالله (عليه السلام) فوجده يدعو لزوار الحسين (عليه السلام) - فى دعاء طويل - الى ان قال (عليه السلام):

«فارحم تلك الوجوه التى قد غيرتها الشمس ، وإرحم تلك الخدود التى تقلبت على حفره أبى عبدالله (عليه السلام) وارحم تلك القلوب التى جزعت واحترقت لنا، وارحم الصرخه التى كانت لنا» (٣).

ص: ٣١٨

١- (١) (١) كامل الزيارات باب ٧٩: ح ٢٣.

٢- (٢) (٢) العويل: رفع الصوت بالبكاء.

٣- (٣) الكافى ج ٥٨٣: ٤ - كامل الزيارات باب ٤٠: ح ٢.

- ففي روايه رواها في الصحيح ابن قولويه في كامل الزيارات عن أبي داود المسترق عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله (عليه السلام), قال:

بكى على بن الحسين على أبيه حسين بن علي (عليه السلام) عشرين سنة أو أربعين سنة, وما وضع بين يديه طعام إلا بكى على الحسين حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إنى أخاف عليك أن تكون من الهالكين. قال: **إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ .**

«إنى لم أذكر مصرع بنى فاطمه إلا خنقتى العبره لذلك»(١).

- و روى ابن قولويه أيضاً في الصحيح عن إسماعيل بن منصور عن بعض أصحابنا, قال: أشرف مولى لعلي بن الحسين (عليه السلام), وهو في سقيفه له ساجد يبكي فقال له: يا مولاي, يا علي بن الحسين, أما آن لحزنك أن ينقضى, ورفع رأسه إليه وقال: «ويلك - أو ثكلتك أمك - والله لقد شكى يعقوب إلى ربه في أقل مما رأيت حتى قال: يا أسفى على يوسف, إنه فقد ابناً واحداً وأنا رأيت أبى وجماعه أهل بيتى يذبحون حولي»(٢).

- والذي يلفت النظر في هاتين الواقعتين للإمام علي بن الحسين (عليه السلام)

١- (١) كامل الزيارات: باب ٣٥ / ١- الصدوق في أماليه وخصاله.

٢- (٢) كامل الزيارات: باب ٣٥ / ح ٢.

جمله من الأمور والزوايا:

الأولى: تبين فلسفه البكاء على الحسين (عليه السلام) عند أهل البيت (عليهم السلام)، إذ كما هو ثابت فى روايات الفريقين أن النبى (صلى الله عليه وآله) بكى على ابنه الحسين (عليه السلام) منذ ولادته، بل قبلها وبعدها، وأتخذ البكاء عليه عملاً وسيره دأب (صلى الله عليه وآله) عليها. وكذلك ما روى عن فاطمه (عليها السلام) وأمير المؤمنين (عليه السلام) وبقية أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

وروى ابن قولويه والصدوق مستفيضاً جداً قول أمير المؤمنين (عليه السلام) وبقية أهل البيت (عليهم السلام) عن الحسين (عليه السلام):

«يا عبره كل مؤمن». أو قول الحسين (عليه السلام):

«أنا قتيل العبرة»^(١).

فإن زين العابدين على بن الحسين (عليه السلام)، قد قضى طيله عمره باكياً على أبيه الحسين (عليه السلام) (ما يزيد عن اثني عشر ألف يوم طوال ٣٤ سنة قمرية) (٣٤) (عليه السلام) (٣٥٦)..

وكذلك بقيه أئمة أهل البيت كما روى ذلك كثيراً عن الصادق (عليه السلام) والرضا (عليه السلام)، وصاحب العصر والزمان (عجج الله).

فالبكاء على الحسين ظاهره منتشره عند النبى (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام)، وواضح فى طقوس أعمالهم سلام الله عليهم.

ومن البديهي أن المعصوم لا يشغل وقته إلّا بما يصبّ فى التكامل،

ص: ٣٢٠

والسير في القرب الإلهي، وإلّا فالمعصومون لاسيما سيد الأنبياء وأهل بيته (عليهم السلام)، منزهون أن يشغلوا أعمالهم وأوقاتهم في الأمور العادية، بل ولا الراجحة اليسيره. فمن ثمّ لا بدّ من كون البكاء على خصوص الحسين (عليه السلام) هو ذو بُعد وغايه غير ما يحسبه ويتخيله الكثير من الناس .

وإلّا فإن المعصومين دائبون في ذكر الله والانشغال بالصلاه بكم كبير والصيام والدعاء والمناجاة والابتهاج وبقية أبواب العبادات؛ من السياحه والقنوت والخشوع وغيرها..

الثانيه: أن بكاء السجاد (عليه السلام) على الحسين (عليه السلام)، كان في حال السجود، وسواء افترضناه سجود للصلاه، أم سجود مستقل، فهو عبادته لله، فكيف يبكي السجاد (عليه السلام) على الحسين (عليه السلام)، ويذكر ما جرى على الحسين (عليه السلام) وهو في حاله ذكر الله ومناجاة مع الله سبحانه، لاسيما وأن السجود هو من أعظم حالات العبادته والقربه إلى الله سبحانه، كما ورد أن أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد. كما في قوله تعالى: **وَ اشْجُدْ وَ اقْتَرِبْ** .

لاسيما أن مولى الإمام زين العابدين (عليه السلام)، ذكر الروايه التي بهذا المضمون رغم كون الإمام ساجداً - قد فهم من حاله الإمام أن بكاءه هو على أبيه الحسين (عليه السلام)، ممّا يدلّ على أنّ بكاءه على الحسين (عليه السلام) كان عادةً له حتى في حالات العبادته لله.

الثالثه: قوله (عليه السلام)، أن عنوان البكاء على الحسين (عليه السلام)، وشعاره هو

عنوان وشعار بكاء يعقوب على ابنه يوسف. وهو كما فى قوله تعالى: **إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ .**

وهذا القول من يعقوب إنما قاله بعدما اعترض عليه ذويه, وولده حيث ذهبت عيناه من الحزن والبكاء على يوسف كما يشير إليه قوله تعالى: **وَ قَالَ يَا أَسِيفَى عَلَى يُوسُفَ وَ ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُنَا تَذَكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ .**

فيكون هذا العنوان والشعار جواباً على الاعتراض الموجه على بكاء يعقوب على يوسف. وعتابهم عليه, وتذمر المعترضين من, طول هذا البكاء, فيكون مفاد هذا الجواب, أن بكاء يعقوب على مصاب فقد يوسف ليس موجهاً لهؤلاء المعترضين, وليس هو وسيله للشكايه لهم وإنما البكاء شكايه إلى الله, وطلب الفرج منه واستنزال الغوث منه تعالى, إذ أن حقيقه البكاء هو شكايه و استغاثه من السبب والمنشأ الذى حصل البكاء منه, وهو موجه لمن يخاطب به البكاء كنداء ودعاء وطلب وإستعداد كما فى بكاء الطفل يوجهه لأمه وأبيه فانه استدعاء من الطفل لكى يجلب توجه أبويه له للعطف عليه وتلبية حاجته, وكلما زاد فى بكائه لهما زاد إلحاحه لهما, وهو إلحاح فى الدعاء الذى هو من أعظم حالات الدعاء, فالبكاء لهما حاله إنعطاف وإستنزال للرحمه والغوث.

لأن حقيقه البكاء كما توضحه الآيه بنصها أنه شكايه واستغاثه ونداء, واستعداد.. ولهذه الحقيقه من البكاء يشير قوله (عليه السلام) فى دعاء الندبه الذى هو

(ندبه وبكاء على مصائب أهل البيت (عليهم السلام) وابتلاء الإمام المهدي (عجج الله) بالغيبه):

«اللهم أنت كشاف الكرب والبلوى وإليك استعدى فعندك العدوى, وأنت رب الآخرة والأولى, فاغث يا غياث المستغيثين عبيدك المبتلى».

وهذه الحقيقة للبكاء, نشهدها ونجدها عياناً في ارتكاز الفطره. فإنَّ الطفل عندما يبكي يوجه بكاءه لأمه أو أبيه طلباً لرفع حاجته واستغاثةً بهما ونداءً لهما؛ واستنزالاً للعون منهما. فالبكاء استدعاء وسؤال لرفع الكرب والبلاء, وطلب للغوث والعون. فإذا كانت هذه حقيقة البكاء, فيبين النبي يعقوب (عليه السلام), أن البكاء إنما يوجهه إلى غياث المستغيثين, وكاشف الكرب والبلوى وإلى قاضى الحاجات وكافى الملمات فهو شكوى إلى الله وليس شكوى من الله, وكم فرق وبون بينهما. بأن يكون شكوى من الله فهو سخط على قضاء الله وقدره, فيوجه الباكي بكاءه وشكايته إلى المخلوقين فيشكو الله للمخلوقين . بخلاف ما إذا كان شكوى إلى الله سبحانه, فهو استغاثة بالله ونجوى مع الله, ودعاء إلى الحضرة الربوبية, فكلما استمر واشتد البكاء, فهو اشتداد للدعاء بانكسار, وهى من الحالات الفضلى للدعاء وإستجابته, وزياده فى المناجاة واشتداد لعباده الله سبحانه, وإلحاح للطلب من الله, فيكون البكاء مخّ العباده لأن الدعاء مخ العباده. فهو مخّ السجود, فكيف يُعترض على الدعاء الموجه إلى الحضرة الربوبية, وكيف يطالب الباكي بهذا العنوان أن يقطع بكاءه أو أن يفتر فى بكائه؛ وكيف يُتبرم من هذا البكاء, الذى هو دعاء ومناجاة مع الله, ونداء واستغاثة من قاضى

الحاجات, بل إذا استمر واشتد هذا البكاء, يكون دليلاً على شدة الإيمان واليقين برجاء الله سبحانه, وقدرته تعالى على كشف أحلك العقدها, وأشدّها, وأعظم الكُرب وأبلاها, ومن ثمّ قال النبي يعقوب (عليه السلام), أن العنوان الثاني للبكاء هو: وَاعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ, يعنى معرفته بالله وبرجاء الله وقدره الله سبحانه, وعظمته الغالبه على كل شىء قادره على رفع اليأس, ورفع شديد البلاء وعظائم الكرب, وقاسى المحن. فالبكاء أمل ورجاء وثقه بالله العلى العظيم..

وإلى ذلك تشير الآيات فى سورة يوسف مره أخرى: وَ لَمَّا فَصَّيَلَتِ الْعَيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لَا أَنْ تُفَنِّدُونِ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ - فكرر يعقوب عليهم وذكرهم بفلسفه وغايه البكاء، وأن بكاءه لم يكن عديم الغايه وكان ضلالاً, بل هو هدى وفلاح ونجاح حيث ذكر القرآن الكريم على لسان يعقوب: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ - أى أن البكاء وبث الشكوى والهم والحزن إلى الله تعالى، لا إلى غيره هو دعاء وسؤال وطلب حاجه من الله تعالى . فمن يبكى ويتوجه ببكائه إلى الساحه الإلهيه, يدل على قوه توكله على الله تعالى، وقوه معرفته بعظمه قدره الله على كل شىء، ولا ييأس من روح الله، فإدمان البكاء هو إلحاح فى الدعاء والطلب؛ ومن ثم, اعتذروا عن تسفيهم بكاء يعقوب وعن تضليلهم لحزنه الطويل وعن إستهجانهم إدمان ذكره ليوسف، وعرفوا أن ماتم

يعقوب على مصاب يوسف أمر حق وهدى وفلاح ونجاح ومن أسباب توفيق القدر؛ فطلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم ذنبهم وخطيئتهم .

الرابعة: صيروره البكاء على الحسين (عليه السلام) منشأ ذكر الله عند المعصومين, وبكاء وحزن قرّبي إليه تعالى. وليس ذلك للمعصومين فقط, بل لجميع الأنبياء السابقين فهذا البكاء قلب حياه السجاد (عليه السلام) إلى رياضه بكاء وذكر الله تعالى, حيث يتوجه وكذلك صنع بجده النبي (صلى الله عليه و آله), حيث قلب العديد من أوقاته الشريفه إلى بكاء ولون خاص من ذكر الله تعالى, حيث يتوجه (صلى الله عليه و آله) بإنكسار بذلك البكاء بمثابه شكايه يتوجه بها إلى الله, والبكاء حزن, والحزن محبوبٌ عنده تعالى, حيث قال تعالى في الحديث القدسي:

«.. أنا عند المنكسره قلوبهم»^(١).

وكذلك صنع هذا البكاء بفاطمه (عليها السلام), فإنه أورثها الحزن والبكاء في حياتها, بل وفي عالم البرزخ, حيث وردت الروايات المستفيضه في كامل الزيارات وغيرها من المصادر الداله على أن الزائر للحسين (عليه السلام) من المؤمنين والمؤمنات يُسعد فاطمه.. على بكائها على مصابه (عليه السلام), فعن الصادق:

«ما في الأرض مؤمنه إلّا وجب عليها أن تُسعد فاطمه, في زياره الحسين (عليه السلام)»^(٢).

ص: ٣٢٥

١- (١) كامل الزيارات: (بحار الأنوار ح ١٥٧ / ٧٣) عن نوادر الراوندى.

٢- (٢) مستدرک الوسائل: ج ١٠، ص ٢٥٩.

وان بكاءهم عند قبره الشريف يُسعدّها أيضاً .

وكذلك أبكى (عليه السلام) والده أمير المؤمنين في مواطن عديده، وأبكى أخاه الحسن (عليه السلام)، وكلّ أئمه أهل البيت (عليهم السلام)، وكذلك صنّع بابنه الحجّج (عجج الله) حيث قال:

«ولأنّ دَبْنَكَ صباحاً ومساءً؛ ولأبكينّ عليك بدلَ الدموع دماً».

الخامسه: ومن هنا يظهر معنى وفلسفه فضيله وكمال دوام ذكر مصابه ليلاً ونهاراً بنحو رتيب راتب ودائم.. حيث أنّ البكاء عليه هو توجّه إلى الله بنحو دائم، ومناجاه للساحه الإلهيه.. فكيف لا يدوم رجحانه وفضيلته.

السادسه: قوله (عليه السلام):

«والله لقد شكى يعقوب إلى ربّه في أقلّ ممّا رأيت، حتى قال: يا أسفى على يوسف؛ إنّه فقد ابناً واحداً، وأنا رأيتُ أبى وجماعه أهل بيتى يذبحون حولي».

والمعروف، أن يعقوب بكى على يوسف عشرين عاماً (1)، وابتضت عيناه من الحزن وهو كظيم. هذا مع علم يعقوب بأن ابنه على قيد الحياه بسبب الوحي الذى أوحى إلى يوسف فى رؤياه، بأنه ينال المُلْك، مع أن المصاب الذى حصل ليعقوب جرّاء فراق يوسف دون مصاب سيد الشهداء (عليه السلام)، كما أن شأن يوسف هو دون شأن الحسين (عليه السلام)، فكيف بضميمه من كان مع الحسين (عليه السلام) من أهل بيته. وفى تفسير القمى صحيحه

ص: ٣٢٦

هشام بن سالم وقد رواها الصدوق (١)، أنه قد سئل أبو عبدالله، ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف، قال: «حزن سبعين ثكلى بأولادها» (٢).

وكلّ هذا الحزن هو دون ما يستحقه مصاب سيد الشهداء (عليه السلام)، فهو (عليه السلام) يشير إلى أن مصاب سيد الشهداء وما احتواه من فواح تستحق من المعصوم أن يطوى عمره جزعاً وبكاءً بشده، فكيف بغير المعصوم تجاه سيد الشهداء، وذلك بسبب ما يستحقه مقام سيد الشهداء، وبالتالي فعدم التجاوب وعدم التأثير مع عظم الظلامه والمظلوميه وما يستحقه هذا المصاب، يُعتبر تقصيراً في أداء ذلك الاستحقاق، بل لا- يقف الأمر على حدود التقصير، بل يتجاوزه إلى درجة الجفاء والجفاء يؤدي إلى الخذلان، ودرجه الاصطفاف مع الراضين بما جرى عليه من الظلم، وذلك لأن كل منكر يستدعى تقيحاً بدرجة شدة المنكر، فإذا قلّ التقيح والتبرم والنفره منه دون درجته المستحقه من الشده، كان النقصان رضا وتمايل إلى المنكر بالنسبه في الجملة.

فكل منكر يستدعى بحسب قباحتة درجه من النفره والتبرم والكراهيه بحسب مالذلك من قباحتة. وعلى العكس، المعروف يستدعى إنجذاباً ورغبهً وتمايلاً بدرجة بحسب مالذلك المعروف من حسن ومحاسن. فالتفريط بأحد الجانبين تخادع عن الحق والحقيقه، بل هو إصطفاف مع

ص: ٣٢٧

-
- ١- (١) رواها الصدوق، بسند صحيح كما في قصص الأنبياء للراوندى.. بحار الأنوار ج ١٢ / ٢٩١.
 - ٢- (٢) تفسير القمى / ذيل الآيه.

الباطل والبطلان ومن هنا نفهم إستنكار الإمام السجاد (عليه السلام) على إعتراض وتعجب ذلك الشخص من مقدار بكاء وحزن زين العابدين (عليه السلام) وتبرمه من الظلم الذى جرى على سيد الشهداء (عليه السلام) بل فى بعض الروايات, أن جزع وبكاء فاطمه الزهراء (عليها السلام) على سيد الشهداء (عليه السلام), أشد بمراتب من جزع زين العابدين (عليه السلام). حتى ان الإمام السجاد (عليه السلام) إشتد بكأؤه وجزعه من جزع الزهراء (عليها السلام) وبكائها, ووجدها على سيد الأنبياء . فقط كان من الحجم والمقدار والشده لم يتحملة, ولم يطقه أهل المدينة, فمانعوها (عليها السلام) من ذلك, وألجأوها لإقامه بيت للأحزان خارج المدينة وهذا تعليم تربوى معرفى كبير من الزهراء (عليها السلام) للبشرية بأن فقد مُحَمَّد (صلى الله عليه و آله) هو أعظم المصائب على كل إنسان, ولا- يصاب الإنسان بخساره فادحه ومصاب عظيم بمثل تلك الخساره بمصاب فقد نبي الله الخاتم (صلى الله عليه و آله)؛ حتى قال أمير المؤمنين (عليه السلام): إن الناس أجمع استووا فى مصابهم على رسول الله (صلى الله عليه و آله).

فكان بكاء الزهراء (عليها السلام) وجزعها العظيم, بحجم وبمقدار ما يستدعى رسول الله (صلى الله عليه و آله) من تناسب وإنجذاب إليه وشوق ودرجه عاليه من الرغبه نحوه . وهو قدر معرفه الزهراء (عليها السلام) بعمه مقام وسمو منزله ورفيع كمال النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله).

وهذا عكس ما رفعه أبو بكر من شعاره, «أنه من كان يعبد محمداً فإنَّ محمد قد مات»(١).

ص: ٣٢٨

١- (١) البخارى ج ٧٠ : ٢.

فإنَّ هذه المقالة هي فاتحة أعمال أبي بكر، وتعكس مدى الجهالة والنكران لحقيقه وعظمه مقام ومكانه ومنزله النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)؛ التي إستعظمها القرآن الكريم في عدة آيات شريفه .

لذلك نجد ان أمير المؤمنين (عليه السلام) عاش ثلاثين عاما والى اخر عمره حاله عزاء وحداد وأسى وحزن على فقد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولم يصنع لحيته قط حزناً على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان لا يتناول أكله لم يأكلها رسول الله (صلى الله عليه وآله) مواساةً له (صلى الله عليه وآله)؛ وغير ذلك من مظاهر التأثر والتصدع والحداد فى حياه أمير المؤمنين (عليه السلام) التى تبين حجم الاستحقاق الذى يقتضيه ويستدعيه مقدار المعرفه يستدعيه حجم العلم بمقام ومنزله رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ومن ذلك يتحصل وجه ماورد فى شأن سيد الشهداء (عليه السلام) انه:

«صاحب المصيبة الراحه» - بحسب ما للبشرية من أجيال وأمم متتابعه. وكذلك وجه ماورد بأنَّه (عليه السلام) «صريع الدمعه الساكبه».

فقد روى ابن قولويه باستفاضه وعقد بابا أورد فيه روايات عديده فيها:

«إن الحسين (عليه السلام) قتيل العبره»^(١).

أى أنَّه سلام الله عليه لا يذكره مؤمن ولا مؤمنه من الأولين والآخرين قط إلَّا واستعبر وبكى، وفى أى لحظه من الليل والنهار .

ومنه يظهر: ان التفريط والإهمال والتقليل فى إقامه المآتم ومجالس الحزن

ص: ٣٢٩

١- (١) كامل الزيارات باب ٣٦: ح ١.

عليه (عليه السلام) والتقليل من ذكره أو عدم الإهتمام بزيارته، إنما يكون ناتجاً عن تفريط وتقصير وجفاء، وإلى ذلك تشير طوائف من الروايات المستفيضه .

- وقد ورد في روايات عديده أن التفريط والتقصير في إقامه الشعائر الحسينيه إنما يوجب ضعف الدين ونقص الإيمان(١).

العاطفه والبكاء وتنوير الفكر والمعرفه:

ما سرّ هذا القلق والتحصّس الشديد عند الأنظمه والحكام والدول من هزّات العاطفه بسبب المظلوميه.

سرّ ارتباط البكاء بالمظلوميه كباب تربوى في العقيده والسلوك شيده البارى سبحانه في أهل البيت (عليهم السلام)، ليشدّ البشريه لهم تربوياً وعقيدياً، وهو مظهر عظيم لعبوديه أهل البيت (عليهم السلام) لله. وتواضعهم وانكسار ذواتهم أمام عظمه البارى سبحانه.

قد يعترض بأن الكآبه والغمّ الدائبين والغالين يमित النشاط ويبتّ اليأس والشؤم وفقد الأمل ويبعد الإنسان عن السعاده، بخلاف الفرح والابتهاج والسرور، فإنه باعث على نشاط المجتمع والمنافسه، والرقى فيقع الكلام في تمحيص أقسام الفرح والبهجه، والمحمود منها من المذموم والنافع من الضار، وكذلك الحال في أقسام الحزن وتناسبها مع قوى الإنسان الغريزيه

ص: ٣٣٠

والإدراكيه وحاله التوازن؛ والاعتدال في ذلك.

إنّ في النفس الإنسانيه جانباً من القوى العمّاله والتي قد يعبر عنها بظاهره الوجدان العاطفي في النفس, وهو جانب لا يقتصر على الإدراك المحض الجاف؛ بل فيه جانب من الإثارة والفتور والنشاط والخمود, وهذا الجانب في النفس منه تنبعث الإراده والعزم والتصميم على الأفعال, فهو بمثابة المقود لقياده النفس.

ومن ثمّ راعى القرآن الكريم والسنة الشريفة الاهتمام بهذا الجانب في النفس كثيراً, بخلاف المنطق الأرسطي وفلاسفه المشاء فإنهم لاحظوا جانب القوه الإدراكيه فقط, وأهملوا الجانب العملي, وهذا النظام المنطقي لا يؤمن عصمه فكر الإنسان, فضلاً عن استقامه رايه, وذلك لما هو مقرر في الأبحاث العقلية والمعرفيه, من أن الجانب العملي في النفس مؤثر في الجانب الإدراكي فيها هذا مع أن الإدراك الذي تناوله المنطق الأرسطي هو الإدراك الفكري فقط دون الإدراك القلبي, والعياني.

والحاصل: أنّ الإنسان لا يتحرّر ولا يكون مختاراً بصرف الإدراك الفكري, والمعرفي عبر المفاهيم, بل بضميمه المحبه وتأثير الكراهه كما يشير إليه قوله تعالى: حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ , فالتحّب والترين والاستحباب والاستكراه (الكراهه) باب واسع من أبواب تربيّه النفس وزرع الفضائل, والتوقيه من الرذائل, وكذلك العكس, ومن هنا يظهر أن العاطفه هي المدد لبقاء الإنسان على طريق الصواب

ص: ٣٣١

والحق. ومن ثمَّ جاء التأكيد على الإيمان بعنوان الحبّ, فى قوله تعالى: **إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**.

وكذلك فى الإيمان بأهل البيت (عليهم السلام) فى آيه الموده, ومن ثمَّ وردت تكاليف عديده ومهمه وحساسه فى الخطاب والتشريع القرآنى تجاه المحبه والكراهه وكل ذلك يرسم مدى أهميه مجالس العزاء والثناء والشعائر الحسينيه من جهه تأديتها إلى بناء وإقامه أمر عظيم ألا وهو موده أهل البيت (عليهم السلام), وهو عين الإيمان, فزرع المحبه فى القلوب جوهره نفيه هى من الغايات الكبرى فى الدين. وهذا البيان العلمى مستفاداً أيضاً من قول الصادق (عليه السلام):

«وهل الدين إلّا الحبّ»(١).

ويظهر من ذلك أيضاً وجه الحاجه لاستمرار تلك المجالس والمحافل والشعائر بشكل رتيب طول العام لأنه يجدد توليد وبعث المحبه. ووقايه من فتورها وزوالها بات واضحاً فى منهج التعليم التربوى, وأن الإنسان لا يتلقى المعلومه بجفاف, ولا يهضمها مجردة بمفردها, بل إن الجانب النفسى له تأثير بليغ فى تلقى المعلومه, ووضوحها وبيانها للذهن, فالجانب النفسانى شديد التأثير فى قدره إدراك الإنسان, وقناعاته بالمعلومه التى يتلقاها, وكم للمحبه التأثير البالغ فى التلقى والفهم للفكره, وعكس ذلك بالنسبه إلى الكراهه.

ومن هنا يتبين مدى تأثير العاطفه فى التوعيه الفكرية, بمفاهيم الدين, وأنه

ص: ٣٣٢

مع الجفاف العاطفي، والتصحر النفسى والجفاف الروحى، يصعب حصول الوعى العلمى بالدين ومفاهيمه.

فكم هى الضروره هامه لدور العاطفه فى حصول التنوير العقلى ورقى المستوى العلمى، وهذا بالضبط ما يقوم به البكاء والتفاعل العاطفى الذى يصاحبه من دور خطير فى الوعى العلمى بمفاهيم الدين، والإيمان بها والقناعه بأحقيتها..

ومن ثم التعهد والالتزام بها، والتفاعل العملى بمضامينها.

وهذه الغايه النهائيه للإيمان والالتزام الدينى..

وبخلاف ذلك فإن الجفاف الروحى والجمود النفسى يسدّان ويحجبان الطريق عن التلقى الذهنى والإدراك العقلى..

البكاء هو العاطفه وخطوره تأثيرها:

ولتوضيح ماسبق بنحو البسط نقول: أنّ كثيراً ما يطرح هذا السؤال أنه لماذا هذا التركيز على العاطفه الجياشه فى الشعائر الحسينيه وإن كان البحث الفكرى يشغل مساحه غير هينه وكثيره فى خطاب الشعائر إلا أن جانب العاطفه يحتل سهماً كبيراً وزخماً هائلاً بل نجد ذلك فى التوصيات الشرعيه الراسمه لروح تلك الشعائر وقوالبها وأطرها، كالنص الوارد

«إن

ص: ٣٣٣

الحسين (عليه السلام) قتل العبره لا يذكره مؤمن إلا بكى»(1) و

«إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي (عليه السلام) فإنه فيه مأجور»(2) و

«إن السماء والأرض لتبكي منذ قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) رحمه لنا وما بكى لنا من الملائكه أكثر وما رقأت دموع الملائكه منذ قتلنا»(3) و

«من أنشد في الحسين (عليه السلام) شعراً فبكى وأبكى كتبت له الجنة»(4) و

«فما من عبد شرب الماء فذكر الحسين (عليه السلام).. إلا كتب الله له مائه ألف حسنه وخط عنه مائه ألف سيئه ورفع له مائه ألف درجه وكأنما اعتق مائه ألف نسمة وحشره الله تعالى يوم القيامة تلج الفؤاد»(5) و

«إذا أردت الحسين فزره وأنت حزين مكروب شعثاً أغبر جائعاً عطشاناً»(6) وفي دعاء الصادق (عليه السلام)

«وارحم تلك الخدود التي تقلبت على حفره أبي عبدالله (عليه السلام) وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمه لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا وارحم تلك الصرخه التي كانت لنا»(7) وغيرها مما يجده المتتبع في الآثار الواردة بنحو مستفيض ومتواتر.

فما هو موقع الأهميه الذي يشكله دور العاطفه والإحساس المرهف

ص: ٣٣٤

١- (١) كامل الزيارات ص ٢١٤ ب ٣٥

٢- (٢) المصدر ص ٢٠٢ ب ٣٢

٣- (٣) المصدر ص ٢٠٤ ب ٣٢

٤- (٤) المصدر ص ٢٠٨ ب ٣٣

٥- (٥) المصدر ص ٢١٢ ب ٣٤.

٦- (٦) الوسائل ١٤ / ٥٢٨.

٧- (٧) الوسائل ١٤ / ٤١٢.

والميول النفسيه فى هدايه الإنسان وتكامله واستقامته.

إن الاستقراء فى أبعاد مساحه الأحكام الشرعيه وقواعدها، يوصلنا إلى وفره من الأحكام والتكاليف الإلهيه المتعلقه بميول وانعطافات النفس مثل قوله تعالى: قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ١ وفى المقابل لا تجد قوماً يؤمنون بالله و اليوم الآخر يوادون من حاد الله و رسوله ٢ و لا تتخذوا عِدوئى و عِدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ... تسرون إليهم بالمودة و أنا أعلم بما أخفيتم و ما أعلنتم ٣ و الذين يشجبون الحياه الدنيا على الآخره و يصدون عن سبيل الله و يبعونها عوجاً أولئك فى ضلالٍ بعيدٍ ٤.

و ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأخبط أعمالهم ٥ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله و كرهوا رضوانه فأخبط أعمالهم ٦. و لكن الله حبب إليكم الإيمان و زينه فى قلوبكم و كره إليكم الكفر و الفسوق و العضيان أولئك هم الراشدون ٧ و ما منعهم أن تقبل

ص: ٣٣٥

مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُِونَ ۗ ۱.

فالموده والحب واستحباب الأشياء للنفس والتحبيب لها، والكراهه والاستكراه هي من الأفعال النفسانية التي تعلق بها الأمر والطلب الشرعى ليقوم بها الإنسان بلحاظ موارد وموضوعات كما تعلق بها النهى والزجر الشرعى كى يقلع عن فعلها فى موارد أخرى، مما يدل على كون الموده والحب والتحبيب واستحباب الأمور والعكس وهو الكراهه والاستكراه هي أفعال اختياريه وتقع تحت إرادته الإنسان ولو بتوسط مقدمات وعبر معدات سابقه يتمكن الإنسان من القيام بها فهى تقع تحت الاختيار بوسيله إعدادات قبله، وها هنا نلاحظ أنه كما يدعو القرآن إلى التدبر والتفكير والتعقل وإتباع اليقين والبيئات والنهى عن إتباع الظن والوقوع فى الريبه والترديد كذلك نجده يأمر بالحب والموده والتحبيب أو الكراهه والتكره فى بعض الأشياء والنهى عنها فى بعض موارد أخرى.

فالقرآن الذى يدعو إلى البصيره والتبصر والبحث والتعلم يدعو ويوظف الميول والانعطافات النفسيه والأفعال القليه كذلك، والعلّه فى ذلك أن الإنسان لا تتألف مكونات ذاته ونفسه من قوه تفكير وإدراك فحسب، بل تتشكل من مجموعه قوى إدراكيه أخرى ومجموعه ومنظومه قوه عمليه أخرى وليس الذى يقود الإنسان بعض قواه الإدراكيه فحسب، بل هناك مؤشرات من قوى عمليه وإدراكيه متنوعه هي الأخرى أيضاً تساهم فى

قياده الإنسان وجذبه والميل به إلى مسارات واتجاهات. فمن ثم يخطأ من ينتهج طريق التعليم وحده من دون نهج للتربية وكما أن التعلم والثقافه لا تقتصر على الناشئه بل هي ضروره مستمره للإنسان طيله حياته كذلك التربيه هي حاجه ملحه للإنسان على امتداد عمره وإن اختلفت أساليب التعليم فى النشأ عنها فى الكهول, وبحسب اختلاف الأسنان, كذلك فى أشكال وأنماط التربيه لكل مرحله من عمر وسنى الإنسان, إلا أن تقارن التربيه بالتعليم والتهديب بالتعقل والتركيه بالتفكر أمر لا بد منه هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْمُمَيَّنِ رَسُولًا - مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ , وإن من مناهج وطرائق التركيه والتهديب والتربيه هي المحبه والتحيب والموده والتواد والكراهه والقيام باستحباب الشىء وهو صنع محبته للنفس واستكراهه وهو صنع كراهته فى النفس. فكم من إنسان وكم من مورد يدرك فيه الدليل والبيانات ولكنه لا يتبعه لعدم وجود المحبه أو لوجود الكراهه وكم من مقام يتيقن الإنسان فيه بالخطأ والبطلان ومع ذلك يفعلهُ ويتمسك به لمودته أو لعدم كراهته, كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ١ و قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنِهِ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَ أَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ٢ أى أن الحب والكره مؤثران فى إتباع الإنسان للحقيقه والحقائق والليقين والدلائل كما ورد أن الإنسان قد

يتعامى أو يتصامم بسبب ذلك ومن هنا ندرك خطوره العاطفه والمشاعر والإحساسات على مصير إرادته الإنسان وإن الجانب الفكرى الإدراكى والتعليمى ليس هو المؤشر الوحيد المؤثر على الإنسان وإرادته وتوجهه واختياره، بل إن المحبه والكراهه وصوره جمال الشىء أو قباحته فى مشاعر النفس أمر مؤثر كبير فى الانجذاب النفسانى أو النفرة من الشىء، ومن ثم أكد القرآن على مقوله التزيين والتجميل للشىء القبيح حيث يغرى الإنسان إليه رغم سوءه، كما فى قوله تعالى: فَلَوْلَا - إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَ لَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١).

فذكر تعالى أن سبب عدم انقيادهم للحق هو قساوه قلوبهم وتزيين العمل السيئ فى نفوسهم وقساوه القلب والتزيين أمران مرتبطان بالجانب العاطفى والمشاعر فى النفس وقد أكد على هذين الأمرين فى آيات عديدة كسبب للغوايه والانحراف واللجاج والجحود والتمرد والطغيان والتكبر والاستعلاء عن الحق إلى الباطل وهذا يرسم مدى خطوره الجانب العاطفى فى الروح والنفس الإنسانيه، ويبين أن أهميته يوازى أهميه الجانب الفكرى والإدراكى وأنه الوجه الآخر لحقيقه الإنسان والجناح الآخر الذى به حركه وحراك النفس فى مسيرها وكل هذا يرسم لنا جانب من أهميه وفلسفه الجانب العاطفى وأهميته وزخمه فى الشعائر الحسينيه، حيث يظهر

أن من غاياتها تحصيل حاله الرقة القلبيه والعطوفه والرأفه وهى من أعظم الصفات الإيمانيه وحالات العبوديه لله تعالى, وأنبل الصفات الإنسانيه إحياءاً وبعثاً لإنسانيه الإنسان.

فلسفه عظمه الثواب للبكاء فى الشعائر الحسينيه:

فانه قد اعترض على شعيره البكاء بعده انماط من الاشكالات:

النمط الأول:

اشاره

وهذا يتألف من نقاط:

أ – استكثار الأجر المذكور فى الروايات على البكاء وإقامه المآتم واستبعاد صحتها

, مثل ما ورد من الأجر الوافر لدمعه تسكب أو لإغروراق العين بالدمع, فيستبعد هذا الأجر العظيم على هذا العمل الضئيل, وأن هذا من وضع القصّاص والوُعاظ, وأن عملهم هذا مطرّد فى أبواب أخرى كما فى الزهد فى الدنيا, وثواب الابتلاءات فكيف يكون ثواب من خرج من عينيه دمع مثل جناح البعوضه, غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر.

ب – وبعضُ أول هذا الأجر فى الروايات:

أنه لظروف خاصه حرجه حيث يصدق فيه عنوان الجهاد فى سبيل الله, ولا يصدق ذلك فى الظروف العاديه.

وبعض آخر حيث اعترف بتواتر الروايات فى ثواب البكاء وعدم تطرّق يد الجرح والتضعيف, أولها بأنها صدرت حينما كان ذكر الحسين (عليه السلام) والبكاء عليه وزيارته وراثؤه وإنشاء الشعر, إنكاراً للمنكر ومجاهده فى

ذات الله ومحاربه مع ظلم بنى أميه, وهدماً لأساسهم واستنكاراً لسيرتهم ولذلك كان بنو أميه يحاربون ذكر الحسين (عليه السلام) ويمنعون من زيارته وراثته والبكاء عليه, ويعاقبون من يقوم بذلك, بالقتل وهدم الدار والطرده والتشريد؛ فلم يكن البكاء والرتاء والزياره للحسين (عليه السلام) حصره وعزاءً وتسليهً فقط بل محاربهً لأعداء الدين, وجهاداً فى سبيل الله, وأما فى هذا الزمان حيث لا محاربه بين أهل البيت وأعدائهم كحالنا اليوم, فلا يصدق عنوان الجهاد عليه, بل إن ذاكر الحسين (عليه السلام) فى زماننا يُمتدح ويُثنى عليه ويُعطى الأجره ويشرف ويكرم.

ج- وقال بعض من أنكرها: لأن العمل بمقتضاها يؤدي إلى تعطيل الفرائض والأحكام

, وترك الصلاه والصيام كما يرى من الفساق والفسّار, يتكلمون فيما يرتكبون فى فعل الفواحش والمعاصى على ولائهم ومحبتهم وعلى ثواب البكاء, مع عدم ارتداعهم عن غيهم وتعسفهم.

أجوبه الإشكالات السابقه:

أ- يلاحظ عليه:

أولاً: الجهل بحقيقه الجزاء الأخرى, إذ هذا الاعتراض يرد على جميع الأجر والثواب والجزاء المقرّر على الأعمال فى دار الدنيا, فأى مساواه أو معادله بين جزاء أبدى خالد عظيم تقابل مع أعمال زمنيّه مؤقته محدوده, والجواب عنه قد بينه الإمام الصادق فى السؤال: لم تُخلد أهل الجنه فى الجنه

ص: ٣٤٠

وأهل النار فى النار(١) حينما سأله الراوى: لم خلد أهل الجنة فيها وإنما كانت أعمارهم قصيرة وآثارهم يسيرة؟ ولم خلد أهل النار وهم كذلك؟ فقال (عليه السلام): لأن أهل الجنة يرون أن يطيعوه أبداً، وأهل النار يرون أن يعصوه أبداً فلذلك صاروا مخلصين .

ثانياً: إن هذا الاعتراض واستكثار الثواب؛ هو مبنى على الجهل بحقيقه البكاء، حيث أن حقيقه البكاء تنطوى وتتوقف على وجود المحبه بين الباكي وسيد الشهداء (عليه السلام)؛ فأهميه البكاء نابعه من أهميه الموده للحسين وأهل البيت(عليهم السلام)، ولا يخفى أن مودتهم هى الولايه لهم بعد ولايه الله ورسوله، فهى الركن الثالث فى الدين، ولذلك جعلت مودتهم تعادل عوض وأجر مجموع الرساله والدين برمتها. فأعظم الله موده أهل البيت فى آيه الموده على مجموع عامه الصلاه والصيام والحج والزكاه وأبواب البر كلها حيث جعلت الموده هى أجر يعادل جميع الدين. وهذا الاعتراض يستبعد استعظام ما عظمه القرآن للجهل بحقائق الدين والوصايا العظيمه للقرآن الكريم، وقد بينات آيات كثيره أن ولايه أهل البيت(عليهم السلام) هى المرتبه الثالثه فى الدين بعد ولايه الله وولايه الرسول كقوله تعالى: أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ , وقوله تعالى: إِنَّمَا وَثَّقْتُكُمْ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ

ص: ٣٤١

١- (١) مناقب آل أبى طالب ج ٣٨٨: ٣ .

ب: ويلاحظ عليه:

أولاً: أنه جهل بحقيقه البكاء التي تقدّمت, والظاهر أن هذا الجهل ناشئ أيضاً من افتقار إلى الشعور الفطري وغياب المشاعر الإنسانية, كما أنه ناشئ أيضاً من عدم الإيمان واليقين بعظم شأن سيد الشهداء عند الله وفي الدين.... وبالتالي ناشئ من قلة العلاقة القلبية والروحية مع سيد الشهداء وأهل البيت(عليهم السلام).

وإلّا كيف يحصر البكاء ويفسّره في غايه واحده, وهي التي مرّ ذكرها في الاعتراض.

ثانياً: كيف افترض ارتفاع وزوال معاداه أهل البيت(عليهم السلام) في هذا الزمن وها نحن نعيش مع قطاع كبير من الأنظمة في بلاد المسلمين مؤسسه على النصب والعداء لأهل البيت(عليهم السلام), ومحاربه شعائهم, وكل ما ينتسب إليهم. فأين انتفاء الموضوع الذي يزعمه المعترض للبكاء.

وإن أراد أنّ البكاء والمآتم يعظّم ويُحترم في أوساط أتباع أهل البيت(عليهم السلام), فهذا لا يختص بهذا العصر, بل هو موجود حتى في زمن الأئمة(عليهم السلام) والزمان الذي صدرت به هذه الروايات المتواتره.

فهذه التفرقه بين الأزمان, مجرد هلوسه وانعدام بصيره.

ثالثاً: أن هذا المعترض قد افترض أن استنكار المنكر والاعتراض

عليه, خاص بالآثار السياسيه المؤقته مع أن فلسفه إنكار المنكر فى الدين وبغضه وحبّ المعروف والأمر به فى الدرجه الأولى هو ذو مغزى عقائدى قبل أن يكون سياسياً ومن ثمّ تواتر عند الفريقين عن النبى (صلى الله عليه و آله): أن من أحب عمّل قومٍ أُشرك فى عملهم - أى ولو كان أولئك القوم من أعصار سابقه متقدمه فى الزمن الأول -

وليست هذه القاعده النبويه مخصوصه بالتعاصر بين عمل قوم ومن يقوم بالمحبه. كما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه و آله)

«المرء يحشر مع من أحب حتى لو أحب أحدكم حجراً حُشِر معه» (١)

ثم إنّ الغايه السياسيه أيضاً من إنكار المنكر وبغضه والتبرى منه, ليست سياسيه مؤقتة, بل هى سياسيه مستمره, فإن أحد الغايات العظيمه والفلسفات الكبيره الناتجه من ذلك هى الحيلولة عن تجدد وقوع ذلك المنكر, وهذه الغايه حكم فطرى عقلى عند عامه البشر. ألا- ترى كيف أن الدول الغربيه يتشدّدون فى عصرنا الراهن ادانه ونكيرا من الإشاده بهتلر, والفكر الهتلرى والتيارات النازيه, والأحزاب ذات الفكر العنصرى المتطرف, نظير الفاشيه وفكر موسوليني الإيطالى, مع أن أصحاب هذا الفكر قد بادت شخوصهم وبليت عظامهم إلّا أن الغرب لا زال مقيماً متشدداً فى استنكار وتقبيح أفعالهم وأشخاصهم وفكرهم لئلا تتفجر

ص: ٣٤٣

حروب عالميه جديده بين البشر نتيجته أفكارهم المدمره الهدامه .

كذلك الحال نشهده فى موقف الشعب الصينى والكورى الجنوبى من جملة قيادات الجيش اليابانى, فى الحرب العالميه الثانى؛ بل إن إصرار اليابان بهذه السنين على تمجيد وإحياء ذكر أولئك القاده, خلق أزمه بينها وبين الصين وكوريا, وهى أزمه شديده, وذلك تخوفاً من تجدد حروب بين تلك الشعوب تنشب من أفكار أولئك القاده وهذا يبين الفلسفه العظيمه لإنكار المنكر لأصحاب الشر والسوء وإن تقادموا فى غابر التاريخ لثلاث تأثر الأجيال اللاحقه بسوء فعالهم وأفكارهم, ولا يخفى أن هذه الفلسفه للتبرى وإنكار ظلم الظالمين لا زالت قائمه بالبكاء على سيد الشهداء ضد الفكر الأموى ومنهج يزيد والأمويين.

وأما جواب الإشكال (ج-) ففیه:

أولاً: أن دعوى هذا القائل, بأن مقتضى مفاد عظمه ثواب البكاء ترك الصلاه والصوم وبقية الفرائض, فينقض عليه بأن هذا المفاد من عظمه الثواب وغفران الذنوب مقرّر عند المسلمين فى جملة من الأعمال العباديه وأعمال البرّ, فالحج - مثلاً - يمحو ما سبق من الذنوب, بل أن جميع الحسنات لها هذه القابليه كما فى قوله تعالى: **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۗ** وهذه خاصيه التوبه أيضاً كما فى قوله تعالى: **ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ**

ص: ٣٤٤

لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ أَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ١, وقوله تعالى: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٢.

وغيرها من الآيات العظيمة الواردة، في رجاء التوبة، فهل يُدعى أنها تُغرى وتدعو إلى الجراه على المعاصي، وتدفع إلى الفاحشه والتواكل لعمل المعصيه، حاشا وكلما أن يكون مفادها ما ادعى هذا القائل، وذلك لوجود خطابات قرآنيه، ومن سنه النبي وأهل البيت (عليهم السلام) تحذر عن مثل هذه الأوهام حول خطابات الثواب ورجاء المغفره، فإنَّ هناك قسم ثان من الخطابات الدينيه تتضمن الوعيد والتهديد والإنذار والتخويف.

نظير قوله تعالى: ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ٣.

حيث تفيد الآيه الكريمه أن من الأعمال السيئه ما يجزّ العاصى إلى الكفر بالعقائد الحقه فيُسلب عنه توفيق التوبه، وتوفيق الأعمال العباديه المكفره للذنوب، والأعمال الصالحه الماحيه للسيئات.

وقوله تعالى: بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ١.

فتفيد الآية أن من السيئات ما تحول بين العاصي وبين النجاه، أى تكون من المرديات والمهلكات والموبقات.

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٢.

- وظاهر وواضح لغه التهديد فى الآية الكريمة.

- أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٣.

وغيرها من الخطابات القرآنية ومن السنه المطهره التى فيها بالغ التهديد والوعيد إلى درجه لو اقتصر الناظر إلى خطابات الوعيد والإنذار, لحصل لديه قنوط من رحمه الله, ولكن النظره المجموعيه لخطاب الثواب والمغفره مع الخطاب الثانى, يوازن المسلم والمؤمن فى مسير متعادل تربوى بين الخوف والرجاء وهذا التوازن هو الذى يوجب تكامل وتربيه الإنسان, كما ورد أن المؤمن هو من تساوى الخوف والرجاء فى قلبه(١), فلا- يشتد فيه الخوف بزياده على مقدار الرجاء, كما لا يشتد فيه الرجاء زياده على مقدار

ص: ٣٤٦

١- (٤) وسائل الشيعة. ج ٢١٦: ١٥.

الخوف, بل كل ما اشتد خوفه اشتد رجاؤه بقدره, وكلما اشتد رجاؤه بدرجات, اشتد خوفه بقدر ذلك أيضاً, وهذه حاله توازن تربوى بالغ الأهميه, ومن ثم ورد أن «الفقيه كل الفقيه من لم يؤيس الناس من روح الله ولا يؤمنهم مكر الله ولا يقنطهم من رحمه الله ولا- يدع القرآن رغبه عنه إلى ما سواه, ألا- لا خير فى قراءه ليس فيها تدبر, ألا لا خير فى عبادته ليس فيها تفقه, ولا فى علم ليس فيه تفهم»(١) والمراد أن الفقيه الذى يفهم الدين بأنه هو ما اشتمل عليه من القسمين من الخطاب و أن لا- يرحح كفه الخطاب الأول على الثانى, ولا كفه الخطاب الثانى على الأول, بل يوازن بين الخطابين, ومن ذلك يُعلم ضروره الخطاب الأول, وهو خطاب الثواب والمغفره والرجاء, بقدر ضروره الخطاب الثانى وهو خطاب الوعيد والإنذار والتهديد والعقاب, ولو اقتصر على الخطاب الثانى لأدى إلى الكفر, لأنه يوجب القنوط من رحمه الله واليأس, وهو كفر بالله سبحانه كما فى قوله تعالى: لا يَبْتَئِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكَاْفِرُونَ فالإيمان لا- يقوم صرحه إلما بهاتين الدعامتين والركنين, الرجاء والخوف. وهدم أحد الركنين هدم للإيمان فاتضح أن هذا القائل ليست نظره له سديده حول حقيقه الإيمان, وأن مقتضى قوله يوجب الإيمان ببعض الكتاب دون البعض الآخر, قال تعالى: أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَهَذَا لَا يَسْتَقِيمُ بحال.

ص: ٣٤٧

وإلّا لو اقتصرنا على الخطاب الثانى أيضاً دون الأول، لزم من ذلك كثير من المحاذير الماحقه للدين، فلا يعتدل صراط الدين القويم إلّا بالتوازن بين الخطابين والجمع بينهما بالانضمام كما ورد:

«أن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن»^(١)، أى بين الخوف والرجاء، واتضح أن هذا القائل ينظر بعين واحده لا بعينين، ومال إلى بُعد واحد من أبعاد الدين وغفل عن البعد الآخر مع أن الحكمه الإلهيه فى الخطاب الدينى لإصلاح العباد إلى يوم المعاد، هو على الجمع بين الخطابين من دون الإنكار والجحد بأحدهما.

أما ثانياً:

فدعوى القائل بأن الذى يدفع ويغرى من يرتكب المعصيه وبعض الكبائر هو الوعد بالثواب، فهذه دعوى غير مطابقه للحقيقه ولا تمت للواقع بصله، فإنّ غالب الداعى إلى ارتكاب المعاصى ليس إلّا الشهوات والغرائز، وتزيين الشيطان بالسوء والفحشاء، وهذا طابع عام فى أفراد البشر كما هو مفاد قوله تعالى: وَ نَفْسٍ وَ ما سَوّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا . ومع هذا الوصف لحال الإنسان فارتباطه بسبيل النجاه عاملٌ إيجابى عظيم يفتح باباً للرجوع إلى طريق الصواب، بخلاف ما لو قُطعت كلّ خيوط الارتباط بأبواب الصلاح والفلاح فإن ذلك يوجب التردى فى هوه

ص: ٣٤٨

سحيقه يصعب أمل النجاه منها؛ وهذا مضمون ما وَرَدَ

«اتق الله بعض التقى وإن قل واجعل بينك وبين الله ستراً وإن رق»(١).

كما هو الحال لو كان المرتكب للكبائر والفواحش غير تارك للصلاه أو للصيام أو للحج أو لفعل خير من الخيرات أو للزوم المساجد، فإن هذا الارتباط والصله بهذه النافذه من أبواب الخير، لا يسوغ قطعه على العصاه وأصحاب الكبائر.

إذ أنه حلقه من سلسله النجاه، وطريق من طرق الهدى، وكيف توصل هذه الأبواب، بل يكون الحال حينئذٍ من قبيل قوله تعالى: خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٢.

فصلاح العمل كالصلاه والصوم أو أى بر من أبواب الخير لا يُنكر فضله لأجل ارتكاب الفاعل المعاصى من جهه أخرى، وإن كان ارتكاب المعاصى يؤثر سلباً فى قبول العمل الصالح، لكنه لا يتغاير عمّا هو عليه من حقيقه، كما هو مفاد الآيه المحكمه فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ .

- وقوله تعالى: وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ٣.

ص: ٣٤٩

١- (١) () وسائل الشيعه ج ١٩١: ١١.

- وقوله تعالى: يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكَّ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَزْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَيْحُرِهِ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ .

وغيرها من الآيات الذاكره مثقال حبه, أو مثقال ذره, إن خيراً فخير وإن شراً فشر, الداله على عظمه عدل الله سبحانه.

فكيف يستقبح من أهل المعاصى الأعمال الصالحه منهم, ويستنكر عليهم المشاركة والإسهام فى أعمال البر... بل هذا الاعتراض عليهم هو عين الإغراء لهم بالتوغل فى المعاصى والانقطاع عند التشبث بأبواب الرجوع إلى الصلاح والتوبه والاستغفار.

والثواب المرجو على فعل الصلاه أو أبواب البرّ أو على الشعائر الحسينيه هى فى الحقيقه محفزه وموطّده لبقاء تمسك العصاه بخيط من خيوط التوبه والإنابه, وليس الوعد بالثواب يكون سبباً لإيقاعهم فى المعاصى.

إعتراضات أخرى على البكاء:

النمط الثانى:

ما وَرَدَ فى مقدمه كتاب لمقتل الحسين (عليه السلام)

،انه لولا امتثال أمر السنّه والكتاب فى لبس شعار الجزع والمصاب لأجل ما طُمس من أعلام الهدايه وأسّيس من أركان الغوايه, وتأسّيفاً على ما فاتنا من تلك السعاده وتلفهاً على أمثال تلك الشهاده, وإلّا كُنّا قد لبسنا لتلك النعمه الكبرى (وهى سمو الحسين (عليه السلام) وأصحابه إلى مقام لقاء الله ببذل أرواحهم وأجسادهم,

ص: ٣٥٠

وتسابقهم لنيل الشهاده). أثواب المَسِيرَة والبشرى, وحيث أن فى الجزع رضا لسلطان المعاد, وغرضاً لأبرار العباد, فها نحن قد لبسنا سربال الجزوع وأنسنا بإرسال الدموع, وقلنا للعيون جودى بتواتر البكاء, وللقلوب جدى, جَدَّ ثواكل النساء, فإن ودائع الرسول (صلى الله عليه و آله) الرؤوف أبيضت يوم الطفوف, ورسوم وصيته بحرمة وأبنائه طُمست بأيدى أمتة وأعدائه..

فلم لا تواسون النبى (صلى الله عليه و آله) بالبكاء..

فى فضل البكاء:

- وفى كتابٍ آخر ورد:

«أقول ولعلّ قائلاً يقول: هَلَّا كان الحزن الذى كان يعملون من أول عشر المحرم قبل وقوع القتل... ووقت السرور مسرورين».

- ويرد عليه:

أولاً: أن سمو سيد الشهداء (عليه السلام) إلى الرفيق الأعلى قد حصل لسيد الأنبياء وسيد الأوصياء وسيد النساء ولسيد شباب أهل الجنة, مع أن تفجّع أهل البيت (عليهم السلام) على وفاة النبى أمرٌ بالغ الذروه, وشده حزن الزهراء (عليها السلام) على أبيها لم يتحمّله أهل المدينة لعظمته, وحزن أمير المؤمنين (عليه السلام) على شهادته الصديقه هو الآخر وكذا حزن الحسنين كان بالغاً. وكلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) تدلّ على شدة وبقاء حزنه إلى آخر حياته, على فقدان رسول الله (صلى الله عليه و آله) والزهراء (عليها السلام) (جواب أمير المؤمنين لمن سأله عن سبب عدم خضابه).

وفعلُ أصحاب الكساء هو أكمل السنن وأرفعها, كيف يغفلون عن

ص: ٣٥١

الفرح لو كان حقاً لا باطلاً. وكذلك حال سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) عند استشهاد عمه حمزه بل قد أغمى عليه (صلى الله عليه و آله) من البكاء كما مرّ. وندب بإقامه المآتم عليه, حيث قال (صلى الله عليه و آله):

«إن عمى حمزه لا بواكى له»؛ وكذلك موقف الرسول (صلى الله عليه و آله) فى وفاه أبى طالب وخديجه (عليها السلام). حتى سمى (صلى الله عليه و آله) ذلك العام بعام الحزن.. وكذلك بكاء أمير المؤمنين (عليه السلام) وحزنه على أبيه أبى طالب وعلى أمه فاطمه بنت أسد, وعلى استشهاد أخيه جعفر الطيار (قول أمير المؤمنين (عليه السلام) فى ذلك).

وكذلك بكاء سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) عند موت ابنه إبراهيم وقوله

:«إن القلب ليحزن والعين لتدمع ولا نقول إلا ما يرضى الرب»^(١).

- وقد اعترض عليه بعضهم, فأجاب (صلى الله عليه و آله):

«البكاء من الرحمة...؟»^(٢).

وكذلك حزن كل إمام على شهادته والده من الأئمة, وفى دعاء النبى إبراهيم أن يرزقه الله بنتاً كى تندبه بعد وفاته^(٣).

- وقد ورد فى رجال الكشى: إن الباقر (عليه السلام) أوصى ابنه الصادق بمال ينفقه, على نوادب يقمن المآتم عليه فى منى يندبته ثمان حجج^(٤).

- فكل هذه السيره وغيرها, كيف لا تجد موضعاً من الموارد فيها إقامه فرح.. ولو أن إقامه الفرحة كان حقاً لُعمل به ولو فى بعض الموارد.

ص: ٣٥٢

١- (١) وسائل الشيعة : أبواب الدفن

٢- (٢) السيره الحلبيه ج ٢٩٥: ٣

٣- (٣) أبواب مقدمات النكاح وأبواب أحكام الأولاد

٤- (٤) التحفه السنيه ٣٧٥.

ثانياً: وقد ثبت في مصادر الفريقين كما مرّ؛ أن السماوات بكت دماً، والجنه ومن فيها؛ وجهنم ومن فيها حتى أن أهل النار لم يشغلهم ما هم فيه من العذاب عن البكاء على سيد الشهداء (عليه السلام) لشده الحرقه والحزن والأسى، مع أن مقتضى لقاء أهل الآخره بمقدم سيد الشهداء (عليه السلام) عليهم حسب زعم هذا القائل هو أنهم يفرحون ويُسرّون، مع أن لقياهم وإن كان مسرّه وفرح به إلا أنه لم يشغلهم عن موجب الحزن مما يدلّ على أن جانب الحزن أشد خطوره ورعايه من جانب الفرح، وأنه لا يسوغ إهمال عظمته وأهميته؛ بل قد ورد أن الملائكه ضجّت إلى الله عند مقتل الحسين (عليه السلام) (الروايه) (١).

ثالثاً: إن الفرح لا محاله سيكون تضامناً مع بنى أميه والظالمين، كما ورد في زياره عاشوراء، ويوم عاشوراء يوم فرحت به آل أميه وآل زياد وآل مروان بقتلهم الحسين (عليه السلام)....، فيكون فعل المؤمنين بإقامه الفرح والسرور شماتة بأهل البيت (عليهم السلام). وتأيداً لأعداهم ومناوئتهم.

ولا زالت سنه العدا والنصب لأهل البيت (عليهم السلام) قائمه، بحيث يسمون يوم عاشوراء ب- (عيد الظفر)....

رابعاً: أن ما أفاده من البعد الأخرى في واقعه الطف، وهو بُعد جمالي من إسم الجميل ونحوه من الأسماء الجماليه لا يزيل البعد الآخر من مظهر الاسم الآخر الإلهي (العدل) الذي تجلّى به في عالم الدنيا، وهو

ص: ٣٥٣

يقتضى الانعطاف ورقه القلب, وسيل الدمعه, وانكسار القلب, لاسيما عند قوله تعالى في الحديث القدسي: «أنا عند المنكسره قلوبهم» فمقام الجمع أكمل في قاعده الأسماء الإلهيه وتجلياتها من الاقتصار على اسم إلهي واحد, لاسيما وأن الاسم الجلالى كالمنتقم والعدل والحاكم قد غلب تأثيره على الاسم الجمالى الخاص (الرحمن) بالرحمه الخاصه حتى فى ملكوت السماوات والأرضين كما تشير إليه الروايات مما تقدم ذكره من بكاء أهل السماوات والأرضين والجنه والنار. وإن كان هذا الاسم الجلالى هو منظوى تحت اسم جمالى بالمعنى العام الرحمن والرحيم بالرحمه العامه التى وسعت كل شىء, وهذا الخطأ وهو عدم ملاحظه مجموع ومقام الجمع فى الأسماء الإلهيه هو الذى يقع فيه الصوفيه وجمله من العرفاء كثيراً فى جملة من أبواب المعرفه, حيث يلحظون مقتضى بعض الأسماء الإلهيه, ويغفلون عن مقتضى اسم إلهي آخر, أو بعض الأسماء الأخرى, ولا عجب فى ذلك فإن مقام الجمع الأسماء فضلاً عن مقام جمع الجمع صعب المنال, ولا يستقيم عليه إلّا بما أوصاه جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) فى وصيته للمفضّل بن عمر من أنه لا يُحفظ الظاهر إلّا بالباطن كما لا يُحفظ الباطن إلّا بالظاهر(١).

ومن استقام على ثوابت الشريعة وتمسك بمحكّمات الدين من الثقلين قد استمسك بالعروه الوثقى ونجا عن الإفراط والتفريط (٢).

ص: ٣٥٤

١- (١) بحار الأنوار .

٢- (٢) مصادر عن البكاء: باب ٢٦, ٢٥, ٢٤ / كامل الزيارات, ٢٨, ٢٧.

وقد روى ابن قولويه فى كامل الزيارات روايات مستفيضه منها: انه لم يُرفع عن وجه الأرض حجر إلّا وُجد تحته دم عييط.

وبكاء الجن والطير عليه (عليه السلام) حتى ذرفت دموع الوحش - .

وبكاء السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهنّ, ومن يتقلب عليهن, والجنه والنار ومن فيهما, وما خلق ربّنا, وما يُرى وما لا يُرى(١).

وما من عين أحبّ إلى الله ولا عبره من عين بكت ودمعت عليه, وما من باك يبكيه إلّا وقد وصل فاطمه (عليها السلام), وأسعدها عليه, ووصل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأدى حقنا, وما من عبد يُحشر إلّا وعيناه باكيه, إلّا الباكين على جدى الحسين فإنه يُحشر وعينه قريره, والبشاره تلقاه, والسرور بين على وجهه, والخلق فى الفزع وهم آمنون, والخلق يُعرضون, وهم حُدّاث الحسين (عليه السلام) تحت العرش, وفى ظل العرش, لا- يخافون سوء الحساب, يُقال لهم أدخلوا الجنة, فيأبون ويختارون مجلسه وحديثه(٢).

و هناك أربعة آلاف ملك نزلوا لنصره الحسين, ففاتهم نصرته فهم عند قبره شعث غبر.

الصادق (عليه السلام):

«أحمرت السماء مثل العلقه حين قُتل الحسين (عليه السلام) سنه»(٣).

ص: ٣٥٥

١- (١) كامل الزيارات : باب ٢٦/ح ٤, ح ٧ معتبره الفضلاء.

٢- (٢) كامل الزيارات : باب ٢٦/ح - باب ٢٧

٣- (٣) كامل الزيارات باب ٢٨/ح ٩ ح ٧ ح ٢٧ - باب ٩: ٢٦ أحاديث - ٢٠: ٢٧ حديث - ٢٧: ٢٨ حديث.

وقد وردت روايات متعدده تتضمن الثواب العظيم للبكاء على الحسين (عليه السلام) (١).

- عن زراره عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام):

«ما من باكٍ يبكيه إلّا وقد وصل فاطمه (عليها السلام) وأسعدها عليه، ووصل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأدى حقنا، وما من عبد يُحشر إلّا وعيناه باكيه إلّا الباكين على جدى الحسين (عليه السلام)، فإنه يُحشر وعينه قريره، والبشاره تلقاه، والسرور بين على وجهه، والخلق فى الفرع وهم آمنون. والخلق يُعرضون وهم حدّاث الحسين (عليه السلام)؛ تحت العرش وفى ظل العرش، لا يخافون الحساب...»

فيقولون الحمد لله الذى كفانا الفرع الأكبر، وأهوال القيامة، ونجانا ممّا كنا نخاف» (٢).

- وعن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله (عليه السلام) - قال:

سألته فى طريق المدينة، ونحن نريد مکه، فقلت: يا بن رسول الله ما لى أراک كثيراً (حزیناً) منكسراً؟ فقال: لو تسمع ما أسمع، لشغلك عن مسألتى، فقلت: وما الذى تسمع؟ قال: ابتهاج الملائکه إلى الله (عزّوجل) على قتله أمير المؤمنين، وقتله الحسين (عليه السلام) ونوح الجن وبكاء الملائکه الذين حوله وشده جزعهم، فمن

ص: ٣٥٦

١- (١) كما ورد فى باب: ٣٢ فى صحيح محمد بن مسلم

٢- (٢) كامل الزيارات: باب ٢٦/ح ٨.

يتهنأ مع هذا بطعام أو شراب أو نوم»(١).

- بل وردت روايات تدل على استحباب الاستمرار ودوام البكاء على سيد الشهداء (عليه السلام)(٢).

- وعن الصادق (عليه السلام):

«إنَّ الأرض والسماء لتبكي منذ قُتل أمير المؤمنين (عليه السلام) رحمه لنا - وما رقأت دموع الملائكة منذ قُتلنا»(٣).

- وعن الصادق (عليه السلام):

«قطره من دموع الباكي على الحسين (عليه السلام) تطفئ حرَّ نار جهنم».

- وعن الصادق (عليه السلام):

«وإن المومع قلبه ليفرح يوم يرانا عند موته فرحاً لا تزال تلك الفرحة فى قلبه حتى يرد علينا الحوض»(٤).

- وورد:

«ما من عينٍ بكت لنا إلا نعمت بالنظر إلى الكوثر، وسقيت منه مع من وإن الشارب منه ليعطى من اللذة والطعم والشهوه له أكثر مما يعطاه من هو دونه فى حبنا أحبنا»(٥).

- ومنها:

ص: ٣٥٧

١- (١) كامل الزيارات : باب ٢٨ / ح ٢٣.

٢- (٢) كامل الزيارات : باب ٣٠, ٣١.

٣- (٣) كامل الزيارات : باب ٣٢ / ح ٧.

٤- (٤) كامل الزيارات : باب ٣٢ / ح ٧.

٥- (٥) كامل الزيارات : باب ٣٢ / ح ٧.

ما رواه فى كامل الزيارات, فى مصحح أبى هارون المكفوف:

«من ذكر الحسين عنده, فخرج من عينيه من الدموع مقدار جناح ذباب, كان ثوابه على الله, ولم يرض له بدون الجنة»(١).

- وقد روى فى كامل الزيارات قولهم (عليهم السلام) بطرق مستفيضه,

«أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين (عليه السلام) دمعته حتى تسيل على خده, يؤاه الله بها غرفاً فى الجنة يسكنها أحقاباً».

وفى بعضها:

«حرم الله وجهه على النار».

وفى بعضها:

«غفر له ذنوبه ولو كانت كزبد البحر»(٢).

الموقف الصوفى العرفانى المعترض على البكاء و العزاء:

اشاره

قال جلال الدين الرومى (مولوى, مثنوى) فى الكتاب السادس من مثنويات: أن شاعراً دخل مدينه حلب يوم عاشوراء وتفاجئ بطقوس أهلها فى مثل هذا اليوم وهى إقامة العزاء والمآتم على سيد الشهداء, وحيث كان الشاعر لا يعرف صاحب العزاء, أخذ يسأل الناس عنه, علّه يشارك بشعره فى رثائه, فقالوا له: اليوم ذكرى استشهاد الحسين بن على بن أبى طالب (عليه السلام), فقال: لكنه مات قبل قرون, أمّا العزاء والمآتم فأقيموه على

ص: ٣٥٨

١- (١) كامل الزيارات: باب ٣٣ / ١- ورواه فى ثواب الأعمال: ص ١٠٩.

٢- (٢) . كامل الزيارات: باب ٣٢.

أنفسكم فهو ليس بحاجة له, لأنه أسعد إنسان في مثل هذا اليوم, وأنشد يقول:

أبكوا على غفلتكم لأنَّ الجهل أبشع مراتب الموت

الروح تشمخ إنَّ تخلَّت عن الجسد فلم نبكى ويعرونا السواد

إنَّ هذا السليل المصطفى بعروجه غنّوا وكونوا فرحين

فهو قد نال بذلك سعادته أبدية وتخلّى عن قيود الدنيا الغرور

فينبغي لنا أن نبتهج ونفرح لكل من يهجر هذه الدنيا

جواب الشبهه والاعتراض:

أن في الدعوه إلى الفرح إغضاء وإهمال وإغفال عن قبح المنكر الذي ارتكبه الظالمون في حق الحسين (عليه السلام), وتبييض لظلامهم وتغطيه لقباحه ظلمهم, وبالتالي رضئ وذوبان في سوء فعلهم, لأن من رضى عمل قوم أشرك معهم.

وأين البراءه من الظالمين وأهل الباطل.. فالبكاء ينطوى على فلسفه عظيمه هي التبرى من فعل الظالمين, وقد ورد أن أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله. وكما في قوله تعالى: لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ , والفرح رضا بما فعل أهل الباطل في التعدى على حرمة الله ورسوله, بينما البكاء والحزن والأسى عباره عن نفره وبراءه وسخط على تلك الأفعال السيئه الشنيعه.

فمن الواضح أن هذه الدعوى وهذا المنهج هي دعوى لذوبان وخط الحق بالباطل, والفضيله بالذيله, لكى لا يتميز, ولا يكون فرقان فى البين.

وهذا نهج اختطه الصوفيه والعرفاء لأنفسهم, لتبتيهم التولى من دون التبرى.

والرضا من دون سخط, والتحسين من دون تقييح, والجنه من دون نار, والثواب من دون عقوبه, وأسماء الجمال من دون أسماء الجلال. فهو إيمان ببعض الكتاب وكفر ببعض آخر. ومن ثم خالفت سيرتهم سيره النبى وأهل البيت(عليهم السلام) فى جملة من الموارد, ومنها هذا المورد, مما قد استفاضت روايات الفريقين فى بكاء النبى (صلى الله عليه و آله) وأمير المؤمنين وفاطمه وأهل البيت(عليهم السلام) على مصاب الحسين (عليه السلام) ولعن قاتليه... لذا لا ترى لفلسفه اللعن تجاوب لدى الصوفيه والعرفاء مع أنها سنه إلهيه فى القرآن, وسنه نبويه فى الحديث والسيره, وسنه الأئمه الميامين, لا ترى لهذه السنه أثراً فى أدبيات الصوفيه والعرفاء.

مع أن التحليه لا تتم إلّا بالتخليه, واكتساب الفضائل لا يتم إلّا بنبذ الرذائل, وإقامه التوحيد لا يتم إلّا بنفى الشريك.

ومن ألوان وطابع هذا النهج هو ما يؤدى إليه من الانعزال عن المسئوليه الاجتماعيه وعن التصدى للإصلاح الاجتماعى والتغيير ومواجهه الفساد, والاقتصار فى التركيز فقط على البعد الروحى الفردى من دون

اكتراث بجانب الحياه الاجتماعيه والظواهر المنتشره فيها, فهي تقود إلى نحو من العزله المذمومه, وحبس الدين عن مسار الحياه الاجتماعيه والسياسيه والإبتعاد عن المسؤوليات الاجتماعيه والسياسيه .

إعتراض السلفيه على البكاء:

أن بكاء الشيعة هو بسبب تأنيب ضميرهم مما ارتكبوه أنفسهم من قتل الحسين (عليه السلام), شعوراً بالخطيئه, وترويحاً للضمير من الذنب.

وفيه:

أولاً: أن المعترض, يعترف بأن مسؤوليه قتل سيد الشهداء (عليه السلام) التي ارتكبت في سنه ٦١هـج-, يتحمل وزرها الأتباع والأبناء والأجيال اللاحقه, ولو تناولت قروناً مديده إذا كانوا راضين بأفعال أولئك.

وهذا يفتح معنى آخر وهو لزوم التبري من قتله سيد الشهداء, ومما ارتكبوه من ظلم في حق أهل البيت(عليهم السلام), فلماذا لا نرى هؤلاء المعترضين لا يقومون بالحداد وشعائر الحزن على سيد الشهداء؟, ولماذا لا يستنكرون كل عام هذا القتل والظلم, بل نراهم يستنكرون مواساه الحسين (عليه السلام) في ذلك الحزن الذي هو مواساه لسيد الأنبياء وسيد الأوصياء وسيد النساء.

ثانياً: من البين تاريخياً أن الكوفه لم تكن مذهبها آنذاك هو مذهب التشيع كمذهب طاغى على أهلها؛ بل كان شيعة أهل البيت أقلية في الكوفه, وقد كُتب في ذلك وحرر الكثير من الرسائل المعتمده على المصادر

ص: ٣٦١

ثالثاً: أن المعترض, لا- يوجد في قاموسه فكره المواساه لسيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام) في هذا المصاب الجلل ويستبطن اعتراضه التنكّر للحنن على سيد شباب أهل الجنه مما يكشف عنه رفضه لفضل سيد الشهداء (عليه السلام) في الدين وعند الله (عزّوجل). .

ولا عجب في ذلك بعد إعراضه عن قوله تعالى: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى .

ركنيه الحزن و الأسى في ماهيه الشعائر الحسينيه:

قد يرد إعتراض أن شعائر عاشوراء هي شعائر حزن ومصيبه, مضاده لمشاعر التفاؤل والفرح والاستبشار, بل هي متضمنه للأسى واللوعه والحداد, ووجدان مضطرب وتأنيب للضمير, ومشاعر عاصفه, تُنقل من جيل إلى جيل, لاسيما وأن شعائر عاشوراء هي في مستهلّ السنه الهجرية, بينما يستهلّ البشر في بدايه سنتهم بمشاعر الفرح والأمل, نجد أن الشعائر الحسينيه تبث الحزن والهَمّ والكآبه والإياس.

والسبب في كون الشعائر العاشوريه, تأنيباً للضمير الشيعه ويمارسونها كتكفير للذنوب بجلد الذات والنفس, كعقوبه يكفرون بها ذنوبهم وخطاياهم..

وتقصيرهم حيث خذلوا الحسين (عليه السلام) وقاموا بقتله أو الإعانه عليه.. لأن الكوفه حاضره التشيع الأولى.. هي التي قتلت الحسين (عليه السلام).. وهناك

إحساس جماعى بالندم, لعدم نصرته (عليه السلام) فى خضمّ تذكّر أحداث المأساه.. فى أعماق اللاوعى الشعبى, وشعور مرير بالهزيمة الحضاريه التى تعيشها الأمه.. ففتفقم المعاناه والتخلف والتمزق..

جواب الإعتراض:

١ - انه مبنى على الغفله والجهل بحقيقه البكاء, ودواعى البكاء ومناشئه وإيجابياته.

٢ - تخييل أن داعى وهدف العزاء ناشئ من تأنيب الضمير, وأن العزاء والطم والتطبير, أسلوب من إقامه العقوبه على النفس وجلد الذات, بينما الحقيقه غير ذلك فإن البكاء ناشئ من فرط الموده لقرب النبى (صلى الله عليه و آله) والمعرفه الإيمانيه بفضائلهم ومقاماتهم عند الله سبحانه وفى الدين, وناشئ من شده الإستياء لقبح ظلم الظالمين لهم, وهتك حرمة الله تعالى وحرمة الرسول فيهم.

٣ - منهج أهل البيت أصدق وأحق منهج بالطابع السلمى, واحترام كرامه الإنسان.

امتزاج الحزن عليهم بالإبتهاج بهم:

إن الكثير يحسب أن مراسم العزاء والحزن على أهل البيت(عليهم السلام), متمحضه بالهمّ والغمّ واللوعه والأسى والتفجّع... بينما واقع الحال أنا نشاهد امتزاج هذه الحالات بحالات الشوق والابتهاج والارتياح والانبساط النفسانى, وذلك حيث يتم استعراض مناقب أهل البيت(عليهم السلام) وفضائلهم وما

أولاهم الله سبحانه من كرامات في الدين والدنيا والآخرة.. فإن استعراض ذلك، وهو باب واسع لا ينتهي إلى حد، يتم في مراسم عاشوراء وفي أيام الوفيات، وأيام إقامه العزاء... وهذا ملحوظ بكثرة، فإن مجالس ذكر أهل البيت (عليهم السلام) لا تخلو من ذلك قط، ومؤشر على أن حقيقه الجو النفساني التي تربيه الشعائر الحسينيه وأهل البيت، يتزواج فيه الحزن على مظلوميتهم والفرح لإيتاء الله لهم جميع الكرامات والمقامات الساميه ..

فيكون الحزن على مصابهم.. والبهجه بكرامات الله لهم... فليس كآبه محضه بل ممتزجه مع عظم الأمل وكبير الرجاء، وشده الثقه بزلفى البارى تعالى لهم (عليهم السلام) .

وكذلك تقترن اللوعه مع الانبساط.. والدمعه مع تهذل الوجه، وهذا مميًا يعطى جانباً تربويًا عظيمًا متوازنًا فى تربيه النفس الإنسانية.. فإنّ الحزن والأسى قطيعه وتبرى عن الانحراف الذى سار به الظالمون من أعداء آل البيت (عليهم السلام)، وما ارتكبه من جنيات فى حقهم (عليهم السلام).. بينما الفرح انجذاب للفضيله والكمال، وللمعالي والمكرمات.. وهذا ما نجده فى ما ظهر على سيد الشهداء (عليه السلام) يوم عاشوراء.. فإن أرباب المقاتل قد نقلوا عنه كلا الحالتين.. فنقل شده بكائه وتفجعه على ابنه على الأكبر وأخيه أبى الفضل العباس وذويه وأصحابه، كما نُقل أيضاً أن وجهه يزداد تهلاً وإشراقاً كلما قربت شهادته.. فى قول الراوى:

«... ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناناً ولا أجراً مقدماً

منه والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله وإن كانت الرجال لتشد عليه فيشد عليها بسيفه»(١).

وكذا قوله (عليه السلام):

«خطّ الموت على ولد آدم... فحط القلاده على جيد الفتاه»(٢).

فترى أن كلامه (عليه السلام) قد اشتمل على كلا الأمرين:

على ذكر المصائب الجلل والظلامه العظمى, وكذلك على قمه الأمل والفرح والسعاده من لقاء أسلافه العتره الطاهره..

وهذا التوازن عامل تربوى عظيم, فيه حكم أخرى بديعه, فإنه يحافظ على النفس من الغرور والاغترار بالأمل, وذلك بإذاقه النفس مراره المعاناه.. نظير الجمع بين صفتى الخوف والرجاء المؤثره فى تكامل النفس بتأثير بليغ كما فى قوله تعالى: وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا... وهذا نجده جلياً فى خطاب العقيله (عليها السلام) فى مجلس ابن زياد:

«.... ما رأيت إلّا جميلاً هؤلاء قوم كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم»(٣).

وكذلك خطابها فى مجلس يزيد فإنّها فى حين نعت الحسين (عليه السلام), إلّا

ص: ٣٤٥

١- (١) لواعج الأشجان ص ١٨٤.

٢- (٢) مشير الأحزان ص ٢٩.

٣- (٣) مشير الأحزان ص ٧١.

أنها أيضاً ذكرت الأمل وعلو الإيمان بالفرج, حيث قالت: والى الله المشتكى وعليه المعول, فكذلك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تمت وحيناً(١).

ومن ذلك نخرج بقاعده تربويه روحيه معرفيه اعتقديه وخلقيه أن المؤمن لا بد له في ترويض روحه, وصقل عقيدته من اقتران وانضمام كلا- الجانبين لديه.. أى استعراض البلاء مع استعراض الجزاء الإلهي الوافر, الذى يسمح للنفس بالقوه على الصبر والشدائد, ويزيد من تحملها ونشاطها وحيويتها.. مع تأديب النفس بالمراره كى لا تطغى وكذلك الحال, على المستوى المعرفى الاعتقادى, فإن قضاء الله وقدره كما اشتمل على البلاء, فقد اشتمل على جزاء النعيم والفوز العظيم..

كما هو الحال فى رغيد العيش فى طريق الحرام والباطل, هو ذو عاقبه أليمه, ومراره عظيمه.. وبذلك تتزن رؤيه الإنسان وبصيرته تجاه حقائق الأمور..

ثم على ضوء ما تقدم يظهر وجه مزج أتباع أهل البيت(عليهم السلام) لذكر مصائبهم(عليهم السلام) حتى فى أيام مواليدهم وأفراحهم..

أقوال الأئمه فى ذلك:

فقد وُصف الامام الحسين (عليه السلام) فى عده من الزيارات والروايات بأنه

ص: ٣٦٦

١- (١) لواعج الأشجان: ص ٢٣٠.

ويستفاد من هذا الحديث والزياره الشريفه, أن ذكر مصيبه سيد الشهداء بالعزاء وإقامه مجالس النوح والرثاء وغيرها من آليات الشعيره, يكون فعله فى التشريع مداوم, دائب ودورى فى كل يوم وفى كل ساعه, ولا يقتصر الدليل على ذلك بهذا الحديث والزياره الشريفه, بل إن الحث المتواتر فى الروايات على زيارته فى كل وقت, وفى كل يوم, من بعيد ومن قريب هو الآخر دال على ذلك أيضاً, لأنّ زيارته (عليه السلام) متضمنه لراثه وذكر مصابه والبكاء عليه. وهذا المنحى والديمومه فى الأوقات هو الآخر يستفاد من متواتر الحث على زياره النبى (صلى الله عليه و آله), والوصى (عليه السلام) والصديقه (عليها السلام), وباقى الأئمه (عليهم السلام). حيث تضمّنت زياراتهم, استعراض ما جرى عليهم من المصائب والمحن, وهو بمثابة مجلس رثاء وتشيد عزاء(١).

ولا يتنافى ذلك مع القاعده المستفيضه عنهم (عليهم السلام) فى وصف الشيعة:

«أنهم يفرحون لفرحنا, ويحزنون لحزننا»(٢), فإن المطلوب ليس التوقيت بالزمن فقط, بأن يكون فرح الشيعة فى أوقات فرحهم, وحزنهم فى أوقات

ص: ٣٤٧

١- (١) رؤيا السيد باقر الموسوى الهندى للإمام الحجه المهدى (عجج الله) ليله عيد الغدير كئيباً حزيناً فحينما سأله السيد عن سبب ذلك مع أن المناسبه هى للفرح والسرور, أنشئ الإمام (عجج الله) هذا البيت: لا ترانى اتخذتُ لا وعلاها بعد بيت الأحران بين سرور مأساه الزهراء: ٢٧.

٢- (٢) الخصال: ٢٨٧.

حزن العترة (عليهم السلام)، كما ورد عن موسى بن جعفر (عليه السلام) يظهر عليه الحزن بدخول أول محرم، ويشتدّ معه كلما قرب من يوم العاشر.

قال الرضا (عليه السلام):

«كان أبى إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبه تغلب عليه، حتى يمضى منه عشره أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبه وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذى قتل فيه الحسين (عليه السلام)»^(١).

- وكما ورد عن الصادق (عليه السلام):

«أفى غفله أنت، أما علمت أن الحسين (عليه السلام)^(٢) أصيب فى مثل هذا اليوم»، وقد ورد النهى عن صيامه.. لأن الصيام يُعدّ مظهراً من مظاهر الفرح والبهجه.

فإن توقيت فترات زمنيّه للحُزن وهى التى وقعت فيها حوادث المصاب لا- ريب فيه، وكذلك توقيت الفرح بأزمان وقعت فيها مسرات لهم لا ريب فيها أيضاً..

ولكن مفاد القاعده الشريفه أعم من ذلك حيث يُراد من فرحهم هو أسباب الفرح، كبركه مواليد المعصومين إذا ذكروا ولو فى غير أيام الميلاد.. أو بما لهم من مشاهد شرفها الله بهم، مثل حادثه الغدير، والمباهله وحديث الكساء، وميلاد المهدي (عجج الله)، إلى غير ذلك من مناسبات الإبتهاج وذكريات

ص: ٣٤٨

١- (١) أمالى الشيخ الصدوق: ١٩١.

٢- (٢) وسائل الشيعه ج ١١ ص ٤٥٩.

الفرح, فإنها كلها يُستبشر بها, ويُتَهجج بها, في أي وقت ذُكرت, وكذلك الحزن إنما يكون لأسباب حزنهم, يتحقق في أي وقت ذكر.. كما روى عن الامام السجاد (عليه السلام) من شدّه بكائه وحزنه أنه كان كلّما ذكر أباه الحسين (عليه السلام) استعبر وبكى... وكذلك الامام الصادق (عليه السلام) كان إذا ذكر جده الحسين (عليه السلام), يبكي ويترك الأكل في ذلك اليوم(١).

ص: ٣٦٩

١- (١) الخصال للشيخ الصدوق ص: ٢٧٣

الفصل الثامن : قاعده: تعدد طرق الحكايه و الإخبار عن الواقع

اشاره

ص: ٣٧٠

فى تحرير الواقع والأحداث:

إشاره

لسان الحال -التصوير -التمثيل:

لا يخفى أن كشف الواقع, والوقائع الحادثه وحقيقه مجريات الأمور لا ينحصر بنقل الكلام والأقويل للأشخاص الذين كانوا فى أطراف الحِث والواقع, فإنّ ما دار بينهم من أقوال وكلمات لا يمثل تمام مساحه الحِث بالضروره, بل هناك مساحات لم تحكها الكلمات وكذلك الشأن بالنسبه إلى الشخص الشاهد للحِث, فإن ما تحكيه كلماته الواصفه للحِث من عدسه عينيه ولاقطه أذنيه, لا- تمثل تلك الكلمات تمام مساحه حقيقه الحِث, وإن كانت كلمات هذا الشاهد المشاهد والراوى والناقل تتطرق وتغطى مساحات من الحِث ليست هى أقوال وكلمات كل أطراف الحِث, بل تشمل ما يكون من قبيل الأفعال والحالات والظروف الأخرى المحيطه والملابسات المختلفه, ولكن تبقى كلمات هذا الراوى المشاهد الناقل للحِث هى تعبّر عن جزء من مساحه حقيقه الحِث.. وتبقى مساحات كثيره لا تُسجّل من حروف, وكلمات الرواه المشاهدين

النقله للحدث، فيما إذا جمدنا على حرفيه الحروف والكلمات التي وصفوا بها الحدث؛ وهو ما يُعبّر عنه في علم البلاغه بالمفاد والمدلول المطابقى للكلام.

ومن ثمّ تقصّي الباحثون عن الحقيقه، كما فى علم القضاء، والبحث الجنائى، وفى علم التاريخ، وغيرها من العلوم التى يهّمها تحرّى الوقائع والأحداث، كعلم الفقه والكلام وغيرها من العلوم الدينيه والشرعيه، حيث أن مستند الحجيه، لا ينحصر فى قول المعصوم (عليه السلام)، بل يشمل فعله وتقريره، وفعله يشمل سيرته وحالاته وسجاياه وعاداته وشؤونه.. كما أن تقريره يشمل سيره من عاصره من الناس وأحوالهم وشؤونهم.

بل يشمل الارتكازات المطويه الغامضه التى يجرى عليها العُرف المعاصر له.

فنقل تمام هذه المساحات من الحقيقه، أو الوصول إليها لا- يمكن الاقتصار فيه على الكلمات المنقوله من جميع الأشخاص الشاهدين للحدث فضلاً عن الاقتصار على الكلام المنقول بكلام الراوى، ومن ثمّ تعددت طرق الحجيه فى الوصول إلى حقيقه الأحداث عبر جملة من القنوات والآليات، وهى:

الطريق الأول: دلالة الفعل:

دلالة الفعل، فالفعل مضافاً إلى حجيه إسناده للفاعل، له دور آخر، وهو دلالاته على مقاصد، ودواعى الفاعل من الفعل، فمن ثمّ أُطلق الكلام

الإلهى على أفعال الله تعالى، كقضاء الله سبحانه فعل من أفعال الله، وقدره كفعل آخر، وكذلك فعل مشيئته، فكلُّ منها مرتبه من الكلام الإلهى يكشف به عن مقاصد إلهيه، فالفعل والإيجاد فى عالم الخلقه كلامٌ حقيقى، دال على معانى ومقاصد وراءه، وذلك بتوسط التحليل المُمعن غوراً، ومن أمثله قراءه قضاء الله تعالى وقدره ككلام وإرادته ما جرى من خطاب عبيدالله بن زياد لعنه الله للعقيله زينب سلام الله عليها، من قوله:

«كيف رأيت صنع الله بأخيك، قالت: ما رأيت إلّا جميلاً».

فإنه حاول أن يجعل قراءه قضاء الله وقدره كفعل إلهى دال على قصد الله تعالى بالنكايه والنكال لسيد الشهداء (عليه السلام) وهذه قراءه مزيفه لمدلول فعل الله بما هو بمثابة كلام إلهى دال على مقاصد إلهيه.

فأجابته (عليها السلام) بأن مدلول قضاء الله وقدره، جمال مديح لموقف سيد الشهداء، ودللت على ذلك بما قالت (عليها السلام): «وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاح وتخاصم، فانظر لمن الفلج، ثكلتك أمك يا بن مرجانه».

فأشارت بأن قضاء الله وقدره فى كربلاء إنما يُحسن قراءته، والصواب فى قراءته هو بضميمه قضاء الله وقدره فى العاقبه، فلا يصح بتر الأفعال الإلهيه عن بعضها البعض لأنها بمثابة كلام يفسر بعضه بعضاً، وعلى أية حال، فهذا دليل على أن الفعل الإلهى، حقيقته كلام وتكلم منه تعالى مع البشر والمخلوقات، ولكنه إنما يحصيل قراءته من يلتم بمجموع الأفعال الإلهيه، ليكون متوفراً على مجموع الكلام والكلمات الإلهيه.

ونظير ذلك ما قاله عبيدالله بن زياد لعنه الله للإمام السجاد (عليه السلام), «ألم يقتل الله علياً», فأجابه (عليه السلام): «كان لي أخ يدعى علياً قتله الناس...».

فحاول ابن زياد زيفاً أن يُسند فعل الناس إلى الباري (عزّوجل), ويجعله فعلاً له, كي يقرأ منه أن المقصد الإلهي السخط على نهضة سيد الشهداء؛ فكذبه الإمام زين العابدين (عليه السلام), بأن هذا الفعل هو فعل الناس وليس فعل الله, فهذا وأمثاله نمط لقراءه الفعل بمثابه كلام دال على غايات ومقاصد وهذا منبع ومصدر لقراءه الوقائع والأحداث.

الطريق الثاني: حجية التقرير:

حجية التقرير والإمضاء, مع أن التقرير ليس من القول المنطوق ولا- من إبراز الفعل, بل هو حال صامت ودلاله مبطنه كامنه في طيات ملابسات الظروف.

الطريق الثالث: الدلالات الالتزامية للكلام:

لوازم القول, وهو نوع انكشاف للمعنى من قول القائل بما يستلزمه, أو تكلمه بما يدل عليه من التزام, وقد تترامى هذه المداليل الإلتزاميه عبر وسائط إلى حلقات بعيدة لم يقصدها القائل بالذات, ولم يلتفت إليها تفصيلاً ولكنها مطويه في كلامه بنحو يتوقف عليها من دون أن يشعر القائل بذلك, ومن ثم يُحتج على المتكلم بإقرارات كلامه من المدلولات

الإلتزاميه وإن لم يفظن لها المتكلم, ويكون من باب: إقرار العقلاء على أنفسهم جائز ونافذ.

وهذا نمط من استكشاف الحقيقه بعيداً عن الكلام المنقول وهو باب واسع.

ومن ثم تنسب هذه الأقارير من وإلى المتكلم أنه اعترف بها.

الطريق الرابع: إنشاء المعانى فى النفس:

وهو ما يسمّى بحديث النفس, وهو نحو تخاطب بين النفس وذات الإنسان, وكثيراً ما يُحكى كمقوله يقولها الإنسان, ومن هذا القبيل النوايا والخواطر وقد يُجعل من أمثله هذا القسم, ما فى قوله تعالى فى وصف أصحاب الكساء: وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشَكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا .

مع أن هذا الكلام لم يكن منهم (عليهم السلام) باللسان.

فحديث النفس وإنشاء المعانى فى صفحه خاطر أو غيره من بيوت النفس هو حديث وتكلم للنفس. بل إنشاء الحالات التكوينية للنفس الحامله لهويه وماهيه المعانى هو تكلم نفسانى.

الطريق الخامس: المُجمل والمفصل:

وهو بأن يتكلم المتكلم بكلام مُجمل لا بمعنى الإبهام, بل بمعنى إجمال ينطوى فيه تفاصيل كثيره غير مصرح بها ولكنها مُدمجه فى المعنى الإجمالى،

وُتَسْتَخْرَجُ بِالتَّوْبَةِ وَالتَّمَعُّنِ .

نظير قوله تعالى للملائكة عندما اعترضوا على استخلاف آدم: قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ثم عاود سبحانه وتعالى الخطاب مع الملائكة.

- بعد تعليمه الأسماء وإنباء آدم للملائكة بالأسماء واعتراف الملائكة بقصور علمهم من علم الله تعالى وحكمته - عاود سبحانه بقوله: قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ .

فبين سبحانه وتعالى, تفصيلاً في معاودته للخطاب لهم, وأسند التفصيل إلى ما أجمله سابقاً ما لا تعلمون المجمل, والمفصيل غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ .

- ونظير قوله تعالى لنوح لَمَّا سَأَلَهُ فِي ابْنِهِ وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِهِ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ فَأَجَابَهُ تَعَالَى: قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنُ مِنَ الْخَاسِرِينَ ١ .

ص: ٣٧٧

حيث أن سؤال نبي الله نوح, عن وعد الله الحق هو إشاره إلى قوله تعالى لنوح قبل الطوفانفأسئلك فيها من كل زوجين اثنين و أهلك إلا من سبق عليه القول فكان استثناءه تعالى مجملاً أوضح تفصيله لنوح في قوله تعالى: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، أن كنعان ابنه ممن سبق عليه القول.

فيصح إسناد الكلام المفصل لمن تكلم بالمجمل بالمعنى المزبور كما يصح العكس, أى إسناد المُجمل لمن تكلم بالمفصيل ولعل هذا أحد الوجوه المفسره لاختلاف نوع العرض للكلام والكلمات التي يسندها القرآن الكريم لأشخاص بين موضع وآخر في القرآن الكريم, سواء في تجاذب حوار أو كلام تخاطب.

الطريق السادس: لسان الحال والتصوير:

إشاره

لسان الحال - ما دل على حاله الشيء من ظواهر أمره: وقد عرّف بعده تعاريف, من أنه انكشاف المعنى عن الشيء لدلاله صفه من صفاته, وحال من أحواله عليه, سواء شعر به أم لا كما تُفصح آثار الديار الخربه عن حال ساكنيها, ودلاله سيماء البائس على فقره.

ولا- بأس في البدء أن ننقل كلاماً حول حقيقه لسان الحال وحكمه، في الحكايه والإخبار للسيد ابن طاووس في كتابه إقبال الأعمال.

قال: (ومن ذلك ما يتعلق بوداع شهر رمضان فنقول : إن سأل سائل

ص: ٣٧٨

فقال: ما معنى الوداع لشهر رمضان، وليس هو من الحيوان الذى يُخاطب ويعقل ما يقال له باللسان. فاعلم، أن عادة ذوى العقول قبل الرسول ومع الرسول وبعد الرسول يخاطبون الديار والأوطان والشباب وأوقات الصفا والأمان والإحسان، ببيان المقال، وهو محادثه لها بلسان الحال، فلما جاء أدب الإسلام أمضى ما شهدت بجوازه من ذلك أحكام العقول والأفهام، ونطق به مقدّس القرآن المجيد، وقال: جلّ جلاله: (يوم نقول لجهنم هل امتلأت و تقول هل من مزيد) - فأخبر أنّ جهنم ردت الجواب بالمثل. وهو إشارة إلى لسان الحال وذكر كثيراً فى القرآن المجيد، وفى كلام النبى (صلى الله عليه و آله) والأئمة (عليهم السلام).

وكلام أهل التعريف، فلا يحتاج ذوو الألباب الإطالة فى الجواب(1).

- وقد قُزّر لسان الحال ضوابط وقواعد لضبط الدقه والصواب والسداد فيه، ونقدّم جملة من الأمثلة القرآنية الواردة على نمط لسان الحال، وقبل ذلك لابدّ من الإشارة إلى أدله واقعيه الحكايه بلسان الحال وصدقها:

أدله واقعيه لسان الحال:

الأوّل: أنه قد تسالم بين المفسرين من الفريقين على أن القرآن الكريم قد استعمل طريقه لسان حال فى إسناد جملة من الكلام والأقوال للأشخاص مع كون ذلك من باب لسان الحال، أى أن تلك الكلمات والكلام لم يصدر

ص: ٣٧٩

من أولئك الأشخاص بنحو الصوت الصادر من لسان المقال بل إنما هو حال وحالات أولئك داله كلسان على تلك المعانى التى أسند صدور كلماتها عنهم, وهذا أكبر شاهد على كون طريقه لسان الحال طبق قواعد وضوابط هى مسوغه لإسناد المقال إلى الأشخاص, وكذا إسناد الأفعال الإنشائية والمعانى الاعتبارية إليهم..

الثانى : قد تقدم دليل ضروره تعدد الطرق المتنوعه فى الكشف عن الحقيقه لأن مساحاتها لا- يمكن أن يغطيها لسان القال والمقال وهى أعظم مساحه فى الأحداث, إذ مشاهد الحال, بحرّ مترامى فيها, ولسان المقال ليس إلّا بمثابه قشره السطح.

الثالث : ما سيأتى من شواهد استعماليه فى القرآن الكريم على ذلك.

الرابع : ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) من أن لسان الحال أصدق من لسان المقال.

وفى نقل آخره أفصح منه, وفى نقل ثالث أبين. وفى نقل رابع «أصدق المقال ما نطق به لسان الحال» (١).

والوجه فى ما قاله (عليه السلام) أن لسان الحال يندرج فى قسم سابع فى بيان الحقيقه ألا وهو الكلام والكلمه التكوينية, حيث أن دلالة الأثر التكوينية على المؤثر أو الآيه على ذى الآيه ليست بالوضع والاعتبار, بل بالدلاله

ص: ٣٨٠

١- (١) عيون الحكم والمواعظ: ١٢٤. وأيضاً: حكم الأمير (عليه السلام) لعلى بن محمد الليثى الواسطى.

العلميه والتسبب التكويني, وانعكاس الأثر عمّا في المؤثر من صفات.

الخامس : أن في لسان الحال معنى تصويريا للحدث هو أبلغ تأثيراً في تحسيس ولمس المشاهد بواقع المجريات والإدراك التفاعلي للوقائع من المعنى السمعي أو الفكري.

- أما استعراض شواهد استعماله في القرآن الكريم على لسان الحال وليس من الضروري صحه هذه الأمثله بأجمعها أنها من لسان الحال ولا يعنى استعراضها, الموافقه على كون الجميع من مصاديق لسان الحال. ولكن يكفى صحه بعضها فضلاً عن غيرها من الموارد التي لم نستقص ذكرها في المقام, كما أن هذه الأمثله بغض النظر عن صحتها تبين تسالم المفسرين على وجود لسان الحال كأسلوب في الحكايه عن الواقع والأحداث:

١ - قوله تعالى: إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ .

ومعنى كنود: أى لكفور, أى الكفر العملى لا الكفر المقالى.

٢ - قوله تعالى: فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ .

فإنّ جملة من المفسرين, فسروا إسناد القول أَتَيْنَا طَائِعِينَ إلى أن المراد هو لسان الحال وأن حالهما هو الانقياد التكويني له تعالى, وهو الطوع التكويني, كما أن إسناد القول له تعالى مخاطباً للسماء والأرض يُراد به الفعل

التكويني منه تعالى الذي هو بمثابة تكلم تكويني لا قولي ومقالى، وعلى هذا التفسير للآيه يُقرر أن الكلام التكويني أصدق فى انطباق عنوان القول عليه من المقال والكلام الصوتى.

٣ - قوله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ .١

فقد فسّر الآيه غير واحد من المفسرين أن خطاب الله للذرية فى عالم الذر وإسناد القول له إنما هو بلسان الحال لا التخاطب بلسان المقال، بأن ركب تعالى فى فطرتهم ما يشهد تكويناً بربوبيته تعالى.

٤ - وقوله تعالى: يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ.

فقد ذكر غير واحد أن إسناد ردّ الجواب المقالى إلى جهنم إشاره إلى لسان الحال.

بل وحملوا جملة من الآيات الواردة فى عوالم الميثاق والعهد السابقة لنشأه الدنيا على لسان الحال واقتضاء الاستعداد كما فى المثال اللاحق.

٥ - قوله تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا

تَفَقَّهُوْنَ تَسْبِيحَهُمْ أَنْ الْمَوْجُودَاتِ نَاطِقَهُ بِالْحَمْدِ بِلِسَانِ الْحَالِ حَيْثُ تَشْهَدُ عَظْمَهُ خَلَقْتُهَا عَلَى عَظْمِهِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ فَهُوَ بِمَنْزِلِهِ ثَنَاءٌ وَحَمْدٌ وَتَمْجِيدٌ.

ونظيره قوله تعالى:

و النجم و الشجر يسجدان بأنها فاعله لذلك كأفعال قصديه بلسان الحال .

٦- قوله تعالى: لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْجِدِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَ شِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ بَلَدَهُ طَيِّبَهُ وَ رَبُّهُ غَفُورٌ فَكَوْنُهُمْ يَخَاطَبُونَ ب- كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا ... بلسان الحال لا لسان المقال ومع ذلك ذكر في الآيه كإسناد مقال.

٧- وقوله تعالى: يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ .

فقد فسّر السؤال كثير من المفسرين بأنه ليس نطقاً وإنما باقتضاء حال وطبيعة المخلوقات أنها تفتقر إلى مديد بارئها فسؤالها هو بلسان الحال.

٨- وقوله تعالى: مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ فَقَدْ فَسَّرَتْ شَهَادَةُ الْكَافِرِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا يَنْطِقُ اللَّسَانُ بَلْ أَنْ حَالَهُمْ وَمَوْقِفُهُمْ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَلَّةٍ شَاهِدَ عَلَى جِحْوَدِهِمْ وَإِنْكَارِهِمْ. فَأَصْدَارُهُمْ لِأَفْعَالِهِمْ بِمِثَابَةِ الشَّهَادَةِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كَفْرِهِمْ.

ص: ٣٨٣

٩ - وقوله تعالى: وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا.

فقد اعتمد جمله من المفسرين - وهو الذى يظهر من الروايات الواردة فى ذيلها - أن عباد الرحمن, حالهم فى مقابله جهاله الجاهل أنهم يغضون الطرف ويصفحون لئلا ينشغلوا بهم, وبترهاتهم.

فإسناد قولهم أن ما يبدون من فعال بمثابة هذا القول وأن ما يجيبون به خطاب الجاهل كلاماً ينطبق عليه عنوان السلم والصّيح, فإسناد لفظه السلامه إلى مقالهم بلحاظ المعنى وحال المضمون, وهو قريب من لسان الحال.

وهذا الوجه يتبّه على وجه آخر لاعتبار وحجيه لسان الحال, وهو أن النقل بالمعنى معتبر ومعتد به, مع أنه ليس نقلاً حرفياً لألفاظ المقال لاسيما وأن النقل بالمعنى على طبقات ودرجات, فمنه القريب من ألفاظ مقال القائل, ومنه البعيد عن تلك الألفاظ, ولكن حقيقه المعنى متقرره فى تلك المعانى, وهو نظير ما مرّ فى باب الإقرار المقالى من الشخص المقر وعموم باب التقارير, حيث أنه يسند إلى المقر فى ما قاله جمله من المعانى والأمر التى لم يلتفت إليها وإلى تفاصيلها, لا بالالتفات التفصيلى ولا بالالتفات الإجمالى.

فإسناد الإقرار إلى مقاله, وأنه أقرّ بذلك مقال قريب من لسان الحال, وهذا ما يفتح الباب واسعاً لاستكشاف الحقائق. وأن الطريق إليها, لا يقتصر على الألفاظ وحدود المعانى التى تكلم بها فى نطاق السطح المطابق للكلام.

الوجه الثامن: الكلام التكويني للأفعال:

ويمكن تقرير هذا الوجه ببيان آخر وهو أن كل فعلٍ يبديه الإنسان يُعد نمطاً من التكلم، وإبرازاً لما هو مضمّر في مكنونه، وهذا يشمل أفعال البدن والخواطر أى المعانى التى يوجد لها فى خاطره، والحالات الروحية التى تتكون متولده منه ويكون له دور وتسيب فى تكوينها ولو بلحاظ المقدمات البعيده، وإنما يكون قوله اللسانى كلاماً لا بلحاظ الأصوات الداله على المعانى فحسب، بل يكون متكلاً بلحاظ أنه يبرز منه بمقاله والمعانى التى يستعملها مضمّرات مكنونه فى شخصيته، وهذا الذى يشير إليه قول أمير المؤمنين (عليه السلام):

«المرء مخبوءٌ تحت لسانه»^(١).

وقوله (عليه السلام):

«المرء مخبوءٌ تحت لسانه فإذا تكلم ظهر»^(٢).

ونظير قوله تعالى: وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ فَإِنَّ دلاله القول هنا على حاله النفاق فى الأشخاص ليست من جهه أصوات الكلمات ودلالاتها الاعتباريه الوضعيه على المعانى الذهنيه بل من جهه أن القول فعل من أفعال الإنسان يبرز مكنون حاله.

فمعالم شخصيه المرء، وطابع توجهه يُكشف ويبرز بإقدامه على التعاطى بجملة من المعانى والأصوات، فهى تكشف تكويناً عن ما وراءها.

ص: ٣٨٥

١- (١) بحار الأنوار ج ١٦٦: ٧٤.

٢- (٢) مناقب آل أبي طالب ج ٣٢٦: ١.

فجمله حركات الإنسان وسكناته وأفعاله تكلم تكويني من الإنسان. وقول كوني وجودي.

- كما في قوله (عليه السلام):

«ما أضمر أحد شيئاً إلّا وظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه» (١).

١٠ - وقوله تعالى: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ .

فإن جملة من المفسرين ذهبوا إلى أن حال المخلوقات يومئذ من الفناء والهلاك بحيث لا توجد قدره إلّا له سبحانه وتعالى، وحال كل ما سواه تتجلى بكونها مقهوره له تعالى.

لا أنه يُخلق نداء بهذه الألفاظ، فهو من قبيل لسان الحال.

١١ - وقوله تعالى: حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتِ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا ٢. فإنه قد ذكر عده من المفسرين أن قول النملة ليس كلاماً لها وإنما فعلها مع بقيه أفراد مجموعتها حالها بمثابه قول لها.

١٢ - وقوله تعالى: فَقَالَ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ

ص: ٣٨٤

١- (١) شرح نهج البلاغه لابن ابى الحديد ج ١٣٧: ١٨.

فإن كثيراً من المفسرين حملها على لسان الحال، من النملة ومن الهدهد.

١٣ - وقوله تعالى: وَ أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ .

وهذه الآية وإن كانت قد تقدمت أنها من المفصل لما كان مجملاً إلا أن مفادها ينطبق على وجه آخر أيضاً بلحاظ جهة أخرى في مفادها، وهو أن التكلم عبارة عن إبراز وإظهار ما في النفس من المعاني، فقوام القول والكلام هو إنشاء المعاني في النفس بإنشاء تكويني، من أحاسيس وخواطر ومشاعر وهواجس وإحساسات، وخيالات وأوهام وأفكار ووجدانيات ورؤى وآمال وغيرها من المعاني الكثيره التي تنشئها النفس بتفاعل فإنها بمثابة درجة من التكلم.

ومن ثم أطلق عليها بالكلام النفسى والنفسانى وحديث النفس، فإنه درجة من الكلام، وكأن فطره الإنسان ومعدن طبيئته كالأمر المضمر والمجمل والمكتم، فيفتق رتقه لإنشاء وإبراز ذلك المضمّر المدفون والمعدن المظمور والكنز المستور، فكل درجة من درجات الإبراز والظهور في طبقات صفحات النفس تُعدّ درجة من درجات التكلم، ومنه يظهر أن لسان الحال هو من حقيقة التكلم والكلام وأنه لا يقتصر على الإبراز بلحمه اللسان، ولا بالصوت القارع بشحمه الآذان، فيندرج لسان الحال حقيقة في الكلام

والقول لأنه إبراز ما في معدن وطينه الإنسان، فمن ثم تكون كل أفعال الإنسان تكلماً وقولاً.

الوجه التاسع: التمثيل والتصوير:

يعتبر التمثيل والتصوير نمطان بارزان من أنماط لسان الحال ولا يقتصر التمثيل والاستعمال للسان الحال بمنزله الكلام والقول على الآيات الشريفة، بل هناك من الروايات الشيء الكثير..

١ - (ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه)^(١). ومفاد هذا الحديث يطابق ما مرّ تقريره من أن حقيقة الكلام غير منحصره بإبرازه بلحمه اللسان، بل يشمل ما يُضمّر في النفس والوجدان من ما ينشئ في صفحاتها من معاني وأحاديث.

٢ - ما ورد في بعض الروايات عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال:

«ما من يوم يأتي على ابن آدم إلا قال له ذلك اليوم: يا ابن آدم، أنا يوم جديد، وأنا عليك شهيد، فقل خيراً واعمل فيّ خيراً، أشهد لك به يوم القيامة، فإنك لن تراني بعدها أبداً»^(٢).

٣ - وما ورد في دعاء وداع شهر رمضان للإمام السجاد (عليه السلام)، حيث يقول (عليه السلام) فيه:

«... فنحن قائلون: السلام عليك يا شهر الله الأكبر، ويا عيد

ص: ٣٨٨

١- (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٣٧: ١٨.

٢- (٢) الكافي ج ٥٢٣: ٢.

أوليائه، السلام عليك يا أكرم مصحوب من الأوقات...»(١).

٤ - ما ورد في ثواب صوت المؤذن وأنه يشهد له كل رطب ويابس يصل إليه صوته، كما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال:

«المؤذنون يخرجون من قبورهم يوم القيامة يؤذنون ويغفر للمؤذن مدّ صوته، ويشهد له كل شيء سمعه من شجر أو مدر أو حجر رطب، أو يابس...»(٢).

٥ - ما ورد في مصحح أبي هارون المكفوف، قال: قال: أبو عبدالله (عليه السلام): يا أبا هارون أنشدني في الحسين (عليه السلام)، قال: فأنشدته فبكي، فقال: أنشدني كما تشدون - يعني بالرقه - قال فأنشدته:

أمر على جدت الحسين فقل لأعظمه الزكيه

يا أعظماً لا زلت من وطفاء ساكبه رويه

وإذا مررت بقبره فأطل به وقف المطيه

وأبك المطهر للمطهر والمطهره النقيه

كبكاء معوله أتت يوماً لواحدها المنيه

قال: فبكي، ثم قال: زدني، فأنشدته القصيده الأخرى، قال: فبكي. وسمعت البكاء من خلف الستر، قال: فلما فرغت: قال لي:

«يا أبا هارون من أنشد في الحسين (عليه السلام) شعراً فبكي وأبكي عشرًا كتبت له الجنة، ومن أنشد في الحسين (عليه السلام) شعراً فبكي وأبكي خمساً كتبت له الجنة، ومن أنشد في

ص: ٣٨٩

١- (١) الصحيفه السجادية: ٢٢٩.

٢- (٢) مستدرک الوسائل ج ٣٧: ٤.

الحسين شعراً فيكى وأبكى واحداً كتبت لهما الجنه» الحديث (١).

وتقريب الاستدلال: أن مضمون الأبيات التي ذكرها المنشد، هو تمثيل وتصوير بلسان الحال، وليس من الإخبار وكلام المقال، وإلّا فليس هناك حوار بين الزائر، وبين عظام سيد الشهداء (عليه السلام)، فهي استعاره تمثيلية ذكرها المنشد، لأجل تصوير حياه الإمام الحسين (عليه السلام)، وأن قلوب المؤمنين منجذبه ومرتبطة به، وأن قرحه المصاب وآلام الحزن لا زالت تُبكي عيون المحبين من شيعه الحسين (عليه السلام).

وبهذا التقريب يكون أمره (عليه السلام) لهذا المنشد، بالإنشاد هو بهذا المنوال والشاكلة الذي يكون الغالب فيه؛ طريقه لسان الحال ممّا يتم التركيز فيه على المعانى والحالات المعنويه؛ والمشاعر الروحيه، والعواطف النفسانيه؛ والتي هي جزء من الواقع، حيث مرّ أن الواقع والحقيقه لا يقتصر على المحسوس بالحواس الخمس. فإن المشهد الروحي والنفساني والفكري والقلبي والعقلي في واقعه الطف عالم كبير، حافل بكثير من الحقائق والمقامات والأهوال ومضممار الميادين الواسعه، التي هي أوسع أفقاً ورحابةً من البقعه الجغرافيه لواقعه الأبدان في معركة الطف فإن الزخم الروحي، والتفاعل النفساني، هو ذو مشاهد كبيره، وكثيره بل هو بحور هائله من المعانى لا تحصى ولا تُعد. فأين الآليه الراصده والمجهر الكاشف لكل تلك المساحات الغائبه عن أعين البصر

ص: ٣٩٠

١- (١) كامل الزيارات: باب ٣٣ / ١.

المادى والجسمانى, وعن أذان البدن المادى.

فبالله عليك, هل لعقل أن ينحسر نظره عن كل تلك المساحات من حقيقه واقعه الطف, والتي هى بمثابة الروح واللب للواقعه, ويقتصر على القشور والهوامش, فإن منازل الطف هى منازل روحيه فى أساسها وأصلها, ومواجهه عقليه ومقابله فكريه, ومحاربه نفسانيه. أكثر مما هى اشتباك عسكرى بالأبدان والأجساد.

ـوبتقريب ثان للروايه, أنه (عليه السلام): عندما أمر الرائى بالإنشاد, فقرأ قصيدته الأولى, وألَّتْ مَرَّتْ أنها بلسان الحال حيث تعكس الجوانب الروحيه والمعنويه فى بحر واقعه الطف, لم يردعه (عليه السلام) عن ذلك, بل أكد له بمزيد من الطلب والأمر والحث والترغيب على مثل هذا الشعر والإنشاد؛ ورغَّبه بعظيم الثواب والجزاء.

ـوبتقريب ثالث: إنَّ أمرهم (عليهم السلام) بإنشاد الشعر بعنوان الشعر لا بعنوان النثر والكلام النثرى, هو بنفسه دال على تقرير باب لسان الحال فى التذكير بواقعه الطف وأن هذا الباب, من أعظم الأبواب التى يمكنها كشف مساحات عظيمه مغفول عنها فى تلك الملحمه.

حيث أنَّ الشعر بطبعه فيه حاله التحليق فى عالم الخيال وإثاره الأحاسيس النفسانيه, وتكثر فيه البراعه فى التصوير, والإثاره النفسانيه, كل ذلك مع وقع تفعيله الأوزان الشعريه, و وقع صوت الكلمات, فمن أجل ذلك جعلت المباينه بينه وبين القرآن الكريم الذى هو كلام الله كما فى قوله تعالى:

ص: ٣٩١

وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ۝ ١ وكذا قوله تعالى: وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۝ ٢.

فبينت هذه الآيات أن الشعر بطبيعته التخيلي، غوايه عن الحق، وأنه يسلك بصاحبه إلى كل اتجاه عبثاً، وأن أقواله ليست نابعة من إلتزام وصدقيه، وإنما ثرثه معاني وتزويق كلمات.

القرآن والدعوه للإشاد والشعر في أهل البيت (عليهم السلام):

ولكنه سبحانه وتعالى، استثنى المؤمنين العاملين للصلحات والذاكرين الله كثيراً والذين يستخدمون آله الشعر لنصره المظلوم، وتقريع الظالم وهذا باب عظيم لتقسيم وتصنيف الشعر، أبداه القرآن الكريم؛ فذكر لمواصفات الشعر الصالح الهادف.

أولاً: أن يكون منطلقاً من مقتضيات الإيمان والاعتقادات الحقه.

ثانياً: أن يكون منطلقاً وداعياً إلى العمل الصالح بخلاف الشعر الذى يدعو إلى البطر والأشر واللهو والمجون والفسق والتحلّق وغير ذلك.

ثالثاً: أن يوجب التذكير بالله تعالى كثيراً، بخلاف النمط الآخر من

الشعر الذى يصدق عليه قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝۱.

رابعاً: أن يكون نصره للمظلوم, ومواجهه للظالم.

فهذه أركان أربعه للشعر الهادف الممدوح أساساً فى القرآن الكريم؛ فنلاحظ انطباق هذه الأسس الأربعة, على الشعر الذى يُنشد فى فضائل أهل البيت, وفى رثائهم, وذكر مصائبهم, وفى فضح أعدائهم.

ومن أعظم مصائبهم (عليهم السلام) ما جرى على سيد الشهداء (عليه السلام).

—أما الأساس الأول: فهو مقتضى فريضة الإيمان بولايتهم وخلافتهم من الله ورسوله, ووصايتهم للنبي (صلى الله عليه وآله).

وأما الأساس الثانى: فلأن إنشاد الشعر فى أهل البيت (عليهم السلام) هو امتثال للأمر بصلتكم, وهم أعظم رحم أوصى به القرآن الكريم.

فيكون من أبرز الأعمال الصالحة. وكذلك هو طاعه للمودّه لهم.

وأما الأساس الثالث: فلأنهم جعلوا السبيل إلى الله بنص القرآن, حيث قال تعالى: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي

- وقال تعالى: قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ .

- وقال تعالى: قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا فَبَيْنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أَنْ أَجْرَ الرِّسَالَةِ هِيَ مَوْدَهُ قَرِيبِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَأَنْ هَذَا الْأَجْرُ نَفْعُهُ عَائِدٌ لِلْبَشَرِيَّةِ، وَأَنْ هَذِهِ الْمَوْدَةُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) هِيَ السَّبِيلُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ:

«فكانوا هم السبيل إليك والمسلك إلى رضوانك».

وَأَمَّا الْأَسَاسُ الرَّابِعُ: فَإِنَّهُمْ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ظَلَمُوا وَأَبْعَدُوا عَنِ الْحَقِّ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُمْ وَاضْطَهَدُوا، وَدَفَعُوا عَنْ مَرَاتِبِهِمُ الَّتِي رَتَّبَهُمُ اللَّهُ فِيهَا.

وَفِي الْحَقِيقَةِ أَنْ نَصَرْتَهُمْ هِيَ نَصْرُهُ لِلدِّينِ الْقَوِيمِ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ .

وَمِنْ ذَلِكَ نَرَى سِيرَةَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عَلَى حَثِّ الشُّعْرَاءِ، فِي عَصْرِهِ، كَحَسَانِ بْنِ ثَابِتٍ وَغَيْرِهِ فِي إِنْشَادِ الشُّعْرِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ). وَالْفَضَائِلُ الَّتِي أَنْزَلَهَا الْقُرْآنُ فِيهِمْ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ). وَلِأَجْلِ ذَلِكَ قَدْ وَرَدَ مُسْتَفِيضاً الْحَثُّ عَلَى إِنْشَادِ الشُّعْرِ فِيهِمْ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ).

- وقد روى الصدوق في عيون أخبار الرضا (عليه السلام). (المتضمنه للحث على إنشاد الشعر فيهم (عليهم السلام)).

- وقد عقد السيد البروجردى فى جامع أحاديث الشيعة، باباً فى استحباب انشاد الشعر فى الحسين (عليه السلام) وأهل البيت، وذكر فيه ثمان وعشرين رواية فى ج ١٢.

وعقد صاحب الوسائل باباً فى استحباب إنشاد الشعر فيهم (عليهم السلام) باب ١٠٤/ من أبواب المزار.

فتحصّل أن إسناد القول والكلام إلى الشخص بلحاظ واقع حاله لسان أصدق وأبين وأثبت من لسان المقال، وأن هذا الإسناد حقيقى سواء بلحاظ الفعل الصادر عنه على مستوى جوارح البدن أو على مستوى الجوانح. أو كان حالاً من الأحوال وسواء كان للبدن أو للنفس، وإن رجع الحال إلى كونه فعلاً صادراً منه بحسب النظر الدقيق الممعن، وأن هذا الإسناد ليس على نحو المجاز أو التوسّع شريطة أن يكون الحال حقيقياً.

التصوير:

أما ما ورد فى التصوير، فعده روايات:

١- فى مصححه أبى هارون المكفوف، قال: دخلت على أبى عبدالله (عليه السلام)، فقال لى: أنشدنى، فأنشدته، فقال (عليه السلام): لا، كما تنشدون، وكما ترثيه عند قبره. فقال: وأنشدته:

أمر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكيه

ص: ٣٩٥

قال: فلما بكى, أمسكتُ أنا. فقال: مُرّ.

فمررتُ. قال: ثم قال: زدنى, زدنى. فأنشدته:

يا مريم قومي فاندبى مولاك وعلى الحسين فاسعدى ببكائك

قال فبكى وتهايج النساء. الحديث (١).

- وتقريب الاستدلال, أن الشاعر والمنشد (الرادود) القارئ والملا قام بعملية تصوير فى كل من البيتين مشيراً للمشاعر والعواطف بنحو التصوير الذى يقوم به الشعراء, ففى البيت الأول, قام بتصوير شخص يخاطب آخر, ويأمره بالمرور على قبر الحسين (عليه السلام), وأيضاً صوّر الشاعر حوار وتخاطب بينه وبين العظام الزاكيات لسيد الشهداء (عليه السلام).

فقام بعملية حوار مفضل فى الأبيات الأخرى بين شخص الزائر وجثمان سيد الشهداء (عليه السلام).. وقد أقرّه الإمام (عليه السلام) على هذا التصوير, بقوله (عليه السلام): مُرّ. أى (أمض فى تصويرك وتابع بقيه المشهد التصويرى الذى أنشأته).

- وأما القصيدة الثانية التى مطلعها البيت الثانى.

فلا يخفى وجه التصوير فيه, حيث صوّر تعاطف وتعاون رجل وامرأته على الرثاء والبكاء على الحسين (عليه السلام) وأنهما أقاما مأتماً يتناشدان فيه مصاب سيد الشهداء (عليه السلام). فهنا نرى أن هذا التصوير زاد من حرقه بكاء نساء وحرّم الصادق (عليه السلام), وتهايجن بالبكاء. وأشعل مزيد من الحزن لديهن بصراخ, وقد

ص: ٣٩٤

١- (١) كامل الزيارات: باب ٣٣ ح ٥.

أقرّ الإمام (عليه السلام) المنشد (الرادود) على ذلك، وحثّه على هذا الطريق وحثّ غيره من المؤمنين (عليه السلام)، بذكر مدى الثواب العظيم لذلك.

٢- ما رواه الشيخ المفيد في المزار، والسيد ابن طاووس والشهيد الأول في مزاره، أنه إذا أردت زياره النبي (صلى الله عليه وآله) فيما عدا المدينة الطيبة، من البلدان، فاغتسل ومثّل بين يديك شبه القبر، واكتب عليه اسمه الشريف، ثم قف، وتوجّه بقلبك إليه، وقل:

«أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله...» (١).

٣- وروى المشهدى في المزار الكبير، بسنده الصحيح عن عبدالله بن سنان، عن الصادق (عليه السلام)، في حديث عن كيفية الزيارة لسيد الشهداء من البعد، وفيها: ... ثم تسلّم وتحول وجهك نحو قبر الحسين (عليه السلام)، ومضجعه، فتمثّل لنفسك مصرعه، ومن كان معه، وتلعن قاتليه، وتبرأ من أفعالهم، يرفع الله عز وجل لك بذلك في الجنة من الدرجات، ويحط عنك من السيئات (٢).

ويتحصّل من كلّ ما مرّ، استعراض تسعه وجوه وطرق للحكايه عن الواقع، تختلف عن حكايه الكلام الإخبارى بل هي طرق أخرى ترصد في الأصل مساحات من الحقيقه والواقع غير محسوسه بالبصر ولا مسموعه

ص: ٣٩٧

١- (١) الإقبال لابن طاووس / ط حجرية: ٦٠٤ - وفي بحار الأنوار ج ١٨٣: ٩٧ - باب ٣ / من أبواب زياره النبي (ص) من البعد.

٢- (٢) المزار الكبير للمشهدى / باب ١٢ / قسم ٤ / الزيارة السادسة / ص: ٤٧٣.

بالأذن، إلا- أنّ الواقع يعيشها، ويتعامل معها بتفاعل، فلا ينكشفها وإظهارها آليات، تغاير قالب وإطار الكلام والنطق باللسان. فلا يمكن حصر القنوات الرافعه للستار والكاشفه اللثام، والمزيله للغطاء عن الواقع، إلا بضميمه هذه الطرق والقنوات الأخرى، وما استعرضناه، ليس استقصاءً نهائياً لتلك الطرق، وإنما، ذكرنا جملة مهمه منها.. والأمر بعد يحتاج إلى المزيد من الاستقراء وإمعان من التحليل والتتبع.

ص: ٣٩٨

الفصل التاسع : تكامل روح المؤمن بأقصى الكمالات عند زيارته لقبر الحسين عليه السلام

اشاره

ص: ٣٩٩

تکامل روح المؤمن بأقصى الكمالات عند زيارته لقبر الحسين

- قد ورد في الروايات المستفيضه غايات وفوائد بالغه التأثير في مصير الإنسان ومساره وأن الزياره طريق أقصد لبلوغ أقصى درجات الكمالات, ومسافه أقرب للعروج إلى معالي الدرجات, وطى اسرع للعبور من عقبات كؤوده, فالزياره باب معراج للأولياء والصالحين .. ولنستعرض نبذه من تفاصيل مفاد الروايات الوارده: فقد روى في كامل الزيارات روايات مستفيضه:

١ - إن من أتى قبره (عليه السلام) كتبه الله في عليين.

٢ - بل في جملة من تلك الروايات المستفيضه, في أعلى عليين. وقد عقد لها باباً (١).

٣ - وفي جملة منها: كمن زار الله فوق عرشه.

٤ - ومصححه بشير الدهان عن أبي عبدالله (عليه السلام): فإذا أتاه نجاه الله (٢).

ص: ٤٠١

١- (١) كامل الزيارات: باب ٥٩.

٢- (٢) كامل الزيارات: باب ٢ / ٦٢.

٥ - وروى روايات مستفيضه أيضاً أن زائره (عليه السلام), يُناديه سيد الأنبياء, وأمير المؤمنين بالبشاره(١).

٦ - بل فى بعض الروايات: زاره فوق كرسية(٢).

٧ - وفى كامل الزيارات فى الصحيح إلى الحسن بن موسى الخشاب, عن بعض رجاله عن أبى عبدالله (عليه السلام), قال: إن زائر الحسين جعل ذنوبه جسراً على باب داره ثم عبرها, كما يُخلف أحدكم الجسر ورائه إذا عبره(٣).

٨ - وهذا المفاد قد ورد فى أثر الصلاة أنها كالنهر يغتسل الإنسان به من ذنوبه. وهو معنى ما ورد فى روايه أخرى فى معتبره بشير الدهان أن الرجل ليخرج إلى قبر الحسين (عليه السلام), فله إذا خرج من أهله بأول خطوه مغفره من ذنوبه(٤).

٩ - تقديس روح الزائر للحسين (عليه السلام), والمراد من التقديس التطهير وزياره النور, والذى يقوم بهذا التقديس هم الملائكه, يقومون به فى روح الزائر.

فقد ورد فى تتمه معتبره بشير الدهان عن أبى عبدالله (عليه السلام), بعد قوله:

ص: ٤٠٢

١- (١) كامل الزيارات: باب ٣/٦٢, باب ٣/٥٢.

٢- (٢) كامل الزيارات: باب ٣/٥٩.

٣- (٣) كامل الزيارات: باب ١/٦٢ ح ١. ورواه الصدوق فى الفقيه (ج ٣: ٣٤٧), وثواب الأعمال (١١٦).

٤- (٤) كامل الزيارات باب ٦٢ ح ٢.

مغفره من ذنوبه, ثم لم يزل يقْدَس بكل خطوه حتى يأتية, فإذا أتاه نجاه الله... (١)

والظاهر أن هذا التقديس, الذى هو التطهير من الذنوب, والنورانيه تهيئه لتصاعد روح الزائر ليبلغ مقام النجوى مع الله سبحانه.

وهذا هو مقام أعلى عليين. وكتابه روحه فى عليين عبارته عن بناء كمال ملكوتى فى روحه. من سنخ مقام العليين, فيحصل له ذلك العروج, وهذا نظير ما ورد, من أن «الصلاه معراج المؤمن» فإنه يطابق ما فى هذه الروايات المستفيضه الداله على خواص زياده الحسين (عليه السلام), وأنه يُكتب بأعلى عليين, أى عروج روحه إلى ذلك المقام, بل فى هذه الروايات زياده على ما فى الصلاه, حيث أن العروج لا يستلزم التمكين والاستقرار فى ذلك المقام العالى, بخلاف كتابه روحه فى أعلى عليين, التى تدلّ على التمكين والبناء الثابت فى ذلك المقام؛ فى كمالات طبقات روحه....

١٠- ونظيره, ما رواه فى كامل الزيارات (٢), فى المصحح عن الحارث بن المغيرة عن أبى عبدالله (عليه السلام) قال: إن لله ملائكه موكلين بقبر الحسين (عليه السلام)؛ فإذا همّ الرجل بزيارته أعطاهم الله ذنوبه, فإذا خطا مَحوها, ثم إذا خطا ضاعفوا حسناته, فما تزال حسناته تضاعف حتى توجب له الجنة...

ص: ٤٠٣

١- (١) (٢) التى مرت سابقاً فى رقم (٤)

٢- (٢) كامل الزيارات باب ٤٩ ح: ٣.

ثم اكتنفوه وقدّسوه, ويُنادون ملائكة السماء أن قدسوا زوّار حبيب حبيب الله, فإذا اغتسلوا ناداهم مُحمّد (صلى الله عليه وآله): يا وفد الله أبشروا(١).

كما مرّ تتمتها سابقاً.

ففى هذه المصححة, تصريح بأن التقديس هو تطهير من الذنوب, والطهارة الحاصلة من إبعاد الذنوب عن الزائر.

- وفى المصححة إشارة ظريفه أن الزائر, ما أن يهيمّ فى قلبه وعزمه على الزياره, حتى تقوم الملائكة الموكله بقبره (عليه السلام) بإبعاد ذنوبه عنه, وإن كان مكان الزائر فى أقصى الأرض, ثم إذا بدأ للحركة والخطوات, ففى أول خطوه تقوم الملائكة بمحو الذنوب, ولم تقتصر على إبعادها, ثم إذا خطا بقيه الخطوات يتبدّل تقديسهم إليه وتطهيرهم له, من محو الذنوب إلى إفاضه الحسنات. وهذا يشير إلى أن التقديس والتطهير لا ينحصر سنخه ونمطه فى الطهارة من رجس ولوث الذنوب وظلمتها, بل فى المراتب العليا من التطهير والتقديس تعلو على التنزيه إلى إفاضه نور جمال الحسنات.

ويزداد هذا التقديس والتطهير فى التكامل الجوهري لروح الزائر حتى توجب له الجنه.. وفى الإشاره إلى هذا التدرج فى طبقات الكمال فى الروايه, فائده معرفيه ظريفه, وهى أن الإثابه بكتابه الحسنات, التى هى عباره عن كتابه تكوينيه لكماله العامل بالحسنى, لا تستلزم فى تقررّها

ص: ٤٠٤

الوجودى التعلق بالجنة الأبدية، بل قد تكون جزاءً فى الدنيا أو فى البرزخ أو فى الرجعه، أو فى عرصات وعقبات القيامة، من دون أن يكون هناك ارتباط وجودى روحى بين ذات العامل بالحسنى ونشأه الجنة الأبدية، وعند تضاعف الحسنات يتصاعد كمال ذات وروح العامل بالحسنى حتى يرتقى مقام وجوده بالنشأ الجسمانيه للجنة الأبدية.

والظريفه الأخرى فى هذه المصححه، أنه لا يقف جزاء وثواب الزياره للزائر على هذا الحد، بل يبدأ عمل تقديس فوق ذلك وتطهر وتنوير بدرجات تفوق هذا المستوى، يقوم به الملائكه الموكِّلين بقبر الحسين (عليه السلام) وبمشاركه أيضاً من ملائكه السماء، الذين هم من طبقات عليا وذوى قدرات فائقه بلحاظ الطبقات العليا لروح الزائر، حتى يوصل رقى الزائر إلى درجه كمال النجوى والخطاب من النبى (صلى الله عليه و آله). ويزداد مقامهم فى الجنة إلى درجه رفته النبى (صلى الله عليه و آله).

وكذلك نجوى وخطاب أمير المؤمنين (عليه السلام).

١١- ومن هذا القبيل مما يشير إلى هذه الدرجه من التكامل للزائر بزيارته لسيد الشهداء (عليه السلام)، ما رواه ابن قولويه فى كامل الزيارات، محسنه صفوان الجمال، عن أبى عبدالله (عليه السلام) قال:

«من زار قبر الحسين (عليه السلام) وهو يريد الله (عزوجل)، وشيعة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، حتى يُرد إلى منزله»^(١).

ص: ٤٠٥

١- (١) كامل الزيارات: باب ٥٧ / ٤.

ولا يخفى أن هذا ارتباط روحى مع جبرائيل وميكائيل وإسرافيل.

بل فى جملة من الروايات المستفيضه أن من زار الحسين (عليه السلام) كمن زار الله فوق عرشه أو فوق كرسية.

١٢ - فى مصحح زيد الشحام قال: قلت لأبى عبدالله (عليه السلام): ما لمن زار قبر الحسين (عليه السلام)؛ قال: كان كمن زار الله فى عرشه, قال: قلت: ما لمن زار أحداً منكم, قال: كمن زار رسول الله (صلى الله عليه وآله) [\(١\)](#).

١٣ - وفى معتبره الحسين بن محمد القمى, قال: قال لى الرضا (عليه السلام):

«من زار قبر أبى ببغداد كان كمن زار رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام), إلما أن لرسول الله وأمير المؤمنين فضلها. قال: ثم قال لى: من زار أبى عبدالله (عليه السلام) بشط الفرات كان كمن زار الله فوق كرسية» [\(٢\)](#).

- ومثلها: معتبره بشير الدهان, وروايات أخرى.

١٤ - ونظير ذلك ما رواه ابن قولويه فى الصحيح إلى جويريه بن العلاء عن بعض أصحابنا قال:

«من سرّه أن ينظر إلى الله يوم القيامة, وتهون عليه سكره الموت وهول المطلع, فليكثر زياره الحسين (عليه السلام), فإن زياره الحسين (عليه السلام) زياره رسول الله (صلى الله عليه وآله)».

والمراد من النظر إلى الله سبحانه, هو النظر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله), فإنه

ص: ٤٠٦

١- (١) كامل الزيارات: باب ١/٩٥, باب ٤/٦٠.

٢- (٢) كامل الزيارات: باب ٧/٥٩ (١١/٥٩).

أعظم خليفه لله, إذ يتعالى الله عن الرؤيه الجسمانيه, أو المراد الرؤيه القلبيه إلى الله سبحانه.

١٥ - محسنه صفوان الجمال قال: قال لى أبو عبد الله (عليه السلام) لما أتى الحيره: هل لك فى قبر الحسين (عليه السلام). قلت: وتزوره جعلت فداك. قال: وكيف لا أزوره, والله يزوره فى كل ليله جمعه, يهبط مع الملائكه إليه والأنبياء والأوصياء, ومحمد (صلى الله عليه وآله) أفضل الأنبياء ونحن أفضل الأوصياء, فقال صفوان: جعلت فداك.

فتزوره كل جمعه حتى تُدرك زياره الرب, قال:

«نعم, يا صفوان إلزم ذلك يكتب لك زياره قبر الحسين (عليه السلام), وذلك تفضيل, وذلك تفضيل»(١).

ولا يخفى أن زياره الحسين (عليه السلام) وإدمانها كما يؤثر فى تكامل الروح, فإن تركها يؤثر عكساً فى النقص, والهبوط, كما أشار إلى ذلك مضمون روايات كثيره.. دلت على أنه موجب لنقص فى الأعمار والأرزاق. (كامل الزيارات: باب ٦١).

والتعبير فى الروايه, أن الرب تعالى يهبط ليله الجمعه مع الملائكه والأنبياء والأوصياء, هو نظير قوله تعالى: وَجَاءَ رُبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَيْفًا, ونظير ما ورد فى روايات الفريقين من هبوطه تعالى ليله الجمعه, فإنه ليس المراد تجسيمه تعالى والعياذ بالله, كما قد يتوهم من ألفاظ

ص: ٤٠٧

١- (١) كامل الزيارات: باب ٣٨ / ح ٤. باب / ٥٠: ح ٢, باب / ٥٢: ح ٢ - باب ٥٥: ح ٢.

الأحاديث الواردة من طرق العامه, بل المراد هو هبوط تجلياته تعالى نظير ما فى قوله تعالى: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا .

ونزول فيوضاته ورحمته الخاصه, ومن ثم تناغم مفاد هذا الحديث الشريف مع الأحاديث المتقدمه, من أنّ من زاره كمن زار الله فوق عرشه. أو فوق كرسيه, وأن الزائر له, يحظى بالنظر إليه يوم القيامة.

١٦ - ما ورد فى عده روايات أن زوار الحسين بن على (عليه السلام) يوم القيامة على موائد من نور.

وأن زوار الحسين (عليه السلام) يكونون تحت لوائه ويدخلون الجنة, وأنهم يختصون بالنظر إلى وجه الحسين (عليه السلام) قبل دخول الجنة(١).

- وفى روايه: تحت لواء رسول الله (صلى الله عليه و آله), الذى بيد على (عليه السلام)(٢).

- ومن الظاهر أن موائد النور هى غير موائد الطعام والغذاء والجسمانيه, بل هى إشاره إلى المعرفه.... كما يشير التعبير بالنظر إلى وجه الحسين. وكذا التعبير ب-: (تحت لوائه)(٣): فإن اللواء عمود فيض لكمالات من يأتى بصاحب اللواء كما عبر عن الإمامه وأمرها الملكوتى بلواء الرب.

وقد أُشير بذلك فى عده من الروايات أن زوار الحسين (عليه السلام) يزدادون

ص: ٤٠٨

١- (١) كامل الزيارات باب ١: ٥٦.

٢- (٢) كامل الزيارات باب ٥٥: ح ١.

٣- (٣) كامل الزيارات باب ٥٦: ح ٤.

١٧ - وفي معتبره الكاهلي عن أبي عبدالله (عليه السلام):

«من أراد أن يكون في كرامه الله يوم القيامة؛ وفي شفاعه مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله)، فليكن للحسين زائراً ينال من الله الفضل والكرامه، وحسن الثواب، ولا يُسأل عن ذنب عمله في حياه الدنيا، ولو كانت ذنوبه عدد رمل عالج وجبال تهامه وزبد البحر. إن الحسين (عليه السلام) قُتل مظلوماً مضطهداً نفسه، عطشاناً هو وأهل بيته وأصحابه» (٢).

وتفيد الروايه وصول الزائر الميّد من الزياره إلى كرامه خاصه في عالم القيامة. إذ يوم القيامة لا يُراد منه يوم ساعات، بل يُراد منه عالم، أعظم مده من عالم الدنيا. كما أنه ينال قرباً خاصاً من النبي (صلى الله عليه وآله) ويحظى بوجهه، بشمول شفاعه النبي (صلى الله عليه وآله) له.

- والحاصل من هذه الروايه والكثير من الروايات، أن الارتباط بسيد الشهداء (عليه السلام) وتوكيد الانتماء إليه يقطع الزائر عن كلّ انتماءات إلى الباطل، وعن كل ولايات لأهل الضلال، كان قد وقع في حبالها سابقاً، ومن الظاهر بحسب هذه الروايات المستفيضه في أبواب عديده عقدها ابن قولويه في كامل الزيارات وذكرها الصدوق في كتبه وغيرهما، أن هذا الثواب وإن ورد لزياره الحسين (عليه السلام) وإدمانها ولكن الظاهر عمومه للشعائر

ص: ٤٠٩

١- (١) كامل الزيارات باب ٥٦: ح ٣.

٢- (٢) كامل الزيارات باب ٦٢: ح ٦.

الحسينيه, نظراً للتعليل الوارد فيها المتكرر بكون الزيارة من أبرز أفراد التعلق بسيد الشهداء (عليه السلام) والارتباط به وذكره (عليه السلام).

١٨ - وقد روى ابن قولويه بطرق مستفيضه إلى سالم بن أبي خديجه (أبي سلمه) عن أبي عبدالله (صلى الله عليه وآله) قال:

«إن زيارة الحسين (عليه السلام) أفضل ما يكون من الأعمال»^(١).

١٩ - وفي معتبره عبد الملك بن حكيم الخثعمي, عن أبي عبدالله (عليه السلام) في ثواب زيارة الحسين (عليه السلام):

«... يمدّ الله في عمرك, ويزيد الله في رزقك, ويحييك الله سعيداً, ولا تموت إلّا سعيداً, ويكتبك سعيداً»^(٢).

- ولا يخفى أن السعادة أعظم من النجاه, ولم يقتصر أثر الزيارة على السعادة في الدنيا, ولا على مجرد السعادة في الموت, بل على سعادة أعظم, وهي كتابه روحه وذاته في مقام السعادة الأبدية, ولا يخفى التفاوت بين النجاه من النار, والفوز بالجنة. كما لا يخفى الفرق بينهما وبين مقام السعادة.

وأن مقام السعادة ينطبق على ما مرّ, من مقام العليين, أو أعلى عليين وبعبارة أخرى, فإن الارتباط بالحسين (عليه السلام) عبر الزيارة والشعائر يجعل الموالى من خواص محمد وآل محمد, وهو أعظم مقام يصل إليه أهل التقوى واليقين.

ص: ٤١٠

١- (١) كامل الزيارات/ باب ٥٨. (ورواه الصدوق ثواب الأعمال والفقيه).

٢- (٢) باب ٦١/ ح ٦.

٢٠- وفي صحيح محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام)، في ثواب زياره الحسين (عليه السلام):

«كتب الله له ألف حجه متقبله، وألف عمره مبروره، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقه مقبوله، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظاً سنته من كل آفة أهونها الشيطان، ووكل به ملك كريم، يحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه، فإن مات سنته حضرته ملائكة الرحمن، يحضرون غسله وأكفانه، والاستغفار له، ويشيعونه إلى قبره، بالاستغفار له، ويُفسح له في قبره مدّ بصره؛ ويؤمنه الله من ضغطه القبر، ومن منكر ونكير أن يروعانه، ويُفتح له باب إلى الجنة، ويُعطى كتابه بيمينه، ويُعطى له يوم القيامة نوراً يضيء لنوره ما بين المشرق والمغرب، وينادى منادى هذا من زوار الحسين، شوقاً إليه، فلا يبقى أحدٌ يوم القيامة، إلّا تمنى يومئذ أنه من زوار الحسين» (١).

- ويلاحظ في مفاد هذه الروايه عدة نقاط:

الأولى: تضمن زياره الحسين لجملة الكمالات والآثار الدينيه والدينيويه والآخرويه المودعه في حج بيت الله الحرام؛ وقد استفاضت أو تواترت مضامين الروايات في ذلك، مع أنه قد وصف الحج في الروايات عنهم (عليهم السلام)، أن الحج هو الشريعه، أي أنه متضمن لجملة أبواب الشريعه، بل بينات الروايات

ص: ٤١١

١- (١) كامل الزيارات / باب ٥٦ / ح ٣.

أن في الزيارة أضعاف إلى ألف ضعف, ولعلّ هذه الأضعاف, نظير تضاعف العمل في ليله القدر, نظراً لارتباط ليله القدر بإمامه أهل البيت (عليهم السلام), وقد ورد بيان هذه الخاصية من تضاعف العمل ألف ضعف في معتبره هشام بن سالم عن أبي عبدالله (عليه السلام), في حديث طويل: قال: فما لمن أقام عنده (عند الحسين)؛ قال:

«كل يوم بألف شهر؛ قال: فما للمنفق في خروجه إليه, والمنفق عنده, قال: درهم بألف درهم» (١).

ولا يخفى, أن لسان هذه الروايات المستفيضه, يؤشّر لكون مرقد الشريف, مشعراً إلهياً يُحج إليه؛ وأنه زيّاره لبيت أعظم لله تعالى, كما هو مطابق مفاد قوله تعالى:

فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُزْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ - أَي تَعْظُم, وَتَقْدَس.

الثانية: أن آثار وجزاء زيارته (عليه السلام) تحصل للزائر بعداً من عالم الدنيا, وحياته فيها, وتمتد إلى الموت والقبر, وتتواصل إلى القيامة حتى ينتهي به إلى الجنة, وهذا من الخواص المتميزة لزيارته (عليه السلام), كما أنه يزداد له من أعظم أنواع الجزاء وهو النور.

الثالثة: أن في زيارته (عليه السلام) ليس خصوص الحج فقط, بل خصائص باب الجهاد كذلك وجزاؤه, وكذلك خصائص باب الزكاه, وخصائص باب الصوم..

ص: ٤١٢

- أما انضمام خصائص باب الجهاد, فالوجه فيه واضح, لما تتميز به.

وهناك طائفة من الروايات داله على أن زيارته (عليه السلام) تعدل حجه مع رسول الله (صلى الله عليه و آله)، كما روى بطرق مستفيضه عاليه الإسناد، عن الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله وأبي جعفر (عليه السلام)، أن زياره قبر الحسين (عليه السلام) تعدل حجه مبروره مع رسول الله (صلى الله عليه و آله)(١).

من معانى زياره الله فوق العرش و الكرسي:

ومقتضى هذا البيان، أن زائر الحسين (عليه السلام)، وافد إلى الله سبحانه بصحبه رسول الله (صلى الله عليه و آله). وفى هذا من الإشاره البالغه المقاربه فى المعنى لما تقدم من أن زائر الحسين (عليه السلام)، يزور الله من فوق عرشه، و كرسيه.

وورد فى الأحاديث المرقمه ١١، ١٢، ١٣ أن صفه من صفات زياره الحسين (عليه السلام) هى زياره الله وبكونها فوق عرشه أو فوق كرسيه، إشاره بالغه فى كون هذه الزياره تختلف عن زياره بيت الله الحرام، التى هى وفود على الله، لكن فى بيته الحرام على الأرض، و حجاج بيته الحرام، وورد فى روايات الفريقين أنهم وفد الله، و حضّاره فى بيته على الأرض إذ الزياره حضور الزائر عند المزور - لكن هذا الحضور درجات، بعد بداهه عدم جسمانيه الله سبحانه و تعالى. وأنه تعالى منزّه عن شغل الحيز و المكان، فالوفود عليه تعالى بمعنى القرب المعنوى، و النورى و القلبى، وهو فى زياره الحسين (عليه السلام) يبلغ

ص: ٤١٣

غايه العروج وهو المعبر عنه فوق عرشه. أو فوق كرسيه، فيكون إشاره إلى العروج التام، والقرب البالغ. وفي هذا المضممار عده روايات تشير إلى هذه الخصوصيه من الكمال الخاص:

١- ففي مصحح يونس عن الرضا (عليه السلام)، قال:

«من زار قبر الحسين (عليه السلام)، فقد حج واعتمر؛ قال: يطرح عنه حجه الإسلام، قال: لا؛ هي حجه الضعيف حتى يقوى، ويحج إلى بيت الله الحرام؛ أما علمت أن البيت يطوف به كل يوم سبعون ألف ملك حتى إذا أدركهم الليل سعدوا، ونزل غيرهم فطافوا بالبيت حتى الصباح. وإن الحسين (عليه السلام) لأكرم على الله من البيت، وإنه في وقت كل صلاه، لينزل عليه سبعون ألف ملك شعث غبر، لا تقع عليهم النوبه إلى يوم القيامة» (١) ..

- وفي الروايه إشاره إلى أن التوجه إلى الله بسيد الشهداء (عليه السلام) أعظم من التوجه إلى الله بالبيت الحرام. كيف وقد قال الله تعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام) أن الغايه من حج بيت الله الحرام، هو التوجه إلى الذريه المصطفاه من نسل إبراهيم من إسماعيل، حيث قال تعالى: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ۚ.

ص: ٤١٤

١- (١) كامل الزيارات: باب ٦/٤٥.

فجعل الغايه من الإقامه عند البيت الحرام وإقامه الصلاه والحج هى أن تهوى القلوب إلى ذريه إبراهيم، من نسل إسماعيل والتي دعا الله تعالى أن تكون الإمامه فيهم، فى قوله تعالى: قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ - وهم محل دعوه إبراهيم وإسماعيل فى قوله تعالى: رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ... رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا - مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ .. ١ إلى قوله تعالى: وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيًّا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ٢.

فإن درجه الإسلام التى دعا بها إبراهيم لهذه الذريه، هى الدرجه من الإسلام والتسليم التى دعا بها لنفسه وابنه إسماعيل مع أنهما قد حصلت لهما النبوه والرساله، وتلك الدرجه هى درجه الاصطفاء. وأن الرسول منهم، وجعلهم الله شهداء على الناس، أى شهداء على أعمال الناس، وهذا هو مقام الإمامه المنسوب من الله سبحانه، لا يخفى عليه من رعيته عمل، وقد نقل السهمودى فى مقدمه كتاب وفاء الوفاء إجماع المسلمين، بأن تراب قبر الرسول (صلى الله عليه و آله) أعظم حرمة من الكعبه البيت الحرام.

- ولمزيد من البسط في هذا الأمر، يراجع كتاب الإمامه الإلهيه (١) ومن ذلك يظهر مفاد قوله (عليه السلام): إن الحسين لأكرم على الله من البيت.

- ومن ثم ورد في ثواب زياره الحسين (عليه السلام) عده ألسن تبين مضاعفه ثواب زياره الحسين وأعظميته على ثواب التوجه إلى بيت الله الحرام، نظير أنه ذكر الله أعظم من الصلاة في قوله تعالى: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ ۲.

ولقد جعل الله آدم قبله لسجود الملائكه، إذ قال تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فِي سَبْعِ سُورٍ، فالسجود هو لله تعالى، وآدم كان قبله لهم.. وهو أعظم في التوجه إلى الله من الكعبه والبيت المعمور، وإذا أطلق على الكعبه عنوان بيت الله الحرام، فقد أطلق على الإمام من قبل الله عنوان أعظم من ذلك وهو عنوان، خليفه الله، والخليفه أعظم من البيت وأين هذا من ذاك؟..

٢- ومن ثم وردت ألسن عديده في ثواب زيارته بدءاً من أنها تعدل عمره، وفي لسان آخر، عمره وحجه، وثالث، حجتيه وعمره، ورابع، عشره حجج وعشره عمرات.. وخامس، ثمانين حجه مبروره، وسادس، حجه مقبوله زاكيه مع رسول الله.. وسابع، عشرين حجه، وثامن واحد

ص: ٤١٦

-وهناك لسان تاسع: أفضل من واحد وعشرين حجه.

ولسان عاشر: ثلاثين حجه مبروره مع رسول الله (صلى الله عليه و آله).

وفى ألسن آخر: حجه، وحجتين، وثلاثة وعشره حجج وعشرين حجه، وثلاثين حجه وخمسين حجه، ومائه حجه كلها مع رسول الله (صلى الله عليه و آله).

-وفى لسان آخر: ألف حجه وألف عمره(1).

مقارنه بين زياره خليفه الله، و زياره بيت الله:

قد ورد فى زياره الحسين (عليه السلام) أنها بمثابة الوفود على الله عَزَّ وَجَلَّ، وذكرت الروايه خواص هذا الوفود بدرجه لا تقاس بزياره بيت الله الحرام، أن زياره بين الله الحرام هو وفود على الله، وإن كان بيت الله الحرام مخلوق من المخلوقات، والإمام الحسين (عليه السلام)، أيضاً مخلوق من مخلوقات الله سبحانه، لكن أين مقام الحسين (عليه السلام) من مقام البيت الحرام.

٣- الصحيح الأعلاني، لعبد الله بن مسكان، قال، قال أبو عبدالله (عليه السلام) إن الله تبارك وتعالى يتجلى لزوار قبر الحسين، قبل أهل عرفات، ويقضى حوائجهم، ويغفر ذنوبهم، ويشفعهم فى مسائلهم، ثم يُثنى بأهل عرفات، فيفعل بهم

ص: ٤١٧

- وفي مصباح المتهجد، قال الشيخ الطوسي، وروى على بن أسباط عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله (عليه السلام)، قال: إن الله عَزَّ وَجَلَّ يبدأ بالنظر إلى زوار قبر الحسين (عليه السلام)، عشية عرفه، قبل أهل عرفات. قال: قلت: قبل نظره إلى أهل الموقف؟ قال: نعم. قلت: وكيف ذاك؟ قال: لأن في أولئك أولاد زنا، وليس في هؤلاء أولاد زنا. -

وروى الرواية باللفظ السابق عن عبد الله بن مسكان. وطريق الشيخ إلى عبدالله بن مسكان صحيح.. - كما أن أحد طرق الشيخ إلى على بن أسباط معتبر، والرواية كالمسندة لأن على بن أسباط أسندها إلى بعض مشايخه في الرواية.

٤- وروى الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: من زار الحسين بن علي (عليه السلام) يوم عرفات، كتب الله له ألف ألف حجه مع القائم، وألف ألف عمره مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعتق ألف ألف نسمة، وحملاًن ألف ألف فرس في سبيل الله.

وسمّاه الله، عبدى الصديق، آمن بوعدى.. وقالت الملائكة، فلان صديق

ص: ٤١٨

١- (١) كامل الزيارة: باب ١/٦٨. ثواب الأعمال للصدوق بطريق صحيح/ باب ثواب من زار قبر الحسين: ١١٦ - ومصباح المتهجد: ٤٩٧.

زكاه الله من فوق عرشه، وسُمِّي في الأرض كزويياً^(١).

- وطريق الشيخ إلى يونس بن ظبيان صحيح.

٥- وروى الشيخ فى المصباح عن عمر بن الحسن العرزمى، عن أبى عبد الله (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: إذا كان يوم عرفه، نظر الله تعالى إلى زوار قبر الحسين بن على (عليه السلام)، فقال: ارجعوا مغفوراً لكم، ولا- يكتب على أحدٍ منهم ذنباً من يوم ينصرف^(٢).

٦- وروى الشيخ بسنده عن بشير الدهان، عن رفاعه النخاس، قال: دخلت على أبى عبد الله، فقال لى يا رفاعه، أما حججت العام؟ قال: قلت: جعلت فداك ما كان عندى ما أحج به، ولكنى عزفت عند قبر الحسين بن على (عليه السلام)، فقال لى:

«يا رفاعه، ما قصرت عمّا كان أهل منى فيه، لولا أنى أخشى أن يدع الناس الحج لحدثتك بحديث، لا تدع زياره قبر الحسين (عليه السلام) أبداً، ثم نكت الأرض وسكت طويلاً، ثم قال: أخبرنى أبى قال: من خرج إلى قبر الحسين (عليه السلام) عارفاً بحقه غير متكبرٍ صحبه ألف ملك عن يمينه وألف ملك عن يساره، وكُتب له ألف حجه وألف عمره، مع نبى أو وصى نبى^(٣)».

ص: ٤١٩

١- (١) مصباح المتهدج: فى باب أعمال ذى الحجه.

٢- (٢) نفس المصدر السابق.

٣- (٣) مصباح المتهدج: باب أعمال ذى الحجه.

٧- فى نهج البلاغه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) فى خطبه له، فى بيان فضل الحج:

«... إلى أن قال (عليه السلام): ووقفوا موقف أنبيائه، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يُحرزون الأرباح فى متجر عبادته...»(١).

٨- فى مصباح الشريعه، عن الإمام الصادق (عليه السلام) فى بيان الحج: ... إلى أن قال:

«وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش، كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت»(٢).

- ويظهر من هاتين الروايتين أن الطائف بالكعبه الشريفه يتشبه بطواف الملائكه المطيفين بالعرش؛ ولا يُعدّ الطواف حول الكعبه طوافاً بالعرش، بل هو لأجل التشبه به، فلا يُعدّ الطواف بالكعبه، فى مرتبه الطواف بالعرش، وهذا بخلاف زياره الحسين (عليه السلام) فى قبره؛ فإنه يُعدّ بتلك المرتبه وهى زياره الله فوق عرشه، وكرسیه، بل إن دققنا وأمعنا النظر هى أعظم من طواف الملائكه حول العرش؛ بل هى من الحضور عند الرّب فوق العرش.

ص: ٤٢٠

١- (١) وسائل الشيعه ج ١٥: ١١/ باب وجوب الحج على كل مكلف مستطيع.

٢- (٢) بحار الأنوار ١٢٤/٩٦، عن مصباح الشريعه: ١٦.

الفصل العاشر : قاعده: عماره مراقداً الأئمه عليهم السلام فريضة شرعية هامه

اشاره

ص: ٤٢١

عمارہ مراقد الأئمة عليهم السلام فريضه شرعيه هامه

- هناك بقاع مقدسه مباركه، تُعظّم ويتقرّب فيها إلى الله سبحانه وتعالى.. وقد قال عزّ وجلّ: فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُزْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۗ۱.

ففي هذا البحث نحاول إثبات أن عماره قبور النبي (صلى الله عليه و آله) وقبور عترته، هي من أركان ومعالَم الدين، باعتبارها مشاعر إلهيه.

وتمهيداً نذكر النقاط التاليه:

النقطه الأولى: إن ما يُقرّر من وجوب عماره المسجد الحرام - ومكه المكرمه على مدار السنه وما بقى الدين, كما ورد بذلك الآيات والروايات وضروره الدين - , فإنه يقرّر كذلك في عماره قبر النبي (صلى الله عليه و آله), وقبور الأئمه (عليهم السلام) سواء في البقيع أم في العراق أم في خراسان.

النقطه الثانيه: كما أن فريضه عماره المسجد الحرام تشتمل على جمله

ص: ٤٢٣

من الواجبات وفصول من الوظائف، نظير عماره مدينه مكه لاستقبال الحجيج والزائرين على مدار السنه من دون اختصاص ذلك بموسم الحج، الذى يستمر ثلاثه أشهر، إذ موسم العُمرة لا يُحدّد بحدّ، بل هو ممتد على مدار السنه؛ كذلك الحال فى قبر النبى (صلى الله عليه وآله) والمدينه المنوره وقبر أمير المؤمنين (عليه السلام) فى مدينه النجف الأشرف والكوفه، وبقية قبور الأئمه (عليهم السلام) والمدن الواقعه فيها، عماره لتلك المدن ولتلك المراقده والقيام بتسهيل السبيل للزياره وبقية الشعائر والطقوس التى تقام فيها، على مدار السنه فضلاً عن المواسم الخاصه.

أدله القاعده:

اشاره

ولتقريب هذه القاعده: أولاً نستعرض الأدله الوارده بشأن مكه المكرمه والمدينه المنوره على هذه الفريضة الكبيره .

أما الآيات:

اشاره

الآيه الأولى: قوله تعالى: **أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ١.

ومفاد الآيه يقرّر فريضه عماره المسجد الحرام، ورعايه الحاج فى تمام شؤون الرعايه، وإن كانت فى صدد أعظميه فريضه الإيمان والجهاد على فريضه العماره والرعايه..

والآية الكريمة توجز هذه الفريضة في شعبتين هامتين:

الأولى: عماره المسجد الحرام.

الثانية: رعايه خدمات الحاج وخدمه الزائر لبيت الله الحرام وهذان عمودان أساسيان في هذه الفريضة.

الآية الثانية: قوله تعالى: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ١.

وهاتان الآيتان تدلان على جملة من الوظائف في هذه القاعده والفريضة.

١ - جعل البيت الحرام مثابه للناس أى مكاناً يُقصد ويؤتى ويؤم, ويشد الرحال إليه وهذا نمط من عمارته وإحيائه باستمرار وفود الناس إليه.

٢ - توفير الأمن فيه وكونه أمان ومأمن لجميع الناس من دون استثناء لحرمة الاستجاره بالحرم.

٣ - اتخاذه مقام ومحل عباده وصلاه.

٤ - القيام بتطهيره ونظافته وتهيئته للزياره والمكث فيه والصلاه.

ص: ٤٢٥

٥ - بناء عمارته, وتشيدته.

وهذه الخمسه من الواجبات تفصيل للواجبين الذين مرّوا في الآيه السابقه.

الآيه الثالثه: قوله تعالى: رَبَّنَا إِنِّي أَسِيكُنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ١.

وهذه الآيه تبيّن أن من الأمور وأشكال الأعمال المفترضة في فريضه عماره المسجد الحرام ورعايه الحجيج.

٦ - هو القيام بإسكان المجاورين والمقيمين لاسيما الصالحين.

٧ - إنشاء عمران المدينه السكنيه لأن ذلك يوطأ ويمهد لرعايه الزائرين والحجاج.

٨ - إضافه إلى إقامه الصلاه فإنها من مقومات عماره المسجد الحرام.

٩ - تسهيل مجيء الزائرين.

١٠ - توفير تموين الطعام للمجاورين والزائرين فيحصل بذلك عماره البلد.

الآيه الرابعه: قوله تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ

ص: ٤٢٦

وتفيد الآيه الكريمه.

١١ - تشعير البيت الحرام من قبل رب العالمين سبحانه وتعالى كموطن عباده أبدى.

١٢- ومركز نبراس للهدايه ويندرج فى ذلك مطلق الأنشطة التعليميه والتربويه الثقيفيه والدينيه.

الآيه الخامسه: وقوله تعالى: جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ٢ ومفادها، نظير ما تقدم من الآيات فى مشعريه البيت الحرام، وإنه مركز لتوافد الناس عليه، وكونه قائماً ومعموراً بذلك إلى يوم القيامه...

الآيه السادسه: وقوله تعالى: وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَا لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ٣.

(العاكف)، هو الساكن المقيم بمكه والبادى هو الزائر الوارد.

١٣ - ومفاد هذه الآيه الكريمه استحقاق جميع الناس من المسلمين زياره البيت الحرام والوفود إليه والإقامه فيه، وأن هذا الاستحقاق متساوى فيه

ويعزّز هذا الحكم، بحرمه الصّدّ عنه، وقد استدل جملة من الفقهاء بهذه الآية على حرمة تملك أراضى مكة وحرمة إجارتها لاستواء استحقاق الناس لها بمقتضى الآية، وأنه لا ينبغي أن يُمنع الحاج شيئاً من دور مكة ومنازلها(١).

وفى الرواية عن الصادق (عليه السلام): فقال: فكانت مكة ليس على شىء منها باب، وكان أول من علّق على بابها المصراعين معاوية بن أبى سفيان وليس ينبغي لأحدٍ أن يمنع الحاج شيئاً من الدور ومنازلها(٢).

- وحكى فى المختلف (العلامة الحلّى) عن كتاب الجمل للسيد المرتضى، المنع من التقصير (ووجوب الإتمام تعييناً) فى الصلاة فى مكة المكرمة، ومسجد النبى (صلى الله عليه و آله) ومشاهد الأئمة (عليهم السلام) القائمين مقامه، وكذا حكى عن ابن الجنيد أنه قال: والمسجد الحرام لا تقصير فيه على أحد لأن الله (عزّوجل) جعله سواء العاكف فيه والبادى.

واستدلّ فى منتهى المطلب، لاستواء استحقاق الناس فى مطلق المساجد،

ص: ٤٢٨

-
- ١- (١) الخلاف للشيخ الطوسى ج ١٨٩: ٣/ مسألة ٣١٣؛ المبسوط ج ٣٨٤: ١/ فصل فى الزيارات من فقه الحج، ج ١٦٧: ٢/ باب ما يصح بيعه وما لا يصح؛ النهاية للشيخ الطوسى: ٢٨٤/ باب آخر من فقه الحج؛ المهذب لابن براج، ج ٢٧٣: ١/ فى أحكام الحرم؛ السرائر لابن إدريس ج ٦٤٤: ١؛ تذكره الفقهاء ج ٤٤٢: ٨- ج ٣٩: ١٠؛ المختلف ج ٣٦٧: ٤- ج ٦٠: ٥.
- ٢- (٢) التهذيب ج ٤٢٠: ٥/ ح ١ ص ١٤٥٧.

وإن اعتاد أحدهم الجلوس في موضع خاص استدلالاً بالآية الكريمة(١). ويظهر من المسالك أن هذا الاستدلال اعتمده الكثير من الأصحاب(٢).

معنى الإلحاد في الآيه الشريفه:

وفي زبده البيان للأردبيلي حكى، أن الإلحاد في الحرم منع الناس من عمارته وقيل الاحتكار..

- ويتبين معنى الإلحاد من هذه الروايه، ففي صحيح الحلبي قال سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله (عزّوجل) وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بُظْلًا فَمِمَّا نُذِقُهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ فقال (عليه السلام): كل الظلم فيه إلحادٌ، حتى لو ضربت خادمك ظلماً خشيت أن يكون إلحاداً. فلذلك كان الفقهاء يكرهون سكنى مكه(٣).

- وذكر في التذكرة أن الخلاف في جواز بيع دور مكه وعدمه في غير مواضع النسك، أما بقاع المناسك كبقاع السعي والرمي وغيرها فحكمها حكم المساجد.

- وعلى أى تقدير فالذى ذهب إلى كراهه أخذ الأجره للسكن في مكه، وبيع الأبنيه، لم ينفى استحقاق الزائر الوارد السكنى في مكه ولو بأجره، وإنما نفى وجوب ذلك مجاناً، أما أصل الاستحقاق فمحل تسالم بينهم، ومن ثم استدلوا بالآيه الكريمة إلى عموم استحقاق المسلمين سوايه في المساجد لمن

ص: ٤٢٩

١- (١) (المنتهى: باب صلاه الجمعة).

٢- (٢) (مسالك ج ٤٣٥: ١٢).

٣- (٣) التهذيب ج ٤٢٠: ٥.

سبق منهم إلى ما لم يسبقه غيره.. ولا- يخفى عدم اختصاص هذا الحكم بمكة، بل يعم المدينة المنوره والنجف وكربلاء والكاظميه وسامراء وطوس من مرآقد المعصومين (عليهم السلام) التي شُعبت مشاعر، وأفتُرض عمارتها بالزياره كما سيأتى بيانه. فهى بحكم المساجد بل أعظم لأنها مشاعر، وبمثابه المسجد الحرام حرمه.

أحكام المسجد الحرام والعتبات المقدسه:

ويتحصل من مجموع الآيات الشريفه جمله من الأحكام العامه للمسجد الحرام ومكه المكرمه، ومسجد النبى والمدينه المنوره وبقية مدن مرآقد الأئمه (عليهم السلام) المشرفه:

- ١ - كون عماره المسجد الحرام ورعايه الحاج فى تمام شؤون الرعايه فريضه إلهيه - وتشمل شؤون الرعايه الخدمات المختلفه.
- ٢ - إن من وظائف وآليات عماره المسجد الحرام تسهيل جعل البيت الحرام مكاناً يُقصد ويُزار وتسهيل السفر إليه من أجل استمرار وفود الزوار والحجاج إليه.
- ٣ - ومن وظائف عماره المسجد الحرام توفير الحاله الأمنيه والاستقرار لجميع الناس، سواء المجاور أو الوافد.
- ٤ - اتخاذه محل ومقام عباده وصلاته، لإقامه الصلاه فيه.
- ٥ - القيام بتطهيره ونظافته وتهيئته للزياره والمكث والصلاه فيه.

٦ - بناء عمارته وتشيد بنيانه.

٧ - إسكان الناس لاسيما أهل الصلاح كمجاورين ومقيمين وإنشاء عمران السكنى فى مكه المكرمه مما يّمهد لرعايه الزائرين والمجاورين.

٨ - توفير الطعام والغذاء للمجاورين والزائرين.

٩ - تشعير البيت الحرام من قبل الله سبحانه, كمشعر إلهى, وكموطن عبادى, ونبراس للهدايه أبدى.

١٠ - جعله وإقامته كمركز لأنشطه التعليم والثقافه الدينيه والإسلاميه.

١١ - استحقاق جميع الناس من المسلمين زياره البيت الحرام والوفود إليه والإقامه فيه بنحو متساوٍ بين المجاور والآفاقى.

١٢ - حرمة الصدّ عنه, وحرمة الصد عن السفر والوفود إليه..

وقد فرع بعض الفقهاء على ذلك جملة من الأحكام حول إعمار مكه والسكن فيها.

عموميه هذه الأحكام لكل مساجد المراقده:

ولا- يخفى أن جملة هذه الأحكام غير مخصوصه بمكه المكرمه والمسجد الحرام, بل تعم المدينه المنوره والمسجد النبوى الشريف والنجف الأشرف وكربلاء المقدسه, وبقية مرقده الأئمه الطاهرين (عليهم السلام) فى الكاظميه ومشهد وسامراء.

ص: ٤٣١

١ - كما تعدى الفقهاء فى استواء الناس فى مطلق المساجد من قوله تعالى: سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَأَنْ هَذَا حَكْمًا عَامًّا لِكُلِّ الْمَسَاجِدِ لِأَسِيْمَا مَا شَعَّرَ مِنْهَا كَمَشْعَرِ إِبْرَاهِيمَ عَلَى حُدُودِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

٢ - بعد ظهور هذه الآيات فى ترتب هذه الأحكام على المسجد الحرام بما هو مسجد كطبيعته عامه, غاية الأمر: أشدّيه هذه الأحكام فى المسجد الحرام.

٣ - مضافاً إلى ورود جملة من هذه الأحكام فى عموم المسجد, يكون شاهداً آخر على ذلك.

٤ - عموم التعليل الوارد فى تلك الآيات, كقوله تعالى: فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ، وقوله تعالى: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضِيًّا، حيث يظهر منها أن إضافته المقام لإبراهيم هو منشأ الأمر بالعبادة فى ذلك الموضع, وتعظيم ثوابه, وتعظيم ذلك المقام وتقديسه, وأنه بسبب شرافته المكان وإضافته لنبى الله إبراهيم (عليه السلام) تأهل ليكون مكاناً ومحلاً يُتَقَرَّبُ فِيهِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وَأَمَّا الرِّوَايَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى هَذِهِ الْقَاعِدَةِ:

إِشَارَةٌ

١ - فى صحيح عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال:

«لَوْ عَطَّلَ النَّاسُ الْحَجَّ لَوَجِبَ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يُجْبِرَهُمْ عَلَى الْحَجِّ إِنْ

ص: ٤٣٢

شأؤوا وإن أبوا، فإن هذا البيت إنما وضع للحج»(١).

٢ - وفي صحيح الفضلاء, عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال:

«لو أن الناس تركوا الحج لكان على الوالى أن يجبرهم على ذلك أو على المقام عنده, ولو تركوا زياره النبى لكان على الوالى أن يجبرهم على ذلك, أو على المقام عنده, فإن لم يكن لهم أموال أنفق عليهم من بيت مال المسلمين»(٢).

ومفاد هذين الحديثين:

١ - فريضه عماره بيت الله الحرام الحاصله عن طريق عباده الحج وكذلك فريضه عماره قبر النبى (صلى الله عليه و آله) ومسجده الحاصله بزياره النبى (صلى الله عليه و آله).

٢ - وأن هذه الفريضه ليست موكوله إلى المكلفين واختيارهم فحسب, بل اللازم على الوالى إجبارهم على ذلك لو امتنعوا.

٣ - يجب على الوالى أن يمدّهم بالمؤونه المالىه من بيت المال فيما إذا عجزوا عن ذلك.

٤ - يجب على عموم المسلمين الإقامه فى مكه المكرمه وجوباً كفايئاً وكذلك الحال فى المدينه المنوره, وأن عماره المدينتين فريضه تتأدى بالإقامه والعمران فيها.

ص: ٤٣٣

١- (١) وسائل الشيعه: أبواب وجوب الحج/ ب٥/ ح١.

٢- (٢) وسائل الشيعه: أبواب وجوب الحج/ ب٥/ ح٢.

٥ - أن هذه الفريضة ليست فريضة كفائية على المسلمين فحسب بل هي وظيفة من وظائف الدولة والنظام الإسلامى كما هو الحال فى إحجاج الناس لبيت الله الحرام, وتشيد زياره النبى (صلى الله عليه وآله).

٦ - أن هذا الواجب يتعين على الدولة الإسلاميه إقامته, وكوظيفه ماليه.

٧ - صحيحه عبدالله بن سنان, عند الصادق (عليه السلام): «إن لله (عزوجل) حرمت ثلاثاً ليس كمثلهن شىء: كتابه وهو حكمته ونوره؛ وبيته الذى جعله قبله للناس لا يقبل من أحد توجهاً إلى غيره, وعتره نبيكم» (١).

ومفاد هذه الصحيحه أن الحفاظ على الكتاب العزيز, والحفاظ على المسجد الحرام بعمارته وغيرها, والحفاظ على العتره كما هو حاصل بعماره قبورهم ومراقدهم الشريفه, هى من أعظم الفرائض, وأعظم أسس الدين وبقائه, وبذلك يتبين تعاضم وأساسيه هذه الفريضة فى صرح الدين.

أدله فريضة عماره مرقد النبى (صلى الله عليه وآله) و أهل بيته:

- مضافاً لما تقدم من الأدله فى عماره المسجد الحرام من الآيات والروايات, نستعرض جملة من الآيات والروايات الأخرى الخاصه بذلك, أما الآيات:

١ - قوله تعالى: اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاهِ

ص: ٤٣٤

١- (١) معانى الأخبار: ١١٧.

فِيهَا مِصْبَاحُ الْمِصْبَاحِ فِي زُجَاجِهِ الزُّجَاجُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرِهِ مُبَارَكِهِ زَيْتُونِهِ لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضَيِّئُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُوِّرَ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * فِي بُيُوتِ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُزْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ١.

وقد بسطنا القول في بيان هذه الآية أنها وارده في الخمسة أصحاب الكساء, والتسعة من ذرية الحسين (عليه السلام), في كتاب الإمامة الإلهية(1), وكتاب عماره قبور النبي وأهل بيته.

حَيْثُ أَنَّ بِيوتَهُمْ وَمِرَاقِدَهُمْ بِنَصِّ هَذِهِ الْآيَةِ قَدْ جُعِلَتْ مِنْ قَبْلِهِ تَعَالَى مُشْعَرًا إِلَهِيًّا, وَفَرَضَ تَعَالَى أَنْ تَعْظُمَ وَتُرْفَعَ, وَأَنْ تُجْعَلَ مَوَاطِنَ لِلْعِبَادَةِ وَلِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

وقد أشارت الآية أن العماره ليست بالبناء وال عمران فحسب بل بالزياره والتواضع وإقامه العباده لله تعالى فيها, فالإذن هنا بمعنى الأمر, والرفع أن تعظم وتجلل وتقدس, ولا يخفى أنه من هذا المفاد يستفاد جملة النقاط الاثنى عشره المستخلصه من الآيات والست نقاط من الروايات في

ص: ٤٣٥

٢ - قوله تعالى: وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذِ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ١.

وذكر القرآن الكريم لهذه الواقعة تقرير للمؤمنين الذين كانت لهم الغلبة بقريته ذكر اتخاذ المسجد, تقرير منه لهم على ذلك. ولم يفند اتخاذهم المسجد, بل هو في مقام المدح والإطراء عليهم.

٣ - ومن هذا القبيل قوله تعالى: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضِلًّا ٢ فَإِنْ مَفَادَهَا تَشْعِيرَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ وَتَخْلِيدَ ذِكْرِهِ بِذَلِكَ, الَّذِي هُوَ سَبَبٌ لَخُلُودِ التَّوْحِيدِ وَبَاعِثًا لِلنَّاسِ عَلَى التَّمَسُّكِ بِدِينِهِمْ.

فإذا كان الحجر قد لامس بدن نبي الله إبراهيم, يعظم بهذه المثابه ويتخذ مكاناً للعبادة. وقد بسطنا دلاله الآية على ذلك في المصادر المتقدمة.

حيث أن إضافه المقام إلى إبراهيم مشعر بالعليه للحكم.

فكيف الحال بمن هو أعظم من إبراهيم, وتقريب الدلاله فيه أيضاً بما تقدّم.

ثم شمول هذا التقريب لمراقد آل النبي بما تكاثرت الأدلة من الآيات والروايات على أفضليتهم.

ولا يخفى أن التعبير في الآية للتعظيم والتفخيم، نظير قوله تعالى: عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا .

- ويشير إليه قوله تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ١.

وفي هذه الآية دلالة على عظمة البيت الحرام والمسجد الحرام بأن فيه مقام إبراهيم.

- ويشير إلى نفس هذا التعليل: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ ٢.

فجعل في هذه الآية من غايات الوفاة والزياره لبيت الله الحرام هو موده وهوى قلوب المؤمنين لذريه إبراهيم (عليه السلام) لا إلى البيت الحرام.

- ونظير ذلك قوله تعالى: وَ أَدْنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ٣.

فجعلت الآيه من غايات الحج المجيء والإتيان إلى إبراهيم، فالحج لبيت الله الحرام، وفاده على ولي الله..

وبذلك يظهر أن جملة الآيات المتقدمه فى بيت الله الحرام والروايات كلها، تشمل مراقده النبى (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام).

ويشير إلى تعليل عظمه البيت الحرام بما اصطفاهم الله سبحانه، قوله تعالى: **وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَ إِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ ۱**.

حيث تبين الآيه أن عظمه و قدسيه القبلة من جهة طاعه الرسول (صلى الله عليه وآله) و ولايته فى قبول العبادات.

- فيستفاد من هذه الطائفة من الآيات أن مشاهد الأنبياء والأوصياء هى مواطن قربات ومشاعر لعباده الله سبحانه، ولا سيما أعظم الأنبياء، وكذلك أهل بيته (عليهم السلام) من بعده، فكيف ببقاع ثوت فيها الأجساد الطاهره، وهذه القاعده فى القداسه لتلك البقاع ضروريه عند المسلمين.

حيث حكى السمهودى فى مقدمه كتابه وفاء الوفاء إجماع المسلمين على أفضلية قبر النبى (صلى الله عليه وآله) على الكعبه(١). وفى الحقيقه هذا هو ما استفاض بين الفريقين، ما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«ما بين قبرى ومنبرى روضه من رياض الجنه». أو:

«ما بين منبرى وبيوتى روضه من رياض الجنه» فإن اقتراب بقعه المسجد من قبره

ص: ٤٣٨

١- (٢) وفاء الوفاء ج ٣١: ١.

وبيوته جعلته مشعراً مقدساً إلى درجة صيرورته روضه من رياض الجنة، وبيوته شامله لبقاع أهل بيته، كما سيأتي مفصلاً في المبحث الروائي».

٤ - قوله تعالى: يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ١.

وسيأتي أن مراقد النبي وأهل البيت (عليهم السلام) من أعظم البقاع والأراضى المقدسه.

وقد روى إسماعيل عن أبيه موسى بن جعفر عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال:

«من زار قبري بعد موتي كان كمن هاجر إلي في حياتي» (١).

وقوله تعالى: وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ٣.

وقوله تعالى: وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ٤.

ص: ٤٣٩

١- (٢) كامل الزيارات/ ب ٢ ح ١٧.

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ١.

ويستفاد من هذه الآيات جملة من الأحكام:

١ - وجوب عماره البقاع المقدسه بالتوافد إليها وزيارتها.

٢ - تشعير الله (عز وجل) لجملة من الأراضي والبقاع وتعظيمها وتقديسها.

٣ - هذه الأراضي المقدسه جعلت مواطن لتطهير العباد عن الذنوب, وذلك بزيارتها والوفود إليها, وإقامه العباده والاستغفار فيها, كما يشير إليه قوله تعالى:

وقولوا حطه و أن هذه الأرض كتبها الله لهم لا- سيما وقد ورد أن الزياره لهم بمثابة الهجره إليهم (١). هذا فضلاً عن طرق الخاصه التي نقلت هذه الروايات.

٤ - قطيعه هذه البقاع وجفاؤها ارتداد عن الإيمان على الأدبار وانقلاب بالخسران.

ص: ٤٤٠

١- (٢) مجمع الزوائد للهيتمي ج ١٦٨: ٩ - المصنف لابن أبي شيبه الكوفى ج ٥٠٣: ٧.

٥ - أن هذه الأراضي والبقاع المقدسه يجب الجهاد لتحريرها من أيدي الجبارين عليها، فيجب نزعها عن أيدي وسلطه الجبارين، وإقامه حكم عادل فيها على الدوام.

٦ - التخاذل عن تحرير الأراضي المقدسه، وعدم الوفود عليها حوبته وعقوبته التيه في الأرض.

أدله كون مراقد النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) من الأراضي المقدسه المندرجه في عموم الآيه:

١ - لا يخفى أنه قد وردت في روايات الفريقين إن على بن أبي طالب وأهل بيته (عليهم السلام) بمنزله باب حطه (١).

٢ - وقد تقدم أن بقاع مراقد أهل البيت (عليهم السلام) تتضمن البيوت التي أمر الله تعالى بتعظيمها ورفعته، وشعرها أماكن مقدسه.

في قوله تعالى: فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ .

٣ - ويشهد لذلك أيضاً على أن مراقدهم من الأراضي المقدسه الإشاره لقوله تعالى: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى حَيْثُ أَنْ جَهِ اتَّخَذَهُ عِبَادَهُ لِتَكْرِيمِ مَقَامِ الْإِضَافَةِ إِلَى النَّبِيِّ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام).

ص: ٤٤١

١- (١) ونذكر على سبيل المثال بعض المصادر لا على سبيل الاستقصاء، الدر المنثور في ذيل الآيه ج ١٦٠: ١ - المعجم الأوسط الطبراني ج ١٣٩: ١ - ج ١٠: ٤. الجامع الصغير للسيوطي ج ١٧٦: ٨ - كنز العمال ج ٦٠٣: ١١ ج ٤٣٤: ٢.

٤ - قوله تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ١.

- وقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ٢.

- وقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ فَبَيَّنَّتِ الْآيَاتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه و آله) من أعظم أبواب حطه الذنوب, بشروط ثلاثه, التوجه واللواذ بحضرة النبي (صلى الله عليه و آله), استغفار المذنب, واستغفار النبي (صلى الله عليه و آله) له, أى شفاعته له. ومن ثم ورد مستفيضاً من طرق الفريقين عنه (صلى الله عليه و آله): أن ما بين منبره الشريف وقبره (أو بيوته) - واللفظ الثانى وهو البيت أكثر وروداً فى الأحاديث - روضه من رياض الجنة.

ومن بيوته (صلى الله عليه و آله) بيت على وفاطمه وذرياتهما المطهرين وقد روى ذلك الفريقان فى ذيل الآيه.

وقد قال الله تعالى فى تعظيم بيوت النبي: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ٣.

وقد روى الفريقان فى ذيل هذه الآيه الأخيره, أنها بيوت الأنبياء وأن بيت على وفاطمه من أفاضلها(١).

٥- ما مر من إشاره الآيات, نظير قوله تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَافِرٌ رَّحِيمٌ * رَبَّنَا إِنِّى أَسْأَلُكَ مِنْ ذُرِّيَّتِى بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ ٢, ونظير قوله تعالى: وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ٣.

حيث مر أن هذه الآيات تبين قدسيه الكعبه والمسجد الحرام والقبله إنما هو لتعظيم ذريه إبراهيم الذى هو سيد الأنبياء, وأهل بيته.

وكذلك قوله تعالى: فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ٤, أن جهه تقديس البيت لاشتماله على الآيات البينات ومن أعظمها مقام إبراهيم, وكذا قوله تعالى: إِنَّمَا الْمَشْرُكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ

ص: ٤٤٣

بَعِيدَ عَامِهِمْ هَذَا , حيث تبيّن الآيه أن إبعادهم عن المسجد الحرام لأجل عدم إقرارهم بكل من الشهاده الأولى والشهاده الثانيه. فلا قيمه لحجهم وصلاتهم بدون ولايتهم لله ولرسوله أيضاً, وهذا يفيد أن عظمه الصلاه والحج كعبادات فى بيت الله الحرام إنما قيمتها بالولاء لله والولاء للرسول, وهو نظير الغايه المذكوره فى كلام إبراهيم, أن الغايه بإقامه بيت الله الحرام هو ولايه الله, وهوى القلوب إلى ذريه إبراهيم, وكذلك ما فى قوله تعالى: وَ أَدْنَىٰ فِي النَّاسِ بِالْحَيِّجِ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ فجعل غايه الحج الوفود على الله وعلى أنبياء الله, لا مجرد أحجار الكعبه وبيت الله الحرام.

وذريه إبراهيم من ذريه إسماعيل والتي دعا إبراهيم وإسماعيل أن تكون من ذريتهما أمه مسلمه, كما فى سوره البقره, وسوره الحج, وأن يُبعث سيد الأنبياء فيهم, هم من يكون الرسول منهم بنص الآيه فى قوله تعالى: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ۝١.

وهم أمه موحده لم تشرك بالله طرفه عين, استجاب له دعائهما وليسوا إلا من شهد القرآن بطهارتهم من أهل الكساء من أهل بيته..

وقد بسطنا الحديث عن جميع هذه الآيات فى محلّه (1) ويتحصل من ذلك

ص: ٤٤٤

أن عظمه المسجد الحرام والكعبة المشرفة، التي هي أعظم المساجد هي بعظمه الأنبياء، وذرياتهم المصطفون، وأعظمهم سيد الأنبياء وأهل بيته.

فمن ثم تبين صحه ما ذكره السهمودي في وفاء الوفاء، من (إجماع الأمة على أن قبر النبي (صلى الله عليه وآله) أعظم من الكعبة المطهره)^(١). وكذلك الحال في مراقد أهل بيته.

ويتبين أن ما جاء مستفيضاً في روايات أهل البيت (عليهم السلام) من أن أعظم وأقدس بيوت الأرض، وبيوت السماء وأرفعها تعظيماً عند الله وطهاره وقديماً هي بيوت النبي وأهل بيته (عليهم السلام)..

وكذلك ورد عنهم أن البيت المقدس، وإن كان اسماً لمسجد الصخره التي صلت فيه الأنبياء إلا أن الأعظم منه قدسيه مسجد الكوفه ومسجد النبي (صلى الله عليه وآله). نعم ثواب الصلاه في المسجد الحرام أعظم، ثم مسجد النبي، ثم مسجد الكوفه.. بل إن البيت المقدس، كما ورد عنهم (عليهم السلام)، في الدرجه السابقه على مسجد الصخره هو بيت الإمام المعصوم الحى.

٦ - ما ورد متواتراً ومستفيضاً من الروايات من قدسيه وعظمه مراقد قبورهم الشريفه وقد جمع صاحب الوسائل في أبواب المزار ما يزيد على المائه باب في ذلك فضلاً عما جمعه غيره كالمحقق الشيخ النورى في المستدرک والعلامه المجلسى في البحار وغيرهم.

ص: ٤٤٥

١- (١) وفاء الوفاء، ج ٣١: ١.

فتحصل أن أعظم البقاع قدسيه على الأرض, هو قبر النبي (صلى الله عليه و آله) وقبور أهل بيته (عليهم السلام) اندراجاً تحت هذه الطائفة من الآيات, في ترتيب الأحكام الستة السابقة(١).

- وقد روى عن الباقر (عليه السلام):

«ولا أعلم أن في هذا الزمان جهاداً إلاّ الحج والعمرة والجوار»(٢).

و أما الروايات: في فريضه عماره مرقد النبي (صلى الله عليه و آله) و مرقد أهل بيته:

الطائفة الأولى: بالنسبه لقبر النبي (صلى الله عليه و آله), فقد استفاض بين الفريقين بل تواتر التشعير لقبر النبي (صلى الله عليه و آله), وتشعير الروضه المباركه في مسجده الشريف. بل تمتد الروضه, إلى قبره الشريف, لقوله (صلى الله عليه و آله) المستفيض بين الفريقين: «ما بين قبرى ومنبرى روضه من رياض الجنه»(٣).

بل وفي الطرق الكثيره منها «ما بين منبرى وبيوتى روضه من رياض الجنه».

وبيوته تمتد إلى بيت أم زمعه فيشمل بيت على و فاطمه (عليهما السلام). وفي لفظ آخر: «ما بين بيتى ومنبرى روضه من رياض الجنه».

وفي المصحح عن جميل بن دراج, قال سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول:

ص: ٤٤٦

١- (١) المذكوره في ص: ٣١, من هذا الكتاب.

٢- (٢) الكافي ج ٢٥١: ١.

٣- (٣) كامل الزيارات: ٥١ باب ٣.

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«ما بين منبرى وبيوتى روضه من رياض الجنه, ومنبرى على ترعه من تُرع الجنه, وصلاته فى مسجدى تعدل ألف صلاه فيما سواه من المساجد إلّا المسجد الحرام؛ قال جميل: بيوت النبى (صلى الله عليه و آله) وبيت على منها, قال: نعم وأفضل»(١).

أى أن السائل سأل أن بيت على (عليه السلام) من بيوت النبى (عليه السلام) التى هى من رياض الجنه, ولا تختص بالبيوت التى جعل فيها أزواجه, بل تشمل بيوت قرابته الخاصه, من أصحاب الكساء, كما هو مقتضى التحديد ما بين المنبر والبيوت, فبيوت النبى (صلى الله عليه و آله) شامله لبيت على وفاطمه والحسن والحسين (عليهم السلام), بل والأئمه من ذريه الحسين, وأنها أفضل بيوت النبى, والمراد مضافاً إلى تحديد البقعه الواقعه فى السنين أن كل طرف فى نفسه على روضه من رياض الجنه, بمقتضى العموم الاستغراقى والمجموعى معاً, وهذا مطابق لما رواه السيوطى فى الدر المنثور عن ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريده, أن المراد من قوله تعالى: **فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ** عن النبى (صلى الله عليه و آله):

«أنها بيوت الأنبياء, وأن بيت على وفاطمه من أفاضلها»(٢).

وهذا دال على أن بيت على وفاطمه نسبه إلى النبى أتم من نسبه بيوت وغرف أزواجه إليه. وبالتالى فعموم بيوته شامل لبيوت ذريته المطهره, وقد ورد مستفيضاً عن أهل البيت (عليهم السلام) فى الزيارات, هذا الدعاء

ص: ٤٤٧

١- (١) الكافى ج ٤/ باب المنبر والروضه ح ٥٥٦: ١٠. (وقد ذكر فيه صحاح عديده).

٢- (٢) الدر المنثور/ سوره النور/ ج ٣٦: ٥.

المأثور في الإذن للدخول لمشاهدتهم ومراقدهم المطهره:

«اللهم إنى وقفت على بابٍ من أبواب بيوت نبيك».

ويتطابق هذا المفاد المستظهر مع الروايات الخاصة الواردة في كون مرقد كل منهم (عليهم السلام) روضه من رياض الجنة, وكالمستفيضه الواردة في كون حرم الحسين (عليه السلام) روضه من رياض الجنة(١).

وفى صحيح أبي هاشم الجعفرى قال: سمعت أبا جعفر, محمد بن على الرضا (عليه السلام) يقول:

«إن بين جبلى طوس قبضه قبضت من الجنة, من دخلها كان آمناً يوم القيامة من النار»(٢).

الطائفة الثانيه: ما ورد من تواتر الروايات في زياره قبورهم(٣), نظير ما رواه الصدوق فى الصحيح عن ياسر الخادم قال: قال على بن موسى الرضا (عليه السلام):

«لا- تُشدّ الرحال إلى شىء من القبور إلما إلى قبورنا, ألا وإنى مقتول بالسّم ظلماً ومدفون فى موضع غربه, فمن شدّ رحله إلى زيارتى استجيب دعاؤه وغُفر له ذنوبه»(٤).

وقد استفاض فى هذه الطائفة من الروايات كون زيارتهم وعماره قبورهم من معالم شعائر الدين الكبرى, فقد عقد صاحب الوسائل سته

ص: ٤٤٨

١- (١) الوسائل أبواب المزار/ باب ٦٧.

٢- (٢) أبواب المزار/ باب ٨٢/ ح: ١١.

٣- (٣) أبواب المزار فى الوسائل, وكتابى المزار للشيخ المفيد, ومصباح المتهجد, وكامل الزيارات, وغيرها من كتب الزيارات.

٤- (٤) عيون أخبار الرضا ج ٢٨٥: ١.

وتسعين باباً وأخرج مئات الأحاديث فيها. ونظير هذه الأبواب، أبواب المزار في البحار للمجلسي، وفي مستدرک الوسائل للميرزا النوري فضلاً عما أوردوه في أبواب أحكام المساجد وغيرها؛ بل قد ورد الحث منهم على زياره قبورهم وعمارتها في حال الخوف على النفس، وهي سيره شيعتهم منذ القرن الأول إلى يومنا هذا.

الطائفة الثالثة: ما استفاض بل تواتر في الروايات أن مراقدهم (عليهم السلام)، حرم من حرم الله وحرّم رسوله، نظير ما في لسان تلك الروايات في آداب الزيارة:

«ثم امش حافياً فإنّك في حرم الله وحرّم رسوله»^(١).

وقد تعددت الروايات الواردة عنهم (عليهم السلام) أن الكوفة أفضل البقاع بعد حرم الله وحرّم رسوله (صلى الله عليه وآله)، وبعدها مراقدهم (عليهم السلام)، وأن ثواب الصلاة فيها، يأتي في الفضل والعظمة بعد فضيله المسجد الحرام والمسجد النبوي^(٢)، ولا يقاس بها فضيله بيت المقدس، أو غيرها من المراقدهم.. بل إن خصوص موضع قبورهم أعظم شأنًا من الكعبة، كما صرح بذلك السهمودي في وفاء الوفاء، ونقل إجماع الأمة على أن مرقد النبي (صلى الله عليه وآله) أعظم من الكعبة.

وفي صحيح جميل بن دراج قال، قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): الصلاة في بيت فاطمه مثل الصلاة في الروضة؟ قال (عليه السلام):

«وأفضل»^(٣).

وفي موثق يونس بن يعقوب؟ قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): الصلاة في

ص: ٤٤٩

١- (١) لاحظ الوسائل / أبواب المزار: آداب الزيارات التي أوردتها.

٢- (٢) الوسائل / أبواب أحكام المساجد / كتاب الصلاة.

٣- (٣) الكافي، ج ٥٥٦: ٤.

بيت فاطمه أفضل أم في الروضه؟ قال (عليه السلام):

«في بيت فاطمه»^(١).

وغيرها من الطوائف الكثيره، والذي يظهر من حاصلها، ترتب جملة الأحكام المتقدمه ذكرها للحرم المكي والحرم المدني على مراقده وعتبات بقيه الأئمه المعصومين (عليهم السلام) وهذا مما يقرّر مفاد هذه القاعده الفقهيّه.

ص: ٤٥٠

١- (١) المصدر السابق نفسه.

الفصل الحادى عشر : لكل سؤال جواب

اشاره

ص: ٤٥٢

الإمام الحسين عليه السلام:

المحاور: ما السرّ في قراءه رأس الحسين للآيه الشريفه: **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**، على وجه الخصوص دون غيرها من السور؟.

الشيخ السند: هو أنّ الآيه الأعجازيه التي كانت لله تعالى في أصحاب الكهف هو أنّهم كانوا مؤمنين موحدين مضطهدين من قبل الملك والسلطان المتغلب في وقتهم وكان مجتمعهم يتابع ذلك السلطان الغاشم فكانوا منفردين في طريق الحق والهدايه، وكان الملك وقومه يستأصلونهم، لو اطلعوا على دينهم أو سيطروا عليهم، الا أنه بقدرته تعالى أبقى وحفظ أصحاب الكهف بعدما هلك ذلك السلطان وقومه ونشأ نسل جديد وحضاره اخرى، ليبين تعالى على أنه قادر على نصر المستضعفين ويرجعهم إلى الدار

الدنيا وتكون العاقبه هي غلبتهم على القوم الظالمين كما فى قوله تعالى: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ١، وقوله تعالى: وَ لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ٢، وغيرها من الآيات الداله على رجوع الصالحين إلى الدار الدنيا وكون العاقبه لهم جزاءً دنيوياً من الله تعالى قبل جزاء ثواب الآخره.

المحاور: فى قول لسيدتنا زينب (عليها السلام) حين أستشهد أخوها الإمام الحسين (عليه السلام)

«اليوم مات جدى محمد المصطفى، وأبى على المرتضى، وأمى فاطمه الزهراء....» (١) ما هو المقصود من كلامها؟.

الشيخ السند: الظاهر كون المراد هو ذهاب أصحاب الكساء الخمسه بذهابه (عليه السلام)، إذ كان وجوده بقاء لهم فيه كما أن وجوده (عليه السلام) كان تجسيداً وروحاً لوجود الأسره النبويه، وكانت (عليها السلام) تأنس به وبنوره (عليه السلام) عند فقدهم.

المحاور: ما الأوجه المحتمل له لشق الإمام الحسين أزياق القاسم بن الحسن؟.

الشيخ السند: قيل فى سبب ذلك لتكون ثيابه بهيئه الكفن فيستشهد

ص: ٤٥٥

١- (٣) ينابيع الموده للقندوزى ج ٣ ص ٦٤.

فيها، ولا يطمع في سلبها منه العدو بعد شهادته.

المحاور: أرجو ذكر خمساً من الثورات التي نتجت بعد ثوره الامام الحسين؟.

الشيخ السندي: ثوره زيد الشهيد بن الإمام السجاد (عليه السلام)، وثورته الثوابين في الكوفه، وثورته المختار، وثورته يحيى بن زيد الشهيد، وثورته صاحب فخ الحسين بن علي من بني الحسن المجتبي (عليه السلام).

المحاور: ما هي النتائج المستخلصة من ثوره الامام الحسين؟ وما هي بواعث الثوره عند الإمام الحسين؟.

الشيخ السندي: حيث أن نتائج ثوره ونهضة الحسين (عليه السلام) هي البواعث لها وقد ذكرها (عليه السلام) في عده من خطبه وكلماته الشريفه، منها:

«إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمه جدى (صلى الله عليه و آله)، أريد أن آمر بالمعروف وانهى عن المنكر»^(١)، حيث قد أستبدلت الخلافة الإسلاميه على يد معاويه بملك الوراثه النسيبه الترابيه، وهذا إنحراف خطير في الدين والأمة الإسلاميه أن يتبدل مسار الزعامه الدينيه والدينيه. منها ما قاله الرسول (صلى الله عليه و آله):

«حسين منى وأنا من حسين»^(٢)، فَإِنَّ (من) ههنا لَيْسَ المراد منها التولد بل أحد معانى الكنايه فيها هو أن دين النبى (صلى الله عليه و آله) وشريعته بقاءها مرهون بالحسين (عليه السلام) وذلك لأن بنى أميه معاويه ويزيد وآلهما كانوا مصرين على محو الشريعه

ص: ٤٥٦

١- (١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٣٠.

٢- (٢) سنن الترمذى ج ٥، ص ٣٢٤؛ المستدرک للحاكم النيسابورى ج ٣ ص ٤٢٢.

وإزاله الدين بالتدرّيج حتى لا يبقى رسم ولا أسم منه وكلمات معاويه ويزيد في ذلك معروفه، وكيف لا والبيت الأموى بزعامه أبو سفيان لم يثنى عن مجابهه الرسول (صلى الله عليه و آله) ودولته في المدينه ومن قبل في مكه، واستمر إيقاده للحروب ضد الرسول حتى عام الفتح لمكه ومن الواضح أن هذا الموقع القبلى الذى يتمتع به أبو سفيان وبنو اميه لم يتبدد بفتح مكه بل بقى على حاله وإن كانوا فى الظاهر استسلموا أمام السلطه الاسلاميه للرسول (صلى الله عليه و آله) الجديده، ويتبين ذلك فى قول أبى سفيان لعلى بن أبى طالب (عليه السلام) فى أيام السقيفه يريد اغراءه بمناصرته ضد أصحاب بيعة السقيفه، «لو شئت لمثلتها لك رجالاً - وفساناً»، وكذلك إسترضاء أبى بكر لأبى سفيان عندما أعترض على استخلافه وأن تيم أخمل قريش ذكراً وبطنا أسترضاه بتنصيب يزيد بن أبى سفيان على الشام. ومن ثم الخليفه الأول والثانى لم يجدا بداً من الإستعانه فى جهاز الحكم وقياده الجيوش وكسب الغنائم والمناصب - بالحزب القرشى المناوى لبني هاشم وللأنصار، وإلى ذلك يشير الحسين (عليه السلام):

«وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمه براع مثل يزيد، ولقد سمعت جدى رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: الخلافه محرمة على آل أبى سفيان»(1).

ومنها: سنّ السنه الإلهيه العظيمه وهى مجاهده الظالمين والظغاه من

ص: ٤٥٧

١- (١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٢٦.

الحكام فى بلاد المسلمين والثوره عليهم ردعاً للمنكر وإقامه للمعروف فى كافه أشكاله ونظمه وأبوابه، وإلى ذلك يشير بقوله (عليه السلام) إستناداً الى قول رسول الله:

«من رأى سلطاناً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل فى عباد الله بالأثم والعدوان ثم لم يغير بقول ولا فعل، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»^(١)، أو «أفضل الجهاد كلمه حق عند سلطان جائر»^(٢).

ومنها: إستدعاء أهل العراق ومبايعتهم له (عليه السلام) لإقامه الحكم الإلهى العادل الحق .

ومنها: عزم يزيد أعتيال الحسين (عليه السلام) بكل طريقه وسبيل وقد أشار (عليه السلام) إلى ذلك فى عده خطبه.

والخلاصه: أن هناك العديد من الأسباب ودواعى الحكمه فى نهضته (عليه السلام) اجتمعت حتى أن كثيراً من الكتاب والباحثين ينسبون تولد التشيع إلى نتائج ثوره الحسين (عليه السلام) وتعاطف محبى أهل البيت (عليه السلام) لمظلوميته وهذا القول وإن كان تنكراً للحقائق القرآنيه والسنن النبويه الداله على أمامه أهل البيت (عليهم السلام) ومذهبهم، إلا أن ذلك القول يعكس مدى تعريه الإنحراف الذى أصاب المسلمين تكشف كثير من الحقائق وتزييف الباطل الذى لم يتحقق قبل ثوره الحسين (عليه السلام).

ص: ٤٥٨

١- (١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٨٢.

٢- (٢) عمدته القارى للعينى ج ٧ ص ٢٢٤، التبيان للطوسى ج ٢ ص ٤٢٢.

المحاور: كيف نرد على الذين يقولون أن الإمام الحسين (عليه السلام) قد أخطأ عندما أخذ معه أهل بيته من نساء و أطفال الى كربلاء و هو يعرف المصير؟ وهل للإمام الحسين (عليه السلام) الحق في التصرف في حياه أهله؟.

الشيخ السند: نظير هذا الإعتراض يذكر في مواجهه الصديقه الزهراء (عليها السلام) عندما أراد جماعه السقيفه إجبار أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام) على بيعتهم فتصدت لهم من وراء الباب وقد كان (عليه السلام) في البيت، فيورد المعترضون أنه كيف تسمح الغيره الأبيّه لمثل أمير المؤمنين ولسيد الشهداء بذلك، وما الحكمه في ذلك وهما (عليهما السلام) قد اتفق ذلك منهما بوصيه من رسول الله (صلى الله عليه و آله) كما جاء في الروايات أنه (صلى الله عليه و آله) أخذ على عليّ (عليه السلام) الصبر وعلى الحسين (عليه السلام) إن الله شاء أن يراهن سبايا، فهل الإراده والمشئته إلالهيه تتعلق بذلك وكيف وجه الحكمه فيه، ويستعرض لنا القرآن الكريم الإجابه عن ذلك بأن المجاهده في سبيل الله ومقارعه المعسكر الآخر كما تكون بالنفس والمال تكون بالمخاطره بإهانته العرض لا- بنحو الإبتذال والتدنيس كما في قصه مريم (عليه السلام) ففي سوره آل عمران: إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ... قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا

ص: ٤٥٩

فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝١، وفي سورة مريم: فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي
أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسَّ مِنِّي
بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَعْثًا... فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا
تَحْزَنِي... فَأَمَّا تَرِينٌ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا * فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ
لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي
الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عِبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٢، وفي سورة المؤمنون: وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ۝٣، فمريم قد
تعرضت لوظيفه حمل النبي عيسى (عليه السلام) من غير أب لتتحقق المعجزه الإلهيه لإثبات نبوه عيسى (عليه السلام) وبعثته
بشريعته جديده ناسخه لشريعته موسى (عليه السلام)، مع أن تحقيق المعجزه هذه كان يخاطر بسمعه مريم وعرضها، إلى درجه
مواجهه بنى إسرائيل لها بالقذف والبهتان ولكن كل ذلك لا يعنى ابتذال وتدليس مريم بل غايه الأمر إهانته عرضها، فتحملت

المسؤولية الإلهية وأعباء المعجزه والرساله الجديده مع أنها أصعب من الجهاد بالنفس والقتل بالسيف، للإنسان الغيور وبالنسبه للمرأة العفيفه التي أحصنت فرجها ولذلك قالت: يَا لَيْتَنِي مَتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا ١، ولكن جهادها وتحملها أقام الحجه على كفار بنى إسرائيل فجعلها الله تعالى آيه وحجه تشارك إبنها النبي عيسى (عليه السلام) فى الحجية، وهناك واقعه أخرى يسردها لنا القرآن وهى واقعه المباهله: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعِيدٍ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَنَدْعُ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ٢.

فهنا فى واقعه المباهله احتج الله بالزهره (عليها السلام) على حقانيه الشريعه المحمديه ونبوه سيد الرسل جنباً إلى جنب الاحتجاج بالأربعه بقيه أصحاب الكساء، ففى هذه الواقعه قد تحملت الصديقه الزهره (عليها السلام) بأمر من الله تعالى انزله فى القرآن، تحملت المشاركه فى المباهله أمام ملاء أهل الكتاب، وهو نمط من المنازله والمواجهه.

فإذا اتضح بعض الأمثله المسطوره فى القرآن الكريم من نماذج

المجاهده بالعرض لا بدرجة الإبتدال والتدنيس، يتضح عدم المجال لمثل هذه الاعتراضات الناشئه من عدم الإحاطه بجهات أحكام الشريعة وعدم الإحاطه بملايسات الأحداث التاريخيه فى صدر الإسلام وقراءه الأحداث بشكل مبتور تخفى فيه الحقيقه كما هى عليه، ثم الأخذ فى الحكم على هذه الصوره المقطعه.

فإن الحكمه فى كل من فعل الأمير (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) هو لأجل تعريه وفضح الخصم والكشف عن جرأته على مقدسات الدين وحريم النبى (صلى الله عليه و آله) وأن الخصم لا يتقيد بأبجديه المبادئ الدينيه وكان استخدام هذا النمط من المواجهه والجهاد فى ظرف اغلقت فيه أى فرصه أخرى لدحض إجرام الخصم وباطله أمام أنظار وأذهان الناس المفتته بأكاذيب الخصم الناسيه لوصايا القرآن والنبى (صلى الله عليه و آله) فى حق العتره المطهره ولولا موقف الزهراء (عليها السلام) والعقيه زينب (عليها السلام) لكان الخصم يلتف بدعايته ووسائل إعلامه على الحقيقه ويغيب على الناس فى ذلك الوقت فضلاً عن الأجيال اللاحقه يغيب عليها حقيقه الموقف. ولأجل ذلك أوصت (عليها السلام) بإخفاء قبرها وتشيعها ليلاً خفيه ليظل ذلك رمزاً يطنّ فى أذن التاريخ على الحقيقه التى حاولوا اخفاءها.

المحاور: كم عدد الصحابه اللذين استشهدوا مع الإمام الحسين (عليه السلام) وما هى أسمائهم، وكم عدد (الصحابه) اللذين قاتلوا الإمام الحسين (عليه السلام)؟.

الشيخ السند: لفظ الصحابه جرى إستعماله فى من لقي النبى (صلى الله عليه و آله) أو روى عنه أو عاشره مده من الزمن وأما إذا أضيف الشخص إلى أحد من

الأئمه من أهل البيت (عليهم السلام) فيقال مثلاً- من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) أو أصحاب الحسن (عليه السلام) وأصحاب الحسين (عليه السلام)، نعم كان في أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) بعض صحابه النبي (صلى الله عليه وآله) كحبيب بن مظاهر ومسلمه بن عوسجه وغيرهما أما عدد أصحاب الحسين (عليه السلام) فقد اختلف المؤرخون في ذلك:

الأول: أنهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون رجلاً ذكره المفيد في الإرشاد والطبرسى في أعلام الورى والفتال في روضه الواعظين وابن جرير في تاريخه وابن الأثير في الكامل والقرمانى في أخبار الدول والدينورى في الأخبار الطوال.

الثانى: إنهم اثنان وثمانون رجلاً كما فى روايه حكاهما فى الدمعه الساكبه.

الثالث: ستون رجلاً كما ذكره الدميرى فى حياه الحيوان فى خلافه يزيد.

الرابع: ثلاثه وسبعون رجلاً ذكره الشريينى فى شرح مقامات الحريرى.

الخامس: خمسسه وأربعون فارساً ونحو مائه راجل ذكره ابن عساكر فى تهذيب تاريخ الشام.

السادس: اثنان وثلاثون فارساً وأربعون رجلاً ذكره الخوارزمى فى المقتل.

السابع: احد وستون رجلاً ذكره المسعودى فى إثبات الوصيه وغيرها من الأقوال التى أنهاها العلامة المرحوم السيد عبدالرزاق المقرم فى المقتل إلى عشره.

وأما عدد الذين قاتلوا الحسين (عليه السلام) فذكر أنهم ثلاثين ألفاً وقيل أكثر بكثير وقد جمع بين الأقوال بعض المحققين بأن الذين كانوا في أرض المعركة هو العدد الأول وأما بقيه الأعداد فكانت تمثل طوق عسكري لمنع وصول المدد والنصره لسيد الشهداء (عليه السلام) من الأطراف والنواحي حتى أنه ذكر في التواريخ أن الطوق العسكري كان يمتد من كربلاء إلى الكوفه.

المحاور: أود أن تبيينوا الأسباب التي جعلت الناس تتفرق عن مسلم ابن عقيل (عليه السلام) هكذا بين ليله وضحائها بعد أن كانوا ألوف حوله حيث يصل الأمر انه لا يجد من يدله الطريق؟ .

الشيخ السند: لم يكن تفرق الناس عن مسلم بن عقيل (عليه السلام) بين ليله وضحائها بل أستغرق ذلك مده بنحو التدريج كما هو مفصل في كتب التاريخ، وعمده السبب لتخاذل الناس عن مسلم هو خيانه وتخاذل أشراف ورؤساء القبائل أى النخبه من أهل الكوفه، وهو مما يدل على مدى تأثير النخبه فى المجتمع ومساره.

المحاور: ما منزله حميد بن مسلم خاصة إنه روى واقعه الطف بأسرها؟.

الشيخ السند: لا يخفى أن الراوى لواقعه الطف لا ينحصر بحميد بن المسلم، فإن أهل البيت (عليهم السلام) الذين حملوا أسارى من أطفال ونساء فضلاً عن مثل أم كلثوم والعقيله والإمام زين العابدين (عليه السلام)، وكذا الأسارى من عوائل شهداء الطف فضلاً عن من كان فى جيش عمر بن سعد اللعين ممن

أقرّ ونقل لأهل الكوفه ما شاهدوه بأعينهم، لا سيما وأن جملة منهم كانوا كالمتفرج للمعركه كاره للقتال، وكذا أهالى القرى المجاوره لنينوى والغاضريات من بنى أسد وغيرهم، هذا فضلاً عن أن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) يخبرون عن الأحداث وما كان وما يكون بعلم لدنى من الله تعالى.

وعلى كل تقدير فإن حميد بن مسلم لو أفترضناه على أسوأ التقادير من أتباع السلطه الأمويه فإن ما يشهد به العدو أحجّ للثبوت فإن الفضل ما شهدت به الأعداء، وقد يخفى هذا المطلب على البعض ويساوى المقام مع البحث فى إستنباط الأحكام الشرعيه الفرعيه، فإن الوثوق بالأخبار والصدور هو المدار وهذه النكته موجه لذلك كما لا يخفى.

المحاور: من بقى من ذريه سيدنا الحسين (عليه السلام) بعد فاجعه كربلاء؟.

الشيخ السند: المعروف لدى أهل التواريخ والنسب وكتب الأصحاب أن ذريه الإمام الحسين (عليه السلام) هى من الإمام زين العابدين (عليه السلام) أبنه أما على الأكبر فقد أستشهد معه وكذا على الأصغر أو عبد الله الرضيع وكذلك جعفر بن الحسين فانه توفى فى حياه أبيه وذكر محمد أيضاً، وأما البنات فقد ذكر أن له (عليه السلام) زينب وسكينه وفاطمه وعلى كل حال فإن بين المذكور فى الكتب أختلاف فى العدد والأسماء فلاحظ.

المحاور: هلا لى بجواب أكمل به معلوماتى، حول من إستشكل إننا

نفضل الإمام الحسين (عليه السلام) ونعطيه درجه أعلى من الإمام علي (عليهما أفضل الصلاة والسلام)، ويسأل لماذا نسمى حسينيات ولم نسمى عليات، ولماذا (اللطم) على الحسين أظهر وأكثر من (اللطم) على الإمام علي (عليه السلام)، وما إلى ذلك من إستشكالات؟.

الشيخ السند: سبب كثره ذكر الشيعة لسيد الشهداء (عليه السلام) هو أمر النبي (صلى الله عليه وآله) والائمة (عليهم السلام) بذلك في الروايات المستفيضه، بل المتواتره فقد أكدوا بإقامه العزاء على مصيبتة التي هي من أفجع وأفرح المصائب التي تعتصر الوجدان وتنغص العيش، فالبشاعة الشرسة التي انتهك بها حرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في سبطه وريحانته من الدنيا وسيد شباب أهل الجنة، فمصيبه الحسين (عليه السلام) مصيبه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومصيبه أمير المؤمنين وسيده النساء والحسن المجتبي ففي قتل الحسين وولده وأهل بيته وأصحابه وسبى نساءه انتهكت حرمة القرآن الذي جعل من الحسين (عليه السلام) حجه لحقانيه دين الاسلام وصدق النبوه الى يوم القيامة في قوله تعالى: فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهَلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ١، فقد أمر الله تعالى نبيه في المباهله بالاحتجاج بالحسين (عليه السلام) وأصحاب الكساء دون الصحابه ودون زوجات النبي (صلى الله عليه وآله) مع أن الإمام الحسين (عليه السلام) حين المباهله لم يتجاوز بضع سنين من نشأته المباركه، فجعل الله تعالى الإمام الحسين (عليه السلام) يتحمل

مسؤولية إقامه الحججه على حقانيه الدين وصدق النبوه، وكذلك آيه التطهير وكذلك سوره هل أتى وغيرها من السور فمثل هذه الشخصيه فى الدين التى يرسم مقامه القرآن الكريم وكلام الله الحكيم، انتهاك حرمة إنتهاكاً لحرمة الله تعالى ولحرمة القرآن ولحرمة الرسول (صلى الله عليه و آله) حيث قال:

«حسين منى وأنا من حسين»(١)، و:

«إبنائى هذان إمامان قاما أو قعدا»(٢)، و:

«وسيدا شباب أهل الجنة»(٣)، وغيرها من الاحاديث العظيمه النبويه التى توضح موقعه الحسين فى الدين.

وسبى نساء الحسين (عليه السلام) هن بنات النبى (صلى الله عليه و آله)، فتصور - بالله عليك - ممن يدعون الإنتماء إلى دين النبى كيف يرتكبون العظائم فى حق سيد الرسل (صلى الله عليه و آله)، فذكر مصيبه الحسين ذكر مصيبه النبى وجميع أهل بيته.

هذا مضافاً إلى أن واقعه كربلاء واستشهاده (عليه السلام) كشفت القناع عن زيغ السقيفه التى أدت الى تسلط بنى أميه على رقاب المسلمين وإلى لعب مثل يزيد الفسق والمجون بمقدرات الدين والمسلمين، فالشعائر الحسينيه

ص: ٤٦٧

١- (١) مسند أحمد ج ٤ ص ١٧٢، سنن الترمذى ج ٥ ص ٣٢٤، المستدرک للحاكم النيسابورى ج ٣ ص ١٧٧.

٢- (٢) روضه الواعظين للنيسابورى ص ٥٧، الأرشاد للمفيد ج ٢ ص ٣٠.

٣- (٣) مسند أحمد ج ٣ ص ٣، مسند أبى سعيد الخدرى، سنن أبى ماجه ج ١ ص ٤٤ ح ١١٨ باب فضائل على بن أبى طالب (عليه السلام)، سنن الترمذى ج ٥ ص ٣٢١ ح ٣٨٥٦ فضائل الصحابه للنسائى ص ٢٠ فضائل الحسن والحسين.

نبراس لحق أهل البيت في الإمامه وأحياء للتمسك بالثقلين المأمور بهما.

المحاور: من هو حميد بن مسلم؟ وهل يجوز لعنه؟ وعلى أي أساس نأخذ برواياته؟ وهل كان من جيش عمر بن سعد؟ وما هو سبب حضوره واقعه الطف؟.

الشيخ السند: لابد من التنبيه إلى النقاط التاليه:

أولاً: ليس مصدر الوثائق لواقعه كربلاء منحصرأ في الراوى حميد بن مسلم، بل المصادر منتشرة عن الواقعة من كل حدب وصوب فهذا ابن عساكر في تاريخ دمشق عقد مجلداً من كتابه خاصاً بالإمام الحسين (عليه السلام) نقل طرفاً من وقائع الفاجعه الكبرى بأسانيد متصله ونقل بأسانيد عديده أيضاً مطر السماء دماً وأنه لم يرفع حجر إلا ورثى تحته دماً. إلى غير ذلك من مصادر الفريقين، فهذا الصدوق ينقل في أماليه مقتلاً كاملاً بأسانيد متصله إلى أئمه أهل البيت (عليهم السلام) وقد أشتملت كتب الأحاديث عنهم (عليهم السلام) على لقطات وقصاصات خطيره في الواقعة حتى روايات الفروع والأحكام الشرعيه مثل كتاب وسائل الشيعه هذا فضلاً عن كتب التراجم من الفريقين وغيرها مما يطول ذكره في المقام.

ثانياً: لم يكن الراوى الوحيد للواقعه هو حميد بن مسلم كيف والإمام زين العابدين والباقر (عليهما السلام) والعقيله وبنات النبي (صلى الله عليه وآله) وعيالات الحسين (عليه السلام) كلهم كانوا بمشهد من الحدث العظيم.

ص: ٤٦٨

وكذلك هذه الآلاف من جيش بن سعد من أهل الكوفة فضلاً عن أهالي القرى والأرياف المجاوره فالحدث والمشهد الجلل قد حضره خلق كثير تنادوا به على مسمع التاريخ والأجيال.

ثالثاً: لم يكن كل من حضر في جيش عمر بن سعد على موقف متحد فقد كان بعضهم حتى على مستوى القيادة، لفصائل الجيش كاره لقتال سبط الرسول (صلى الله عليه وآله) وريحانته بل في بعض المواقع من المعركة كان يخشى عمر بن سعد وقوع الفتنة في جيشه.

رابعاً: الفضل ما شهدت به الاعداء، فإن الروايه المتضمنه لأحداث الظلم على العتره وكذا فضائلهم التي تنقل من لسان المخالف في هواه لأهل البيت (عليهم السلام) أحجج على المخالفين لأهل البيت (عليهم السلام) التاركين لفريضه مودتهم، لانتفاء التهمه المزعومه في منطق نصب العداوه لهم.

المحاور: إنَّ قتله إبي عبدالله الحسين (عليه السلام) هم الشيعة لا- بنى أميه وهذا مما تركز عليه اليوم الفئات الضاله كالوهابيه والسلفيه وماالقول السديد في الإجابة عن هذه الشبهه؟.

الشيخ السنند: في كثير من الكلمات أسناد قتل سيد الشهداء (عليه السلام) إلى أهل الكوفه وأنهم شيعه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهذا تزوير للحقائق لأن مدينه الكوفه لم يكن الغالب عليها الشيعة إلى أواخر القرن الثالث فضلاً عن عهد

أمير المؤمنين وزمن واقعه الطف، ولذلك تجد في كتب التاريخ حين نهضه المختار في الكوفة للإنتقام لسيد الشهداء وما جرى في الطف كان غالب أحياء الكوفة ممن يوالى بنى أميه وهوام من العثمانيه، فوجد صعوبه كبيره جداً في السيطرة على الكوفه، أليس قد نهى أمير المؤمنين عن صلاه التراويح في مسجد الكوفه بتوسط أبنه الحسن المجتبي (عليه السلام) فتصايح الناس في مسجد الكوفه واسنه عمراه، وقد قال علي (عليه السلام) في أحد كلماته أنه لو نهى عن ما أبتدعه من كان قبله من الخلفاء من سنن خالفوا فيها سنه الرسول لتفرق عنه جنده، وهناك الكثير من الشواهد الداله على هذه الحقيقه حتى أن أحد احياء الكوفه كانت تقطنه قبائل من أهل الشام والغريب من الوهايبه والسلفيه أنهم يذكرون في كتبهم أن الكوفه بقيت إلى زمن متأخر على مذهب سنه خلافه الجماعه، فكيف يكونون من الشيعة.

المحاور: الموقف العقلي يمكن التشكيك فيه بأساليب كثيره في حين أن الموقف العاطفي المشتعل لا- يقبل التردد أمام التشكيك العقلي هناك من يقول أن الأمه كانت تدرك ظلم يزيد وآل أميه ولكنها كانت تحتاج إلى أن ينتقل من المستوى العقلي إلى المستوى العاطفي وهذا هو الذي تكفلت به ثوره الإمام (عليه السلام) كيف تقيمون هذه الرؤيه؟.

الشيخ السند: العقل يطلق ويراد به معانى فقد يراد به العقل النظرى وهى قوه الإدراك الفكرى، وقد يطلق ويراد به العقل العملى وهو قوه العقل العمّال المحرّك المسيطر على قوه التحريك في النفس من قوى

الغضب والشهوه، وقد سئل الكاظم (عليه السلام) عن العقل فقال (عليه السلام):

«ما عبد به الرحمن وأكسب به الجنان»، وهو ينطبق على العقل العملى ومصنع الإراده فى النفس هو العقل العملى، ولا يكفى لهدايه وكمال وصلاح الإنسان أن يدرك الحق والحقيقه الصادقه بعقله النظرى، دون أن يصدق و يدعن ويسلم بذلك فيقيم عزمه على ذلك وبالتالي تنطلق قواه العمّاله على مقتضى ذلك، فالعاطفه عباره عن نحو تفاعل وإنشداد للنفس مع الشىء المدرك، فتنظير الحقيقه من دون الإيمان والحركه على هديها، كالطيران بجناح واحد.

ومن هنا تكمن فضيله البكاء فى رثاء مصاب سيد الشهداء حيث انه يلهب المشاعر النفسيه دفعه تجاه الفضيله من الغيره على الدين والشجاعه والفداء والتضحيه وغيرها من مكارم الصفات التى يلزم تحلى النفس بها.

المحاور: بين وعى النخبه من المفكرين، والعامه من الجمهور، أين نجد عاشوراء الحقيقه، هناك من يقول أن جمهور الناس بوعيههم الفطرى يدركون من واقعه الطف ما هو أعمق وأوسع آفاقاً مما يتلقاه الباحثون والمفكرون من خلال دراستهم وبحثهم، كيف تنظرون لمثل هذا القول وما هو هذا الذى يدركه العامه بحسهم الفطرى المرهف ولا يدركه الباحثون بدراساتهم؟.

الشيخ السنند: حيث أن أهل البيت(عليهم السلام) هم الثقل الثانى و عدل الكتاب الكريم الذى هو الثقل الاول و قد استفيض و تواتر بين الفريقين عن

النبي (صلى الله عليه وآله) الأمر بالتمسك بهما، فأهل البيت والقرآن الكريم وجهان لشيء واحد، وعلى ضوء ذلك فإن سيره أئمه أهل البيت (عليهم السلام) ومنهم سيد الشهداء (عليه السلام) سيرته قرآن متجسد. فكما أن القرآن مهما قام الباحثون المتخصصون من علماء التفسير وغيرهم من العلوم الأخرى بتفسيره فإن ذلك لا يمثل كل آفاق القرآن ولا كل ما فيه من عيون المعرفة والعلم فيظل القرآن يرفد للبشرية على مختلف طبقاتها وأفهامها نميراً عذباً كل يغرف منه بحسب سعته وظرفه، فهكذا سيره الحسين (عليه السلام) من المدينة إلى مكة إلى كربلاء إلى يوم العاشر فإنها مليئة بالوقائع والمشاهد التي ينهل منها علماء الفقه والقانون وعلماء الكلام والفلسفة وعلماء الأخلاق والعرفان، وعلماء الأجماع والعلوم الانسانية كل حسب تخصصه وبعده الذى يسير فيه، والعامه تحتفظ بهذا التجسد القرآنى الجمعى المجموع بنحو الإدراك الأجمالى الفطرى فتنصهر فى أجواء مدرسه سيرته (عليه السلام) لاسيما وأن سيد الشهداء كما قال الإمام الرضا (عليه السلام) ما معناه:

«كلنا أبواب هدى و سفن نجاه ولكن باب الحسين أوسع وسفينته فى لجج البحار أسرع».

المحاور: ما الذى نحتاجه اليوم عن عاشوراء الامام الحسين (عليه السلام)؟ وما الذى تحتاجه عاشوراء منا؟.

الشيخ السند: حاجه كل عصر من واقعه الطيف هو أن يستلهموا منها ما يجيب على اسئلتهم المعاشه فى عصرهم من تضارب الأفكار والرؤى وتعدد وجهات النظر، والذى تحتاجه عاشورا وفى الحقيقه هى

الأخرى حاجتنا نحن الى عاشوراء أيضاً وهي أن نحیی الواقعه فی وجداننا و مشاعرنا وذاكرتنا و تفكيرنا كى نعيش الجو التربوى الذى يجب أن نتكامل به وفيه، ولا بد فى الشعائر الحسينيه كما فى الروايات المتواتره عنهم (عليهم السلام) أن تكون حماسيه جياشه وأن تكون مفعمه بالحزن والتفجع والجزع وأن تكون متضمنه للمعانى والمثل التى نشدها سيد الشهداء (عليه السلام) من الغيره والحميه للدين والنبل والإباء للباطل والنهى عن المنكر وإقامه العدل وغيرها مما جاء فى خطبه وكلماته المأثوره.

الشعائر الحسينيه:

المحاور: أنا لست شيعيه بل أنا ستيه المذهب، ولكن أريد أن أتعرف عن عقائد مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، هذا لأنه توجد بعض الأشياء التى يقوم بها الشيعة وأنا لا أوافق عليها. ولعل ذلك قد يكون يتناسب مع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وتعليماته. ألا وهي ضرب الصدور فى أيام عاشوراء، حيث أرى أنه ينبغى أن يكون عاشوراء وقت ذكر الله وعدم النزاع والأضرار بالجسم والأنفس، فلكونى لست شيعيه لا أدري ما هى الأدله التى تؤيد هذا العمل؟ وأريد أن أتعلّم وأتعرف على الحق، علماً بأننى سأتزوج بشاب شيعى - إن شاء الله - حيث أحبه وأحترمه. وأتمنى أن يتم ذلك قريباً على الرغم من اختلاف العقيدته الموجوده بيننا. مره أخرى أقول

بأنكم بذلك ستساعدونني لأتعلم عن حياه إنسان شيعي؟.

الشيخ السند: أما التعرف على عقائد الشيعة الإماميه فيإمكانك قراءه كتب العقائد الشيعيه للتعرف عليها مثل كتب التفسير للإماميه فإنها مليئه بأسس عقائد الشيعة. وأما موسم أيام عاشوراء ففيها قتل الإمام الحسين بن علي (عليه السلام)، وأبن السيده فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله) سبط النبي (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته ظلما من قبل يزيد بن معاويه بن أبي سفيان الأموي، وسبيت نساءه وبناته ونساء أهل بيته وهن حفيدات رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فأنتهكت الدوله الأمويه حرمة رسول الله (صلى الله عليه و آله) في سبطه وانتهك رسول الله (صلى الله عليه و آله) في نساء أهل بيته، وفوق كل ذلك طافوا برأس الحسين (عليه السلام) وبرؤوس أهل بيته البلدان من كربلاء إلى الكوفه إلى الشام، أستعراضاً في هتك حرمة رسول الله (صلى الله عليه و آله) ولم يكتفوا بذلك بل طافوا بنساء أهل بيت الرسول (صلى الله عليه و آله) البلدان، مع إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال:

«أن الحسن والحسين ريحانئاي من هذه الدنيا»(١)، وقال (صلى الله عليه و آله):

«هما سيدا شباب أهل الجنة»(٢)وقال (صلى الله عليه و آله):

«هما إمامان قاما أو قعدا»(٣).

بل إنَّ الله تعالى قد أوصى جميع المسلمين بقوله تعالى: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ

ص: ٤٧٤

١- (١) ينايع الموده للقندوزي ج ٣ ص ٧٣.

٢- (٢) سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٢١ ح: ٣٨٥٦.

٣- (٣) البحار ج ٣٦ ص ٢٨٩.

عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ١، فجعل تعالى أجر جميع تبليغ دين الله تعالى هو موده قربي رسول الله (صلى الله عليه و آله) والموده ليست مجرد المحبه بل هي شدتها مع إبرازها فكيف بهذه الوصيه الإلهيه والفريضه القرآنيه تخالف وتجدد، وتنتهك مع انه تعالى قد أعظم من شأنها فجعلها عدل وأجر الدين كله.

وأمرنا بصله قربي النبي (صلى الله عليه و آله) لا بقطيعتهم بينما قام يزيد الأموي بما قام من هذا الجرم الفظيع الشنيع وقال:

«ليت أشياخي ببدر شهدوا وقع... إلى أن يقول: لعبت هاشم بالملك فلا خير جاء ولا وحي نزل»^(١).

فهو يصرح بأنه يثار لأجداده المشركين الذين قتلوا ببدر وينتقم لهم من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه و آله) بذلك ويزداد يزيد عناداً وعتواً فيكفر بتصديق الوحي والرساله، وكيف لا وهو الذي أتى بواقعه الحزّه الفجيعه في المدينه وأهلها وهتك كل الحرمات فيها في السنه الثانيه من ملكه وفي السنه الثالثه هدم الكعبه ورجمها بالمنجنيق.

فما تصنعه الشيعة من إقامه الحزن والعزاء هي مواساه لرسول الله (صلى الله عليه و آله) لما جرى على سبطه وحبيبه الحسين وعملاً بوصيه القرآن بموده قربي

ص: ٤٧٥

الرسول ومقتضى المحبه هي الحزن لمصائب المحبوب وقد قال تعالى في ما استعرضه من سيره النبي يعقوب عندما ابتلى بفراق يوسف ابنه: وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُنُوا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعَلَّمَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ... إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا - أَنْ تُفَنِّدُونَ * قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ... ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ مَا كُنْتَ لِمَدْيِهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَ هُمْ يَمْكُرُونَ وَ مَا تَسْتَأْذِنُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ... لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ... لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْسَّائِلِينَ ١. فنرى في هذه السيره للنبي يعقوب (عليه السلام) التي قصها لنا القرآن عبره ولنقتدى بما فيها من توصيات، إن سيره النبي يعقوب الحزن على ما أصاب ابنه يوسف حتى بلغ من حزنه وبثه أن عميت عيناه، وقد عابه أبناءه على ذلك، فلم يعبا باستنكارهم عليه بل استنكر هو عليهم جهلهم برشاد فعله من الحزن على يوسف، وقاوم النبي يعقوب أبناءه في استنكارهم عليه الحزن على يوسف ورميهم له بالضلال، واستنكارهم طول حزنه على يوسف الذي استمر عقوداً من السنين.

ففى هذه الآيات يوصينا القرآن بالعبره من فعل النبى يعقوب بإقامه الحزن وبث الشكوى إلى الله تعالى على فقد أبناء الأنبياء المصطفين، وعلى ما جرى عليهم من المصائب، حتى أن النبى يعقوب بلغ به الحزن الشديد أن تسبب ذلك فى عمى عينيه الشريفتين، ولم يكن يعقوب يعبأ بذلك ولا بما ينكره عليه الآخرون من الحكم بضلاله، فقد أصرَّ على أن الحزن وبثه الشكوى على المصاب على أبناء الأنبياء المصطفين هو من الرشاد. مع أن يعقوب قال لأولاده: **يٰلَ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبِّرْ جَمِلاً (١)**، فلم يكن حزنه وبكائه وبثه الشكوى إلى الله فى المده الطويله الزمنيه حتى عميت عيناه لم يكن ذلك منافيا للصبر الجميل.

والسرّ فى ذلك مع أن الجزع والحزن الشديد غير ممدوح فى ما يجرى على الإنسان من مصائب، كموت عزيز وفقد حبيب، وذلك لكونه اعتراضاً على قضاء الله وقدره وعدم الرضا بتقديره، السر فى فعل النبى يعقوب هو كون يوسف ليس من قبيل بقيه الناس بل كان مجتبى ومصطفى كما فى قول يعقوب له: **وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٢**، أى إن أهل بيت

ص: ٤٧٧

الأنبياء وذريتهم المجتباة المنعم عليهم يستحقون التقدير والإحترام والموده لأنهم قدوات البشرية وأعظم الثروات المعنويه التي تهتدى بتوسطها البشرية إلى الصراط المستقيم وقد قال النبي في الخبر المتواتر الذي رواه الفريقان:

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما أبداً وأنهما لن يفترقا حتى يرثي عليّ الحوض»^(١)، فعترته هم علي وفاطمة والحسن والحسين وقد فرّطت جماعات من المسلمين فيهم وتركوا التمسك بهما معاً، مع أنه تعالى قد أمر النبي (صلى الله عليه وآله) في يوم المباهله بالأحتجاج بعترته ومنهم الحسين (عليه السلام) فقال تعالى: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ٢، فجعل الله تعالى الحسين (عليه السلام) ممن يحتج به علي أهل الكتاب والبشرية إلى يوم القيامة، فجعل البارى الحسين (عليه السلام) حجته على البشرية في صدق نبوه الرسول (صلى الله عليه وآله)، وهذا نداء من القرآن خالد على مقام الحسين (عليه السلام) وكذلك ما فى سورة الدهر والإنسان من وصفه من عباد الله الذين يسبقون ويفوقون الإبرار، فالحزن على الحسين (عليه السلام) والحزن على يوسف ليس تبرماً وعدم رضا بتقدير الله تعالى بل هو موده لذى القربى وتمسكاً بالثقلين وإستنكاراً للظلم وإبتعاداً من الضلال الذى يسير عليه يزيد وأمثاله من أعداء أولياء الله تعالى.

ص: ٤٧٨

١- (١) فضائل الصحابه للنسائى ص ١٥ فضائل على (رضى الله عنه).

هذا وقد أمر الرسول (صلى الله عليه و آله) بعد غزوه احد بالبكاء والندبه على عمه حمزه، فكيف بأبنه وريحانته الحسين (عليه السلام).

المحاور: ما هي الأدله على حضور أرواح الأئمه (عليهم السلام) في مجالس العزاء الحسيني؟.

هل بإمكان الأئمه (عليهم السلام) الأستكثار من الخير بعد أستشهادهم كدعائهم لله مثلاً؟.

الشيخ السند: قال تعالى: وَقَلِّ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ١، والآيه داله على رؤيه الرسول (صلى الله عليه و آله) ورؤيه المؤمنون وهم أهل بيته المطهرون.

لأعمال جميع الأمه وظاهر الرؤيه هي مشاهده العمل حين صدوره، كما هو الحال في رؤيه الباري تعالى ومن ثم أطلق الله تعالى على رسوله (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام) أنهم شهداء على الخلق كما في سوره الحج: مَلَأَ آيَاتِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هَذَا لِيُكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ٢، فهؤلاء الشهداء هم من نسل إبراهيم وهو أبوهم وهم خاصه سيد الرسل (صلى الله عليه و آله) والرسول (صلى الله عليه و آله) شاهد عليهم وهم شهداء على الناس والشاهد هو الذى يشهد العمل أى تكون

أعمالنا حاضره عنده وفي مرمى حيطته.

وأما الأستكثار من الخير في عالم البرزخ والآخرة عن طريق الدعاء وغيره فقد وردت بذلك جملة من الآيات كقوله تعالى: يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ١. وهذا يطلق عليه في البحوث العقلية والفلسفة التكامل البرزخي والاخروي.

عاشوراء:

المحاور: من أين جاء صوم يوم عاشوراء، وما هي نظره الشارع المقدس عن هذا الموضوع؟.

الشيخ السند: ورد في الروايات أن بنى أميه أتخذته يوم صوم لفرحها بقتل الحسين (عليه السلام) وأن من كان يوالى أهل البيت (عليهم السلام) فلا يصوم ذلك اليوم، لأن الصوم يعبر عن حاله شكر فما ورد في بعض الروايات من الأمر بصومه محمول على التقية، وقد أترف ابن تيميه بوضع النصاب المعادين لأهل البيت (عليهم السلام) هذه الروايات. الأمر بصومه وفضيله الصوم فيه.

المحاور: ماهي موقعه الحجية للسيدة زينب بنت أمير المؤمنين (عليه السلام)؟

الشيخ السند: في الواقع إذا أردنا أن نتعرف على شخصيه العقيله زينب (عليها السلام) التي هي نبعه من نبعات النبوه، وغصن من أغصان شجره

ص: ٤٨٠

الرساله، ولتوضيح نبذه من مقاماتها (عليها السلام) لا بد من الخوض فى مقدمه تمهيديه وهى:

إن فى الدين الإسلامى الذى هو دين الأنبياء والرسل إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ١، وفى معارف الشرائع السماويه هناك مقام لنماذج بشريه ليسوا برسل، وليسوا بأنبياء، وليسوا بأئمه.

أقسام الحجج الإلهيه:

اشاره

الحجج الإلهيه قد تقسم إلى خمسہ أقسام وهى:

القسم الأول: مقام الرسل:

فإنَّ كل رسول نبى وليس كل نبى رسول.

القسم الثانى: مقام الأنبياء:

فإنه ليس كل نبى رسول ولكن العكس صحيح، كما هو المشهور عند المتكلمين، أو أن جل الرسل أنبياء، إذ بعض الرسل ليسوا أنبياء بل ملائكه كجبرئيل إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ ٢.

ص: ٤٨١

القسم الثالث: مقام الإمامه:

وهو مقام إلهى شرعى أشار إليه القرآن الكريم إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ١ وقوله تعالى: وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا ٢.

القسم الرابع: مقام الحجّه:

والذى هو ليس برسول ولا نبى ولا إمام.

وهو من يكون حجّه أصفى وأنتجب ولكن ليس بنبى ولا -رسول ولا إمام، نظير ما ورد فى السيده مريم (عليها السلام) فمريم (عليها السلام) ليست بنبيه ولا برسول ولا إمام، ولكنها حجّه مصطفىاه وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ٣.

ولا يخفى على القارىء أن هذه التقسيمات لا نجدّها عند المذاهب الأخرى ما عدا النبوه والرساله، فهم لا يشاركوننا فيها، ولا يعيرون انتباهاً (ولا اهتماماً) بهذا المقام المذكور فى القرآن الكريم، فضلاً عن أن يعيروا انتباهاً إلى المقام الرابع وهو من يكون حجّه مصطفىاه وليس بإمام ولا برسول ولا نبى.

فالحجيه الإلهيه عند المذاهب الأخرى مقتصره على النبوه والرساله،

وأما الإمامه فضلاً عن الحجية التي ليس لها لون الإمامه ولا لون النبوه ولا لون الرسالة، فلا يعيرون لها أى أهميه، ومن ثم كانت معتقدات مذهب أهل البيت على هذا التنوع الرباعى أو الخماسى - كما سيأتى - فى الحجج، النبوه والرساله والإمامه وحجيه إلهيه مصطفاه وإن لم تكن موسمه بهذه الأوسم الثلاثه - النبوه والرساله والإمامه - ومن ثم نعتقد فى الصديقه الطاهره فاطمه الزهراء (عليها السلام) إنها مصداق آيه التطهير، نظير ما ورد فى مريم بل وأعظم شأنًا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ .

ف- (على) هنا يعنى أنها حجه مع أن مريم ليست من الأقسام الثلاثه الأولى ، ولكن أفعالها حجه، فكل ما فعلته وأدلت به هو حجه ، فَأَنْتَ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ١.

فقد بعثت بمهمه إلهيه فإِذَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلَّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ٢.

فهى كانت مأوره من قبل السماء بوصايا إلهيه فى ظل نبوه النبى عيسى (عليه السلام) وتبع لنبوته (عليه السلام) مع أنها لم تكن بنبيه ولا برسول ولا بإمام.

فإذن هذه المعتقدات التي تعتقد بها شيعه أهل البيت (عليهم السلام) لها أصول قرآنيه متينه جداً، واللازم على من يؤمن بالقرآن الكريم ولا يجعله عضين يؤمن ببعض ويكفر ببعض، أن يلتزم ويعتق مثل هذه العقائد. إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ١.

القسم الخامس: مقام الحكمة و التعليم:

اشاره

بل فى القرآن الكريم مقام خامس أو مقامات أخرى أيضاً كما يقال، قد يكون مركز الدائره النبوه والرساله ثم الإمامه ثم الحجيه المصطفاه، ثم تأتى دائره أوسع تحيط بهذه الدوائر الأربع من أقسام الحجج الإلهيه، ولهم أدوار إلهيه رسمها القرآن الكريم ورسمها الدين الحنيف ولهم ذلك الوقع الأسل فى تاريخ أمواج الأجيال البشريه، نظير نماذج كثيره ذكرها القرآن الكريم.

١- لقمان الحكيم:

اشاره

فهو ليس بنبى ولا برسول ولا بإمام، كما لم يعين من قبل السماء بأنه حجه مصطفاه كمریم (عليها السلام)، ولم يرد فيه ما ورد فى مریم بأنه أصطفى على العالمين، ولكن ورد فيه أنه قد أوتى الحكمة و لَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ

اشكروا لله ١، حتى سميت سورة بأكملها بأسمه.

وقد جعل الباري تعالى حكمه لقمان يتلى في آيات مرشده للأجيال البشرية إلى يوم القيامة، مما يدل على أنه هناك مقامات إلهية لثله من بقيه أقسام البشر، ولكن هؤلاء - ذوى المقامات الأخرى - ليسوا من الحجج الإلهية بالمصطلح الكلامي أو المصطلح العقيدى، ولكن ذوى مقامات إلهية وشؤون معينه.

مقامات أخرى:

وهناك مقامات أخرى ذكرها القرآن وسطرها غير الحكمه، وهى مقام وباب مفتوح لمن يوفقه الله ويسدده إلى مثل هذا المقام. فإن بعض المقامات الإلهية لا زالت البوابه فيها مفتوحه.

فالنبوه والرساله والإمامه بل حتى الاصطفاء الذى هو القسم الرابع ليست هى مقامات اكتسابيه بل هى اصطفايه محضه على طبق مؤهلات وقابليات فى الشخص المختار بتعيين من إرادته إلهيه، وبعبارة أخرى باختيار من الله عزَّ وَجَلَّ سابق لذوات بشريه على وفق ما علم منهم بعلم سابق أنهم سيكونون على طاعه متميزه من بين البشر، فيصلفيهم ابتداءً

ص: ٤٨٥

وَيَمْتَحِنُهُمْ بَقَاءُ مَا قَالَتْ تَعَالَى وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ١.

أى تعين أصحاب تلك المقامات من الأنبياء والرسل والأئمة والحجج المصطفاه، أما المقام الخامس فليس فيه حصر بل الباب مفتوح.

وهذا المقام - الخامس - له أمثله كثيره فى القرآن الكريم كما بينا.

٢- آسيا بنت مزاحم:

وهى امراه فرعون وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَتْنَا فَزَجَّهَا ٢.

فهنا البارى تعالى قرن آسيا بنت مزاحم مع مريم بنت عمران المصطفاه الحجه، فقرن هاتين المرأتين كأمثوله وأسوه لا- لنساء العالمين، بل كأمثوله وقدوه لكل المؤمنين، رجالاً ونساءً، فى ثبات إستقامه هاتين المرأتين، وفى عفتهم ومثابرتهم وكفاحهن فى سبيل شريعته السماء، حتى ورد فى الروايات النبويه وروايات المعصومين (عليهم السلام) أن آسيا بنت مزاحم من الكاملين، فعن النبى (صلى الله عليه و آله) قال:

«كامل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع آسيا بنت مزاحم امراه فرعون ومريم بنت عمران وخديجه بنت

وهذا الحديث ليس على سبيل الحصر فى بيان النبى (صلى الله عليه و آله) وإنما لبيان كان فى زمنه (صلى الله عليه و آله) إذن يتضح من خلال هذا الحديث أن آسيا بنت مزاحم من الكملين، والكامل هو الذى يؤتى الحكمة ويؤتى رشده و لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٢.

فلا- ريب إذن أن الكملين يؤتون الحكمة ويكونون من قبيل لقمان الحكيم، بل أن ذيل الآية يشير إلى باب مقام مفتوح يمكن اكتسابه بالمجاهدة والوصول إلى مقام الإحسان فتفتح عليه الحكمة الإلهية والعلم لكن بحسب رتبة المحسن فى درجه أحسانه.

دور أصحاب القسم الخامس:

وقد يشار سؤال حول القسم الخامس وهو ما دور الذين هم من هذا القسم وأى تأثير لهم على البشر والاجيال البشريه هل هم حجج كالقسم الرابع أم لا.

والجواب: إن دورهم هو نظير بعض الأنبياء الذين لم يبعثوا إلى الخلق ولم تكن لهم رساله.

ص: ٤٨٧

١- (١) تفسير البيضاوى للبيضاوى، ج ٣٥٩ : ٥ تاريخ ابن الوردى، ج ٩٩ : ١، نور الثقلين ج ٣٧٧ : ٥.

بل ولم يبعثوا حتى إلى أهلهم وذويهم وهذا بأعتراف كافة المسلمين (١).

فقد قال أبو عبد الله (عليه السلام): الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات: فنبى منبأ فى نفسه لا يعدوا غيرها، ونبى يرى فى النوم ويسمع الصوت ولا يعاينه فى اليقظه، ولم يبعث الى أحد وعليه إمامٌ مثل ما كان إبراهيم على لوط (عليهما السلام)، ونبى يرى فى منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك، وقد أرسل الى طائفه قلوباً أو كثروا، كيونس قال الله ليونس: وَ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ٢، قال: يزيدون ثلاثين الفاً وعليه إمام، والذى يرى فى نومه ويسمع الصوت ويعاين فى اليقظه وهو إمام مثل أولى العزم وقد كان إبراهيم (عليه السلام) نبياً وليس بإمام حتى قال الله إِنَّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً (٢).

فإن هناك قسماً من الأنبياء فقط ينبأ لنفسه وليست له أى حجه حتى على أبنائه وأسرته فضلاً عن قرينه أو البشر.

وليس فى فعل الله عبث ولا لغو وإنما كله حكمه ... فله دور لا بما هو نبىء عن السماء بل له دور بما يدل على من رشد وحكمه وبيانات وبراهين، فتكون الحجية فيما يديه من بينه ورشد وحكمه.

ص: ٤٨٨

١- (١) الفتوحات المكيه لأبن عربى: ج ٤١: ٢، الخصائص الفاطميه للكجورى، ج ٢٩٤: ٢.

٢- (٣) الكافى للكيلنى ج ١٧٤: ١.

أى أن الحجية ليست لكلامه بصفه أنه صادر من ذات ذلك الشخص، كما هو الحال فى الأقسام الاربعه بل الحجية هى لما يتضمنه كلامه من أدله وبراهين وبيانات هى بنفسها متصفه بالحجيه نظير حجيه العقل فى البديهيات، فدور أصحاب القسم الخامس هو إرشاد العباد إلى تلك البراهين وتلك البيئات فدورهم بمثابة التنبه وأحداث اليقظه والإلفات إلى المعرفه التى هى متضمنه ومنطويه على دلائل وحجج برهانيه.

فبهذا اللحاظ ليس لأشخاص القسم الخامس صفه رسميه فى نظام ظاهر الدين والشريعة، إلا أن لهم مسؤوليات بنشر ما هو نور وبرهان وهداياه ورشاد، فمدار تلقى الآخرين منهم هو على حجيه ودلائل ذات المعرفه التى يكشفون لا على صدور تلك المعرفه من لسانهم وأقوالهم.

وهذا نظير مؤمن آل فرعون - حزقيل (عليه السلام) - وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ۗ ١.

وكذلك نظير مؤمن آل ياسين - حبيب النجار - وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ٢.

وهؤلاء لم يكونوا من الأنبياء والرسل ولا حجه مصطفىاه ولكن

كانوا من الكمل وكانوا من ذوى الحكمة اللدنيه وليس الحكمة الكسييه.

وقد جعل القرآن الكريم حكمهم ورشدهم قرآناً متلوّاً ونبراساً هدايه ونوراً للأجيال البشره إلى يوم القيامه.

وكذلك بالإضافه الى آسيا بنت مزاحم ومريم بنت عمران.

إذن فالثمره من دور القسم الخامس وإن لم يكن لهم حجه تعدديه على الآخرين، ولم يتعبد البارى الآخرين على إطاعتهم وإتباعهم بما هم هم كحجج ولكن مع ذلك لم يفقد البارى دورهم وأثرهم فى البشره، بل هم ينبوع البيئات والبراهين، وبالتالى الآخرون يتبعونهم لأجل ما يثرونه من رشد وبينه وهدايه.

فنحن عندما نتبع لقمان أو آسيا بنت مزاحم أو مؤمن آل فرعون أو آل ياسين إنما نتبع ما يدلون من حجج وبيئات وبراهين ورشد وهدايه ونور... وكذلك بقيه النماذج التى سطرها القرآن الكريم.

الحكماء الإلهيون و المعلمون فى الامه الإسلاميه:

وإذا أتضح لنا مثل هذا الباب من المعرفه القرآنيه الاعتقاديه يتضح لنا أن فى الأمه الإسلاميه من هذا القسم - الخامس - قد قام بهذا الدور أيضاً ثله وهم من يحيطون بأهل البيت (عليه السلام) إما يحيطون بهم نسباً، أو يحيطون بهم ولائياً كسلمان الفارسى وعمار والمقداد وأبى ذر.

أما الذين يحيطون بأهل البيت (عليه السلام) فنذكر نماذج منهم لكى نتعرف فى

النهايه على شخصيه الحوراء زينب (عليها السلام) وعظمه دورها فى الدين الإسلامى وفى الأمه الإسلاميه وفى المعرفه الدينيه، حتى ذكر بعض الفقهاء أو المتكلمين من الإماميه دورها ربما يفوق حتى دور مريم (عليها السلام) كما سنبين.

الحكماء الإلهيون والمعلمون فى ذرارى أهل البيت (عليهم السلام):

ومن نماذج ذرارى اهل البيت (عليهم السلام) التى هى من القسم الخامس بعض أبناء الأئمه الذين بدا الله فى إمامتهم، كإبراهيم ابن النبى (صلى الله عليه و آله)، فقد روى الفريقان أن النبى (صلى الله عليه و آله) قال فى موت ولده إبراهيم ابن ماريه: لو عاش إبراهيم لكان نبياً^(١).

وربما قد يثير الكثير إشكالاً حول هذا الحديث، وأن هذا الحديث يخالف حديث المنزله

«أما ترضى - يا على - أن تكون منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى»^(٢).

ولكن فى الحقيقه لا توجد أى مخالفه ولا معارضه، لأن النبى (صلى الله عليه و آله) لا يخبر عن أمر تحقيقى قد يقع، وإنما يخبر عن أمر تعليقى، وحديث «لا نبى بعدى» إخبار تحقيقى.

ص: ٤٩١

-
- ١- (١) تاريخ دمشق لأبن عساكر: ج ١٣٨: ٣، السيره النبويه لأبن كثير: ج ٦١٣: ٤، البحار للمجلسى: ج ٢٢، ٤٥٨.
 - ٢- (٢) تاريخ الطبرى: ج ٣٦٥: ٢ ط مؤسسه الأعلمى، صحيح البخارى: باب غزوه تبوك، الإرشاد للمفيد: ١٣٨.

والمهم أن هذا الحديث - لو عاش إبراهيم لكان نبياً - فى الواقع يريد النبى (صلى الله عليه و آله) أن ينبىء عن منزله إبراهيم، وإن هذه النطفه النبويه هكذا شأنها.

وقد ورد نظير ذلك وبشكل أخف فى الطاهر والقاسم أبنى النبى (صلى الله عليه و آله) حيث ورد فيهما أنهما مطهرون ذاتاً، وقد كان يلقبان بالطيب والطاهر.

وأيضاً ما ورد فى المحسن ابن على وأبن فاطمه الزهراء (عليها السلام).

على الأكبر:

إشارة

وقد قال الإمام الحسين (عليه السلام) حينما برز ولده على الأكبر وهو يومئذ أبن ثمانى عشر سنه، فلما رآه الحسين رفع شيبته نحو السماء وقال:

اللَّهُمَّ أَشْهَدُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، فَقَدْ بَرَزَ إِلَيْهِمْ غَلَامٌ أَشْبَهَ النَّاسَ خَلْقًا وَخُلُقًا وَمَنْطِقًا بِرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)...

ثم صاح الحسين بعمر بن سعد: مالك!

قطع الله رحمك، ولا بارك الله فى أمرك، وسلط عليك من يذبحك على فراشك، كما قطعت رحمى، ولم تحفظ قرابتى، من رسول الله (صلى الله عليه و آله) ثم رفع صوته وقرأ:

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .

وقرائته (عليه السلام) لهذه الآيه لبروز على الأكبر ليعطى من مدلول أن علياً الأكبر لا أقل قد يدرج فى القسم الخامس إن لم يدرج فى القسم الرابع الذى ذكرناه.

وفى إحدى الزيارات المخصوصه (١) للإمام الحسين (عليه السلام) التي وردت عن الإمام الصادق (عليه السلام): ثم أمضى إلى ضريح علي بن الحسين (عليه السلام) وقف عليه وقل:

«السلام عليك أيها الصديق الطيب الزكي الحبيب المقرب وأبن ريحانه رسول الله، السلام عليك من شهيد محتسب ورحمه الله وبركاته ما أكرم مقامك وأشرف منقلبك، أشهد لقد شكر الله سعيك وأجزل ثوابك وأحقك بالذروه العاليه حيث الشرف كل الشرف وفي الغرف الساميه كما من عليك من قبل وجعلك من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا....

فأشفع أيها السيد الطاهر إلى ربك....

زاد الله في شرفكم في الآخره كما شرفكم في الدنيا وأسعدكم كما أسعد بكم وأشهد أنكم أعلام الدين ونجوم العالمين».

البداء في الإمامه:

إن معنى البداء في الإمامه لها معانى كثيره، ونحن الآن لسنا بصدد الخوض في ذلك ولكن يتضح من هذا كما ذكر كثير من علماء الإماميه، أن

ص: ٤٩٣

١- (١) مفاتيح الجنان: زياره أول يوم من رجب.

هذه الثلث من أبناء الأئمة لهم تأهل وأهليه تتلو الأئمة الأثنى عشر فلهم مثل هذه الأهليه، فلا ريب إذن في أندراجهم في القسم الخامس، وإن لم تبرز ويظهر وينشر وتجعل لهم حجيه رسميه.

فقد ورد في إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) وذلك في قول الإمام الصادق (عليه السلام):

ما بدا لله بقاء كما بدا له في إسماعيل أبنى (١).

وفي حديث آخر قال الصادق (عليه السلام):

ما بدا لله بقاء كما بدا له في إسماعيل ابي حيث أمر أباه إبراهيم بذبحه ثم فداه بذبح عظيم (٢).

وكذلك قد ورد أيضاً في السيد محمد ابن الإمام علي الهادي (عليه السلام):

بدا لله من محمد إلى الحسن كما بدى له من إسماعيل بن جعفر إلى موسى (٣).

فترى أن ثلثه من أبناء الأئمة قد بدا لله تعالى في أمانتهم.

إذن القسم الرابع والخامس قسمان من هداه البشر قد أستعرض القرآن الكريم في معارفه الدينيه لهذين القسمين.

ولا ريب من إندراج نماذج من ذراري أهل البيت (عليهم السلام) في كل من القسمين بشهادته النصوص المتكثرة والوارده في ذراري أهل البيت (عليهم السلام) وطبعاً لا كلهم وإنما لبعض العينات الخاصه والبارزه منهم صلوات الله عليهم.

ص: ٤٩٤

١- (١) التوحيد للصدوق: ٣٢٧.

٢- (٢) المصدر السابق.

٣- (٣) كمال الدين وتمام النعمه للشيخ الصدوق: ١٠٨.

ويشير إلى القسم الخامس عدة آيات قرآنية كقوله تعالى ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكُمْ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۝١.

فعن أحمد بن عمر قال: سألت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) عن قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا الْآيَةَ قَالَ: فَقَالَ: وَلَدِ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) (وَالسَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ) الْإِمَامُ وَ (الْمُقْتَصِدُ) الْعَارِفُ بِالْإِمَامِ (وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ) الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْإِمَامَ (١)،

وفى بصائر الدرجات عن الباقر (عليه السلام): السابِقُ بِالْخَيْرَاتِ الْإِمَامُ فَهِيَ فِي وَلَدِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) (٢).

وروى أيضاً عن الإمام جعفر بن محمد (عليهما السلام) أنه سئل عن قول الله عز وجل ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ، فقال: الظالم يحوم حوم نفسه، والمقتصد يحوم حول قلبه، والسابق بالخيرات يحوم حول ربه عَزَّ وَجَلَّ (٣).

وهذه الآية لها شواهد من مجموعه أخرى لا يسمح المجال هنا

ص: ٤٩٥

١- (٢) تفسير نور الثقلين: ج ٣٦١: ٤.

٢- (٣) المصدر السابق : ٣٦٢.

٣- (٤) المصدر السابق.

بأستعراضها تدلل على أن الذين أورثوا الكتاب هم الأئمة من ذريه فاطمه.

وأن الجمع بين ظواهر القرآن ليس بقدره البشر بشكل دقيق و متقن كما هو الجمع في علم الرياضيات بين البديهيات فيها وكل المجهولات النظرية، فإذا أولاد فاطمه (عليها السلام) يتقسمون إلى ثلاثة أقسام، ظالم لنفسه وهو الذى لم يعرف الإمام المعصوم، ومنهم مقتصد وهو الذى يعرف الإمام المعصوم ويعترف به والسابق بالخيرات (1).

إِذَنْ هَٰذِهِ الْآيَةُ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ - إذا كان مصداقها ولد فاطمه (عليها السلام) كما تشير إلى ذلك آية الموده قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ٢.

وإن كان المصداق الأول هم المعصومون، إلا أن ثله من ولدها (عليها السلام)

ص: ٤٩٦

١- (١) وهذا نظير ما ورد فى الحسين ذو الدمعه ابن زيد الشهيد بن الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وكان سيداً زاهداً عابداً، ولقب بذي الدمعه لكثرة بكائه فى صلاه الليل من خشيه الله، وكان يروى عن الإمامين الصادق والكاظم (عليه السلام) (منتهى الآمال ج ٧٥: ٢). وكذلك ما ورد فى على العريضى ابن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) حيث روى الشيخ الكلينى عن محمد بن الحسن بن عمار أنه قال: كنت عند على بن جعفر بن مُحَمَّد (عليه السلام) جالساً، وكنت أقمت عنده عشر سنين أكتب عنه ما سمع من أخيه (يعنى أبا الحسن) إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن على الرضا (عليه السلام) المسجد، مسجد رسول الله (ص)، فوثب على بن جعفر بلا حذاء ولا رداء فقبل يده وعظمه. فقال له أبو جعفر (عليه السلام) (الإمام الجواد): يا عم، أجلس رحمك الله، فقال: يا سيدى، كيف أجلس وأنت قائم؟ فلما رجع على بن جعفر إلى مجلسه جعل أصحابه يوبخونه ويقولون: أنت عم أبيه وأنت تفعل به هذا الفعل؟! فقال: اسكتوا، إذا كان الله عَزَّ وَجَلَّ - وقبض على لحيته - لم يؤهل هذه الشبيه وأهل هذا الفتى ووضعه حيث وضعه، انكر فضله؟ نعوذ بالله مما تقولون، بل أنا له عبد.

فى الرتبه الثانىه الذىن هم مطهرون، ولهم رتبه من قبىل القسم الرابع أو القسم الخامس، ومن نماذج هذا القسم من ولد فاطمه القاسم ابن الإمام موسى أبى جعفر (علىه السلام) حَيْثُ وَرَدَ فِىهِ كَمَا رَوَى يَزِيدُ بْنُ سَلَيْطٍ قَالَ: طَلَبْتُ مِنَ الْإِمَامِ مُوسَى (علىه السلام) ان يعين لى الإمام من بعده فقال (علىه السلام):

أخبرك يا أبا عماره إنى خرجت فأوصيت إلى أبى على، ولو كان الأمر لى لجعلته فى القاسم أبى لجبى ورأفتى علىه ولكن ذلك إلى الله تعالى، يجعله حيث يشاء(١).

وَوَرَدَ عَنِ الْإِمَامِ الرضا (علىه السلام) أنه قال:

من لم يقدر على زيارتى فليزر أخى القاسم(٢).

وفى وصيه أمير المؤمنىن (علىه السلام) ومن الأئمه (عليهم السلام) أن زىنب تقوم بدور يتشاطر مع دور الإمام الحسين (علىه السلام) وهذا شبيهه ما قامت به مريم بنت عمران.

زىنب و مريم (عليهما السلام):

فإنَّ السىده مريم (عليها السلام) قامت بدور يشاطر مع دور ولدها النبى عيسى (علىه السلام) فإن أول من أعلن الشرىعه العىسويه وأعلن البشاره بالنبى عيسى (علىه السلام)، لم يكن هو النبى عيسى (علىه السلام) ولم يكن هو النبى زكريا (علىه السلام) مع وجوده وحياته،

ص: ٤٩٧

١- (١) أصول الكافى للكلينى ج ٣١٤ : ١.

٢- (٢) بحار الأنوار ج ٣١١ : ٤٨ .

وإنما الذى أعلن البشاره بولاده ونبوه عيسى (عليه السلام)، وبالتالى نسخ شريعته النبى موسى (عليه السلام)، وهى السيده مريم (عليها السلام)، وهذا الدور دور خطير وليس بالسهل، وكان بوصيه من السماء إلى السيده مريم فَأَمَّا تَرِيْنٌ مِّنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ١.

فمريم لها حجه تشاطرت مع النبى عيسى (عليه السلام) ولذلك يقول البارى تعالى:

وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ٢ وَفِي آيَةٍ أُخْرَى وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ٣.

زينب و فاطمه (عليهما السلام):

وكذلك شبيهه ما قامت به أمها السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) مع أبيها أمير المؤمنين (عليه السلام)، حيث حصل بعد وفاه النبى (صلى الله عليه و آله) إختباط واختلاط الأمر على المسلمين فضلاً على الأجيال اللاحقه فى الأمه الإسلاميه، فقد كان أمير المؤمنين (عليه السلام) والصديقه (عليها السلام) قد تشاطرا النهضه فى إزاحه غيوم البلوى عن هذه الأمه، وإلا لبقيت الأمه فى عمياء هالكه جداً، ولا نعى حينئذ طريق الصواب من طريق الهدى، وكان لفاطمه ذلك الدور البالغ الأهميه بعد النبى (صلى الله عليه و آله) فى أنقشاع سحب الظلام وسحب الردى كما هو واضح.

فإذن عندنا فى السنن الإلهيه مشاطره بين الرجل والمرأه ممن أصطفوا لذلك، كما فى مريم وعيسى (عليهما السلام)، وكما فى على وفاطمه (عليهما السلام).

زينب و الحسين (عليهما السلام):

وكذلك إذا كان للحسين ذلك الدور - ونحن ليس الآن فى باب المشاعره ولا فى باب الأدب ولا باب الإثارة العاطفيه، بل فى باب التحليل العلمى المعنوى لهذه المعانى الاعتقاديه والدينيه - فإذا كان للحسين ذلك الدور الذى رسمه النبى (صلى الله عليه و آله) حسين منى وأنا من حسين، وبقاء الدين الإسلامى بالحسين (عليه السلام) وهو سبط هذه الأمه، فإن أبرز دور قام به الإمام الحسين (عليه السلام) فى حياته هو فى واقعه كربلاء، ومن خلال الوصايا النبويه والوصايا العلويه والوصايا الفاطميه ووصايا الأئمه (عليهم السلام)، إن هذا الدور الذى سيقوم به الإمام الحسين (عليه السلام) ينقسم إلى قسمين وإلى دورين، وإن عبر عن ذلك فلاسفه الاجتماع فيما حلوه، ولكن لسنا الآن بصدد تحليل الفلاسفه الاجتماعيه أو التاريخيه، وإن كان هذا البعد لا بأس به، فإنه جذاب إلى الثقافه فى المجتمع.

ولكن نريد أن نركّز الآن على مقام الحجيه لا أكثر.

والمهم من خلال تلك الوصايا أن واقعه كربلاء كانت بين الحسين وأخته زينب (عليه السلام) بكل معنى من معانيها.

فلا بد من وجود زينب مع الحسين في كربلاء، وكان هذا فيه إصرار من الحسين (عليه السلام) وهذا ما أتضح خلال الحوار الذي حصل بين الإمام الحسين (عليه السلام) وأبن عباس (رضى الله عنه) حيث قال ابن عباس للإمام الحسين (عليه السلام):

«جعلت فداك يا حسين إن كان لابد لك من المسير إلى الكوفة، فلا تسرى بأهلك ونسائك..».

فقال له الإمام الحسين (عليه السلام):

«يا بن العم إنى رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى منامى، وقد أمرنى بأمر لا أقدر على خلافه.. إنه امرنى بأخذهن معى، يا ابن العم إنهن ودائع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا آمن عليهن أحداً»^(١).

وفى روايه أخرى جرت بينه (عليه السلام) وبين أخيه محمد بن الحنفية (عليه السلام) حيث روى:

فلما كان السحر، أرتحل الحسين (عليه السلام) فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه فأخذ بزمام ناقته - وقد ركبها - فقال: يا أخى ألم تعدنى النظر فيما سألتك؟

قال: بلى، قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟

قال: أتانى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد ما فارقتك فقال: يا حسين أخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً.

فقال محمد بن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء

ص: ٥٠٠

النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟

قال: فقال لى (عليه السلام): إن الله قد شاء أن يراهن سبايا(١).

ومن خلال هاتين الروايتين مما يدل على أن الدور والمهمه والمسؤوليه التى كانت ملقاه على الإمام الحسين (عليه السلام) كان هو دوراً وواجباً شرعياً يقوم به كل من الحسين والعقيله زينب (عليهما السلام).

ولذا نرى أنه كلما ذكر الإمام الحسين (عليه السلام) والدور الذى قام به، أتى أسم زينب (عليها السلام).

وإذا نظرنا إلى النفس الروحانى الذى يأتى من الذكر العطر للإمام الحسين (عليه السلام)، ما الخاصيه التى فيه «أنا قتيل العبره، لا يذكرنى مؤمن إلا بكى»(٢).

إنظر إلى نفس هذا الوقع له التأثير فى نفوس المسلمين ونفوس أجيال الامه الإسلاميه، إذا أتى ذكر العقيله زينب يأتى فى روح الإنسان المؤمن بالبكاء.

فاسم الحسين (عليه السلام) واسم زينب إسمان قيضهما الله بالقيام بهذا الدور، وهو دور توعيه الامه الإسلاميه وصحوتها عبر الأجيال.

أضف إلى ما قامت به العقيله من خطب فى الكوفه أو الشام أو حتى مسرح الحدث والمعركه، وكذلك فى حجاجها مع عبيد الله ابن زياد، أو

ص: ٥٠١

١- (١) بحار الأنوار: ٣٦٣: ٤٤.

٢- (٢) مستدرک الوسائل: ج ٣١١: ١، باب استحباب البكاء لقتل الحسين (عليه السلام)، بحار الأنوار: ج ٢٧٩: ٤٤.

زينب و السجاد:

بل فى تسكينها للفاجعه على قلب الإمام السجاد عندما بصرت به - الإمام زين العابدين (عليه السلام) - وهو وجود بنفسه، فقالت له:

«ما لى أراك تجود بنفسك يا بقيه جدى وأختى، فو الله إن لهذا العهد من الله إلى جدك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنه هذه الأرض، وهم معروفون فى أهل السموات، إنهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعه، والجسوم المضرجه، فيوارونها، وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا- يدرس أثره، ولا- يمحي رسمه على كرور الليالى والأيام، وليجتهدن أئمه الكفر وأشياع الضلال فى محوه وطمسه فلا يزداد أثره إلا علواً»^(١).

فلو أردنا أن نزن هذه الأدوار بميزان علم النفس أو ميزان علم الاجتماع، أو علم الكلام، أو أى علوم أخرى لا ريب أن هذا الدور قد يساوى أو يفوق الدور الذى قامت به السيدة مريم بنت عمران (عليها السلام)، فالدور الذى رسمه البارى للسيدة مريم أن تقوم فيه عبر الاجيال وإن كان هو خالداً وبارزاً، ولكن إذا كان الدين الإسلامى أعظم شأنًا، أو أن الشريعه المحمديه أعظم من الشرائع السابقه، فالدور الذى أوعز إلى الحسين (عليه السلام) وإلى السيده زينب (عليها السلام) لإبقاء هذا الدين وخلوده هو دور يفوق هذه العظمه.

ص: ٥٠٢

فكثير من العبارات التي وردت في حق السيدة زينب (عليها السلام) كقول الإمام علي ابن الحسين (عليه السلام):

«وأنت عالمه غير معلمه، وفهمه غير مفهمه»^(١).

كل هذه إشارات لا ريب أنها تشير إلى مثل هذا المقام الذي أنخرطت فيه السيدة زينب (عليها السلام) أي من القسم الخامس أو من القسم الرابع.

وقد ذهب جملة من علماء الإمامية أن السيدة زينب (عليها السلام) ممن كَمَّيل من النساء وربما فاق كمالها مريم بنت عمران (عليها السلام) فإذا كانت مريم وآسيا مثلاً ضربه الله للذين آمنوا، فزينب فيما قد قامت به من دور وما أخبرت به النبوات، كما في الحديث الذي روته السيدة زينب (عليها السلام) عن جدها (صلى الله عليه وآله) الذي فيه نبوءه مرتبطة بحقيقه عاشوراء وحقيقه كربلاء

«فو الله إن لهذا عهد من الله إلى جدك وأبيك...».

وقد قالت وأكدت ذلك في قصر الطاغية يزيد (لعنه الله) وكان الخطاب موجهاً إليه حيث قالت:

«فكد كيدك، وأسع سعيك، وناصر جهدك، فو الله لا تمحوا ذكرنا، ولا تميت وحيناً»^(٢).

وكما قالت (عليها السلام):

«وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يمحي رسمه ... فلا يزداد أثره إلا علواً».

ص: ٥٠٣

١- (١) بحار الأنوار، ج ١٦٤: ٤٥.

٢- (٢) حياه الإمام الحسين، ج ٣٨٠: ٣.

فقد مرت بكل ما مرت به من آهات وآلام، ومصائب ومصاعب، وقتل، وسبي، وظلم، ومن فراق أشرف مخلوق على الأرض.

كل هذا وعندما سألتها المجرم الخبيث ابن مرجانه: كيف رأيت صنع الله بأخيك؟

قالت: ما رأيت إلا جميلاً.

فأى امرأة من النساء الكمل كمريم وآسيا لها هكذا دور ومقام.

تميز حركة سيد الشهداء :

المحاور: تميز الإمام الحسين (عليه السلام) عن غيره من الأئمة، بأن حركته ارتبطت بمواجهه مباشره مع السلطات الحاكمه، فهل هي حاله استثنائية؟ أم هو ظرف تاريخي خاص فرض على الإمام الحسين (عليه السلام) القيام بهذا العمل؟

الشيخ السند: في الواقع، مواجهه إصلاح السلطه في النظام الاجتماعي لم يكن حاله استثنائية عند الأئمة (عليهم السلام)، ولا من قبلهم عند جدهم سيد الأنبياء، بل هي حاله ديموميه؛ لأن الدين هو الذي يأتي لإداره وتدير البشر في ظل نظامهم الاجتماعي المعيشي وتلاؤمه مع مسيرهم في العوالم الأخرى، فالإنسان ذو أبعاد مختلفه، والإنسان ذو طبقات مختلفه، فقياده النظام الاجتماعي دنيا وعوالم أخرى، بدنًا وروحًا، هو الهمّ والغمّ الذي حمل على عاقته النبي وأهل بيته (عليهم السلام)، وبالتالي فإن مواجهه السلطه بأشكال وأساليب مختلفه، وإصلاح سلطه البشر، هو هم الأنبياء، والمحور الأصلي في مسيره النبي وأهل بيته (عليهم السلام). نعم، الأسلوب الخاص، والشكل الخاص الذي قام به سيد الشهداء هو بنحو

متميز، عما قام به بقيه الأئمة (عليهم السلام).

الخنوع أو المواجهه عند المدارس الإسلاميه الأخرى:

المحاور: كيف يوازن بين المنهجين المطروحين عند أهل السنه، بين متابعه وطاعه السلطان، والمواجهه المسلحه ضد الحاكم؟

الشيخ السند: هذه الموازنه المعقده هي التي قام أهل البيت (عليهم السلام) وبالذات سيد الشهداء، في ظل جدليه تتجاذب مع المجتمع والإنسان وعقله وفكره، أن لا يفرط في المكاسب، وأن لا يهادن في المفاسد، وكيف يحافظ ويوازن بين دفع المفاسد والإبقاء والادخار للمكاسب، هذا هو الأسلوب المتميز لسيد الشهداء، أنه حاول ألا يقر الفساد والخطأ والوضع العفن، في حين لم يفرط بالمنجزات الصحيحه في الواقع السائد، فلا- إفراط ولا- تفريط. يرى البعض على ضوء ذلك أن سيد الشهداء تصرف بأسلوب ساخن، وأن الإمام الحسن تصرف بأسلوب بارد، وفي الواقع، إن أسلوب سيد الشهداء وأسلوب الإمام الحسن (عليهما السلام)، يجتمعان وأسلوب أبيهما سيد الأوصياء وجدهما سيد الأنبياء. كان أسلوب النبي (صلى الله عليه وآله) في مكة لثلاث عشره سنه أسلوب الهدنه، وكذلك في المدينه، كل نقضها على النبي في المدينه فهي وليس ابتداءً من النبي، وحتى حروب النبي - بالعرف القانوني الحديث - هي حروب دفاعيه وقائيه، فهناك فرق بين نهج النبي والوصى والسبطين وبين نهج الخلفاء في الفتوحات، - طبعاً هذا شيء مختلف -، أو نهج السلطه

نهج الأربعه أصحاب الكساء نهج متميز خاص، فالنبي (صلى الله عليه و آله) - كانت له دعوات للأمم فى الدخول والانطواء تحت دين الله عَزَّ وَجَلَّ، فهم بطوعانيه انجذابهم إلى النموذج الإسلامى يدخلون، أما حرب مؤته أو غيرها، فكلها حروب وقائيه؛ لأن المشركين أرادوا أن يباغتوا المسلمين والنبي (صلى الله عليه و آله)، ومن ثمَّ أعدَّ لهم الجيش فى تبوك أو فى مكه أو غيرهم، وكذلك انظر إلى الخلفيه التاريخيه لبدر وأحد والأحزاب وحينئذٍ.. وغيرها، التى رُصدت فى حروب النبي (صلى الله عليه و آله) هو بمنطق العرف القانونى كحروب وقائيه، وكذلك الحال فى سيد الشهداء، فى حين تميز منهجه بالدم، وتميز بالتضحيه، من دون أن يبادر بهدر دم الطرف الآخر، وإنما يضحى بدمه وكل مقدراته (عليه السلام)، فى مقابل عدم الرضوخ للوضع الفاسد.

رايه ضلال:

السؤال: كيف نفهم هذه الروايه فهماً صحيحاً: «كل رايه تخرج قبل قيام الإمام المهدي (عجج الله) فهى رايه ضلال»(1)؟

الشيخ السند: هذه الروايه هى ضمن مجموعه روايات عديده، ومفادها فى قراءتى الخاصه، لا يعنى الدعوه إلى الخمول والجمود، أو عدم محاوله تغيير

ص: ٥٠٦

المنكر الاجتماعى أو السياسى.. وغيره، إنما مصب هذه الروايه ومثيلها من الروايات، أمران:

المصّب الأول: أى قياده فى الطائفه الشيعيه، تريد أن تقوم بهيكل سياسى أو شرعى، لا يمكن أن تتسنم كل صلاحيات الإمام المعصوم، نعم تقوم بإقامه الحكومه، كما ذكر ذلك الفقهاء الأقدمون، وإداره المجتمع الشيعى والطائفه والدوله الشيعيه، أو الدوله الإسلاميه، لكن صلاحيتها فى الدوله ليست كصلاحيات الإمام المعصوم، فى التشريع وفى التنفيذ وفى القضاء، وبعباره أخرى كالصلاحيات المفتوحه للمعصوم. المعصوم هو مصدر الشرعيه، وليس ذلك للفقهاء، إنما هم حُفَّاز على ما هو فوقهم من تراث أهل البيت، هذا أمرٌ تريد أن تثيره الروايات؛ كى لا- يُختطَّ فى الحركات التغييريه الشيعيه أن تخرج عن نهج الأئمه الاثنى عشر، فتصبح زيديه أو تصبح إسماعيليه أو ما شابه ذلك، هذا مطمح ترومه وتشير إليه الروايات.

لذلك يفهمنا أبناء المذاهب الإسلاميه الأخرى بشكل خاطئ، فيظنون أن الفقهاء عندما شيدوا نظام الجمهوريه الإسلاميه، قد تخلوا عن شرطيه العصمه، هذا خطأ فى قراءه مسار الشيعه، فالإمامه والعصمه لا يمكن رفع اليد عنها، نعم نقول أن النظام البشرى لا- يمكن أن يقوده إلا معصوم، فالذى يدير البشرى بشكل خفى الآن هو الإمام المهدي (عجج الله) مع شبكته الخفيه، لا مع مجموعات الدجل والاحتيال، التى تدعى السفاره، سياسه

ص: ٥٠٧

استعماريه معروفه، كلامنا في ما هو واقع الأبدال والأوتاد والنقباء وغيرهم، فالإمام (عليه السلام) يدير البشريه والنظام البشري. وهناك من الآيات القرآنيه الصريحه في ذلك، أن وظيفه المعصوم، كعلي ابن أبي طالب، والذي يقال بقعوده خمساً وعشرين سنه في البيت، هي مقوله خاطئه! بل هو يدير البشريه. إبراهيم لم يتسلم في العلن سلطه رسميه، لكنه في الخفاء، بيده أزمته إداره أنظمه البشريه - بشكل سري -، كما هو موجود الآن، كما أن القوى التي تدير البشريه حالياً قوى خفيه أكثر من كونها قوى علنيه رسميه.

المقصود أننا في رؤيتنا الشيعيه لا- نتخلى أبداً عن المعصوم الذي تحفظ به البشريه، وما الفقهاء إلا- وكلاء ونواب ورؤساء محافظات له، والمحور الأصلي هو المعصوم. فقراءه المذاهب الإسلاميه الأخرى لمسار الشيعه، مثلاً تجربه إيران كجمهوريه إسلاميه، قراءتهم لها خاطئه، فلا يعنى تشييد النظام الإسلامى أننا تخلينا عن العصمه، بل على العكس، إنا نحن في ظل العصمه. هذه نكته مهمه، ولذلك - والله الحمد - شيعه إيران تحت ظل الفقهاء، لم يصبحوا فرقه شيعيه جديده، مثل الزيديه أو الوافقه وغيرهم؛ لأنهم يلتفتون إلى معنى قياده الفقهاء تحت ظل العصمه، ومن ثمّ يستمرون على النهج الاثنى عشرى.

المصب الثاني: نكته أخرى إعجازيه، تشير لها هذه الروايات، - وتختلف

قراءتى لهذه الروايات عن قراءه جماعات عديده من الفقهاء -، قراءه أخرى ألمسها فى هذه الروايات تريد أن تشيد بنكته معينه وهو ضمان التسديد والنجاح فى الاسلوب التوعوى والارشادى الثقيفى العملى والتربوى الاصلاحى، وأنكم فى التأثير على المدّ الاجتماعى والتغير الاجتماعى، ليس من الضرورى أن تكشفوا أوراقكم على العلن. فمن باب المثال الذى يضرب من جهه ولا يُقاس به من كل جهه، الصهيونيه - هدّ الله أركانها - ليست قوتها على البشره الآن فى إسرائيل، مع إن صندوق النقد الدولى بيدها، والمصرف الدولى بيدها، والشركات النفطيه العملاقه بيدها، وشركات الأسلحه بيدها، وشركات وكالات الإعلام الضخمه التى تهيمن على كل الفضائيات بيدها، فأى قطاع عام بشرى رأسمالى مسيطر هو بيدها، وهم لم يصلوا إليها أبداً عبر دوله رسميه، إنما عبر العمل تحت السطح.

هذه الروايات تريد تشير إلى هذا المطلب، أن العمل، وليس الجمود والخمول، إنما العمل تحت السطح يضمن الأمان فى نجاح العمل، نعم قد تأتى ظروف استثنائيه شبيهه بنهج الحسين (عليه السلام)، ولا بد حينها أن يكون العمل فوق السطح، مثل إنتصار الثوره الإسلاميه فى إيران، لكن كبرنامج عام، العمل تحت السطح مضمون السلامه ومضمون النجاح ؛ لأن الخفاء يفقد العدو الاستهداف أو العلم بالخفايا والنوايا وأهداف البرامج. وهذه قراءه أخرى أيضاً لهذه الروايات.

التشابه بين منهج الزيدية و منهج الخوارج:

السؤال: ذكرتم أن هناك تشابهاً بين ثورة زيد بن علي وبين الخوارج، أرجو توضيح التشابه بينهما.

الشيخ السند: نفس شخص زيد بن علي له شأن خاص ، وأمر من يحيط بزید بن علي أو استمر على نهجه هو أمر آخر، يجب أن نفكك الأوراق والحساب، فقد وصف الإمام الرضا (عليه السلام) زيداُ الشهيد بأنه كان عالماً من علماء آل محمد، ولكن من كان يحيط بزید، أو من خلف زيد بن علي في هذا المسار، نعم يوجد هناك أوجه اشتراك بينهم وبين الخوارج.

ففي حين تصحيح جملة من خطوات زيد بن علي ونهجه والإنجازات التي صنعها، تنشأ بعض المؤاخذات من المعصومين حول رشاده البرنامج الذي قام به زيد، فلو استرشد بالمعصومين أكثر، لربما أهل لنجاح أكبر، - وعلى أي حال - محاسبه نفس زيد وخطواته وإيجابيه نهجه، يختلف عن محاسبه من يحيط به، أو عن من خلفه في هذا النهج.

فالكلام إذاً في من خلفه، أي نهج المذهب الزيدي بعباره أخرى، فجهات الاشتراك بينهم وبين الخوارج هي :

١- أن التغيير لابد أن يكون بابتداء الأسلوب الساخن المفرد، هذا أمر مشترك - تقريباً - بين النهج الزيدي ونهج الخوارج، أنه إذا استتمت الشرائط، فالأسلوب الساخن هو الذي يبتدئ ويتم إعماده، والأسلوب

الساحن إذا ابتدأ ربما يفرط في الكثير من المقدرات الصحيحه، أو الحرمات الصحيحه، أو الإنجازات الاجتماعيه الصحيحه، هذه جهه اشتراك موجوده بين النهج الزيدى ونهج الخوارج.

٢- جهه اشتراك أخرى بين المذهب الزيدى ومذهب الخوارج، هو في عدم الحساسيه اللازمه الشديده حول الشرعيه، كما هو الحال في الخوارج، بينما نرى تحسسهم حول السلطه السياسيه فقط، فلا- تحسس حول مصدر التشريع ، ومن المفروض أن الشرعيه في مصدر التشريع لها حساسيه بالغه، وأنهم من أين يستقون شرعهم؟ كما أن الأمر كذلك بالنسبه لأفراد بعض الحركات الإسلاميه: من أين تستقون أوامرهم وفقههم السياسى، التنظيمى، العسكري؟ فليس كل من تزى بالشكل الإسلامى المتشكك هو مصدر لشرعيه؟.

وفى النهج الزيدى - مع الأسف -، قد أخفقوا فى هذه النقطه، بابتعادهم عن أهل البيت(عليهم السلام)، فأصبحوا لا يتحسسون كثيراً حول مصدر الشرعيه أو التشريع أو السلطه التشريعيه، وإنما تحسسهم هو حول السلطه السياسيه، دون شرعيه السلطه التشريعيه.

٣- جهه اشتراك أخرى فى المذهب الزيدى مع الخوارج، أنهم لا- يتقيدون بالعصمه، وعندما نتقيد نحن بالعصمه، نتقيد بالأنموذجيه، بل ينبوع الأنموذجيه المرتبط بالسماء.

حقوق الإنسان وثوره الإمام الحسين (عليه السلام):

السؤال: شعار حقوق الإنسان هو شعار دولى الآن، أين نجد ذلك فى ثوره الحسين (عليه السلام) وحرسته الرساليه؟

الشيخ السند: من الأمور البارزه جداً فى الشعار الذى حمله سيد الشهداء، فى خطبه فى مكه، وفى طريقه إلى كربلاء، وفى كربلاء، هو المناداه بحقوق المسلمين فى مقابل طغيان طغمه على رقابهم، بل إننا وجدنا فى تعامل سيد الشهداء عده فقرات تنم عن أنه يطالب أولاً بتثبيت الحقوق الإنسانيه على صعيد فطرى إنسانى قبل أن يطالب بتثبيت الحقوق الإسلاميه، فخاطبهم: «إن لم يكن لكم دين، فكونوا أحراراً فى دنياكم»، فيجب ألا يستعبدكم أحد ويطغى عليكم ويستأثر عليكم، هذا خطاب فطرى إنسانى قبل أن يكون إسلامياً. وحتى فى خطابه الإسلامى (عليه السلام)، لم يقل: «إنى خرجت للإصلاح فى شيعه أبى»، وإنما قال: «فى أمه جدى»، فنهجه هكذا، أمر بالمعروف ونهى عن المنكر. والواضح فى بنود وخطاب سيد الشهداء، فى جمله من النصوص الوارده عنه (عليه السلام)، والشعارات التى حملها، وأراد أن يبنى وعى الناس عليها، هى فى البدء حقوق إنسانيه قبل أن تكون حقوقاً إسلاميه، وقد استعرضنا ذلك من قبل.

ذكر الأمور السياسيه فى ماتم اللطم :

السؤال: ما هو رأيكم فى ذكر السياسه فى العزاء؟

ص: ٥١٢

الشيخ السند: ذكر السياسة في العزاء هو على نمطين: فتمط ضروري واجب، ونمط غير مستحسن .

ربما ينادى الكثيرون بفصل السياسة عن الشعائر الحسينية، بهدف التركيز وتمركز العزاء حول سيد الشهداء في نياتهم وقصدهم، لكنهم من جانب، قد يقصون ويبعدون الحسين - من حيث لا يلتفتون - إلى جهة معينة، وكذلك الذين يريدون أن يركزوا على الجانب السياسي في العزاء يهدفون إلى معاشه مدرسه أهل البيت في الوضع الراهن، لكنهم - أيضاً - يقصون ويبعدون سيد الشهداء من جانب قد لا يلتفتون إليه.

إذاً هناك جنبه إيجابيه عند الجانبين يجب أن تصلح الجنبه السلبيه عند الطرفين. فإني إذا أردت أن أركز على أهل البيت(عليهم السلام)، لا يصح أن أقصى أهل البيت عن الاقتداء بهم في وضعي الراهن، ولا أكون بذلك قد أحييت ذكر أهل البيت، إنما في الواقع، أقصىتهم من حيث لا أشعر؛ لأنني هكذا أجعل أهل البيت بمعزل عن الوضع الراهن والوضع السائد، بكوني لا أقتبس من أهل البيت(عليهم السلام) شيئاً، فأعزلهم وأحمد ذكرهم - والعياذ بالله -.

كذلك لو أتيت بالوضع الراهن دون التركيز على قبسات من أهل البيت، بمجرد الحديث على الوضع الراهن وانتقادي له، والأفكار المطروحه ضمن ما يردد العزاء، أو حتى في خطابه الخطيب الحسيني، فأكون هنا أيضاً قد أقصىت وعزلت أهل البيت(عليهم السلام) عن الوضع الراهن. الحل الأمثل هو أن أستعرض

الوضع الراهن، وآتى بحلولة من مواقف سيد الشهداء، كالمرهم والدواء للداء الموجود فى الوضع الحالى.

أذكر بعض الشعراء فى القديم ممن لديهم ثقافه وذكاء لطيف، فىأتى بالمشكله التى يعيشها المؤمنون فى هذا البلد، ثم يأتى بموقف لسيد الشهداء أو للعقيله أو لأبى الفضل العباس، ويضرب فى الصميم - كما يقال -، وهذا ذكاء ووعى أدبى، بحيث نقتدى بأهل البيت، ونقتبس من أهل البيت حلولاً- لمشاكلنا الراهنه، من دون أن نجعل نماذج لغير أهل البيت، نماذج للوضع الراهن، فنركز ونجعل المحور وقطب الرحى هم أهل البيت، ونتعاش معهم فى معيشتنا، ونحيا بحياتهم فى حياتنا الراهنه، فإننا إذا حيننا فى حياتنا الراهنه ولم نحى بلون حياه أهل البيت، نكون قد عزلنا أهل البيت، وإن حاولنا أن نحيا حياه أهل البيت فى شكلها المأثور فقط، من دون أن نسحبها إلى تبيان رؤى من مواقفهم ومن كلماتهم للوضع الراهن، فأرى من كلا- الجانبين إفراطاً وتفريطاً.

إذا أردنا أن نأتم بأهل البيت(عليهم السلام) يجب علينا أن نعيش معهم فى عيشتنا الراهنه، لا أن نعزل الوضع الراهن عن أهل البيت، ولا نعزل أهل البيت عن الوضع الراهن، ولا أن نجعل أمثوله الحلول للوضع الراهن، أمثله لغير أهل البيت(عليهم السلام).

يحتاج هذا بالطبع إلى براعه أدبيه، وعلم ثقافى عند الخطيب أو الشاعر، بحيث يقتبس من مواقف أهل البيت وكلمات أهل البيت حلولاً

فى الصمىم؁ وبالتعبىر الدارى «نغزه» أو «كنابه» كنامازج لاسلال حلول لمواقف ومشكلات الؤضع الراهن من أهل البىل (علهم السلام).

ءور أمىر المؤمنىن علىه السلام فى الفتوحات:

السؤال: ما هى الملفات اللى ءءل على أن أمىر المؤمنىن (علىه السلام) هو المخطط للفتوحات الإسلامىه لؤسعه الرقه الجغرافىه فى عهد من سبقه من خلفاء ءلاله؁ مع العلم أن الكلىر من الباعىن كانوا يعىبون عليهم الاهتمام بالفتوحات الخارجىه ءون الاعناء بالءاىل؁ وءلى سماءكم بىنم فى طى كلامكم أفضلىه الاهتمام بالءاىل أكثر من الؤسعه الجغرافىه للإسلام؁ أرجو الؤوضىح.

الشىخ السناء: طبعاً ملف الفتوحات ملف قءىم شاكك وعر؁ خطر فى الؤقافه الإسلامىه؁ وفى الرؤىه الإسلامىه؁ وفى العلوم الإسلامىه؁ وفى النظره الإسلامىه.

ما جذبنى إلى الخوض فى هذا الملف؁ كانت نءوه فى الؤوزه العلمىه؁ بىنى وبنى أحد نجوم الؤقافه فى إيران؁ من مجله واسعه الائنشار فى إيران وءارج إيران؁ ءول باء مواقف أمىر المؤمنىن (علىه السلام)؁ والرؤىه المعاصره لها؁ ثم أقىمء نءوه بىنى وبنىه فى الؤوزه العلمىه فى قم المقدسه؁ برعاىه الؤوزه العلمىه وءامعه المءرسىن وءىرهما؁ وكان الؤضور من ءىارات مءءلفه.

فصار تجاذب الحديث لساعتين، رجعت بعدها إلى البحث، وحاولت أن أخوض في هذا الملف أكثر، مع أنه كانت لى إجابات كثيرة ومداومات فيه، وأصبح لدينا نوع من الموسم أو الانعكاس الثقافى الشديد المتجاذب، الذى أثرى الساحة الفكرية.

حينها - سبحان الله - وقعت عيني على روايه لأمير المؤمنين (عليه السلام) فى شرح ابن أبى الحديد لنهج البلاغه، أن أميرالمؤمنين يتعجب من قريش، لأنها تنسب الفتوحات لأمرائها، مع أن الفتوحات من تخطيطه (عليه السلام)، لكن الجيل الذى كان يعرف أن هذه من تخطيطه ذهب، وجاء جيل جديد لا يدرى.

و العبارة لأمير المؤمنين (عليه السلام):

«.. ثم فتح الله عليها الفتوح، فأثرت بعد الفاقه، وتمولت بعد الجهد والمخمصه، فحسن فى عيونها من الإسلام ما كان سمجاً، وثبت فى قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً، وقالت: لولا أنه حق لما كان كذا، ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولانها، وحسن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند الناس نباهه قوم وخمول آخرين، فكنا نحن ممن حمل ذكره، وخبث ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون والأحقاب بما فيها، ومات كثير ممن يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف. وما عسى أن يكون الولد لو كان!...» (١).

هذه العبارة استوقفتنى، فأمير المؤمنين يصرح هذا الشيء - وهو عين

ص: ٥١٤

١- (١) شرح نهج البلاغه ج ٢٠ ص ٢٩٨.

اليقين وحق اليقين -، لذا يجب أن نبحت في الملف. فعدت لكتاب الطبرى فى التاريخ، وكتاب الفتوحات لابن أعثم، ومصادر تاريخه عديده، فوجدت هذه الحقيقه بشكل عجيب، لكنها مقصصه مبعثره، مثل اللوحه الكبيره التى تمثل الحقيقه، يأتى الذين يعتمدون على الحقيقه، يقصون الحقيقه قصاصات، ويبعثونها فى الكتب، وعندما تجمعها، ترى الحقيقه جليه. وأقمت بحثاً مفصلاً ووجدت ملفاً كاملاً (1) حتى أن الكثير من المحققين قالوا لى: «الطريق وعر وخطر، لا- تدخل فيه، وكثير من علمائنا الكبار، الفقهاء والمؤرخين والمفسرين لم يخوضوا فيه»، فقلت لهم: إنى أخوضه - إن شاء الله - بكل عزيمة، ببركات أمير المؤمنين (عليه السلام).

ف عزلت بين حيثيات ثلاث أذكرها لاحقاً بالترتيب، إحدى هذه حيثيات أصل التخطيط، فأصعب الدول فى الإدارة دوله الحرب؛ لأنه لا بدّ للدوله أن تدير الوضع الداخلى وتدير الفعاليه الحربيه فى الخارج، فالوضع صعب جداً ومتكهرب، من يقوم بهذا العبء؟

فوجدت أن تخطيط دوله الحرب فى نصوص الكتب التاريخيه للمذاهب

ص: ٥١٧

١- (١) راجع حلقات سلسله عداله الصحابه التى فى مجله تراثنا، وموجوده فى الانترنت فى موقع رافد التابع لمرجعيه آيه الله العظمى السيد على السيستانى دام ظله، وقد طبعت مؤخراً هذه الحلقات فى كتاب باسم «عداله الصحابه» لسماحه الاستاذ آيه الله الشيخ محمد سند دام ظله.

الإسلاميه، هو بشكل مبعثر، معتم عليه، لكن يأبى الله إلا أن يظهر هذه الصفحه الذهبيه من كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام). وجدت أن التخطيط لدوله الحرب لم يكن لولا- أمير المؤمنين، حتى ما يسمونه بحروب الرده. هناك نصوص تاريخيه عثرت عليها، وأبلغت الكثير من المحققين فى الحوزه العلميه فى قم المقدسه، وألقيتها فى ندوات أخرى وفى أنديه علميه أخرى بشكل مسلسل، وفى قم المقدسه بشكل حلقات، وجدت أن التخطيط لدوله الحرب كله لعلى ابن أبى طالب (عليه السلام)، ووجدت عظمه على ابن أبى طالب فى هذه الصفحه من حياته، التى استهوتنى أكثر من صفحات أخرى لعلى ابن أبى طالب؛ لأنه قام بعمل جبار علم أنه لن ينسب له، ما هذا الإخلاص! أن تعلم بأن هذا العمل الجبار العظيم سوف لن ينسبه لك التاريخ المظلم وهذه الأقلام المظلمه المكمممه، ومع ذلك تعمله بينك وبين الله لأجل تشييد صرح الدين والإسلام! ووجدت أن هذا ليس عند على ابن أبى طالب فقط، إنما عند الحسن والحسين وبقية الأئمه، والمهدى صاحب العصر والزمان، كلهم لهم أدوار خفيه عظيمه، غير معلومه فى العلن أنها لهم.

فى المعركه التى مع الأكاسره الفرس، معركتان مهمتان مصيريتان، القادسيه ونهاوند، نصوص تاريخيه عجيبه، تدلل على أنه عندما عبأت القوميات المختلفه من ملوك الفرس والترك وغيرهم من الأكاسره، سيما فى نهاوند، خطه لطرده المسلمين، واسترجاع العراق كله، البصره والكوفه، والانقضاض حتى على المدينه المنوره. نص العبارة التاريخيه يقول أنه لما جاء

البريد إلى الخليفة الثاني بأن كسرى عنده هذا التخطيط وقد استعان بملوك من دول الجوار الكثيره، ولهم ضربه قاضيه، أخذت أسنان الخليفة الثاني تصطكك وسمع أطيح أسنانه من في المسجد من الخوف، وقال أشيروا على.. فقام فلان وفلان وفلان من الأسماء المطنظنه، كل يبدى برنامجاً هزياً، إلى أن خاطب هو علياً - في مصادرهم هم وليس في مصادرنا(1) - : «يا أبا الحسن، لم لا تشير بشيء كما أشار غيرك؟» فقام أمير المؤمنين بتبيين برنامج الدخلى لدوله الحرب وبرنامج النصر. عجيبٌ تعميمهم! لكن القصاصات كلها موجوده. قال له بعدها: «من أعين قائداً؟» حتى الخطوات التفصيليه، لم يكتفِ بالخطوط العامه من على بن أبى طالب، وطالبه بخطوط وصفحات تفصيليه فى البرنامج، وأخذ أمير المؤمنين يتابع المعركه، وهو فى المدينه المنوره فى أثناء خوضها.

وأنتم تسمعون فى كتب السنه أن جيش المسلمين فى نهاوند سمعوا صوت عمر: «يا ساريه الجبل!» هذه القصة لها حقيقه، وحققتها يذكرها السيد هاشم التوبلانى البحرانى، هذا السيد العظيم والعالم الجهد، يذكر هذه الروايه فى كتابه مدينه المعاجز ويذكر قصاصاتها التاريخيه من كتب القوم، أنه فى أثناء المعركه حدث خطأ عسكري معين كاد يستأصل جيش

ص: ٥١٩

١- (١) ابن اعثم ج ٢ ص ٢٩٥.

المسلمين؛ لأن لديهم جيوشاً عظيمة، ١٥٠ ألفاً بجمع الوسائل الحربية القويه، بينما جيوش المسلمين كانت ٣٠ ألفاً تقريباً، أين ٣٠ ألفاً من ١٥٠ ألف! وأين العده هنا من العده هناك!

«عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: كنا بين يدي أمير المؤمنين (عليه السلام) في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ دخل عمر بن الخطاب، فلما جلس قال للجماعه: إن لنا سرّاً فخففوا رحمكم الله، فتهيزت وجوهنا وقلنا له: ما هكذا كان يفعل بنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولقد كان يأتمنا على سره، فما بالك أنت لما وليت أمور المسلمين تسترت بنقاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟! فقال: للناس أسرار لا يمكن إعلانها بين الناس، فقمنا مغضبين وخلا بأمر المؤمنين (عليه السلام) ملياً، ثم قاما من مجلسهما حتى رقى المنبر رسول الله جميعاً.

فقلنا: الله أكبر، أترى ابن حنتمه رجع... ورقى المنبر مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ليخلع نفسه ويثبته له؟!!

فرأينا أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد مسح بيده على وجهه، ورأينا عمر يرتعد ويقول: لا حول ولا قوه إلا بالله العلي العظيم، ثم صاح ملء صوته: يا ساريه الجبل الجبل، ثم لم يلبث إلى أن قبل صدر أمير المؤمنين ونزلاً وهو ضاحك، وأمير المؤمنين (عليه السلام) يقول له: يا عمر، افعل ما زعمت أنك فاعله وإن كان لا عهد لك ولا وفاء، فقال له: أمهلني يا أبا الحسن حتى أنظر ما يرد من خبر ساريه وهل ما رأيتته صحيح أم لا؟!

فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): ويحك! إذا صح ووردت أخباره عليك بتصديق ما عاينت ورأيت وأنهم قد سمعوا صوتك ولجأوا إلى الجبل كما رأيت، هل أنت مسلم ما ضمنت؟ قال: لا يا أبا الحسن، ولكنى أضيف هذا إلى ما رأيت منك ومن رسول الله (صلى الله عليه وآله) والله يفعل ما يشاء ويختار.

فخرج أمير المؤمنين (عليه السلام) فلقيناه، فقلنا له: يا أمير المؤمنين ما هذه الآيه العظيمة وهذا الخطاب الذى قد سمعناه؟

فقال أمير المؤمنين: هل علمتم أوله؟

فقلنا: ما علمناه يا أمير المؤمنين، ولا نعلمه إلا منك.

فقال: إن هذا ابن الخطاب قال لى: إنه حزين القلب، باكى العين على جيوشه التى فى فتح الجبل فى نواحي نهاوند، فإنه يجب أن يعلم صحه أخبارهم وكيف هم مع ما دفعوا إليه من كثره جيوش الجبل، وأن عمرو بن معد يكرب قتل ودفن بنهاوند، وقد ضعف جيشه وانحل بقتل عمرو، فقلت له: ويحك يا عمر، تزعم أنك الخليفة فى الأرض والقائم مقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنت لا تعلم ما وراء أذنك، وتحت قدمك، والإمام يرى الأرض ومن فيها ولا يخفى عليه من أعمالهم شىء، فقال: يا أبا الحسن، فأنت بهذه الصورة، فأى شىء خبر ساريه الساعه وأين هو ومن معه وكيف صورتهم؟

فقلت له: يا بن الخطاب إن قلت لك لم تصدقنى، ولكنى أريك

جيشك وأصحابك وساريه وقد كمن لهم جيوش الجبل فى واد قفر، بعيد الأقطار، كثير الأشجار، فإن سار جيشك إليهم يسيراً أحاطوا به فقتل أول جيشك وآخره، فقال لى: يا أبا الحسن، فما لهم من ملجأ منهم ولا مخرج من ذلك الوادى، فقلت: بلى، لو لحقوا إلى الجبل الذى إلى الوادى لسلموا وملكوا جيش الجبل، فقلق وأخذ بيدي وقال: الله الله يا أبا الحسن فى جيوش المسلمين، إما أن ترينهم كما ذكرت، أو تحذرهم إن قدرت، ولك ما تشاء، ولو خلع نفسى من الخلافه هذا الامر وأرده إليك.

فأخذت عليه عهد الله وميثاقه إن رقيت به المنبر، وكشفت له عن بصره، وأريته جيشه فى الوادى، وإنه يصيح عليهم فيسمعون منه ويلجأون إلى الجبل فيسلمون ويظفرون، فيه أن يخلع نفسه من ويسلم حتى إلى، فقلت له: قم... فوالله لا- وفيت بهذا العهد والميثاق، كما لم تف لله ولرسوله ولى بما أخذناه عليك من العهد والميثاق والبيعه فى جميع المواطن.

فقال لى: بلى والله، فقلت له: ستعلم... ورفوت المنبر ودعوت بدعوات وسألت الله أن يريه ما قلت له، ومسحت بيدي على عينيه، وقلت له وكشف عنه غطاؤه ونظر إلى ساريه وسائر الجيش وجيش الجبل، وما بقى إلا الهزيمة لجيشه وقلت: صح يا عمر إن شئت، قال: وأسمع؟ قلت له: وتسمع، وتنادى بصوتك إليهم، فصاح الصيحه التى سمعتموها «يا ساريه الجبل الجبل»، فسمعوا صوته ولجأوا إلى الجبل، فسلموا وظفروا ونزل ضاحكا كما رأيتموه، وخاطبته وخاطبني بما قد سمعتم.

قال جابر: فأما وصدقنا وشك آخرون، إلى أن ورد البريد بحكاية ما حكاه أمير المؤمنين (عليه السلام)، ورآه عمر ونادي بأعلى صوته، فكان أكثر العوام المتمردين وابن الخطاب جعلوا هذا الحديث له منقبه، والله ما كان إلا...»(١).

كان ليحتاج إلى رادارات وفضائيات، ويحتاج إلى فاكس سريع، بل يحتاج إلى أقمار صناعية تغطي أرض المعركة! وهذا كله قام به على ابن أبي طالب (عليه السلام) بالعلم اللدني. وقصاصات حقائق الفتوحات موجوده في كتب التاريخ التي كتبوها هم! لكنها مبعثره، وجمعناها بحمد الله كنبذه وكعينه لمشروع علمي يستقصي البحث عسى الله تعالى يقيض له ذوى الهمم لإنجازه.

في معركة اليرموك، في محاربه المسلمين الإمبراطوريه الروميه، كان عدده الجيش الرومى (القيصره) ٤٠٠ ألف جندي، وكان المسلمون ٤٠ ألفاً، أى عشره أضعاف عددهم! عدده أولئك كيف من عدده هؤلاء.

كيف صنع خالد بن الوليد سيف الله - كما يدعون -، وكيف صنع أبو عبيده بن الجراح، ومن وراء الجند: هند وأبو سفيان!

تنادى هند بنفس أشعارها فى أحد:

نحن بنات طارق نمشى على النمارق

إنّ تقبلوا نعاتق أو تدبروا نفارق

ص: ٥٢٣

هذا الشعر متضمن لمعاني الخنا! ولا أريد أن أترجم في هذا المحفل الشريف هذه الكلمات!

فكانت هند تنشده نفس الأشعار، وبيت أبي سفيان كان على صله بالروم، فهي تخاطب ذاك الطرف، «نحن طابور خامس»، وهم يذكرون ذلك في مثل تاريخ الطبرى وغيره، إن كان حامى جيش المسلمين هكذا فكيف ينتصر؟!!

وقد حار خالد بن الوليد - كما فى نصوصهم التاريخيه - وأبو عبيده، فى أمر الخطه الحربيه والعمل فيها. فجاء بطل على، مالك الأشر، تلميذ على الذى عبأه على بن أبى طالب بالبرنامج، فقال: اتركوا قياده الجيش لى، وهنا بدأ نجم مالك الأشر يسطع فى العالم الإسلامى، وهو جندى من جنود على. وقائد جيش الروم هو رئيس الوزراء الرومى واسمه هامان، الذى كان قائداً حربياً باسلاً وداهيةً سياسيهً عجيبه - فاجتمعت فيه الخصلتين -.

ففوض أبو عبيده بن الجراح وخالد بن الوليد فى اليرموك قياده الجيش لمالك الأشر، فقام مالك بالخطوه مقابل هذا الجيش الجبار، الخطوه التى أحجم عنها خالد ابن الوليد الذى يسمونه سيف الله المسلول! وانكفاً أبو عبيده أيضاً، فخرج مالك الأشر: ادعوا قياده الجيش للمبارزه.

لاحظ البرنامج الذى أودعه له أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - : صارع هذا الرئيس فلم يقتله، ولو قتله لربما لم تنجح الخطه، ضربه ضربه

ص: ٥٢٤

على عاتقه، فلا هو ميت ولا هو حي! فأخذ يفر فراراً من المعركة، وسبب هزيمه نفسه للجيش الرومي كله، وهنا يكمن عنصر الذكاء . وبفضل الله، كتب النصر للمسلمين في أكبر معركة خاضوها، وهي اليرموك، بتدبير على ابن أبي طالب (عليه السلام) وبتنفيذ مالك الأشتر(1).

نذكر لكم هذه النكته بعد جمع القصصات، حتى أننى دعوت الكثير من المحققين لكتابه موسوعه؛ لأن هذه الصفحه مطوره فى كتاب على (عليه السلام)، صفحه ذهبه مشرقه، وكتاب على كله صفحات مشرقه ذهبيه، ذكرت أنه يجب أن نميز بين ثلاث حيثيات :

١- الحيشه الأولى: أصل تخطيط الفتوحات، هذه مسؤوليه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، التى مهد لها قبل على، وأعطاهم البرنامج فى كيفيه توسعه رقعته الإسلام، فى حياته منذ حرب الخندق، عندما كانوا يضربون الخندق، فأعطاهم الخطه لكنهم لم يعوها، ثم ساءلوا أمير المؤمنين على ابن أبي طالب (عليه السلام) فى كيفيه تنفيذها وتفصيلها، وكلها موجوده فى كتب التاريخ. فأصل التخطيط مسؤوليه رسول الله (صلى الله عليه و آله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) من بعده.

٢- الحيشه الثانيه: أما التنفيذ اللا أخلاقى، الهوجائى الذى استبيحت فيه الدماء والفروج والأموال، الكثير من المستشرقين ينددون بالفتوحات من هذه

ص: ٥٢٥

١- (١) راجع كتب الفتوح لابن عثم وتاريخ اليعقوبى والبلاذرى فى معركة اليرموك.

النقطة، فهناك ستار مظلم - والعياذ بالله - بسبب الفتوحات، وبسبب ما مورس من لا أخلاقيات مذكوره في مصادر القوم (١)، والمستشرقون لم يأتوا بها من أنفسهم، بل أتوا بها من كتب القوم.

لا تؤيد المستشرقين فهم يكيّدون للإسلام، لكن من الذى مهد ووطأ لهم هذه المكيده للإسلام، لتشويه الإسلام والقول بأن الإسلام دين سيف انتشر على الدماء؟ ليست سياسته أهل البيت (عليهم السلام) هذه السياسه، حتى فى توسعه الرقعته، فحروب رسول الله (صلى الله عليه و آله) كلها دفاعيه، ليست دفاعيه بالمصطلح الفقهي، إنما بالمصطلح القانونى البشرى. كما فى معركه بدر، لم يكن رسول

ص: ٥٢٦

١- (١) نذكر مثالين عن ذلك، ومن شاء التوسع عليه بكتب الفتوحات: ١- لما فتح بعض المسلمين بعض مدن فارس كسوس (يقصد مدينه شوشتر الآن) اختصم اهل الكوفه واهل البصره حتى كاد ان يقع بينهم شىء من المكروه. الفتوح ج ١ ص ٢٨٦.٢- ثم نازع رجل من عنز - اسمه ضبه بن محزن العنزى - ابا موسى الاشعري فى الغنائم، فارسله إلى عمر بن الخطاب، لكن عمر عنف العنزى، من دون ان يسأله سبب المنازعه، التى بينه وبين الاشعري، فغضب العنزى واراد الانصاف، فسأل عمر العنزى عن السبب، فقال العنزى: ان ابو موسى اختار ستين غلاماً من ابناء الدهاقين، فاخذهم لنفسه غلمان وخدم، وله جاريه يقال لها عقيله، وهى بالغه الجمال، يغذيها بجفنها الآن عراقاً - يعنى غنم -، ويعيشها بمثل ذلك، وليس منا يقدر على ذلك، وله خاتمان يختم بهما، فميزان يكتال به لنفسه ويكيل بالآخر لغيره - يعنى ينصف الغنائم نصف له ونصف لغيره -، وانه يمنع من غنيمه هرmez بدعوى اعطائهم الامان ضد اللصوص، وقد تكررت هذه الدعوه من ابو موسى الاشعري فى عدّه مدن، فاخبر عمر ابو موسى وسائله عن ذلك، ومع ذلك ابقاه عمر على عمله. و اخذ عمر عقيله منه بثمانها، وكانت عند عمر فى بيته إلى ان قتل عنها. الفتوح لابن اعثم ج ٢ ص ٢٨٨-٢٨٩.

الله (صلى الله عليه و آله) هو الذى بدأ الحرب، هم أغاروا على أموال المسلمين فى مكه، بل أغاروا حتى على المدينة، من ثم ذهب رسول الله (صلى الله عليه و آله) كى يقتص ويسترجع أمواله، إلى قافله أبى سفيان، فأتوا لحرب رسول الله (صلى الله عليه و آله). وكذا فى أحد والخندق والأحزاب وحنين، من الواضح أنهم أتوا فيها للحرب، وكل حروب رسول الله (صلى الله عليه و آله) كانت دفاعيه.

أمير المؤمنين فى الجمل لم يبدأ بالحرب، وفى صفين لم يبدأ بالحرب، وفى النهروان لم يبدأ بالحرب، بل وضع دائماً جسر الحوار، ودعوه أهل البيت دائماً، دعوه الفكر والمنطق والحوار. سيد الشهداء فى كربلاء - كما مر بنا - لم يبدأ هو بالحرب، فقد كان يشدد ويؤكد على لغه الحوار وقام بعدد من الخطب.

كان الطرف الآخر فى عنجهيه عمياويه، وكان سيد الشهداء فاتحاً لباب الخطاب والحوار، فلغه أهل البيت (عليهم السلام)، ليست لغه العنف، بل هى لغه النموذج الأمثل، جذب النور الأمثل لبقية الأمم لدين الإسلام. لكن هذه الفتوحات وما مورس من لا أخلاقيات بهدف التمتع بالجنس الآخر والأموال والليالى الحمراء، هى أمر آخر، وهذه هى الحثيه الثانيه.

يذكر المرحوم الشهيد محمد باقر الصدر فى كتابه (فدك)، نقلاً عن العلامة الأمينى فى الغدير (1)، قائمه أموال وثروات الصحابه التسعه المبشرين

ص: ٥٢٧

١- (١) قال الأستاذ آيه الله الشيخ محمد سند دام ظله فى كتابه «عداله الصحابه» ص ١٣٢: «قال-

وغيرهم من الصحابه، ومقادير اكننازهم الشروه من الفتوحات، هل هذه العداله التي يطالب بها الإسلام؟

٣- الحيشه الثالثه: هي التي أشرنا إليها النظام البديل، (والبديل ما هو؟) هل البديل فقط أذان يحمل شعائر الإسلام؟ أم طقوس الجماعه؟ هل هذا هو البديل أم أن البديل عداله حقيقه؟

إذاً ففي الفتوحات ثلاث فصول لا نخلط بينها، وربما أكون أول من فرز هذه الفصول، وقد يكون هناك من قوافل فقهاء وعلماء الشيعة من قام بذلك، ونحن نتعلم على فتات جهودهم، لكننا لم نقف - إلى الآن - على من فصل في الفتوحات هذه الفصول الثلاثه، أصل تدبير وتخطيط الفتوحات أمر، وتنفيذها اللأ أخلاقي أمر آخر، والبديل الذي استبدل كبديل خاو عفن، ولو تحت لباس الإسلام، أمر آخر.

ص: ٥٣٠

المحاور: قال أحد زعماء حماس في خطاب له: أن مقاومه العدو الصهيوني بالبندقية والممانعه لاينفى ضروره كون الحكم فى داخل سوريا يبنى على الديمقراطيه والشورى .

الشيخ السند : فمابالكم رفعتم ذريعه الفتوحات وحروب الرده لئفى ضروره الديمقراطيه والشورى فى تأسيس بنيان الحكم الداخلى بعد وفاه رسول الله (صلى الله عليه و آله) وأقصيتهم شور أهل بيت نبيكم(عليهم السلام) فكيف شورى والمشيرون غيب. ولماذا جعلتم الفتوحات ذريعه لتغطيه دمويات حكم الخلفه والحكم الاموى .

ثم إنَّ الفتوحات كما رصدتها قصاصات كتب الطبرى وفتوحات البلدان كلها فى القادسيه ونهاوند واليرموك وجلولاء وقنسرين التى هزم فيها حكم كسرى والروم كلها كانت بتدبير مفصلى ومركزى من على (عليه السلام) وشيعته من الصحابه والتابعين وألم يروى ابن سعد فى الطبقات وهو من أدرك القرن الثالث وغيره بطرق مستفيضه عن عمر لا- أبقانى الله لمعضله ليس لها أبو الحسن على (عليه السلام) أليس من أعضل المعضلات إداره الفتوحات.

المحاور: قال أحد أئمه المساجد: إنَّ المقاومه- لإسرائيل فخارٌ عظيم لحزب الله وهو باب الجهاد العظيم ، لكن موقفه من مايجرى فى سوريا كحوادث شبيحا الدمويه تقف قبال كل ذلك وتغطى عليه ولا تبرر .

وقال : إن وقوفنا بجنب المقاومه لا تعنى تنازلنا عن إعتقادنا إن أكفأ حاكم

عرفه التاريخ هو عمر.

الشيخ السند : فما بال الحوادث الدمويه شبيحاً التي جرت على بيت فاطمه (عليه السلام)، لاتقف أمام ما يعرف بالفتوحات وكيف التبرير مع إن الفتوحات كما سبق هي من تدبير على (عليه السلام) وشيعته من الصحابه والتابعين بنصوص التاريخ المتفرقه المعنيه عن أذهان المسلمين .

وأما أكفأ حاكم فكيف نجمعها مع إقراره في المصادر المستفيضه لدى الفريقين وراجع ما جمعه الأميني في كتابه الغدير وغيره من المصادر قول عمر لا- أبقتني الله لمعضله ليس لها أبو الحسن (عليه السلام)، أليس أكبر المعضلات على عمر نفس الخلفه وإداره الحكم للدولة وأنشطتها الضخمه التي لم يتسنّى لعمر أن يدخل في تجربته سابقه لتصبح لديه حنكه في إتقانها. بل سل بدرأً وسل أحداً وسل الأحزاب وسل خبير كيف أنهزم وصاحبه وبقية الصحابه عن معالجه وإداره الحدث ، فهل تبقى معضله أكبر من إداره الحكم والأحداث الكبيره ويقوى عليها دون أبو الحسن (عليه السلام)، فمن أكفأ حاكم عرفه التاريخ؟.

المحاور: ذكر البعض في الجدل المحتدم حول مظلوميه الزهراء - لعن الله ظالميهها - إن:

- لطم العين: لا أصل له إلا في كتاب الأنوار القدسيه!

- نبوت المسمار: ضعيف ورد في مؤتمر علماء بغداد و الخلفه والإمامه!.

- ضرب العضد: ورد في كتاب سليم و الإحتجاج و إرشاد القلوب.

ص: ٥٣٢

- لطم الخد : فى أمالى الصدوق و إرشاد القلوب.

ما تقييمكم لهذا المدعى؟

الشيخ السند: المصادر عند العامه مستفيضه فضلاً عن الخاصه ، وقد جرت محاولات فى عدة كتب اخيره ألفت ولكنها لم تستقصى كل الممكن، فمن باب المثال روى الذهبى فى ميزان الاعتدال فى ترجمه راوى فى أوائل القرن الثانى ، إنه روى إن عمر رفس فاطمه فاسقطت محسنا ، ومثلاً روى السهمودى وهذه الروايه مستفيضه عند الفريقين إنَّ النبى (صلى الله عليه و آله) أشار إلى أصحاب الكساء فاطمه وعلى والحسن والحسين (عليهما السلام) وقال مخاطباً إياهم إنكم قتلنى و مصارعكم شتى ،وقد وجدت لها طرق ومصادر عديده عند كل من الفريقين ففاطمه تقتل بقول وأخبار رسول الله (صلى الله عليه و آله) فتموت بالقتل ولها مصرع قتل ومصرعها يختلف عن مصرع قتل على ومصرع أبنها ولا يخفى أن التعبير بالمصرع مع التعبير بالقتل يشير إلى شراسه طريقه القتل لا مجرد القتل، وهذا يشهد إلى شراسه ماجرى عليها من ضربات وهجمات شراسه عنيفه أدت إلى سرايه آثارها إلى قتلها (عليها السلام)، فهذا بيان إجمالى فى الحديث المستفيض النبوى فخذ تفاصيلها المعترضه من قصاصات كثيره متناثره من مصادر عديده أخرى، تتعاضد وتتشاهد ومعدل وأعتبار مجموعها يختلف عن قيمتها منفرده، ولا يقتصر على قيمتها فى الصناعه الإستدلاليه.

المحاور: شيخنا الجليل ما هو تقييمكم الإجمالى لشخصيه عمر أو

ص: ٥٣٣

عمرو بن على بن أبى طالب، حيث سمعت بعض العلماء يصفه بالخسيس الخذول!، حيث رفض نصره الحسين (عليه السلام) وبعد سماعه نبأ قتل الحسين (عليه السلام) قال أنا الغلام الحازم (أى لعدم خروجى معه وقتلى بين يديه)، ولو خرجت معهم لذهبت فى المعركه وقتلت ، إذن جون عبد الحسين أشرف وأفضل من أبى على بن ابى طالب (عليه السلام)؟

الشيخ السند: الفضائل عديده ، والإمتحانات كثيره، وقد ينجح شخص فى إمتحان كبير، ويفشل فى آخر كبير ايضاً، أو متوسط وليس ذلك حسماً نهائياً وقد أطلق الوحى الرؤيائى على ولد يعقوب الأسباط والكواكب رغم إقدامهم على قتل يوسف وجعل من نسل أحدهم الأنبياء وهو لاوى، مما يدل على تعدد جهات الإمتحانات والفضائل، وهذا مما يفتح للإنسان الحذر وعدم الإغترار من جهه الحصول على فضيله أو حسب، ومن جهه أخرى عدم الأياس لعدم الحصول على منقبه، أن باب الإصلاح والتكامل مفتوح دائماً فهو دوماً بين الخوف الحذر والرجاء، الأمل سبيل التكامل فالنتيجه أنه شخص غير ممدوح من جهه وممدوح من جهات أُخرى.

المحاور: شيخنا الفقيه ... نريد توضيح عقائدى منكم لهذه العبارة: (ببمنه رزق الورى، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء) فى حق الإمام؟

الشيخ السند: من الواضح إن الحكيم لا يفعل شيئاً بلا غايه ولا هدف، وإلا كان فعله عبثاً ولعباً، وتنزّه البارى وتعالى عن ذلك، والهدف

والغاية ليست لحاجه له جلّ جلاله فيها، بل هي ظهور لعظمته وتجلي لكبريائه، ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ومن جانب آخر بين القرآن إنه تعالى قد سخّر كثير مما خلق للإنسان من السماء والأرض والكواكب ووو...، ومن جانب ثالث فقد بين القرآن إنّ أعبد وأعرف وأطهر وأطوع الناس لله تعالى هم أهل البيت (عليهم السلام)، الذين أذهب الله عن الرجس أهل البيت (عليه السلام)، ومن ثمّ يتبين إنّ غاية الخلق من العباده والمعرفه إنما يتم ويتحقق بصورته الكامله التامه إنما هو بأهل البيت (عليهم السلام)، فصح إنّ غايه المنظومه في الخلقه والمخلوقات إنما هي بأهل البيت (عليهم السلام) فلولاهم لما خلق الجن والإنس ولما خلق ماسخّر للإنسان .

المحاور: ما هو السر في دفن العباس في قبره الآن؟. هل لبيان فضله؟، أو هناك أمر من السماء بذلك ؟

الشيخ السند: لا- ريب إن دفن السجاد (عليه السلام) عمه أبي الفضل العباس (عليه السلام) في موضع قتله الفعلي ليس صدفة وإتفاق أو عفويه ، بل هو تقدير وأمر إلهي ليصبح مناراً لأجيال كل المؤمنين لاحقاً، حتى أجيال العلماء والأولياء، والمغزى بحسب الظاهر هو ماورد في زيارته من مناقبه وأولها وأعظمها هو مبالغته في الإنقياد للإمام المعصوم (عليه السلام)، والتبعيه والتسليم له وتفانيه في الوفاء له والمبالغه في النصيحة وإسداء العون والنصره النابع ذلك كله من بصيره بموقع الإمام المعصوم (عليه السلام)، فكان أبو الفضل العباس (عليه السلام) قدوه لكل

موالى للأئمة(عليهم السلام) فى كىفیه الولاة والتبعیه والنصره للأئمة(عليهم السلام)، والمنقبه الثانیه لأبى الفضل (عليه السلام) التى حازها هو ما ذكر فى زيارته على لسان المعصوم (عليه السلام)، من كونه صُلب الإستقامه والمقاومه بدون أى وهن ولا تضعف ولا ضعف ، بل كان فى قمه عنفوان الصمود بل أعلى مراتب حيويه الإندفاع والمثابره والإنتلاق، فلم يسبب ويحدث لدى قيادته وإمامه المعصوم (عليه السلام) أى وهن ولا- تضعيف، بل كان بركان نشاطه سبباً للإنتعاش المفعم بالأمل والقوه والقدرة للحسين (عليه السلام)، والمنقبه الثالثه التى جعله الله قدوه للشيعه الخُص والأولياء الكُـمـل، هو طيرانه من حضيض تعلقات النفس والأنانيه والأنويّه ولوازمها وتداعياتها إلى التحرر والإنتلاق إلى أوج علو الروح والنور، فكان طيار محمد وآل مُحمّد(عليهم السلام) فى نهج ومنهاج الإيمان ، بينما كان جعفر طيار محمد وآل مُحمّد(عليهم السلام) فى الاسلام ، وهذه ميزه لأبى الفضل (عليه السلام) إمتاز بها أى كان جعفر الطيار قدوه الطيران فى سماء ومدرسه الإسلام فى الفداء والتضحيه، طياراً من حضيض النفس إلى أوج علو الروح فى منهاج الإسلام، وقد كان ذلك سبب إنتصار المسلمين فى الحروب ، بعد ذلك إمام الروم ودوله كسرى لما سطر لهم من دروس فى آليه الإندفاع التضحوى الفدائى، بينما كان أبى الفضل العباس (عليه السلام) طياراً فى سماء ومدرسه الإيمان والطيران من الحضيض إلى الأوج فى منهاج الإيمان للمؤمنين، فكان سبباً لإنتصار الإيمان فى سُوح المواجهات مع الظلم والنفاق فى الإصلاح الداخلى لبنيان الإسلام الذى هو أهم من التوسع الخارجى لقشر بنيانه، فمن وصل

أبى الفضل كجعفر (عليه السلام) إلى هذا المقام فى عقيدته الإيمان وهو مقام الطيار الذى ورد عن اهل البيت (عليهم السلام) إن الإنسان يسائل عنه فى جملة الاعتقادات الإيمانية يوم لقاء الله تعالى ومن ثم تكرر عن النبى (صلى الله عليه وآله) والائمة (عليهم السلام) قولهم ومنا طيار هذه الأمة على حدو قولهم ومنا مهدي هذه الأمة .

المحاور: شيخنا الجليل ما رأيكم فى نظريه التضخم لتراث عاشوراء أعنى إن الذوق الشيعى له أثره البارز والواضح فى تضخم تراث عاشوراء .

كعدد قتلى جيش ابن سعد بكل هجمه من آل البيت (عليهم السلام) أو إن الحسين (عليه السلام) يقدم فرسه على نفسه ويمتنع الفرس عن شرب الماء وبالتالي لم يشرب الماء الحسين (عليه السلام)، أو إن أم وهب تقتل برمى رأس ولدها عدداً من الجيش أو إن الأسد يأتى إلى زياره مضجع الحسين (عليه السلام) ليله الحادى عشر وغيرها مما وردنا من تاريخ عاشوراء .

فالشيعه على مرّ القرون حالوا إثراء قضيه عاشوراء بالفن والذوق! .

فما هو تعليقك.

الشيخ السند: المهم فى تحرى هذه الاقوال والوقائع نفيًا وإثباتًا، هو التحرى والتتبع والإستقصاء، فإن مصادر واقعه كربلاء وحادثه عاشوراء:

١ - ليست كما يظن وينساق الكثير مصادرها تاريخيه بحثه ، بل هناك مصادر حديثيه من الفريقين بل وقرآنيه أيضاً، سواء بحسب التأويل أو النزول

ص: ٥٣٧

والتنزيل، ومع هذه السعة للمصادر يصعب إستقصاءها بهذه السرعة وحسم النتائج، بل يجد المتتبع الفاحص إن روايات الفروع في الأبواب المختلفه بمناسبه وأخرى تتعرض للقطات من حادثه عاشوراء، لاتجدها في مصادر أخرى، لاسيما وإن عدسه المعصوم (عليه السلام) التي هي عدسه من علم لدني مرتبط بآليات ملكوته لرصد الوقائع مالا ترصده إنتباه الحواس البشريه بقوتها المحدوده في قدره الإحاطه، كما يرصد القرآن كثير من الوقائع التاريخيه وحوادث سير الأنبياء والأوصياء والأولياء بلقطات وقصاصات لم ترصدها كتب التاريخ، ولا حواس البشر، بل وكذلك رصد القرآن والحديث النبوي وحديث المعصومين من آله كثير من مشاهد سيره النبي (صلى الله عليه وآله)، وحوادث صدر تاريخ الإسلام لم يعلم بها المسلمون الصدر الأول آنذاك، فضلاً عن أجيال المسلمين اللاحقه، ولقد وجدت مثلاً لقطات وقصاصات في أحاديث كتاب كامل الزيارات لزعيم الطائفة في زمانه الشيخ الأجل المتقدم ابن قولويه أستاذ الشيخ المفيد في الفقه والحديث، لاتوجد في مصادر أخرى، وينذر تعرض الخطباء الأجلاء لها .

٢ - إن واقع كربلاء من الحوادث الحساسه في المشهد الإسلامي، من القرن الأول، وإستمراراً قرناً بعد قرن إلى يومنا هذا، ولم يخلُ قرن عن تأليفات من أرباب المقاتل تتناولها الأمه جيلاً بعد جيل، فليس هناك إنقطاع وإرسال في تلقي أحداث عاشوراء على النحو الأجمالى .

٣ - لا بدّ من الألتفات إلى الحدث والمشهد بطبيعته المادى ، فضلاً عن

الأحاسيس الروحيه والأمواج النفسانيه والخواطر القلبيه، لا يمكن رصدها والإحاطه بها من قبل مراسل خبرى تاريخى ، ولا مراسلين كثر، وذلك لأن كل شخص هو بنفسه حدث وأحداث ومشهد ومشاهد، ولا يحيط بها تماماً الملكان الكاتبان الحافظان، فضلاً عن البشر كما ورد فى بيانات القرآن و أهل البيت (عليهم السلام)، فكيف تتوقع من عدم تعرض راوى تاريخى للحدث والمشهد نفى زاويه وزوايا من الحدث، وهو لا يستطيع رصد كل ذلك فى شخص، فضلاً عن أشخاص بالعشرات والمئات والآلاف .

٤ - إنّه دائماً هناك مشهد مادى فى الحدث وفيه مشهد نفسانى أخلاقى أيضاً، ومشهد روحى ثالث، ومشهد رابع عقلى وقلبى وفكرى، ومشهد خامس غير مرئى غيبى عن إدراك البشر، يتدخل فى الحدث والمشهد، لأن كل حدث ليس مفوضاً كله للبشر ولا- هو قدر الجائى جبرى على البشر، بل هم أمر بين أمرين إختيار بين تقدير وقضاء، آليات الغيب والسماة غير مرئيه، وبين آليات يقوم بها البشر، ومن ثم نلاحظ إن القرآن فى أى حدث ومشهد يوازن بين رصد والإحاطه، بين المشهد المرئى الحسى والذى لا يحيط به كله البشر كما مرّ، وبين المشهد الغير مرئى الغيبى الذى يتدخل فى رسم الأحداث ومصير المشهد ، فلاحظ كلام القرآن حول واقعه بدر وأُحد والأحزاب وخيبر ووو ... ، يوازن ويركز على كل من الجانبين .

٥ - إنّ عامل الإخفاء والتعتيم والتكتم على الحقائق قد مارسته

الحكومات المعاديه لاهل البيت (عليهم السلام)، بدءاً من السقيفه ثم الأمويّه والعباسيه وإلى يومنا هذا من الحكومات المعاصره التي يزعمها شعار الحق والعداله والحرية الذي يرفعه اهل البيت (عليهم السلام)، فكل هذه الإمتداد والقدرات وظفت لإماته أوراق ومستندات حقائق الأحداث والمشاهد في صدر الإسلام وكربلاء، فهاهو اليوم نشاهد كيف يقبلون الحقيقه راساً على عقب ويجعلون من صدام بطل المقابر الجماعيه إلى شهيد الأمه، وإن المقابر هي من فعل خصوم صدام، فكيف بك بما مر في عصور لم تكن آليات وأجهزه إعلام ورصد كالموجود اليوم، فالمنهج بدل أن يقال عن التضخيم يجب أن ينتبه إلى عوامل التعقيم .

٦- ومن كل ذلك ههنا مقترح لإنشاء موسوعه الكترونيه حاسوبيه تجمع فيها آلاف المصادر المختصه بعاشوراء من الفريقين، فضلاً عن مصادر الأمم والملل الأخرى التي تتحدث عن واقعه كربلاء، ولقد أنبرت بحمد الله بعض المؤسسات لإقامه هذا المشروع، كى يكون البحث مستندياً معلوماً ثنائياً .

٧- كما إن من اللازم رصد وجدوله المصادر في مشجره ضخمه وقوائم مطوله ومقسمه بما يسمى ببيولوجرافيا، كى يكون التتبع منظومياً بنظم وقواعد علميه فى البحث تخضع لدقه فى الإستنتاج، ونكون بذلك قد خدمنا الحقيقه والحق .

المحاور: أحتمل إنَّ إستئذان أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) فى القتال

من الحسين (عليه السلام) مرتبط بما ذكر في باب الجهاد من إنَّ المبارزه مكروهه بدن إذن الامام ، أو محرمة فماذا تقول؟

الشيخ السند: بل عموماً خطه الحرب والمواجهه، كانت حرجه حساسه وتتطلب حسابات كثيره ليستثمر العدد القليل لضمود أطول قبال جيش جرار ، فإنّ تضاعف عدد جيش العدو في كربلاء على جيش الدين أضغاف ما كانت النسبه في بدر، فمن ثم كان الوضع شديد التعقيد والخطط التي إستحدثها الحسين (عليه السلام) هي التي اطالت ساعات المقاومه منهكه العدو عن الوصول إلى مرامه إلاّ بخسائر كبيره في صفوفه، فلم يبق بيت من معسكر الشاميين في الكوفه إلاّ وفيه ناعيه، وهذا يبيّن مدى عظمه التدبير والإداره للأزمه والمواجهه التي قام بها الحسين (عليه السلام)، سواء من ناحيه معنويه وأخلاقيه وروحيه وبناء عقلاّن بل رباني، وترسيم سياسى وعسكرى وتنظيمى وأمنى وتخطيطى لما بعد الحدث، من شأن الأسره النبويه ودورها النضالى الإعلامى والمقاوم السياسى ومواصله التحرك الشيعى إستمراراً على الدرب، إذ الطريق والمسير متواصل فى مشروع أهل البيت (عليهم السلام)، ولا يقتصر نظر الحسين (عليه السلام) على الحدث الراهن بل تدوام الحراك لإقامه المشروع الألهى، فجمله من تدابير الحسين (عليه السلام) الأساسيه كانت متعلقه وتصب لما بعد الحدث الجلل، وكيف ينبغى رعايه إداره الأمور إستباقاً وهذا الذى جعل الأحداث تترى على يزيد والأمويين،

ص: ٥٤١

إرباكاً لهم وزوال حكمهم إلى المروانيين، فلم تهدأ لهم الأوضاع والأمور ولم يستتب لهم الحال لبقاء وإستقرار قدره حكمهم وملكهم، فاللازم قراءه أحداث كربلا وتدابيره (عليه السلام) متموجه تداعياته بما بعدها من الأحداث كى تتضح حقيقه قدره تخطيطه (عليه السلام)، لتقويض الفتنة الأمويه المتولده من التأسيس السقيفي، وهو بمثابة تقويض لدعامه سقيفيه، نعم إجتماع الشجره الملعونه فى القرآن، يتطلب نظاماً ومنظومه تدابير ثاقبه الرؤيه والمعرفه العلميه بالمستقبل وتدابيره .

المحاور: قيل أن دم الحسين (عليه السلام) لم تسقط منه قطره إلى الأرض، ولو سقطت منه قطره واحده لساخت الأرض بأهلها. فهل من تعليق حول ما ذكر وهل هناك روايه أطلعتم عليها بهذا الخصوص؟ لكم منى خالص الشكر والأمتنان.

الشيخ السند: قد ذكر فى جملة المصادر كالإرشاد للمفيد، وفى مثير الأحزان لأبن نما الحلبي، قول الباقر (عليه السلام) فلم تسقط من ذلك الدم قطره إلى الأرض. والبحار عن اللهوف او الملهوف لابن طاووس، ذكر الروايه أيضاً، وفى العوالم ايضاً عنه، والسيد محسن الأمين فى لواعج الأشجان والظاهر أنه عينه تسكن الخلد، والذى قَدْ وَرَدَ فى بعض زياراته (عليه السلام) تخليداً وأما أنّ دمه الشريف ودم على الأكبر والأصغر قد صبغت به ترابه كربلا بعد إضطجاعهم التراب وورد تفاصيل كثيره، يجدها المتتبع فى كتب الفريقين الحديثيه والتاريخيه حول إسرار دمه الزاكي، ففى بعضها أنّ النبي (صلى الله عليه و آله)

جمعه فى قاروره كما شاهده بعض أزواجه أو ذويه أو أصحابه وغير ذلك كثير.

المحاور: مولانا الأجل أدامكم الله عزاً للإسلام والمسلمين، وصلتنى هذه الروايه مع سؤال عن رسول الله (صلى الله عليه و آله):
«إنَّ للحسين فى بواطن المؤمنين معرفه مكتومه»، فماذا يفهم من هذا الحديث؟

وفقكم الله لكل خير ...

الشيخ السند: نظير هذا الحديث ماورد عنه (صلى الله عليه و آله) وعنهم (عليهم السلام)، إنَّ لقتل الحسين (عليه السلام) حراره فى قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً، وفى نقل آخر لا تطفأ أبداً، وهناك نقل ثالث ما مضمونه، حتى ينتقم الله بإستئصال الجور وببسط العدل، وفى الحقيقه إنَّ كلاً من الأنوار الخمسه لأهل الكساء والتسعه من ولدهم ، ظهور أكمل لصفه كمال فى الفطره الإنسانيه التى هى فطره الله، وحينئذ فكل من هذه الأنوار تناغم تحريك وحراك صفه مدفونه مخزونه فى أصل خلقه فطره كل إنسان، وسبب لإستخراج وإستثاره تلك الصفه الفضيليه المودعه فى فطره كل إنسان، فلولا مجيئ ذلك المثل والمثل والآيه الألهيه المودعه فى هذه الأنوار لما تم إنماء وتنميه وترقيه وتربيته وزرع تلك الصفه الفضيليه فى أفراد البشر، فالتنظير الفكرى بمجرد لا يوجب إستثاره الفطره وتفتقها وخروج المخزون من الطاقات، وكمون الكمالات المبطنه فى غور طبقات أعماق قابليات ذات كل فرد، فمن ثم الفطره التى لم تتلوث ولم يتم دسها ولا قبرها بغطاء مستفحل لا محاله تتناغم وتتفاعل مع

ص: ٥٤٣

الكمال المتجسد في كل معصوم (عليه السلام)، ومن ذلك إباء الظلم ورفض الطغيان ومقاومه العدوان ومواجهه التفرعن لدى المستكبرين ليعودوا إلى عبوديه ربوبيه إله العالمين، هذا النور الذي تجلّى ناصعاً وهاجاً في سيد الشهداء (عليه السلام)، هو وقاد وزناد قادح في إشعال حراك كل فطره سليمه، لاسيما التي لدى المؤمنين ولذلك يظل هذا الشهاب السماوي نيراً خاطفاً للقلوب حتى تدكك حصون كل ظلم في الأرض، وتهدم حصون كل جور في البلاد، ويقصم ظهر كل مستكبر في الأرجاء.

المحاور: سمعت من أحد خطباء المنبر حديث مروي عن علي (عليه السلام) قال: الغدر مع أهل الغدر وفاء لله والوفاء مع أهل الغدر غدر لله .

والسؤال: ما مدى صحه هذا الحديث؟

وبفرض صحته عن مولانا الإمام علي (عليه السلام)، ما الذي منع مسلم ابن عقيل أن يغدر بعبيد الله ابن زياد في منزل هانيء ابن عروه؟؟

الشيخ السندي: وَرَدَ فِي قِصَارِ كَلِمَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلِيهِ السَّلَامُ) فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ، الْوَفَاءُ لِأَهْلِ الْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ اللَّهِ وَالْغَدْرُ بِأَهْلِ الْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ .

مع أنه ورد التأكيد منهم (عليه السلام) بالوفاء بالعهد الأمر الشديد الغليظ فقد قال (عليه السلام) في عهده لواليه مالك الأشر على مصر: فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانه واجعل نفسك جنه دون ما أعطيت فإنه ليس من فرائض الله عزَّ وَجَلَّ شَيْءٌ النَّاسِ أَشَدَّ عَلَيْهِ إِجْتِمَاعًا مَعَ تَفْرِيقِ أَهْوَانِهِمْ وَتَشْتِيتِ

ص: ٥٤٤

آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استولوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بدمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقى وقد جعل الله عهداً أمناً أفضاه بين العباد برحمته وحريماً يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلى جواره.

فالأصل في العهود الوفاء لا النكث إلا أن ذلك شروط:

١- أن يكون مورد العهد ومتعلقه مورد مباح وحلال وحق وأما ما كان باطلاً في نفسه أو غنياً أو ظلماً وجوراً فلا يجوز إنشاء العهد والإلتزام به فضلاً عن الوفاء به فالمؤمنون عند شروطهم إلا شرطاً خالف الكتاب والسنة أو كان في معصية الله فإنه لا طاعه لمخلوق في معصية الخالق كما ورد عنه (صلى الله عليه وآله) وهذا ما يغفل عنه كثير من المؤمنين عندما يلتزم وظيفه أو منصب فتراه يلتزم بالقانون الوضعي الجائر في تعامله مع المؤمنين بذريعة الوفاء بتعهد الوظيفة والعمل .

وعليه ففي مثل هذه الموارد يكون الوفاء - مع أهل الغدر أو العدوان والظلم والجور وأهل الباطل - غدر عند الله بالعهد الإلهي الذي تعهد العبد في إقراره بالتوحيد والرسالة والولاية بإلتزام طاعه الله ورسوله ووصيه فوق طاعه كل مخلوق كما يكون الغدر - مع أهل الغدر والطغيان والإستكبار والزيغ - وفاء بعهد الله بإلتزام طاعته و أوامره وإجتنا نواهيه.

ص: ٥٤٥

ومن هذا الباب ورد عنه (صلى الله عليه وآله) وعنهم (عليهم السلام) أن الحرب خدعه أى فى حالة المواجهه وعدوان العدو ليس له عليك من إلتزام والحال أن العدو الجائر متعدى يريد تجاوز الحدود بقدر ما هو متعدى ومتجاوز لا فى الجانب الآخر الذى هو منضبط فيه ومتقيد بالموازين إذ لا تعميم فى الأحكام بل هى مقيده محدوده .

وأما موقف مسلم بن عقيل فليس لكون بن زياد ذو حرمه وهو الغاشم السفاك للدماء الباطش بالأبرياء الفتاك متتهك الحرمات بل لأن مسلم بن عقيل ممثل وسفير عن الحسين (عليه السلام) الذى هو من أصحاب الكساء وأهل البيت (عليهم السلام) والخمسه هؤلاء فى طور التأسيس والتأصيل فلا يصح منهم التمسك بالأعذار المحقه ولو فى مواردنا الحقه لأن ذلك عند عموم الناس ينطبع لهم أنه الأصل والقاعده لا إنه إستثناء وتخصيص بخصوص ضابطه وقيود فيؤدى إلى إنتشار ذلك فى كل موارد التعامل أفراد المجتمع فيما بينهم ولا تقوم للمجتمع القطرى أو الأقليمى أو الدولى قوام ولا قائمه ولذلك ترك الأخذ بالرخصه والرخص امير المؤمنين ع فى كثير من الموارد لئلا يجترئ الناس على التساهل وتضيع الحدود الأوليه والأصليه وهذه التفاصيل فى الحكم والأقسام مطرده على الصعيد الفردى والسياسى الإجتماعى والعلاقات الدوليه.

المحاور: ما هو رأيكم بأشعار المدّاحين الذى هو مشتمل على لسان الحال، ويمكن لا يكون له واقع و حقيقه) ؟

الشيخ السند: الشعر أو النثر - الذى بلسان الحال لا- بلسان القول ولا بلسان الفعال - والنعي والثناء بهما هو حقيقه وحق، لكن بإرادته المفاد المطابقى النصى منه بل المفاد الكنائى والتمثلى منه والتعريض، والثانى حق وواقع وهذا باب استعماله القرآن وهو وحى وحيانى ألهى، فإنّ ضرب الأمثال فى الكتاب العزيز لا حدّ له وفره وكثره مع إنّ المثل لإيراد الأخبار بمفاده المطابقى بل المراد الجدى منه المعنى المبطن والكنائى الذى يغير المعنى المطابقى لسطح المثل ، بل قد ضرب القرآن للناس من كل مثل، نعم ليس كل القرآن من باب المثل والأمثال كما يتوهم البعض، بل هو أحد الأبواب الثمانية لأسلوب القرآن، والحكمه فى هذا الأسلوب والنمط من الإستعمال أمور كثيره، منها إنّ كثير من المعانى ليست حسيه مرئيه، بل هى من شؤون الروح وحالات النفس والخواطر القليه وغيرها من الأفعال التى ليست من عالم ماده المحسوسه المرئيه المسموعه الملموسه، بل هى من مشهد نفسانى ومشهد روحى ومشاهد عقليه ونفحات قليه وهى أوسع شأنًا وأكبر واقعيه من العالم المرئى المحسوس، ولا بدّ من الإخبار عنه وإنعكاسه إلى الآخريين، ولا يتأتى إلا- بأنماط أخرى ، أحد نماذجها أسلوب المثل والتمثيل ، ولسان الحال يلتقى معه فى ذلك .

نعم شرط صحه المثل والتمثيل هو كون المعنى الثانى حقيقه وله واقعيه بحسب ظرفه وشأنه وأجواء عالمه، ومتناسباً مع الذى يوصف حاله

وقد ورد عنهم (عليهم السلام)، إنَّ لسان الحال أبلغ وأصدق من لسان القول، وذلك لسعه لسان الحال وشمولته بخلاف القول، فالعمده والمدار والصدق في لسان الحال على واقعيه، المعنى الكنائى والمعنى المعرض له وبه .

المحاور: لقد تعلق أمر الله عزَّ وجلَّ بإخراج نور الهدايه من ظلمات الكسرى وإنهاء نسبهم (عليهم السلام) الناسوتيه إليهم إلى يوم القيامه، فما هو تقيمكم فى ولاده على الأكبر الأطهر ليلى بنت أبى مرّه سلام الله عليها وهى مشكاه خرجت من قاطبه الملعونه الأمويّه . ولكم جزيل شكر والإمتنان .

علما بأنّ معاويه عليه الهاويه صرّح بفضله وسخائه وشرف نسبه وإستحقاقه للخلافه عند لقائه من المدينه لأن من صلب هاشم وأميّه وهذه القصه معروفه .

الشيخ السند: إنَّ الثابت من نسبهم (عليهم السلام) الطهاره من العهر، وأما الطهاره من الكفر فالمقدار الثابت هو تنقلهم فى الأرحام المطهره والأصلاب الطاهره، أى نطفتهم ونورهم أينما تنقلت فى صلب أو رحم فهى طاهره من الكفر والشرك، وأما أمهات الأمهات وآبائهن فلايشمله الطهاره الثانيه وإن كان مشمولاً بالطهاره الأولى، فيكون السلسله فى الثانيه أشبه باللولبيه لا التشجير وفروع الأغصان، ثم إنَّ مايدكر من نسب لهم ليس من الضرورى واقعيته من جهه الأمومه، كما أدعى فى نسب الأم للإمام الصادق (عليه السلام)، وما أورده بعض الأصحاب من روايه فهى عاميه .

المحاور: مقولة: «كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء» قيل فيها: (إنها من الأقوال الخاطئة)، ولا يمكن توجيه هذا القول أبداً، لأنه يعارض قول المعصومين (عليهم السلام)، من إنه: «لا يوم كيومك يا أبا عبدالله»، كما يعارض الروايات الواردة في أفضيله كربلاء على سائر البقاع بما فيها الكعبة المشرفة .

أفيدونا برأيكم السديد، مع دعائنا لكم بالعمر المديد لخدمه الإسلام والمسلمين؟

الشيخ السند: إنحصاريه عظمه يوم الحسين (عليه السلام)، وأفضليته أرض كربلاء على البقاع، أمرٌ ثابتٌ ومسلّمٌ في بياناتِ أهلِ البيت (عليهم السلام)، إلاّ- إنَّ المراد من هذه المقولة إن كان نفي هذا الإختصاص فالنفي زائف، إلاّ إنَّ الظاهر هو تثبيت ذلك والإقرار به وتكريسه لا- نفيه، لأنَّ المراد إنَّ يوم عاشوراء، يوم رائد، وقدوه لكل الأزمان والأوقات، وإنَّ على الإنسان معاشه عاشوراء ودروسها كل يوم، ولا يقتصر في التأثير بعاشوراء بقصر ذلك على يوم العاشر من محرم، وهكذا كان حال الأئمة (عليهم السلام) حيث ورد مثلاً- إنَّ الصادق (عليه السلام) إذا ذُكِرَ جدُّه في يومٍ ما ومصابه فلا يُرى ضاحكاً في ذلك اليوم، وكذلك جدّه السجاد (عليهما السلام)، حيث عاش كل أيامه الشريفه وكأنَّ كل يوم يتجدد لديه حدث يوم عاشوراء، وكذلك المراد إنَّ كربلاء- قدوه لكل البقاع والأماكن، إنَّها ملحمه مواجهه مع الجور والباطل، لا أن يقتصر مبادئ كربلاء على حين زياره المؤمن لأرض كربلاء، وينسى ذلك عند رجوعه إلى بلاده، فعاشوراء قدوه، وإمامٌ لكل يوم، وكربلاء قدوه

ورائده لكل بلد في مواجهه الجور والعدوان .

المحاور: بعض المشايخ كان يقرأ «زياره عاشوراء» في الأيام التسعه المنصرمه من أيام الحزن والمصاب ..

فكان يُبدل عبارته «اللهم إن هذا يومٌ تبرّكت به بنى أمّيه ...» بعبارته «اللَّهُمَّ إِنَّ يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَوْمٌ تَبَرَّكَتَ بِهِ بَنِي ...»

فما رأى سماحتكم هل هذا التصرف جائز؟ وإذا كان كذلك ، فأيهما الأفضل هكذا تصرف ؟ أم القراءه على نحو الحكايه تعبدًا .. ؟

وعظم الله أجوركم ...

الشيخ السند: الصحيح هو الإبدال، لأنه لا يُشار إلى يومٍ آخر بأنه اليوم الذي ، بل شخص يوم عاشوراء، الذي فرحت به... فالإبدال هو محافظة على حقيقته نص الزيارة .

المحاور: كما تعلمون شيخنا، إن لنا في البحرين كتاب يُسمى «المنتخب» او «الفخرى» او «الطريحي»، وهو كتاب الشيخ فخر الدين الطريحي، الذي أسماه «المنتخب في جمع المراثي والخطب» يحتوى نعيًا لأهل البيت، من تعليقات للشيخ الطريحي نفسه، وأخبار يذكرها عنهم (عليهم السلام)، وقصائد رثائيه، وهذا الكتاب كما تعلمون، اعتاد أن يقرؤه المعزّون في المآتم والحسينيات بأسلوب ولحن خاص قبل إرتقاء الخطيب المنبر..ولكن في الآونه الأخيره تراءت للبعض فكره إستبدال قراءه هذا الكتاب بقراءه

ص: ٥٥٠

زياره عاشوراء، أو زياره أمين الله ..

فما هو فى رأيكم الأولى..؟؟!

والسؤال الثانى: هناك فرق بين المنهج الفقهى والمنهج التاريخى، ونتيجته الخلط بينهما صار هذا الإلتباس، فصار البعض يسأل عن صحه الروايه فى المسائل التاريخيه، وهذا لا- وجه له وبيان ذلك إنّ فى القضايا الفقهيّه يبحث عن المنجزيه والمعدريّه وإسناد النتيجة إلى الله سبحانه وتعالى، فمالم يكن الدليل حجه او منتهى الى ما هو حجه فلا يصلح للمنجزيه والمعدريه ويكون الاسناد، والحال هذه إفتراءً على الله تعالى كما قال تعالى قل الله أذن لكم ام على تفترون، هذا فى باب الإحكام فلا بدّ أن يكون المستند حجه يصح الإستناد إليه وأمّا فى القضايا التاريخيه فلا يراد إثبات منجزيه أو معدريّه ، لكن لا يعنى ذلك عدم ثبوت منهج ومعايير للقضايا التاريخ، هناك فرق بين المنهج الفقهى والمنهج التاريخى، ونتيجته الخلط بينهما صار هذا الإلتباس فصار البعض يسأل عن صحه الروايه فى المسائل التاريخيه .

فما هى المعيار والمنهج فى الاخذ بالقضايا التاريخيه؟

الشيخ السند: ليس المطلوب فى مقتل سيد الشهداء (عليه السلام) وأحداث كربلاء صحه السند، والغالبه من روايات المقتل إلى ما يزيد ٩٠٪ عن ليس بصحيح السند، وفقا للميزان الرجالى، وروايه النطح مثل روايه قتل الشمر

ص: ٥٥١

لسيد الشهداء (عليه السلام)، فهي روايه غير صحيحه السند، ولكن ذلك لا يضر بها ولا بصحه نقلها.

قال الشيخ مرتضى الأنصاري (قدس سرّه) في التنبيه الرابع من رسالته التسامح في أدله السنن بعد نقله لعباره الشهيد الثاني (قدس سرّه) الداله على أن الأكثر يرى جواز العمل بالخبر الضعيف في القصص قال مايلي:

«المراد بالعمل بالخبر الضعيف في القصص والمواعظ، هو نقلها وإستماعها وضبطها في القلب وترتيب الآثار عليها، عدا ما يتعلق بالواجب والحرام... ويدخل في العمل - أي العمل بالخبر الضعيف - الإخبار بوقوعها أي الفضائل والمصائب من دون نسبة إلى الحكايه، على حد الاجتهاد بالأمر المذكوره الوارده بالطرق المعتمده، كأن يقال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) فعل كذا وكذا.

الشيخ السند: الميزان في سرد أحداث كربلاء وإستعراضها على المنابر والندوات، هل ينحصر كما يتوهمه البعض؟ بأنه منحصر بالطريق الصحيح والمعتبر، وأما المراسيل في كتب التاريخ بل والمقاتل بل والحديث أيضاً فلا يعاب ولا يعتنى بها، ولا يكثر كما هو الميزان في الاحتجاج بالحجه الشرعيه.

وهذا التوهم بمكان من الغفله والسبات فإنه:

١ - لو أعتمد مايتوهم فلا بد أن نطالب جميع البشريه بإعدام وإباده كل مصادرها التاريخيه، وكذلك مصادر تاريخ الإسلام والنبي (صلى الله عليه وآله)، وهذا

يُعدُّ جنوناً وجهلاً يقطع الأمم عن ماضيها والمعاصر عن تمدن وحضارات الماضي، كما إنَّ الدعوه إلى نبذ التراث التاريخي، هو بمثابة قطع صله الحاضر عن كل مكتسبات وجهود الغابر، وسداً لباب العبره والإعتبار .

٢ - إنَّ الحُجَّيَّه والدليل الإثباتي، لا ينحصر ولا يقتصر على الطريق الصحيح وخبر الواحد المعترف، لا في البحث الفقهي، ولا في بحوث العلوم الأخرى، بل هناك الطرق الأخرى أعظم شأنًا وإعتباراً من الخبر الواحد الصحيح، فإنَّ الخبر المتواتر والمستفيض والموثوق أعلى حجيه منه، وذلك لقوه درجه الإطمئنان عن الظن المتوفر في خبر الواحد الصحيح والخبر المتواتر والمستفيض والموثوق بصدوره، لا يعتمد على إنفراديه الخبر وآحاديته، بل يعتمد على تجمع ومجموع الطرق وتراكم عددها من الناحيه الكميّه ومن الناحيه الكيفيه، من جهه القرائن والشواهد المتقارنه والمتعاضده والمتظافره، وهذه يعطى رصيد في قوه احتمال الصدق أكثر بكثير من آحاديه الخبر الواحد المنفرد، بل إنَّ جملة علماء الإماميه في القرن الثالث والرابع والخامس، جُلَّهم لا يعتمد على آحاديه الخبر الواحد ولو كان صحيحاً، بل يعتمدون على الإستفاضه والتراكم للقرائن وتكثُرُها تراكمياً، فلاحظ ماكتبه الشيخ المفيد في الإرشاد من تاريخ المعصومين (عليهم السلام)، وكذلك الشيخ الطبرسي في كتابه أعلام الوري، وغيرهما في بقيه الكتب في تاريخ المعصومين (عليهم السلام).

ولا يخفى إنَّ مخزون القرائن والشواهد لا يحافظ عليه إلَّا بسير وإستقصاء

كل المصادر والكتب، وعلى ضوء المنهج التراكمي والتصاعد الكيفي للدلائل والشواهد والقرائن فإنه لا يُفَرِّط في أيه قصاصه، ولا يُفَرِّط بأيه قرينه، ولا يُفَرِّط بأيه معطيه مهما ضَعُفَتْ هي في نفسها، لأنَّ القيمه الإستدلاليه لا تثنَمُها ولا توزنُها بماهى منفرده فقط، بل بماهى تنضم تراكمياً مع غيرها من عشرات ومئات وآلاف القصاصات والقرائن والمعطيات والدلائل، فإنَّ ضعفها بمفردها وإنفرادها لا يعنى ضعفها منضمه ومجتمعه مع غيرها، وهذه حقيقه واقعيه منهجيه معرفيه منطقيه تكوينيه قد إنتهجها جميع عقلاء البشر، فإنك ترى إنَّ المحقق الجنائي على صعيد الحوادث الفرديه او الحوادث والنزاعات الدوليه، لا يُفَرِّط ولا يتهاون بأيه معطيه وقصاصه، مهما تضائلت نسبه إحتمال إيصالها للواقع، بل يكثرثون ويحافظون ويختزنون كل شارده ووارده، وكل صغيره وكبيره، وكل جليل ودقيق، فإنها لربما كانت رأس الخيط الذي منه يفتح باب الحقيقه المجهوله المغموره، وكم كانت قرينه ضعيفه بمفردها تعاضدت بعد ذلك بعشرات او مئات القرائن الأخرى، فكانت طريقاً مفتاحاً للوصول إلى الحقيقه الواسعه، وعلى ضوء ذلك فإنَّ الحفاظ والإحتفاظ بالتراث والكتب تعاهدها بالدراسه والمدارسه والتنقيب والبحث، أمرٌ حضارى تمدنى علمي معرفي تحقيقي، وإهمالها ضياعٌ للعلم والحقيقه والمعرفه، وتوغّل في الجهاله وإبتعاداً عن الوصول إلى الواقعيه .

المحاور : أُعتبر عقد القاسم (عليه السلام)، وكذلك رؤيا زوجه حبيب بن مظاهر الأسدى للزهراء (عليها السلام)، إنها من الأكاذيب التي يعلم الخطباء بكونها كذلك،

وينبغي التخلص منها؛ أفيدونا برأيكم دفعاً للاختلاف بين المؤمنين.

الشيخ السند: أما سرد الخطباء لزواج القاسم ونحوها من الأحداث والأمور التي ذكرها أرباب المقاتل القديمه تاريخياً أو التي ألّفها كبار العلماء الفقهاء كالطريحي، فهو إحياء للتراث، ولو أقتصر في الحفاظ على التراث التاريخي والروائي الحديثي، على ما يصح منفرداً آحادياً، وأُبيد وأُتلف التراث الآخر، لذهب وأُبيد وطُمس المتواتر والمستفيض والموثوق، لأنّه يتكوّن من القسم الآخر غالباً بتراكم الدلائل والقرائن كميّاً وكيفاً، إلى أن تنصل إلى ذلك؛ فحذارٍ من الإنزلاق وراء هذه الصيحات الغافله عن حقيقه الأمور، وكم سعت السلطات الأمويّه والعباسيه والنواصب إلى يومنا هذا إلى طمس الحقائق وقلبها بجهدٍ جهيد، فهل نكون شركاء معهم في ضياع الحقائق التي تكتشف من خلال شتات القرائن والشواهد والقصاصات كراس خيوط تقود الباحث إلى لملمتها، لترتسم لوحه الواقع جليّه، والتكذيب والكذب هو من يتخذق في صف الظالمين لطمس الدلائل، ولو كانت مبعثره متباعده في النظره الأوليه .

وأما طالب الحقيقه والدفاع عن المظلوم المضطهد، من وراء ركام التعتيم ومن وراء حجب وستور عمليات الإخفاء، وكم من حقيقه معيّبه أُكتشفت من متناثر القصاصات من هنا وهناك وهنالكَ، فكيف يستهان بالتراث المتراكم، ولذلك لا ترى عالم يجرأ يُقدّم على حذف وإباده روايه

ص: ٥٥٥

ضعيفه فى كتاب حديث، ولا كتاب تاريخى مهما كان درجه ضعفها، وليس ذلك إلا لأن التراث بتراكمه وتعاضده يقتنص منه تمام الحقيقه، شريطه التتبع بلا إنقطاع وبلا إنحسار جيلاً بعد جيل، مع التدبر والتحليل للقرائن والشواهد .

فمن ثم فليعرف الخطباء للمنبر الحسينى، مدى عظمه ما يقومون به من دور فى إحياء الحق والحقيقه، ورفض تراب التعتيم، وإزاله ستور الحُجب الذى ضربها الظالمون لإخفاء الحقائق، وهذا يستدعى منهم أيدهم الله بعونه أن يستقصوا المزيد من المصادر، وأن يحصوا كل شارده ووارده، كى تتسع الصوره على أفقها الواسع أمام البحث والتنقيب، وإلا فلو تركوا ذلك فسوف يتخلون عن أكبر رساله تحملوا مسؤوليتها أمام مشاغبات المعيقين، وتكذيب المنكرين الجاحدين للحقائق .

كما نتوجه للأخوه المنكرين، بدل إبداء مجرد الإنكار والإستنكار القيام بالكشف كل عام بل كل مناسبه، عن المزيد من الحقائق المنظمسه، والمتستر عليها، والمغيبه تحت ركام من الحجب والبعثره والتشتيت، فهذا هو البناء الحميد للطريق العلمى، لا السعى لإندثار كل رؤوس خيوط الحقائق.

المحاور : إننا نعيش أيام ذكرى أربعينيه الحسين (عليه السلام)، التى يتوجه الشيعة من كل مكان لزياره المولى أبى عبدالله الحسين (عليه السلام)، وإن الكثير من المخالفين يسألون، لماذا نزور الإمام الحسين (عليه السلام)؟

المحاور: المعصومون من أهل البيت هم خلفاء، وهم أئمة، وورد في الرويات، إطلاقاً عنوان الخلفاء وعنوان الأئمة عليهم، لكن ما هو السر في إن الشيعة هجرت عنوان الخليفة، ودائماً تطلق عليهم عنوان الأئمة؟ فدائماً نقول الإمام علي (عليه السلام)، ولا نقول الخليفة علي (عليه السلام)، فما هو السر؟

الشيخ السند: زياره الإمام (عليه السلام)، هي باب لزياره الله تعالى، فالمقصود الأول فيها، هي الحضور عند الله وذلك لأن الإمام خليفة الله أي الآيه الكبرى التي يتوجه من خلالها العبد إلى الساحة الربوبية، فهو مجلى الصفات والأسماء الإلهيه والأسم الأعظم، وهذا معنى خلافته لله تعالى، وإلا فإنه عزَّ وَجَلَّ لا ينحسر عن شيء كى يخلف مكانه أحد بل خلافه خليفة الله هو مرآتيته التامه للعظمه والبهاء والجمال والجلال الإلهي، وبقية الصفات والأسماء للذات الأزلية وعلى ضوء ذلك فالإمام خليفة الله هو باب الأبواب للسماء الإلهيه وعالم بالأسماء الإلهيه كلها فهو جامع لها، وكلما أقترب الإنسان وأى مخلوق منه فهو إقتراب منه تعالى، فالإمام الخليفة قنطره القناطر، ووسيله الوسائل إليه تعالى، فمن ثم كانت زيارته هي فى الأصل والإساس زياه لله تعالى كما تواتر التنبيه والتنويه على ذلك فى جل زيارات المعصومين (عليهم السلام) وزيارات الحسين (عليه السلام)، وفى الحقيقه إن كل أركان الفروع من العبادات كالصلاه والصوم والحج وغيرها هدفها وغايتها القرب إلى الله تعالى، وهو ولايته تعالى وهذا القرب بابه الأعظم خليفة

الله، فلم تكن الصلاة ولا الحج ولا الصوم خليفه الله، بل قال تعالى على لسان إبراهيم ربنا إني أشكك من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئده من الناس تهوى إليهم، فذكر في الآية إن غاية الحج هو هوى، وإن تهوى القلوب وليس الأبدان فقط إلى ذرية إبراهيم (عليه السلام)، فى مكة البيت الحرام فقصد الحج إلى البيت الحرام غايته ولايه محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله)، وفى الصلاة قوله تعالى وأقم الصلاة لذكرى لغايتها ذكره تعالى، بينما وصف القرآن الإمام أنه خليفه، أى أكبر مظهر لظهوره تعالى، ومن ثم جمع الملائكة كلهم أجمعون، وجعله القبلة الحقيقيه الكبرى للتوجه إليه تعالى، وبعبارة أخرى إن الصلاة وكل العبادات يتم التقرب بها من جهة كونها طاعه وطوع له تعالى، وقد قرر فى كثير من الآيات إن طاعته تعالى مقرونه بطاعه رسوله بل وبطاعه أولى الأمر المطهرين من أهل بيته، أصحاب الأمر فى ليله القدر لنزول القرآن المخصصين بمسه فى الكتاب المكنون، فكل العبادات غاية غاياتها الطاعه لله تعالى، وبابها طاعه النبى (صلى الله عليه وآله)، وباب طاعته، طاعه قرباه أهل بيته المطهرين، فتحزر إن الإمام خليفه الله هو الباب الأعظم للوفاده على الله تعالى وقربه، وإن زياره الإمام أعظم من زياره البيت الحرام، بل إن غاية زياره البيت بنص القرآن هو الموده وهوى القلب لذرية إبراهيم (عليه السلام)، محمد وآله (صلى الله عليه وآله)، وإن زياره الإمام وطاعته وولايته هى طاعه الله تعالى وولايته والقرب منه، فزياره الإمام باب أعظم لزيارته تعالى، أى القرب منه عز وجل.

المحاور: ما معنى الإنتقام فى زيارات الائمة (عليهم السلام) والحسين (عليه السلام)؟ وهل أخذ الثأر من ثقافات الكراهيه والتعبئه المذهبيه والشحن الطائفى والإسعار للفتنه بين المسلمين وفيما بين البشر؟

الشيخ السند:

١ - الإنتقام فى منطق الوحي والحضره الالهيه والقرآن والسنة للنبي (صلى الله عليه و آله) ليس منبعثها حيوانياً غرائزياً كما فى غضب النبي موسى (عليه السلام) فى الآيه وَ لَمَّا سَيَّكَتْ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ، و ليس لفظ الآيه «سكن» عن موسى الغضب (فغضب موسى ع) ليس يسكن و يتحرك غضبا حيوانيا بل يسكت و ينطق أى غضب عقلى إلهى يسكت و ينطق ، كذلك النقمه و الإنتقام الإلهى ليس ناشئا من الغضب الحيوانى بل من الغضب العقلى و الإلهى الذى ينطق و يسكت ، فهو لغايه عقليه و إلهيه لتطهير الارض و الكون من الارجاس و الأنجاس ، فالنقمه الإلهيه الشفافه المجرده عن الغريزه الحيوانيه هى عذاب على الطغاه المعاندين الجاحدين الأرجاس ظاهره من قبله قبلهم العذاب و باطنه باطن غايته الرحمه و هى تطهير الارض و الكون منهم .

٢ - من ثم الثأر وأخذه يأخذ معنى عقليا والهيها غير المعنى الحيوانى الغرائزى بل ثوراننا عقليا وإلهيا ينطق ويسكت لايسكن ويتحرك.

ص: ٥٥٩

٣ - الكراهيه والشحذ والتعبئه والشحن موجوده فى الرؤيه وفى كل مسيره متوازنه لكن تجاه الباطل وتجاه القبيح وتجاه الخطيئه وتجاه العدوان والظلم والتعدى ليتحقق العدل والقسط ويبلغ الحق والحقيقه ألا ترى ان مواقف الإدانه من منظمه الأمم المتحده مثلا وبيانات التنديد وأحكام المواجهه تجاه أحداث العالم وأطراف النزاع أكثر من التأييد والدعم والتضامن وليس ذلك إلا لأن الحكمة العقلية تقتضى تطهير الأرض من الجور والعدوان والطغيان ليرجع كل شئى الى نصابه، وألا ترى كل نظام دوله فى أى بلد قائم على وجود وزاره دفاع واندفاع وعسكره تحشيد وجيش وتجييش وذلك لأجل ردع التجاوز والعدوان والطغيان فثقافه الكراهيه والشحن والشحذ والإسعار تمارسها كل الأمم والبشريه لكن تجاه من ولأجل ماذا .. فالمهم تعيين وتحديد الإتجاه والغايه، والحكم يأخذ طابع ذلك بتبعه.

٤ - الاعتراف بأن شعائر سيد الشهداء (عليه السلام) ومراسم شعائر مدرسه الطائفه تشتمل على التعبئه والإسعار والتجييش والتهميش يتدافع ويتناقض مع دعوى ان تلك الشعائر مخدره ومجمده عن التحرك والحراك والنشاط وانها تمتص روح الفعاليه والإنهاض والنهضه، فهذا اعتراف بأن شعائر الحسين (عليه السلام) المتداوله إسعار وتعبئه وإلهاب وتجييش واندفاع وأن هذه الحقيقه فى الشعائر الحسينيه هويه عظيمه تجلجل الوضع الفاسد وتبركن كيان الزيف الجائر وهذا التناقض والتدافع فى الإعتراض على الشعائر الحسينيه والاعتراف

بالحقيقه الناصعه لها مآلا نجده هو الآخر فى دعوى أن جمله من هذه الطقوس مستورده من المسيحيه والبوذيه الصينيه والهنود والقفزاز والطقوس الآسيويه مع الاعتراض، والطعن بأن هذه المراسم تشوه المذهب وتسيى اليه وتوجب الوهن والتوهين لإيجابها الانطباع السيى وتفسير التدافع هو ان هذه الطقوس مع الاعتراف بكونها مستورده ويمارسها شرق وغرب العالم والشعوب فكيف يجهل العالم معنى ولغه تلك الطقوس وانها ترمز الى اى شىء وتعطى طابعا سيئا لديه، والحال ان العالم والامم بنفسها تمارسها وتقوم بها لاجل التعبير عن الاستنكار للظلم والجور وابداء المظلوميه والاضطهاد فالاعتراف بانها مستورده وشائعه لدى الشعوب الاخرى يظهر انها لغه عالميه يفهما البشر ويعقلها ولايسىى تفسيرها.

ص: ٥٤١

الفصل الثَّانِي عشر : نَفْحَه لِلخَطْبَاء

اشاره

ص: ٥٦٢

إنَّ شهر محرم الحرام هو شهر ذكرى بطوله الطف وشهر نهضه سيّد الشهداء (عليه السلام)، وهى النهضه التى أحييت الدين القويم، بل أحييت وحافظت وحفظت كل جهود ونتاج الأنبياء (عليهم السلام)، فإنَّ جميع الأنبياء (عليهم السلام) بعثوا بدين الإسلام، إلّا أنّ اسم الإسلام فضلاً عن محتوى الإسلام لم يبقَ لا بعد آدم ولا بعد نوح ولا بعد إبراهيم (عليهم السلام).

فإنَّ بعد رحيل النبي آدم (عليه السلام) دبَّت الوثنيه وانتشر الانحراف، وهكذا بعد رحيل النبي نوح (عليه السلام) أيضاً، فالإسلام اسماً ومحتوىً أزيل مع أنّ الأنبياء كلهم قد بعثوا بدين واحد وإنَّ اختلفت شرايعهم لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَا جَاءَ ۙ

وهكذا بعد النبي إبراهيم (عليه السلام) صُبي دين الإسلام إلى الصابئه، وبعبارة

أخرى إلى العلمانية، فإنَّ شعار الصابئة(١) يعنى عدم الحاجه إلى الأنبياء فعقول البشر يكتفى بها. وكانت العرب تطعن وتسمى النبي (صلى الله عليه و آله) الصابئ لأنه خرج من دين قريش الموروث بزعمهم من النبي ابراهيم وذريته إلى دين الإسلام(٢). وكذلك بعد رحيل النبي موسى (عليه السلام) هوَّدَ دين الإسلام لأدَّ الدين الذين كان ينادى به موسى (عليه السلام) هو الإسلام.

وهكذا بعد النبي عيسى (عليه السلام) نصر دين الإسلام.

والمهم إنَّ جميع الأنبياء بعد رحيلهم حرف أتباعهم دينهم وشرائعهم، ولا يخفى أنَّ الدين أعظم من الشريعة فإنَّ الشريعة هي بدايه الوصول إلى الدين، بينما الدين الذى هو أعظم من الشريعة حُرِّفَ، قُلبَ، عُكسَ، فكيف الحال بالشريعة بعد رحيل اى نبي من الأنبياء بينما لم يندرس الدين بعد خاتم النبيين (صلى الله عليه و آله) بخلاف من قبله مع أن الاحزاب الذين قادوا حرب الخندق، لم تزل قوتهم باقيه بعد وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله) فما الذى حفظ الدين ولم يتبدل اسمه وهويته كما حدث بعد كل نبي.

ص: ٥٦٥

-
- ١- (١) الصابئون فرقه ضاله صبوا إلى تعطيل الأنبياء والرسل والملل والشرايع، وقالوا: كلما جاؤوا به باطل، فجحدهوا توحيد الله ونبوه الأنبياء والمرسلين ووصايه الأنبياء، فهم بلا شريعة ولا كتاب ولا رسول وهم معطله العالم.
 - ٢- (٢) بحار الأنوار، ج ٣١٩: ٦٠.

النبي (صلى الله عليه وآله) والطلاق:

إنَّ بنى أميه وبنى مروان لم يدخلوا الإسلام إلَّا فى آخر سنه من حياه النبي (صلى الله عليه وآله)؛ لأنَّه كان لديهم عدااء خاص مع النبي (صلى الله عليه وآله) ودعوته الإسلاميه، وكان دخولهم هذا كرهاً وليس اختياراً؛ لأنَّ الإسلام انتشر وقوه النبي (صلى الله عليه وآله) أخذت تزداد شيئاً فشيئاً، فهم أذن من مسلمين الفتح «أنتم الطلقاء»^(١). فكل منهم طليق والطلاق مثل العتيق، وبالتالي هم الذين جمعوا تحالف الأحزاب وهو تحالف قبلى مع اليهود والنصارى ضد النبي، وكان هذا التحالف قبل وفاه النبي (صلى الله عليه وآله) بمدته يسيره، فإنَّ غزوه الأحزاب ليست بالحرب البعيده عن وفاه النبي (صلى الله عليه وآله).

فهل هذا التحالف القريب يهدأ ويزدوب بين ليله وضحاها!!

بلُ هذا العدااء والتآمر بقى فى نفوسهم ينتظر الفرصه بين الحين والآخر كى يقضى على الإسلام وبأى طريقه كانت؛ لأنَّ دخولهم فى الإسلام كان صورته وظاهره.

وبقوا يتحسسون من دعوه النبي (صلى الله عليه وآله) ومن ثم لو ترك لهم الأمر لانتقموا لنتقاتهم كما اعتدوا على بنت الرسول (صلى الله عليه وآله) وهاجموا بيتها وذبحوا سبطه وأحرقوا القرآن الكريم وهدموا الكعبه وأغاروا على المدينه واستباحوا نساءها واستباحوا مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وغيرها من شنايعهم،

ص: ٥٦٦

وهذه الأفعال لم تأت صدفةً أو انفعالاً بل هي نوايا مبطنه تظهر طابعهم كيف كان ذات نزعته عدوانيه للنبي (صلى الله عليه وآله) وللدين الذي أتى به (صلى الله عليه وآله).

ثوره الحسين (عليه السلام) بقاء لدين النبي (صلى الله عليه وآله):

ولولا- ثوره سيد الشهداء (عليه السلام) وما قام به من هزّه عظيمه وزلزال روحى كبير فى النفوس لم يبق من الإسلام اسمه ولا رسمه، والذي هو غايه رسالات جميع سلسله الأنبياء صلوات الله عليهم بما فيهم خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) بقاء وجودهم وذكرهم هو من الحسين (عليه السلام).

وقد صدر كتاب من مركز الاستخبارات الأمريكيه المركزيه بعد سقوط الطاغيه صدام بشهرين تقريباً وترجم إلى اللغه العربيه، يذكر هذا الكتاب بأنّ المسلمين لم يبق لهم من الإسلام إلّا الإسم، وكل عاداتهم ونهجهم صارت عادات غريبه إلّا أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، فإنّهم يحملون الهويه الأصليه للدين، ويذكر السبب الأصلي والمهم لبقاء هذه الهويه هو لتمسكهم بحقيقه الإسلام وهو الحسين بن على (عليهما السلام).

ومن ثم يوصى هذا الكتاب بأنّه لا بدّ من أن تتوجّه الجهود والمخططات لضرب شعائر الحسين وزيارته، بل محاربه كل شىء يمتّ بصله إلى الحسين (عليه السلام).

الحسين (عليه السلام) ميزان العدل:

لأنّ سيد الشهداء هو ميزان ورقيب مزعج لكل الحكّام والأنظمه؛ لأنّه (عليه السلام) ميزان عدل لمحاسبه أى ظلم وجور عن العدل والدين يصدر من

الحاكم مهما كان حكمه ونظامه ونسبه، ولأنَّ اسمه عباره عن تفجير لبض العدل وحياء العدل ورفع الظلم والطغيان، ولذلك لم يكن من الصدفة ولا من العبط أن يزوره جميع الأنبياء ليله الجمعة أو ليله النصف من شهر شعبان وفي كربلاء.

فعن أبي حمزه الثمالي، عن علي بن الحسين (عليه السلام)، قال:

«من زار الحسين (عليه السلام) ليله النصف من شعبان صافحه روح أربعة وعشرين ألف نبي، كلهم سأل الله في زيارته تلك الليلة»^(١).

وليس من الصدفة والعبط أن أوَّل من يرجع من الأئمة (عليهم السلام) هو الحسين (عليه السلام)، فالحسين (عليه السلام) عباره عن امتحان النفس الإنسانية أن تكون في مفترق طريق بين الذهاب إلى مسير النور والعاقبه الحسنه أو تتزلزل وتسقط في براثن الغرائز؛ لأنَّ الملحمة الحسينيه ملحمة عظيمه في امتحان النفس الإنسانية التي ميَّز أبطالها بين الغرائز والقوى الروحيه للإنسان المثالي وإِنَّمَا حدث هذا من خلال ميزان العدل الذي هو الإمام الحسين (عليه السلام) فمنهم من اختار معسكر الشر ومنهم من اختار معسكر الخير للنفس البشريه الذي هو معسكر الحسين (عليه السلام)، وكما حدث ذلك للشهيد الحر الرياحي حيث أوزن نفسه في اللحظات الأخيره في ميزان الاعتدال والعدل الذي رفعه الإمام الحسين (عليه السلام) في طفوف كربلاء. ولم يزل ولا يزال

ص: ٥٦٨

هذا الميزان فعال ما دام في البشريه الخير والشر، والحق والباطل، والنور والظلام، والإيمان والكفر، والعلم والجهل.

نعم، ربما يقال أنّ كل واحد من أصحاب الكساء الخمسه (عليهم السلام) يرمز إلى امتحان معين فسيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) يرمز إلى امتحان النور فوق العقل.

وسيد الأوصياء (عليه السلام) يرمز إلى امتحان العقل.

وسيده النساء (عليها السلام) ترمز إلى امتحان العاطفه الصادقه المنبعثه عن العقل والثبات في جانب بين العقل والنفس والبرزخ.

وسيد شباب أهل الجنة الحسن (عليه السلام) يرمز إلى امتحان جانب العقل العملي في إداره وتديير الأمور.

وسيد الشهداء الحسين (عليه السلام) يرمز إلى امتحان النفس والغرائز.

فكل واحد منهم يرمز إلى امتحان عظيم في عموم طبيعه البشريه بل عموم طبيعه الخلقه. وهناك روايات تشير إلى ذلك من قبيل أنّ النبي (صلى الله عليه و آله) خلق منه العرش فعن النبي (صلى الله عليه و آله) في حديث:

«فلما أراد الله تعالى أن ينشئ الصنعه فتق نوري، فخلق منه العرش، فالعرش من نوري، ونوري من نور الله، ونوري افضل من العرش، ثم فتق نور أخى على، فخلق منه الملائكه، فالملائكه من نور على، ونور على من نور الله، وعلى أفضل من الملائكه، ثم فتق نور ابنتى فاطمه، فخلق منه السماوات والأرض، فالسماوات والأرض من نور ابنتى فاطمه، ونور ابنتى فاطمه من

نور الله تعالى وابتنى فاطمه أفضل من السماوات والأرض، ثم فتق نور ولدى الحسن وخلق منه الشمس والقمر فالشمس والقمر من نور ولدى الحسن ونور ولدى الحسن من نور الله والحسن أفضل من الشمس والقمر، ثم فتق نور ولدى الحسين فخلق منه الجنة والحدور العين، فالجنة والحدور العين من نور ولدى الحسين ونور ولدى الحسين من نور الله فولدى الحسين أفضل من الجنة والحدور العين»(١).

وهذه كلها رموز والمقصود من الرمز يعنى شفره وإشاره للطفه معرفيه وأسس نستطيع من خلاله أن نحلل دور أصحاب الكساء الخمسه وكذلك التسعه المعصومين صلوات الله عليهم.

صاحب المصيبه الراتبه:

فامتحان النفس ورياضه النفس أمر دائم ودائب، ولعلّ أحد فلسفات «السلام عليك يا صاحب المصيبه الراتبه» أن أعظم آليات تربيته النفس هو الحزن، فإنّ الحزن ليس شؤم بل هو ترويض وتهدئه لإطفاء نار الغرائز، فإنّك إذا أردت أن تفتت شعله الغريزه الهائجه فعيش النفس الحزن، فإنّ الحزن إنطلاق للعقل وللغوى الخيره فى النفس، وفى نفس الوقت الحزن هو جمود للغوى الشريره فى النفس، ولذلك نرى القرآن الكريم فى فلسفه الشعائر الحسينيه يؤكّد على هذه القاعده الفقيهيه، والقاعده النفسانيه،

ص: ٥٧٠

والقاعده المعرفيه التي هي الحزن والكمال، ولهذا نراه يمدح الحزن والبكاء ويذم الفرح والضحك، نعم لا بد أن يكون التعامل في البيئه الإنسانيه قائماً على البشاشه والطراوه وأن يكون المؤمن هشاش بشاش، فعن أبي عبدالله (عليه السلام)، قال: «قام رجل يقال له همام - وكان عابداً ناسكاً مجتهداً، إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يخطب فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا صفه المؤمن كأننا ننظر إليه؟

فقال: يا همام المؤمن هو الكيس الفطن، بشره في وجهه، وحزنه في قلبه ... هشاش بشاش لا بعباس ولا بجساس، صليب، كظام، بسام...»(١).

ولكن الجو الذي تعيش فيه الإنسانيه النازله إذا كانت تعيش حاله البطر والفرح والسرور الغرائزي فإن ذلك متولد من اللذه الغرائزيه ومن نشوء غرائزي، وهذا ليس كمال للنفس، نعم هناك فرح عقلي وهذا نوراني وليس غرائزي، وبالتالي فهو بهجه عقليه وكمال.

ففي الحديث الشريف:

«اقرأ القرآن بحزن فإنه نزل بحزن»(٢).

فإن الحزن بالنسبه للنفس النازله عامل تربوى عظيم، ويبدد كثير من الرذائل.

إن أحد الفلاسفات وأحد البراهين في ذكر الحسين (عليه السلام) من

«إن

ص: ٥٧١

١- (١) الكافي للكليني ج ٢٢٦: ٢.

٢- (٢) ميزان الاعتدال للذهبي ج ٢٣٣: ١.

الحسين مصباح الهدى وسفينه النجاه»(١). هو أنّ هذا المصاب والحزن الذي يروض الحسين (عليه السلام) محبيه ومريديه هو الذي يفتت الرذائل وينسفها ببرنامج نفساني مختصر ويسير، لأنّ الرذائل ينبوعها الغرائزى من الكبر والحقد ومن الإنايه الفرعونيّه، فإذا حزنت الغرائز تبدد هذا السراب الفرعوني كله.

الدمعه الواحده تطفئ النيران:

روى السيد ابن طاووس عن أبى عبدالله الصادق (عليه السلام):

«من ذكّرنا أو ذكّرنا عنده فخرج من عينه دمع مثل جناح بعوضه غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»(٢).

فالنيران هى أعمال الرذائل فى النفس لأنّ كل بحور النيران ناشئه من الغرائز والبكاء يبدد هذه الغرائز ويجعلها هباءً منثوراً؛ لأنّه - البكاء - يجعل هذه النفس الإنسانيه مُنشده إلى الفضائل وحريصه عليها . والسؤال بكيف أن الدمعه الواحده تطفئ النيران . وجوابه أن الدمعه تزيل الرذائل، وهذا برهان وليس لقلقه لسان، وكل هذا الحزن يتولد وينشأ من معرفه حقيقه مقام سيد الشهداء (عليه السلام) منذ أوّل خلقته.

كتاب كامل الزيارات:

إنّ قراءه كامل الزيارات من الأمور الضروريه للخطيب بل حتّى

ص: ٥٧٢

١- (١) مدينه المعاجز ج ٥١: ٤.

٢- (٢) اللهوف لابن طاووس: ١٠؛ بحار الأنوار ح ٢٧٨: ٤٤.

لغير الخطيب؛ لأنَّ كاتبه أو مؤلفه الشيخ جعفر بن مُحَمَّد بن قولويه لم يكن إنساناً عادياً، بل كان مرجعاً للطائفة الحقه آنذاك، وهو الأستاذ الأكبر في الفقه للشيخ المفيد، ويقول النجاشي: وكل ما يوصف به الناس من جميل وثقه وفقه فهو فوقه (١).

فهو (رحمه الله) قمي الأصل وهاجر منها إلى بغداد وقد دفن عند قدم الإمام موسى الكاظم (عليه السلام).

والمهم أنَّ كتابه (كامل الزيارات) فيه أسرار ومعارف عجيبة وغريبه، ولأهميته قام الشيخ الأميني صاحب كتاب الغدير بتصحيح الكتاب واستخراج الأسانيد وغيرها لكي يدرك الإنسان البحث العقائدي والفقهى لباب الشعائر الحسينية. ولذلك تلاحظ العلماء القدماء كالشيخ المفيد في المقنعه، والطوسي في المبسوط والاستبصار والتهذيب، والشيخ الصدوق في المقنعه والهداياه، وابن إدريس في السرائر وغيرهم كانوا يعنونون في كتب الفقه بعد كتاب الحج أبواب المزار، وهذه الأبواب - المزار - عبارته عن قواعد ومسائل فقيهيه وبعض الشئ من المسائل العقائديه فيها، وهذه المسائل أكثرها مرتبطه بالشعائر الحسينيه، وللأسف الشديد أصبح هذا الكتاب أو الأبواب - المزار - مهجوراً، فمن كتاب الشرائع وما بعده هجر هذا الكتاب، والحال أنه مبحث مهم في المسائل الفقيهيه والعقائديه. فإذا أراد الباحث، الخطيب، الواعظ، المحاضر، أن يلم به فلا غنى له عن قراءه

ص: ٥٧٣

كتاب كامل الزيارات ثم بقيه كتب المزار، ولا يمكن من خلال قراءه واحده أن يلتفت إلى النكات والفوائد والأسرار الموجوده فيه بل لابد من قراءته أكثر من مره فهناك بحوث محتدمه فى العصر الحاضر حول الشعائر وما شابه ذلك إذا كررت قراءته أكثر من مره فسوف تشاهد الجواب والبيان والدليل الوافى على ذلك.

الخطيب و الخوض فى الزيارات و الأدعيه:

إنّ متن الزيارات هي عبارته عن دوره عقائديه كامله وعميقه، فإنّ الكثير من جواهر الأسرار فى العقائد والمعرفه بثها آل البيت (عليهم السلام) فى الزيارات ولم ينشروها فى الروايات؛ وكل بند من بنودها هو عبارته عن فصل عقائدى، والسر فى ذلك أنه الزياره مصدر تربوى علمى معرفى مؤثر لعامة المؤمنين إذ هي حضور المؤمن لدى المعصوم (عليه السلام) فهى جو وفضاء خاص يتتفى فيه الغرباء عن الأيمان كما أشار إلى ذلك المجلسى الاول فى شرحه على الفقيه.

وقد يكون هذا الفصل الحامل للجواهر فى مستهل الزيارات أو فى وسطها أو فى نهايتها؛ لأنّها ليست مجرد زياره فحسب بل منظومه عقائديه، وتعتبر مصدر ثراء معرفى للمتكلمين، ومن الحيف أنّ المتكلمين أو المفسرين تركوا باب الزياره كذلك باب الأدعيه، وإنّ الأئمه (عليهم السلام) قد ابتكروا أسلوباً جديداً من أساليب نشر المعارف وهو منظومه الأدعيه والزيارات، وهذا ما

التبرك بروايات أهل البيت عليهم السلام:

إشاره

ففي الزمن السابق كانت سيره أتباع أهل البيت (عليهم السلام) سواءً في الحوزات العلميه أو غيرها من مجالس المؤمنين العامه والخاصه، كانوا يتلون روايات وأحاديث أهل البيت (عليهم السلام) بعد تلاوتهم القرآن الكريم، وهذه في الحقيقه سبته حسنه عظيمه إلا أنها - للأسف الشديد - شيئاً فشيئاً انقرضت هذه الحاله، فلو تعاد من جديد في جميع مجالسنا الحوزويه أو الاجتماعيه أو الأسريه بل حتى السياسيه، ولو كانت هذه المجالس على مستوى مجلس الضيافه العادي، فسوف يوجب لنا مخزون حفظي وسبته عظيمه وتكون بمثابة نبراس عملي يستضيء به كافه طبقات البشر، ولا بأس أن يركز الخطاب على هذه الحاله العلميه في مجالسهم ويشجعوا المؤمنين عليها من خلال مجالسهم.

فمن أبي عبدالله (عليه السلام)، قال:

«تزاوروا، فإن في زيارتكم إحياء لقلوبكم، وذكراً لأحاديثنا، وأحاديثنا تعطف بفضلكم على بعض فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتهم، وإن تركتموها ضللتهم وهلكتم، فخذوا بها، وأنا بنجاءكم زعيم!» (١).

وأيضاً عن أبي عبدالله (عليه السلام)، قال:

«بادروا أحداثكم بالحديث، قبل أن تسبقكم إليهم المرجئه» (٢).

ص: ٥٧٥

١- (١) الوسائل، ج ٨٧: ٢٧.

٢- (٢) الوسائل، ج ٨٨: ٢٧.

والخطاب في هذه الروايه - الثانيه - تؤكد بيث الحديث للصغار - بادروا أحداثكم - فضلاً عن الكبار من عموم الناس، ولم تخصصه للفضلاء فضلاً عن خصوص الفقهاء والعلماء.

وهناك روايات أخرى بهذا اللسان الدالّ على الحثّ على مدارسه وتلاوه الحديث بين عموم المؤمنين كما هو الحال في الحثّ على تلاوه القرآن لكل مؤمن ومسلم، وكل اجتماع وندوه ونادى.

شبهه ورد:

وقد يستشكل أو يتحفظ البعض من أنّه كيف تقرأ روايات أهل البيت (عليهم السلام) على عوام الناس؟! وهذا التحفظ ليس له أى صحه، وإلا فلا بدّ أن نتحفظ عن قراءة العوام للقرآن الكريم؛ لأنّ القرآن الكريم أيضاً فيه متشابه كيد الله، وعين الله، ووجه الله، بلّ الممنوع على كل شخص هو أن يستنبط ما ليس لديه الكفاءه على الاستنباط، وليس له القدره على الاستنتاج أو الاستظهار أو التفسير، بلّ حتّى المجتهد إذا كانت درجته العلميه درجه معينه لم تؤهله ولم يصل لدرجات أكبر وأكثر على الاستنباط فليس له أن يفسر أو يستنبط أو يستنتج، فهل يصلح مثل ذلك أن يمنع هذا عن قراءة روايات أهل البيت (عليهم السلام)، مع أن عموم تدبر ألفاظ ومعانى القرآن ندب إليه القرآن: أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ١

وقوله تعالى: **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۗ۱**.

والتدبر في معانيه ليس بمعنى الاستنباط والإفتاء بل مجرد السباحة في تصورات المعاني إعداداً لسرح النظر ولو بالاستعانة بالمتخصصين من علماء وفقهاء، وهكذا الحال في الروايات والأحاديث وذلك تخزيناً لأكبر قدر من مواد الوحي الخام في منظومه معرفه كل إنسان تهيأ لاستثمار تلك المواد الخام من مائده الوحي من الثقيلين.

وللأسف هناك بعض لا يشجع على طبع كتاب الكافي بلغات أخرى مترجمه؛ لأنه لا يجوز للعوام أن يقرأه، وهذه الشبهه نفسها تأتي إلى ترجمه القرآن الكريم، فهل يمكن لنا أن نمنع ترجمته إلى باقي اللغات، وهذا ليس قراراً صائباً؛ لأنه سوف يؤدي إلى حجب وتكتم على الدين كله.

بل الواقع هو عكس ذلك، لابد من نشر مصادر وموائد الوحي، بل يجب أن تنتشر، نعم وإن كان يجب أن نقنن ونمنهج استخراج هذه اللئالي الوحيانيه الروائيه، لا أن نحجب عن ثقافه عموم المؤمنين أو المسلمين أو البشريه تخوفاً وتحجياً؛ لأن هذا يساعد على عدم نشر نور الهدايه، نعم ليس الباب مفتوحاً لأي شخص أن يستنتج أو يستنبط كيف ما يشاء من دون أي موازين أو قواعد علميه.

ص: ٥٧٧

الحدائث والنص الدينى:

ولو نلاحظ الآن أصحاب قراءة النص الدينى أو الفلسفات الألسنيه نراهم يقرأون من دون أى مؤهلات علميه، ولا نريد أن نحجر هذه القراءه علينا فقط كطلبه حوزة أو علماء فنحن بشر مثلهم، ولكن الحدائثيون لا يتبعون المنهج العلمى فى قراءة النص الدينى، فهم شعاراً يدعون المنهج العلمى ولكنهم لا يؤمنون عملاً وتطبيقاً ولا ينضبون به.

وبعبارة أخرى: هم يقتحمون النص الوحيانى - والذى هو من أعظم النصوص - من دون مؤهلات علميه.

فعن أبى عبدالله (عليه السلام) قال: إنَّ حديثنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلاَّ صدور منيره أو قلوب سليمه أو أخلاق حسنه ...
(١).

بل يريدون أن يفتحوا الباب على مصراعيه أمام كل البشر لكل درجه من أعماق معانيه.

إذن نحن بين إفراط وتفريط، بين أن نحجب المواد الوحانيه ونجعل ديننا باطنياً - والعياذ بالله - أو هذا ليس من مذهبنا وديننا، بل ديننا ومذهبنا ظاهر وباطن، فمن يظن أن الدين كله ظاهر فقط، أو كله باطن فقط، فهذا مخطئ ومنحرف، كما يقول الإمام الصادق (عليه السلام): «لا ظاهر من دون باطن، ولا باطن من دون ظاهر».

ص: ٥٧٨

وهذا ما ينادى به القرآن الكريم، حيث يقول تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ

١.

فالقرآن الكريم لا يذم قراءه المتشابه من الآيات أو من الروايات بل إقرأوها وآمنوا بها ولكن الاستنباط والاستنتاج فهذا ليس من اختصاصكم بل وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ . فالعلم درجات، وإن كان الراسخون في العلم هم المعصومون (عليهم السلام) ولكن لا ينافي ذلك استفاده قاعده عامه من المدلول الالتزامي. فلا يمكن لنا أن نحجب عموم الناس عن روايات أهل البيت (عليهم السلام)، فهذا ليس من توصيات الدين.

قاعده الكتمان وإذاعه الأسرار:

وبعض الباحثين عندما يرون روايات عن المعصومين (عليهم السلام) بلسان لعن الله من أذاع سرنا، فإنه يظن أن قراءه الروايه هي بمثابة إذاعه السر، إن إذاعه الروايه وقراءتها ليست إذاعه سر، فلو كان كذلك لما صدرت تلك الروايات قولها عنهم (عليهم السلام)، بل قد يكون فتح معاني الروايه لمن هو غير أهل لذلك، هذا هو إذاعه السر، والتركيز في البيان والأعلام والنشر على معاني خفيه هي من إذاعه الأسرار، أو تركر العدسه الإعلاميه أو الثقافيه على

معانى عصبه فى الروايه فهذا قد يكون خطأ وغير صحيح.

وأما نشر علوم أهل البيت (عليهم السلام) فلا بدّ منهنّ يقول تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ١.

فكيف نوازن بين حرمة قاعده الكتمان للهدى وللنور الإلهى وبين قاعده حرمة إذاعه الأسرار.

فلا بدّ هنا من التوازن، بمعنى أنّ شريعتنا فيها باطن وظاهر، والظاهر هو للكل، وأدنى درجات الظاهر هو صوت الألفاظ والمعانى الابتدائيه، أمّا المعانى الغامضه والمخزونه فى الألفاظ فهى ليست للكل؛ لأنّ استخراج الجواهر تحتاج إلى مؤهلين وأكفاء، فلا يمكن أنّ نعدم الظاهر ونسفه ونقصيه تحت ذريعه صيانه الباطن، انظر إلى ما يقوله النبى (صلى الله عليه وآله):

«إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض طرف منه عند الله، وطرف منه فى أيديكم، فاستمسكوا به وعترتى» (١).

فالطرف الذى فى الأرض هو الظاهر، والطرف الآخر الذى عند الله تعالى فهذا هو ملكوتى وغيبى وهو الباطن.

ص: ٥٨٠

١- (٢) شرح الأخبار للقاضى النعمان المغربى، ج ٤٧٩: ٢، ح: ٨٤١؛ الغيبه للنعمانى: ٣٧؛ سنن الترمذى ج ٣٢٩: ٥.

الرقابه العلميه دور متفاوت لعموم طبقات الأمه:

وهناك غايه كبرى فى حفظ ونشر أفضاظ المعادلات الروائيه عند العوام وعند المستبصرين مهمه وعظيمه فى حق أهل البيت (عليهم السلام) وهى الرقابه العلميه فى باب الدين، وليس فقط هناك رقابه سياسيه، بل الرقابه العلميه أعظم من الرقابه السياسيه فى الدين، فإذا انتشرت موائد الوحي ونور الوحي ولو بدرجته الابتدائيه التى يتعاطاها عوام الناس فسوف تكون هناك رقابه علميه، وسوف يكون المسار العلمى مساراً مستقيماً؛ لأنَّ الرقابه العلميه أهم وأعظم من الرقابه السياسيه والاقتصاديه والأمنيه؛ لأنَّ الجميع مسؤول عنها بقدر علمهم، وبقدر قدرتهم العلميه على الأقل؛ ولذلك عندما سُئِل الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) من أنه ما الفرق بين عوامنا وعوام بقيه الملل والنحل أجاب (عليه السلام):

«بين عوامنا وعلماننا و عوم اليهود وعلمائهم، فرق من جهه وتسويه من جهه».

أمّا من حيث استواوا: فإنَّ الله قد ذمَّ عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذمَّ عوامهم، وأمّا من حيث افترقوا فلا.

قال: يبين لى يا ابن رسول الله!

قال (عليه السلام):

«إنَّ عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح، وبأكل الحرام والرشاء، وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات، وعرفوهم بالتعصب الشديد الذى يفارقون به أديانهم، وأنهم

إذا تعصبوا أزالوا حقوق من تعصبوا عليه، وأعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا له من أموال غيرهم، وظلموهم من أجلهم، وعرفوهم يقارفون المحرمات، واضطروا بمعارف قلوبهم إلى أن من فعل ما يفعلونه فهو فاسق لا يجوز أن يصدق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله، فلذلك ذمهم لما قلدوا من قد عرفوه ومن قد علموا أنه لا يجوز قبول خبره ولا تصديقه في حكايته، ولا العمل بما يؤديه إليهم عن لم يشاهدوه ووجب عليهم النظر بنفسها لأنفسهم في أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إذ كانت دلائله أوضح من أن تخفى، وأشهر من أن لا تظهر لهم.

وكذلك عوام أمتنا إذا عرفوا من فقائهم الفسق الظاهر، والعصبيه الشديده والتكالب على حطام الدنيا وحرامها، وإهلاك من يتعصبون عليه وإن كان لإصلاح أمره مستحقاً، وبالترف بالبر والإحسان على من تعصبوا له وإن كان للإذلال والإهانه مستحقاً، فمن قلد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله بالتقليد لفسقه فقهاءهم».

فخلاصه جوابه (عليه السلام): إن عوامنا مسؤولون بالثواب العلميه البيئه الجليئه الواضحه لا النظرية المبهمه جعلها أدوات مراقبه على علماء الأُمَّه.

ولذلك نراهم يحاكمون علماء هذه الأُمَّه علمياً لأن الثواب خطوط حمراء للدين ولمنهاج أهل البيت (عليهم السلام)؛ لأن العامى من الناس أيضاً مسؤول فى الرقابه العلميه ولكن بمقدار ما أوتى من علم - كما بيّن ذلك الإمام العسكرى (عليه السلام) - لا أن يقحم نفسه فضولاً فى المبهمات النظرية المتشابهه لديه،

وهذا سوف يسبب توازن في المسيره، وتكامل وتفاعل في المسيره، فلا إفراط ولا تفريط، وهذا ما أكدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث قال: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

وهذه مسؤوليه أعظم من المسؤوليه السياسيه، والمسؤوليه الاقتصاديه، والمسؤوليه الأسريه؛ لأنّ المسؤوليه العلميه والثقافيه هي التي تسيطر وتهيمن وتؤثر على باقي المسؤوليات.

يقول الإمام الحسن العسكري (عليه السلام):

«فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه»^(١).

فنفس هذه الروايه فيها إعجاز علمي، حيث أنّ الرقابه العلميه والعملية التي عند عوام الناس هي عدسه مراقبه، هل هذا الفقيه خرج عن الثوابت، هل أنكب على الدنيا ولم يكن مخالفاً لهواه، فوجود هذه الرقابه الداخليه العلميه بنظم لا بتهور ولا إفراط ولا تفريط ولا- كأسلوب الخوارج الإفراطى المتقحم في الشبهات النظرية، ولا- كأسلوب القدرية الأمويين، أو كوعاظ السلاطين التفريطي، بل في دائره البديهيّات الدينيه الجليّه الواضحه التي تتكون بتواتر النشر واستفاضه التعليم العام لمواد الوحي من الآيات والروايات.

ص: ٥٨٣

مع الخطيب:

إنَّ بعض الخطباء الأجلاء إذا كانت لديهم مجموعه أيام من المجالس والمحاضرات فإن الحري أن يعقدوا فيها مباحث أو سلسله كدوره مصغره عقائديه كما في المناسبات كمحرم الحرام، أو شهر رمضان، أو حتّى لمجلس واحد، ويغفلون عن وجود هذه المنظومه العقائديه الموجزه فى الزيارات والأدعيه والحال أنّها مصدر مهم، فإنّ نفس تناول زياره واحده كامله بالبحث والتحليل بلّ بند واحد من الزيارات فى كل مجلس فهذا بحدّ ذاته يعتبر مصدر عطاء كبير؛ لأنه يتناول فيه البعد اللغوى والعلمى، والبعد الدرائى لفته معانى الروايه لنفس البند ومن ثم تكون دوره عقائديه تتحف بها المؤمنين وتحبى جمله من الثوابت والمحاور الاعتقديه.

إنّ كتب المزار كالمزار للمشهدى، والمزار للشهيد الأوّل، وكامل الزيارات وغير ذلك لا يمكن لنا أن نتعامل معها كما نتعامل مع كتابى مفاتيح الجنان أو ضياء الصالحين، وإنّ كانا هذين الكتابين عظيمين بلّ القصد عدم الاقتصار فى التعامل معها كطقوس عباديه بدنيه، كلا لأنّه ليست غايتها القصوى عباده بدنيه بلّ هى منبع معرفى وعقائدى.

الهجوم على مفاتيح الجنان:

ولذلك لو نُدقّق فى الدواعى المبيته وراء الهجوم على كتابى مفاتيح الجنان وضياء الصالحين نرى أنّ سبب القضيّه ليس هو قصه كتاب طقوس عباديه

بدنيه ولكن لأنهما مصدر معرفي ومعارف ولأنه تربيته ثقافيه عقائديه، وهذا التحسس الشديد من هذه الزيارات والأدعيه، وكذلك الشبهات والطعون الموجهه علينا والمركزه على هذين الكتابين ليس لأنهما كتب أدعيه وزيارات حتى تدغدغ العواطف بل لأن الدعاء والزيارات يحصل في طياتهما العقائد الحقه لمذهب أهل البيت(عليهم السلام).

فمثلاً لو قرأنا دعاء الندبه وأجلنا النظر فيه بدقه لوجدناه بحد ذاته دوره عقائديه من التوحيد إلى المعاد، والذي يتشدد ببعض الوسوسات في دعاء الندبه لا يعي هذا الدعاء؛ المنطوي على إعجاز بلاغي وإعجاز علمي بالغين.

الزيارات والأدعيه ودورها في الفقه:

إن بحث الزيارات لا- يمكن لنا أن ننظر إليه كبحت أجنبي عن أبواب علم الفقه أو علم الكلام، بل هو أساس مصدري ومنبعي لهما، مثلاً الأسئلة والآثار المعاصره في كل الجوانب يمكن أن نستقي أجوبتها من دعاء من الأدعيه أو في زياره من الزيارات، لكن يحتاج تنمر في إلى قدره الاستنباط أو قدره تدبّر وتمعن إذ تجد دعاء واحد فيه دوره ومنظومه متراميه الأطراف والأبواب كدعاء أبي حمزه الثمالي أو دعاء الجوشن الكبير وغير ذلك، فهذه المصادر كبيره وكثيره وفيها بصراحه واضحه بحوث فقهيه كثيره ولكنها الآن متروكه وغير منفحه، في فتاوى الفقهاء بينما هذه الأدعيه والزياره مواد وحافظه لها عن الاندراس، فإن حفظ الدين والشريعه له مراتب، ودور الفقهاء مرتبه من هذه المراتب وهو دورهم في الاستنباط ولكن هناك مرتبه متقدمه على دورهم وهم الأئمه(عليهم السلام)، فإن الأئمه(عليهم السلام)

دورهم هو أن يوصلوا للبشريه مواد الوحي وموائد الوحي، ودور الفقهاء هو أن يوصلوا للبشريه دور الأئمه (عليهم السلام) والذي هو بطبيعته الحال نشر مواد الوحي الإلهي.

سر استحباب قراءه القرآن:

ولذلك نرى كثره تأكيد الحث على تلاوه القرآن الكريم وخصوصاً في شهر رمضان ولكل طبقات المجتمع حتى لمن لا يملك أدنى درجات الفهم، مع أن أعماق القرآن يحتاج إلى فقهاء وإلى مفسرين، بل طبقاته العليا لا يصل إليها إلا الراسخون في العلم وهم المعصومون (عليهم السلام)، ومع كل هذا يستحب تلاوه القرآن يومياً، وذلك لأن مواد الوحي يجب على الجميع الحفاظ عليها حيه عن الانداس والإنطماس وإن لم يصل السامع أو القارئ إلى درجه الفقااه.

وهذا الأمر كما هو شأن للقرآن كذلك هو الشأن لروايات أهل البيت (عليهم السلام) أيضاً لأنه بالتالي نشر لمواد الوحي عبر قالب الروايات، وهذا أمر مهم يجب أن نلتفت إليه لأنه يخص فقه الشعائر، فقه الزيارات، فقه المزارات.

أهميه الحفاظ على أدنى درجات كلام الوحي:

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام):

«فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبيائه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسى نعمته، ويحتجوا عليهم

بالتبليغ، ويشيرون لهم دفائن العقول...»(١).

إنَّ العقول فيها دفائن وليست دفينه واحده، وهناك أمور مدفونه ومكنوزه وأنَّ العقل وعاء منجم معدن يستخرج منه طبقه بعد طبقه دفائن فيحتاج إلى من يشر هذه الدفائن، وهذه الدفائن ميتة وجامده ولما يشيروها تنشط وتتحرك وتتألاً وتبرز وتتجلى، ولكن تعتمد هذه الإثارة على درجه تقبل الفرد البشرى لتلك الإثارة كي تتم الإثارة والإستخراج، فإنَّ الأنبياء والرسل هم شركات استخراج هذه المخازن والكنوز والمعادن الثمينه.

وإلى ذلك الدور الهام يشير (عليه السلام) إلى أنَّ غايه النبوه وغايه الرساله والرسول وبالتالي الأئمه والأوصياء أنَّهم يشيرون في الناس دفائن العقول.

ولذلك لو تابعنا أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) في اصول الكافي للكليني، وعيون أخبار الرضا وكتاب الاعتقادات وكتاب الهدايه للصدوق، وكتاب المزار للمشهدي، وكتاب كامل الزيارات لابن قولويه، لوجدناها منهاج منظوميه كامله ليست في حدِّ أفق البشر، بل في حدِّ منهاج منظومه نظام الوحي، والمفروض أنَّ تكون هذه الكتب نظام تدريسي في الحوزات العلميه ولا أقلَّ أنَّ تكون مداراً للبحث.

وليس المقترح أنَّ يقرأ الإنسان هذه الكتب قراءه سطحيه وبمنهج حشوي أو إخباري، بل بمنهج تحقيقي ومعرفي وفكري.

ص: ٥٨٧

الفرق بين عدسه الوحي و عدسه البشر:

فهناك فرق بين أن أحبس نفسي على مادة وكتاب درسي من نتاج بشري كتدريس ومدارسه في أي مرحلة دراسيه لا سيما في العقائد، أي بين أن أعكف على منظومه منهاج من وضع البشر وبين أن أنطلق في رحاب الوحي الذي هو أفق وسيع، شمولي، كامل، غير متقاصر بقصر البشر وأجعل وأوظف الجهود البشريه آليه لمتن محوري وحياني وقالب مركزي، فمهما تكن عين البشر المسلحه العقليه التي لديه فإنَّها سوف تصل إلى مديات معينه وتقف بلا ريب إلَّا أن يستعين بعدسات من الوحي فسوف تكون لديه انطلاقه واسعه إلى الوحي أكثر فأكثر فإذا أتيت بالماده الوحيانيه سواء كانت روائيه أو قرآنيه وتكون هذه الماده الخام على مدار طاوله التحقيق والبحث فسوف يكون المنهاج المستكشف متكاملًا، ولا يمكن لأحد أن يدعو إلى سطحيه هذا البحث، بل لا أحد يمكن أن يدعو إلى اللامنهجيه.

ولكن في المقابل من قال أنَّ غايه كمال المنهجيه موجوده في كتاب نهايه الحكمه، أو في كتاب الأسفار، أو في كتاب التجريد والباب الحادي عشر، وغير موجوده في كتب الحديث الاعتقاديه كأصول الكافي وعيون أخبار الرضا والتوحيد وغير ذلك فضلًا عن مثل الصحف السجاديه ونهج البلاغه.

وقد ألتفت إلى ذلك كبار العلماء، فمثلاً العلامه الطباطبائي التفت في آخر حياته إلى أنه كان من الخطأ أن يجعل مدار البحث كمنهاج تدريسي هي الكتب الفلسفيه أو الكتب العرفانيه، ولا يعنى ذلك أنه أصبحت لديه حساسيه من الفلسفه أو حساسيه من العرفان، بل الحساسيه مع الحبس والانجاس في أفق البشر نعم أثنى بكلام البشر ولكن كقراءات ومحاولات لقراءات الوحي هذا ليس في إحتباساً ولا حبساً، ولكن اجعل أفقك أوسع وأكثر انفتاحاً من نتاج بشرى محدود.

ولذلك قام العلامه الطباطبائي (رحمه الله) في آخر حياته المباركه بتدريس كتاب بحار الأنوار، فقد ذكر (رحمه الله) للسيد الكليگانی (قدس سرّه) حادثه عمليه معينه تنبه لها وبسببه عدل إلى تدريس البحار.

وكذلك العلامه الفاضل التوني (رحمه الله) وهو من مصاف العلامه الطباطبائي، وهو أستاذ الاعلام المعاصرين في الفلسفه والعرفان، أيضاً كان محور تدريسه في النصف الثاني من عمره الأبواب العقائديه من كتاب الوافي.

إنّ منهج ماده الوحيانيه مأدبه إلهيه فلماذا تقتصر على ماده البشريه ونترك هذه المأدبه الإلهيه الوحيانيه، بل ندعوا البشر على هذه المأدبه الإلهيه وليس أدعو الوحي على مأدبه بشريه وهذا فرق منهجي واضح بين

فإذا كان الإنسان يحرك في نفسه قدره الاستنباط في المعارف والمعرفه وقدره التحقيق والتدقيق وقدره استكشاف الهندسه والمنظومه البنيويه فسوف يكون حيثئذ الوحي هو الماده الأساسيه لديه، سواء كان هذا الأمر في الحوزه أو في الإرشاد والتبليغ، بل في أى بيئه من البيئات لنجعل ماده الوحي هي المدار، للقانع والمعتز لأنها ماده إطعام وطعم وشرب هنيء روى.

ساحه الوحي:

فإنّ الوحي ساحه حقيقيه واسعه عكس ما يتخيل الحداثيون أو العلمانيون، الوحي ساحه حقيقيه منطلقه رحبه الأفق وغير حبوسيه، ولا- توجد هناك أى صعوبه إذا أردنا اكتشاف المنهج في بيانات الوحي من الآيات والروايات، فكما أنّ المجتهد في الفروع يذهب إلى ماده الوحي ويستخرج المنهج كذلك الباحث الذي يريد أن يبني لنفسه اجتهاد في المعارف، فلا بدّ أن يخرج نفسه ويكلفها العناء في كيفية استخراج المنهج من ماده الوحي، ولا يمكن أن يبقى الإنسان دائماً مقلداً.

وليس معنى ذلك أن نقصى جهد أحداً من الكبار - والعياذ بالله - وهذه ليست دعوه لإقصاء هذه الكتب، بل أقرأها وطالعها ولكن لا- تحبس ولا- تعكف نفسك مقتصرأ عليها، الاعتكاف ثلاثه أيام ولكن لا يمكن أن يكون قروناً عديده، فلا يمكن أن نعتكف قرون على أفق بشر

ومأدبه بشريه بل لنذهب إلى مأدبه الله لأنّها مأدبه كبيره وكثيره وليس لها انقطاع أبداً.

بلّ لجهود ونتاج الأعلام كل الإجلال والاحترام ولكن لا نجس أنفسنا في زاويه معينه، لأنّ بيانات الوحي وسيعه وفوق طاقه البشر، وفوق طاقه جيل أو جيلين أو ثلاثه، بلّ يجب أن تتظافر وتتواصل وتستمر الجهود في التنظيم الإستنباطى المنهجى لهذه المأدبه الإلهيه العظيمه.

يقول الإمام الباقر (عليه السلام)::

«يتكون النهر العظيم ويمصون الثمد، ف قيل له يا بن رسول الله وما الثمد؟ قال (عليه السلام): علم رسول الله (صلى الله عليه و آله)»، والتمد هي حجاره في الباديه تحتها ندى يسير، والبدو لا يوجد عندهم نهر فيمصون الثمد.

الخطيب و دوره في الهدايه:

ومن الضرورى على الخطيب والواعظ والمرشد إذا قام بعملية الوعظ والهدايه أن يلتفت في الدرجه الأولى إلى الأسئلة المثاره ومن ثم يركّز ويستقى الجواب من هذه الزيارات أو من الأدعيه، وبعد ذلك يقوم بدبلجتها بلغه عصريه، ويذكرها بلغه ألفاظ الوحي ويردّفها بترجمان؛ لأنّ الوحي يراد له ترجمان، ولا يخفى أنّ أحد أوصاف أهل البيت (عليهم السلام) أنّهم ترجمان وحي الله، وليس المقصود بالترجمه هنا الترجمة اللغويه واللفظيه بلّ ترجمه معنى لمعنى مترامياً، وترجمه حقيقه لمعنى، ومعنى لحقيقه، وحقيقه لحقيقه أخرى مترامياً.

اشاره

إنَّ منظومه الإرشاد الدينى تنظمها سور عديده من القرآن الكريم، ولكن فى سوره الجمعه فالأمر يكون أدق وأوضح وهو قوله تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ١.

المرتبه الأولى:

ففى الدرجه الأولى جعل البارى تعالى يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ،

فتلاوه الآيات والروايات وقراءتها ونشرها فى أذهان الناس عاصم قوى وبنيان كبير من جحود وإنكار الضروريات الدينيه، بل هو عاصم حتّى للحوزات العلميه، لأنّه إذا طرأ هناك نسيان وتناسى لمواد الوحي من آيات وروايات فسوف تنتهى الشريعه وتضمحل.

المرتبه الثانيه:

ثم بعد مرتبه التلاوه اللفظيه تأتى المرتبه الثانيه وهى وَيُزَكِّيهِمْ،

فإنَّ جانب الوعظ الأخلاقى ضرورى جداً، ولا يمكن الاقتصار على البحث الفكرى أو العقائدى فلا بدّ للخطيب والواعظ أن يشمل خطابه الجميع، وهذا ما أكّد عليه ولخصه سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) حيث قال (صلى الله عليه و آله):

«إنّما العلم ثلاثه:

آيه محكمه، أو فريضه عادله، أو سنه قائمه، وما خلاهن فهو فضل»(١).

والفريضه العادله هى إشاره إلى فقه الفروع، والسنه القائمه إشاره إلى تهذيب النفس والأخلاق، والآيه المحكمه تعنى العقيدته والعقائد.

فأتحاف المستمعين بمسأله فقيهه ولو واحده ضرورى فى الوعظ والإرشاد، فلا بد أن تكون دوره الإرشاد تشتمل على ذى الأعمده الثلاثه التى بيّنها سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله).

أهميه البصيره الأخلاقيه:

ولكن يبقى البحث الأخلاقى له دوره المهم فى تربيته المجتمع وخصوصاً الشرايح الشبائيه فقد تنقدهم ببصيره أخلاقيه بسيطه من مستنقعات الرذيله، فإنّ البصيره الأخلاقيه - وبغض النظر عن التطبيق والعمل - أو العلم بالتنظير الأخلاقى مفتاح عظيم لحل المشاكل، ولذلك سمي ذلك بالوعظ والتذكير بلحاظ أنّ الإنسان والنفس الإنسانيه قد تغفل وتجد محن وابتلاءات وامتحانات ومشاكل متداخله يكون مفتاح ذلك هو البصيره الأخلاقيه، بل حتى الإنسان العالم قد ينسى ولذلك التذكير بالوعظ الأخلاقى بالغ الأهميه وَ ذَكَرَ فَإِنَّ الذُّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ٢. فإنّ الوعظ الأخلاقى يحتاج إليه الجميع العالم والجاهل على حدّ سواء؛ لأنّه نوع من متنفس للنفس،

ص: ٥٩٣

فالنفس قد تحبس وقد تصل إلى درجة الانفجار ولكن لما تأتي لها ببصيره وحكمه أخلاقيه يحدث لها فرج وراحه وإنقاذ، وهذا لا يختص بالنفس الفرديه فقط، بل قد تكون أسره عندها احتباس أخلاقي وتأتي لها بحكمه من الوحي وليس من حكم البشر بل حكم الوحي فسوف يصبح لها متنفس وعلاج لذلك الاحتباس أو المرض، وليس علاجاً للأسره فقط بل حتى الأسره المجتمعيه، فقد تكون هناك فتنه بين فئات مؤمنه، وحينما تأتي لها بحكمه أخلاقيه فحينئذ سوف تنزع فتيل الفتنه من جذورها. ولذلك قسموا في البحث العقلي الحكمه إلى ثلاث أقسام حكمه المدن وحكمه الأسره وحكمه الفرد.

الخطيب و الأخلاق السياسيه:

فلا يظن أحداً أن الأخلاق لها بعد فردي فقط، فإن نفس الأخلاق التي هي قواعد فرديه لو دققنا فيها لوجدنا أن لها بعداً في ترويض الأخلاق السياسيه بين الكتل والفئات السياسيه بل بين الملل والنحل المختلفه، وبين أتباع الديانات، وبين المذاهب المتعدد.

فمثلاً الحلم ليس له بعداً فردياً بل حتى بين النزاعات التي تحصل بين الكتل السياسيه نراه يطفئ الكثير من الفتن وينضج الكثير من المسيره السياسيه والمذهبيه والأديانيه.

نعم، قد تنظر ببساطه إلى مبحث أخلاقي في بعده الفردي ولكن هذا

المبحث البسيط له بعد وعمق نظيرى فى النظام السياسى والمذهبى والأديانى، وقد يستطيع الباحث أو المحاضر أو الخطيب أن يقرأ مباحث الأخلاق الفرديه بلغه نظام سياسى وفقه سياسى بحيث يستطيع أن يطفىء نائره هذا الاحتباس السياسى، وليس المقصود من هذه القراءة أستنباط واجتهاد بل تدبير وتمعن وإبداء احتمالات فى ضمن الضوابط والثوابت، وهذا شىء مهم للخطيب لأنّه فى بعض الأحيان ربما تنشأ فتن تسيل منها الدماء نتيجة الجهل بماده قانونيه شرعيه، فى حين لو كان الطرفان يقفون بوعى على هذه الماده القانونيه أو الأخلاقيه لما وصل الأمر إلى تلك الحاله، فالمسائل الأخلاقيه والمسائل الفقهيّه مهمه جداً للخطيب والباحث فيجب أن تشمل كل محاضره أو مجموع المحاضرات على هذه الأعمده أو المحاور الثلاثه.

الفصل الثالث عشر : تقبيل العتبات المقدسه تغير الخدين و الوجه لله سبحانه فيها

اشاره

ص: ٥٩٦

الحَمْدُ لله، والصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ المِيَامِينَ ..

يعترض البعض على تصرّف المؤمنين بتقبيل العتبات المقدسه، وبوضع الخدّين على القبر.. بأن هذا عملٌ لا يناسب العبوديه لله وحده عزّ وجلّ.. وأنه بدعهٌ وأنه شكّل من أشكال الشرك والعياذ بالله..

إلا- أننا خلال هذا البحث الذى بين يديك.. عزيزى القارئ نُثبت بالآيات الكريمة والروايات الشريفه، مشروعيه هذا العمل، ورجحانه.. وأن كلّ هذه الصور من الخضوع والتذلل والاستكانه من التقبيل والتمريغ والانكباب وغيرها إنما هى لله سبحانه وتعالى..

وقد ربّنا البحث فى خمس جهات هى:

الجهه الأولى: موضوع البحث: تعفير الخدين والوجه، وتقبيل العتبات، وافتراقه عن السجود لغير الله، وبيان حقيقه السجود لغير الله سبحانه.

الجهه الثانيه: أقوال العلماء.

الجهه الثالثه: حرمه السجود لغير الله سبحانه.

الجهه الرابعه: قاعده في حقيقه الزياره والمزور، في باب زيارت المعصومين (عليهم السلام).

الجهه الخامسه: الادله الشرعيه على الرجحان والاستحباب.

ص: ٥٩٩

الجهه الأولى: موضوع البحث تعفير الخدين و تقبيل العتبات و افتراقه عن السجود لغير الله

اشاره

ص: ٦٠٠

تعفير الخدين وتقبيل العتبات وافتراقه عن السجود لغير الله

إنّ تنقيح موضوع البحث، ذو أهميه كبيره فى المقام، فهل البحث فى صوره العمل من تقبيل العتبات الشريفه، او وضع الخدين على القبر؟ أو البحث فى تحقق عنوان السجود للمعصوم (عليه السلام) بمجرد تقبيل العتبه وتمريغ الخدين بتراب القبر وما حواليه، وان هذا تحيه وتعظيم للمعصوم، وليس بالسجود له.

أو أن هذا سجود لله سبحانه. وخضوع له تعالى، وتحيه واحترام للمعصوم؟

وبعباره أخرى: هل السجود كعنوان يتحقق بمجرد الانحاء ووضع الجبهه، أم لابد فى ذلك من كونه بداعى وقصد معين. ولك أن تسأل: هل هذه الهيئه من الانحاء ووضع الوجه دون الجبهه، بقصد التعظيم يصدق عليه انه سجود، وقد يُقال: انه اذا كان بأمر من الشارع، فهو سجود لله، وتحيه للغير.

- قال الشيخ كاشف الغطاء، فى كتابه منهج الرشاد، فى تحقيق معنى العباده الخاصه به سبحانه وتعالى ما مضمونه: انها ليست مطلق الخشوع

ص: ٦٠٢

والخضوع والانقياد كما قد يُتوهم من كلام اللغويين.. إنما هي الانقياد مع اعتقاد استحقاق المنقاد له ذلك الخضوع والخشوع بالاستقلال، من دون توجه أمر من الكريم المتعال، وأن للمنقاد له تدبير واختيار، وأن لفظ العبد والعبادة يطلق على مطلق المطيع والطاعة، أما العبادة المصطلحه الخاصه، فهي الامتثال والانقياد للعظيم فى ذاته بذاته، المستوجب للطاعة، لا بواسطه أمر غيره.

فالعباده ليست بمعنى مطلق الطاعه، بل هي الخضوع والتواضع لمن شأنه رفيع على أن يكون ذلك لرفعته الذاتيه وشرافته الأصليه، من دون أمر أمر، ولا تكليف مكلف، بل من مجرد الابتداء والاختراع.

وأما ما كان عن أمر أمر، فالمعبود هو الأمر (١).

أقول: مقتضى كلامه قدس ان السجود للأنبيا والأصياء بما هم انبياء ورسلا واولياء، ليس عباده لهم لأن الساجد لهم والخاضع والمنقاد ليس لهم بما هم مستقلون عن بارئهم وخالقهم. بل بما هم مُكرمون ومُقربون عنده، فلا يكون صورته هذا السجود الا تعظيماً واحتراماً لهم، وعباده لله سبحانه، لا لهم. سواء كان هذا الفعل مأموراً من قبل الله أم لا، غايه الأمر انه مع عدم الأمر يكون تعظيم واحترام منهى عنه، لا أنه عباده محرمه. وهذا هو الذى اشار اليه الحديث النبوى الآتى، من أن تعظيم الأولياء المقربين الى الله، وإن لم يكن عباده لهم، لا يصح أن يساوى تعظيم الله سبحانه بما هو

ص: ٦٠٣

معبود، إلا إذا ورد أمرٌ منه تعالى. فيكون تعظيم الأولياء المقربين ينطوى فيه تعظيم الله سبحانه وتعالى..

نماذج من العبادة المحرمة ...

فظهر من ذلك أنّ السجود للأنبياء والأوصياء المقربين بما هم مقربون عنده تعالى، ومكرمون لديه تعالى، ليس في حقيقته عبادة لهم، بل هو في حقيقته عبادة له تعالى وتعظيم للمقربين، لان الذى يقوم بتعظيمهم انما يلاحظ قربهم عند الله سبحانه، وإن كان كيفية التعظيم غير مأمور بها أو منهى عنها فإن غاية ذلك ان يكون هذا الفعل الذى حقيقته العبادة لله وتعظيم للمقربين، هذا الفعل منهى عنه، وهذه الكيفية من العبادة لله سبحانه، والتعظيم لاوليائه محرمه.. فلا صلة لهذا الفعل على هذا النحو بعبادة غير الله، بل يظل هو عبادة لله وتعظيم لاوليائه لكنه عبادة محرمه.. نظير صلاة الحائض وصومها، وصوم المسافر.. فان العبادة فى هذه الامثلة لله، لا لغيره، لكنها محرمه. فبذلك استنار واتضح الحال أن السجود للانبياء والاوصياء والمقربين، لو فرض انه غير مأمور به وأنه منهى عنه فهو عبادة لله وتعظيم للانبياء والاوصياء، ولكنه كيفية عبادة منهى عنها.

وبالأحرى هو: سجود لله باتجاه معين منهى عنه، نظير سجود العريان مع وجود الناظر المميز، فالسجود رغم كونه لله الا انه منهى عنه ومحرم، لا ان السجود حقيقةً هو للمعصوم من الأنبياء والأوصياء، كما مرّ فى سجود الملائكة

لآدم، فانه حقيقه سجود لله، لا لآدم، وانما اتجهوا فى سجودهم لله، وخصصوه باتجاه آدم احتراماً وتعظيماً واکراماً وتحيةً لآدم، لا لعباده آدم.

فرغم ورود اللفظ القرانى فى عده سور، بأن السجود هو لآدم، إلا أن المراد حقيقه من اللام، ليس هو إسناد العباده والسجود لآدم، بل العباده والسجود هنا مسندتان لله، وانما اضيف السجود لآدم تخصيصاً للاتجاه والاحترام والتعظيم، لا اضافه العباده له.

السجود للكعبه ...

كما نضيف السجود الى الكعبه او للكعبه، من تخصيص الاتجاه والتعظيم والتكريم، ويزيد الحال فى آدم والمعصوم باراده التحيه من دون اضافه العباده الموجوده فى السجود الى المعصوم أو إلى آدم، وذلك لأن سجود الملائكه لآدم بما هو خليفه الله، ولأجل امر الله، أى أن الداعى للسجود لآدم ليس هو آدم مستقلاً منقطعاً عن اضافته الى الله سبحانه، ولا منقطعاً عن قربه لله، ولا عن كونه مقرباً عند الله سبحانه، بل ملحوظ فى السجود له، كونه مقرباً وجيهاً عند الله، ومن ثم يكون السجود كعباده مضافاً الى الله، وكتعظيم واحترام وتحية مضافاً لآدم.

فكذلك السجود للانبيا والاولصياء والمقربين بما هم مقربون عند الله وبما لهم من وجاهه، هو عباده وسجود لله سبحانه، وانما يضاف السجود لانه على وجه التحيه والتعظيم لا على وجه العباده، سواء كان ذلك السجود منهئى عنه أم مامور به.

كيفية السجود لله سبحانه ...

ومن ثم سيأتى فى الجهات اللاحقه أن هناك كيفية من السجود لله، والتحيه للمعصوم، والتوسل به قد أمر بها، مستفيضاً فى آداب الزيارات، وافتى بها كافة القدماء من المشهورين، كوضع الخدين على القبر الشريف وتمريغ الوجه، وتعفيره، وقراءه الدعاء وذكر الله اثناءه، كما سيأتى فى تفصيل الروايات، مما يشير الى ان السجود بالخد وتعفير الوجه المغاير للسجود بالجبه المأمور به، عند القبور الشريفه، المقصود به عباده هو الله سبحانه، وانما يقوم الزائر بايقاع هذه العباده لله والسجود لله، عند قبر المعصوم تبركاً وتوسلاً وتوجهاً بالمعصوم (عليه السلام).

فالارتكاز فى تقبيل العتبات الشريفه، وتمريغ الوجه فى تربتها عند القبر سواء بوضع الخدين أو الجبهه، وان كان هو لتعظيم واحترام لقدسيه المكان بقديسه المكين الثاوى فى القبر الشريف، إلا أن الداعى لذلك ايضاً هو قرب المعصوم عند الله سبحانه ووجاهته، وكونه خليفه الله فى ارضه، وباب طاعته، فهو عباده لله، وسجود وانقياد له تعالى أولاً واحترام وتحيه وتوسل وبالمعصوم ثانياً.

السجود لآدم ويوسف:

ويدعم ذلك ما سيأتى فى أدله التحريم، من تفسير سجود الملائكه لآدم، وسجود إخوه يوسف وابويه ليوسف، أن ذلك السجود فى الحقيقه هو

سجود لله، وتعظيم واكرام وتحيه لادم ويوسف، مع ان السجود أسند لآدم ويوسف.

ففى روايه الاحتجاج للطبرسى عن موسى بن جعفر عن آباءه(عليهم السلام): أن يهودياً سأل امير المؤمنين (عليه السلام)... قوله (عليه السلام): «ولكن أسجد الله لآدم ملائكته، فان سجودهم، لم يكن سجود طاعه، انهم ما عبدوا آدم من دون الله عز وجل، ولكن اعترافاً لآدم بالفضيله ورحمه من الله»(١).

فيشير (عليه السلام) فى هذه الروايه الى أن سجودهم لآدم، حيث كان بما أعطاه الله من فضيله ونصبه خليفه، فلم يكن سجوداً لآدم من دون الله، مما يدلّ على أن السجود للنبي أو لوصى نبي بما هو نبيّ أو وصي من قبل نبي الله لا يكون هذا سجوداً لغير الله، بل هو أصله سجود لله، وتعظيم واحترام لذلك النبي أو الوصى، ولو فرض أن ذلك السجود منهى عنه، فانه نظير صوم المسافر المنهى عنه، ولا- يعنى ذلك أن ماهيه ذلك السجود قد انقلبت عن كونها سجود لله إلى سجود لغير الله، بل يبقى لله سبحانه، ما دامت الاضافه فى ذات هذا القصد وماهيته مركزاً، بضميمه التعظيم والاحترام للنبي والوصى.

وكذا ما رواه الصدوق فى العيون بسنده، عن ابى الصلت الهروى، عن الرضا (عليه السلام) عن آباءه(عليهم السلام) عن امير المؤمنين (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «إن

ص: ٦٠٧

١- (١) الاحتجاج: ج ٣١٤: ١.

الله تعالى فضل انبيائه المرسلين على ملائكته المقربين... ان الله تبارك وتعالى خلق آدم فاودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسجود له، تعظيماً واکراماً.. وكان سجودهم لله عز وجل عبوديه، ولآدم (عليه السلام) اكراماً وطاعه لكوننا في صلبه»(١).

تحليل سجود الملائكة ...

وفى هذه الروايه، أضاف (صلى الله عليه و آله) سجود الملائكة لله تعالى، وأضافه لآدم، إلا إن الإضافة الأولى عبوديه، تبعاً لتلك الإضافة، الإضافة لآدم وهى إضافة إكرام وتعظيم، فالسجود لآدم بما هو خليفة الله، لا يُعد سجوداً لغير الله وان كان هو سجود لآدم، إلا أن حقيقه هذا السجود مضاف في ذات هذا السجود الى الله عز وجل، وإن أُضيف الى آدم ايضاً تبعاً.. وذلك لأن هذا السجود المُضاف لآدم أُضيف اليه بما أن آدم له اضافه الى الله، أى بما انه خليفة الله، فكذلك الحال فى السجود الى نبي الله ووصى النبي، فان اضافتهم الى الله ملحوظه فى ارتكاز العوام فضلاً عن الخواص، فماهيه السجود مضافه ذاتاً الى الله أولاً رغم كونها مضافه صورةً الى النبي أو الوصى.

المعنى الأعظم من سجود الملائكة ...

بل تشير الروايه إلى امر عظيم آخر: وهو كون الأمر بالسجود للملائكة فى سبع سور من القرآن الكريم ليس هو سجود لآدم أصاله، بل هو أمر

ص: ٦٠٨

١- (١) كمال الدين: باب ٢٥٥: ٢٣، ح ٤- عيون اخبار الرضا: ج ١، باب ٢٦، ح ٢٦٣: ٢٢.

بالسجود لمحمد وآل محمد، أى الذى عَظُمَ وأكْرِمَ وأطِيع هو النبى (صلى الله عليه وآله) واهل بيته (عليهم السلام)، وبالتالى فمفاد هذه الروايه يدلّ على الأمر بالسجود للنبى وأهل بيته وارد فى القرآن، ومما يشهد لصحه مفاد هذه الروايه ما اشير اليه فى سوره البقره، أن الأمر للملائكه بالسجود لآدم انما شُرِّفَ به آدم لأجل علمه بالاسماء كلها، لعدم علم الملائكه بتلك الاسماء، فمن ثَمَّ أمرت الملائكه بالسجود لآدم، فعِلْمُ آدم بالاسماء هو منشأ وسبب التشريف، وهذه الاسماء التى لها هذا الشرف، وعُظُمَ آدم بسببها، وقد ورد النص المستفيض عنهم (عليهم السلام)، أن تلك الاسماء هم النبى، واهل بيته.. بل هذا مفاد نفس ظاهر آيات فى سوره البقره وعده من الآيات الاخرى.. حيث بينات فى سوره البقره، أن تلك الاسماء هى موجودات حيه شاعره عاقله، نشأه كينونتها فى الملكوت، الذى هو غيب عن السموات والارض. فمن ثم لم تعرفها ملائكه السموات والارض، كما اشار اليه قوله تعالى فى ذيل تلك: (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ) (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ١ (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم) ٢.

فيلاحظ ان الضمائر فى الآيات العائده على الاسماء هى بضمير الحى الشاعر العاقل، كما أن اسم الاشاره كذلك، وقد بُين فى سوره النور، أن تلك

الموجودات، الكائنه فى ملكوت غيبٍ عن السموات والارض، هى موجودات نوريه خمسه، يتلوها انوار اخرى متعاقبه، فى قوله تعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) ١.

فتشير هذه الايات، ان هذا النور الالهى المخلوق، هو نورٌ للسموات والارض، أى غيب ملكوتى عنها، وهذا النور له ارتباط فى بيوت، أمر الله ان تُعْظَمَ ويُذْكَرَ فيها اسمه، وهذه البيوت هى رجالٌ مؤيدون ومعصومون، مسددون، لا- تلهيهم تجارته، وعلى مستوى الخاطر والنفس والقلب، فضلاً عن مقام العمل، وقد ورد فى روايات الفريقين ان من افاضل تلك البيوت، بيت على وفاطمه..(١).

وفى روايه تحف العقول عن ابى الحسن الثالث، قال:

«ان السجود من الملائكه لم يكن لآدم، وانما كان ذلك طاعهً لله ومحبه منهم لآدم (عليه السلام)»(٢).

والنفى فى صدر الروايه، نفى سجود العبوديه لآدم، والاثبات اثبات فى

ص: ٦١٠

١- (٢) الدر المنثور للسيوطى ج ٥١: ٥ - تفسير الألوسى ج ١٧٤: ١٨.

٢- (٣) تحف العقول: ٤٧٨.

كما ذكر الشيخ كاشف الغطاء وغيره من الاساطين يتبع حقيقه المقاصد والنيات، وهى افعال فى جنان النفس وجوانحها تنطوى على طبقات من الدواعى والاضافات، ومن ثم ورد فى مستفيض الروايات كما يأتى فى الجهات اللاحقه الأمر بتقبيل أرض هذه الاماكن المقدسه، وتمريغ الوجه فى ترابها، من الاداب المؤكد عليها فى الزيارات لمراقدهم (عليهم السلام).

الا ترى الى مفاد ما رواه الطبرسى فى الاحتجاج عن ابى عبد الله، فى حديث طويل، ان زنديقاً قال له، افيصلح السجود لغير الله، قَالَ (عليه السلام): لا، قال: فكيف أمر الله الملائكه بالسجود لآدم؟ فقال: إن من سجد بأمر الله، فقد سجد لله، فكان سجوده لله، اذا كان عن امر الله»(١).

ونظير مضمون هذه الروايه، الروايات التى سبق نقلها، فانظر الى سجود الملائكه لآدم حيث اشتمل على إضافه له تعالى مطويه، ضمنيه باطنه فى القصد، فأوجب هذه الاضافه، رغم خفائها تقرر حقيقه السجود انه له تعالى.

فاتضح بذلك أن الأفعال تتبع طَوِيَّاتٍ ومُضْمَرَاتٍ بَوَاطِنِ الْمَقَاصِدِ وَالنَّوَايَا وَالْمُنَوِيَّاتِ.

وذكر الشيخ جعفر فى كتابه كشف الغطاء عن مبهمات الشريعه الغراء:

ص: ٦١١

(وأما السجود على وجه العباده والامتثال لأمر المعبود فلا يكون لغير الله، واما بقصد التبرك بتمرير الجبهه او التشرف باصابه المكان الشريف، او المحبه او بقصد الشكر لله، على انه وفقه للوصول الى اشرف البقاع أو لاستحضار عظمه الله، عند النظر الى القبر العظيم من اوليائه فلا باس، وعلى بعض الوجوه ينزل سجود الملائكه لادم، وسجود أبوى يوسف ليوسف. وكذا الركوع إن كان على وجه العباده، فلا يجوز لغير الله، وأما بقصد التعظيم أو استجلاب المحبه أو طلب الحاجه مع استحضار عظمه الله سبحانه فلا باس به.. ثم قال: فالاعمال تتبع المقاصد والنيات(١).

فبيّن (قدس سرّه)، أن السجود لهذه الدواعى الاخرى ليس سجود عباده للمعصومين، بل لا زال السجود العبادى مضافاً اليه تعالى، ويسند الى المعصوم باضافه أخرى بعنوان التبرك أو التشرف أو المحبه أو الشكر لله على الوصول، أو تعظيم الله عند القبر، لأنها من المواطن المقدسه العظيمة التى يتعبد لله فيها، كما فى التعبد بين الركن والمقام، وبذلك اتضح أن ما يقوم به عامه المؤمنين من السجود عند القبر الشريف كما هو الحاصل بقصد التبرك أو التشرف أو المحبه أو التكريم، هو سجود عبوديه لله، وتعظيم ومحبه للمعصوم.. لا على وجه التأليه؛ فمجرد اسناد السجود لقبر المعصوم لا يوجب نفى اضافه هذا السجود لله تعالى، بل هاتان الإضافتان

ص: ٦١٢

إحداهما مطويه فى الاخرى، وبنحو كلى. وان لم تذكر إحدى الاضافتين، فلا ینبغى التسرع فى استظهار الامور والاحوال والافعال من دون تنقیب وفحص وتحلیل وثبت..

ص: ٦١٣

لا- يخفى أن جملة من أعلام الطائفة، إنما يُعتمد في تحرى أقوالهم، وفتاواهم على كتبهم الروائية، فإن إيراد الرواية وعدم الإعراض عنها، وعن روايته للمعارض لها، يُعدّ عند الفقهاء تبني من الفقيه لتلك الرواية ومضمونها ومن ثمّ كان دأب الفقهاء في نقل فتاوى الكليني وآرائه على ذلك بالنسبة الى كتاب الكافي.. وهذا ما اعتمدها بالنسبة للكافي والصدوق وغيرهما من الأعلام..

أما بقيه الاعلام فسوف ننقل أقوالهم كما وردت في كتبهم وما وُرد عنهم.

(أ) الشيخ الكليني:

روى وذكر في زياره الحسين (عليه السلام) بدايه الزياره عن ابى الحسن صاحب العسكر (عليه السلام) (الامام الهادى (عليه السلام)) ثم قالَ (عليه السلام): ثم تضع خدك الايمن على القبر . وقل: أشهد أنك على بينه من ربك، جئت مقرأ بالذنوب لتشفع لى عند ربك يا بن رسول الله، ثم اذكر الائمة (عليهم السلام) باسمائهم واحداً واحداً(١).

وسياتى فى موارد عديده من أقواله فى جهه الأدله..

ص: ٦١٦

وقد روى الصدوق في عيون اخبار الرضا (عليه السلام)، ضمن زياره مولانا الرضا (عليه السلام)، عن شيخه محمد بن الحسن في جامعه، فقال: اذا اردت زياره الرضا (عليه السلام) بطوس، فاغتسل عند خروجك، ثم ساق آداب الزياره ومنتها... والبس اطهر ثيابك وامش حافياً، وعليك السكينة والوقار والتكبير والتهليل والتمجيد، ثم ساق الزياره. ثم قال: ثم تنكب على القبر وتقول:

اللَّهُمَّ اليك صمدت من ارضي، وقطعت البلاد رجاء رحمتك، فلا تخينني ولا تردني بغير قضاء حوائجي... وارحم قلبي على قبر ابن اخي رسولك صلواتك وسلامك عليه.. بابي وامى اتيتك زائراً..

ثم ترفع يدك اليمنى وتبسط اليسرى على القبر، وتقول: اللَّهُمَّ انى اتقرب اليك بمحبتهم وبولايتهم.. أتولّى آخرهم بما أتولّى به اولهم(١).

- وذكر الصدوق في الفقيه، في باب زيارات المعصومين بعد ابواب الحج، زياره قبر أمير المؤمنين (عليه السلام).. صحيجه صفوان بن مهران عن الصادق (عليه السلام) لقبر جده امير المؤمنين (عليه السلام). وفيها: فوقف على القبر فساق السلام من ادم على نبي نبي، وانا اسوق السلام معه، حتى وصل السلام الى النبي (صلى الله عليه و آله) ثم خرّ على القبر فسلم عليه، وعلا نحيه..(٢).

ص: ٦١٧

١- (١) عيون اخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢، باب ٦٨، ٣٠٠-٣٠٣٠.

٢- (٢) الفقيه: ج ٢، ح ٣١٩٥، ص ٨٦.

وسياتى من الأدله ان قول الصدوق فى الاعتقادات، ان الانكباب على القبر سنه نبويه.

(٣) ابن قولويه القمى:

فى زياره حمزه عم النبى (صلى الله عليه و آله)(١).

فاذا فرغت من صلاتك، فانكب على القبر وقل: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، اللَّهُمَّ انى تعرضت الى رحمتك بلزوقى لقبر عم نبيك عليه وعلى اهل بيته، لتُجبرنى من نعمتك، وسَخَطك وَمَقْتك.

- وروى فى الباب التاسع، بسند معتبر عن صفوان بن مهران، عن جعفر بن مُحَمَّد (عليهما السلام) قال: سار وانا معه من القادسيه حتى اشرف على النجف... فلم يزل سائراً حتى اتى الغرى فوقف على القبر فساق السلام من آدم على نبى نبى (عليه السلام)، وأنا أسوق معه، حَتى وَصَلَ السَّلَام الى النَّبِى (صلى الله عليه و آله) ثم خَرَّ على القبر فسَلَّمَ عليه، وَعَلَا- نحيبه ، ثم قام وصلى اربع ركعات(٢).

- وروى ابن قولويه ايضاً بسنده عن على بن موسى الرضا (عليه السلام)، عن ابيه عن جده، قال: زار على بن الحسين (عليه السلام) قبر امير المؤمنين (عليه السلام)، ووقف على القبر فبكى، ثم انشأ زياره امين الله المعروفه الى قوله: مشغوله عن الدنيا بحمدك وثنائك، ثم وضع خده على القبر وقال: «اللَّهُمَّ ان قلوب المحبتين

ص: ٦١٨

١- (١) كامل الزيارت: باب ٥، ص ٦٣.

٢- (٢) كامل الزيارت: باب ٩، ٨٤ ح ٨٣.

اليك والهه...» الى اخر الزيارة، وهو واضعٌ خده على القبر الشريف(١).

- مصحح الحسن بن عطيه عن ابي عبدالله (عليه السلام)، وذكر زيارةً للحسين (عليه السلام)، وجمله من اداب الزيارة في مقدمتها، ثم قال: «ثم كبر ثلاث تكبيرات، وترفع يديك حتى تضعهما على القبر جميعاً، ثم تقول: أشهد أنك طهر طاهر من طهر طاهر.. الى أن قال: ثم ضع خديك جميعاً على القبر ثم تجلس وتذكر الله بما شئت»(٢).

وَقَالَ (عليه السلام) في اخر الزيارة بعد تمام اللعن على قتله الحسين (عليه السلام)، قال: وكلمة دخلت الحائر فسلم وضع خدك على القبر .

- وذكر ابن قولويه، زياره اخرى للحسين (عليه السلام)، بسنده عن سليمان بن حفص المروزي، عن الرُّجُل (عليه السلام)، ثم ذكر (عليه السلام) زياره الحسين (عليه السلام). وقال: ثم ضع خدك الأيمن على القبر، وقل: أشهد أنك على بينه من ربك، جئتكم مقراً بالذنوب، اشفع لي عند ربك يا بن رسول الله. ثم اذكر الائمة واحداً واحداً.. وقل: أشهد أنهم حجج الله، ثم قال: اكتب لي عندك عهداً وميثاقاً بانني أتيتك مجدداً للميثاق..»(٣).

- وروى ايضا روايه أخرى بسنده عن ابي عبدالله (عليه السلام)، وذكر الزيارة عند

ص: ٦١٩

١- (١) كامل الزيارات: باب ١١، ح ١٢، ص ٢.

٢- (٢) كامل الزيارات: باب ٧٩، ح، ص ١٦٠.

٣- (٣) كامل الزيارات: باب ٧٩، ح ٩(٦٢٥)، ص ٣٧٩ - الكافي: ج ٤، ٥٧٧، باب ١٩٠، كيفية زياره الحسين (عليه السلام). - البلد الامين، وقد رواه الكليني في الكافي وفي البلد الامين.

قبره الشريف، ثم قَالَ (عليه السلام):

ثم ارفع يديك حتى تضعهما ممدودتين على القبر، ثم تقول: أشهد أنك طهر طاهر من طهر طاهر، قد طُهرت بك البلاد، وطُهرت أرضُ أنت فيها، وأنتك ثار الله في الارض، حتى يستثير لك من جميع خلقه، ثم ضع يديك وخديك جميعاً على القبر ثم اجلس عند رأسه واذكر الله بما احببت وتوجه اليه(1).

وأسأل الله حوائجك، ثم ضع يديك وخديك عند رجليه وقل: صلى الله على روحك وبدنك، وقد صبرت وانت الصادق المصدق، قتل الله من قتلك بالأيدي والالسن».

وَقَالَ (عليه السلام) في نهاية الزيارة: «كلما دخلت الحائر فسلم ثم امش، حتى تضع يديك وخديك على القبر» .

- وذكر في نفس الباب، زياره أخرى بإسناد الحسن عن أبي حمزه الثمالي عن الصادق (عليه السلام)، زياره طويله لسيد الشهداء (عليه السلام)، ولعلها من أجمع الزيارات، وقد ذكر في وسط الزيارة: ثم استلم القبر وقل: السلام عليك يا ابا عبد الله.. يا حسين بن علي يا بن رسول الله الى أن قال: ثم ضع خدك الايمن على القبر ، وقل: اللَّهُمَّ انى أسألك بحق هذا القبر ومن فيه، وبحق هذه القبور، ومن اسكنها أن تكتب اسمى عندك فى اسمائهم.. ثم ذكر دعاءً طويلاً فى هذه الحال.

ص: ٦٢٠

١- (١) كامل الزيارات: باب ٧٩، ح ١٧ (٦٣٣)، ص ٨٩.

ثم قال (عليه السلام): «ثم كبر خمساً وثلاثين تكبيره، ثم ترفع يديك وتقول:... اليك يا رب صمدت من أرضي، والى ابن نبيك قطعت البلاد رجاءً للمغفرة، فكن لى يا سيدى سكناً وشفيعاً، وكن لى رحيماً، وكن لى منجى، يوم لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن ارتضى، يوم لا تنفع شفاعه الشافعين، يوم يقول أهل الضلاله، ما لنا من شافعين، ولا صديق حميم، فكن يومئذٍ فى مقامى بين يدى ربى منقذاً، فقد عظم جرمى اذا ارتعدت فرائصى وأخذ بسمعى وانا مُنكس رأسى. بما قدّمتُ من سوء عملى.. وانا عارٍ كما ولدتنى امى.. وربى يسألنى، فكن لى يومئذٍ شافعاً ومنقذاً، فقد اعددتك ليوم حاجتى ويوم فقرى وفاقتى..»

ولا يخفى ان رفع اليدين فى هذا الدعاء، هو هيئه قنوت، كان الخطاب فى بدايته الى الله.. ثم توجه بالدعاء والخطاب بعد الجملة الاولى، الى سيد الشهداء، وهو على هيئه القنوت.

وهذا عنوان آخر غير تقبيل العتبه ووضّع الخدين، وغير الانكباب بالوجه والصدر على القبر.

ولهذه الزياره طرق أخرى سنذكرها.. والتي هى من اجمع زيارات سيد الشهداء..

ثم قال (عليه السلام): (ثم ضع خدك الايسر على القبر ، وتقول: اللّهُمَّ ارحم تضرعى فى تراب قبر ابن نبيك ، فانى فى موضع رحمه يا رب).

وهذا تصريحٌ منه (عليه السلام)، ان السجود لله والتضرع له، عند قبر الحسين (عليه السلام) من المواطن التي تقصد للرحمة والتوجه الى الله، كما يقصد بيته الحرام لذلك.

ثم ساق بقيه الزيارة، وَقَالَ (عليه السلام): (ثم تَحَوَّل عند رجليه وضع يدك على القبر، وقل: صلى الله عليك يا ابا عبد الله، الى ان قال: ثم تضع خديك عليه وتقول: ... اللَّهُمَّ رب الحسين اطلب بدم الحسين... الى اخر الدعاء، ثم قَالَ - بعد ما ذكر (عليه السلام) التسبيح الخاص بفاطمه عند رجلى الحسين (عليه السلام) .. ثم صر الى قبر على بن الحسين (عليه السلام) وذكر زياره له (عليه السلام)، ثم قال: ثم انكب على القبر وضع يدك عليه.. وقل: سلام الله وسلام ملائكته المقربين وانبيائه المرسلين وعباده الصالحين عليك يا مولاي وابن مولاي، ورحمه الله وبركاته..

(٤) الشيخ المفيد:

فتواه بتقيل التربة ووضع الخدّ عليها.. لا خصوص القبر (١).

الشيخ المفيد في المقنعه: عند تعرضه لزياره المعصومين، عقب ابواب الحج، تعرض لابواب الزيارة، فذكر في الباب الخامس عشر، بعد ذكره لزياره الحسين (عليه السلام) قال:

(ثم انكب على القبر، وقبله، وضع خدك (خديك) عليه) (٢).

ص: ٦٢٢

١- (١) المزار: الشيخ المفيد: باب ١٩٣: ١٥، باب ٨٢: ٤٣ - باب ١٩٨: ١٧، باب ٢٠٣: ١٩.

٢- (٢) المقنعه: ص ٤٧٠.

وقال ايضاً: «وتحول الى عند الرأس، ثم ذكر شرطاً اخر من الزيارة وقال: (.. ثم انكب على القبر، وقبله، وضع خديك عليه، وصل عند الرأس ركعتين للزيارة).

أقول: لا- يخفى انه (قدس سرّه) ذكر ثلاثه اداب في زياره الحسين (عليه السلام) يكررها الزائر مرتين، في وسط الزيارة وفي اخرها.

الأوّل: الانكباب على القبر، أى على ترابه، وهو نوع من الخضوع وإلصاق الجسد بالارض بما فيه الرأس، وسيأتى أن اكثر الاصحاب ذكروا هذه الآداب في الزيارة، ووردت فيه نصوص عديده في زياراتهم (عليهم السلام).

والثانى: تقبيل تراب القبر، وسيأتى فى كلمات كثير من الاصحاب وأعلام الطائفة قول باستجاباه.

والثالث: وضع الخدين على تراب القبر.

- وقال ايضاً فى باب ٢٥، فى زياره الامام موسى بن جعفر (عليه السلام)، بعد ذكره للزيارة؛ «ثم انكب على القبر وقبله، وضع خديك عليه» (١).

ثم قال: (وتحوّل الى عند الرأس وقف عليه، وقل... ثم ذكر بقيه الزيارة، ثم قال: (ثم قبل القبر وصل ركعتين).

- وقال فى باب ٢٩ بعد ذكر زياره الامام على بن موسى الرضا (عليه السلام)، ثم

ص: ٦٢٣

انكب على القبر، فقبله وضع خديك عليه»(١).

- وقال فى المقنعه، فى باب مختصر لزياره امير المؤمنين (عليه السلام):

ثم انكب على القبر وقبله، وضع خدك الايمن عليه، ثم الايسر، وتحول الى عند الرأس فقف عنده وقل (٢)...

وذكر ذلك ايضاً فى زياره مختصره(٣).

- وقال فى ذكر آداب وداع الائمه(عليهم السلام) بالبقيع: ثم انكب على القبور فقبلها وضع خديك عليها.

- وقال فى وداع ابى الحسن الرضا (عليه السلام)، بعد الوداع: «ثم انكب على القبر، وقبله، وضع خديك عليه»(٤).

- وقال فى الباب ٣٢، فى وداع ابى جعفر الجواد (عليه السلام)، وذكر الوداع، وقال: «وقبل القبر، وضع خديك عليه»(٥).

وقال فى الباب ٤١: باب زياره اخرى لسائر الائمه(عليهم السلام)، وذكر عده زيارات مختصره، لزياره كل معصوم، ثم ذكر، زياره للحسين (عليه السلام)، وقال:.... ثم تنكب على القبر فتقبله، وتضع خديك عليه»(٦).

ص: ٦٢٤

١- (١) المقنعه: ص ٤٨١.

٢- (٢) المقنعه: باب ٧، مختصر زيارات: ٤٦٢.

٣- (٣) المقنعه: باب ١٥، مختصر زيارات، ٤٦٩.

٤- (٤) المقنعه: باب ٣٠، ٤٨٢.

٥- (٥) المقنعه: ٤٨٤.

٦- (٦) المقنعه: ٤٩٠.

وقال الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد، في باب صلاة الحاجه.

قال: ويستحب ان يدعو أيضاً بدعاء المظلوم عند قبر ابي عبد الله الحسين (عليه السلام). ثم ذكر الدعاء، ثم قال: ثم ينكب على القبر، ويقول: مولاي إمامي، مظلومٌ استعدى على ظالمه، النصر النصر، حتى ينقطع النفس (١).

وذكر في زياره الحسين (عليه السلام) في ذى الحجه من زياره عرفه، بسند متصل الى صفوان، زياره طويله باداب كثيره، روى ضمنها، قوله (عليه السلام): «ثم انكب على القبر، وقبّله، وقل: بابي انت وامى يا بن رسول الله بابي انت وامى يا ابا عبد الله... الى اخر الزياره (٢).

وَقَالَ (عليه السلام) في نهايه الزياره: (فاذا اردت الخروج، فانكب على القبر، وقل: السلام عليك يا مولاي..) وذكر زياره وادعيه في هذا الحال..

وقال في تتمه هذه الزياره، زياره العباس (عليه السلام)، وذكر الزياره، ثم قال: ثم ادخل وانكب على القبر، وقل: ... وذكر تتمه الزياره (٣).

- في زياره لأمير المؤمنين (عليه السلام): ... ثم انكب على القبر وقبّله، وضع

ص: ٦٢٥

١- (١) مصباح المتهجد: ٢٧٩.

٢- (٢) مصباح المتهجد: ٧٢١.

٣- (٣) مصباح المتهجد: ٧٢٦.

خدك الايمن عليه، ثم الايسر(١).

- وقال فى زياره الحسين (عليه السلام):... ثم ضع خدك الايمن على القبر مره ، والايسر مره، والّخ فى الدعاء والمسأله(٢).

ثم ذكر استحباب رجوع الزائر مره اخرى لمشهد الحسين (عليه السلام) للوداع.

ثم قال:... ثم ضع خدك الايمن على القبر مره ، والايسر مره ، والّخ فى الدعاء والمسأله(٣).

- وقال فى زياره الغدير لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وفى آداب اثناء الزياره: ... ثم انكب على القبر ، وقبله ، وضع خدك

الايمن عليه، ثم الايسر(٤).

٦) القاضى بن البراج:

قال فى اخر زياره سيد الشُّهداء (عليه السلام)... ثم ينكب على القبر ويضع خده عليه ، ويتحول عند الرأس ، ويقول:...

ثم ينكب على القبر ويقبّله، ويضع خديه عليه ويتحول الى عند الرأس فيصلى ركعتين للزياره..

ص: ٦٢٦

١- (١) مصباح المتهدج: ٧٣٩.

٢- (٢) مصباح المتهدج: ٧٢٨.

٣- (٣) مصباح المتهدج: ٧٢٩.

٤- (٤) مصباح المتهدج: ٧٤٤.

٧) الشيخ أبو صلاح الحلبي:

ذكر في آداب زياره رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند قبره، وكل واحد من الائمة من بعده.. قال:

فاذا فرغ من الزياره، فليضع خده الايمن على القبر ويدعو الله تعالى، ويتضرع اليه بحقه، ويرغب اليه أن يجعله من أهل شفاعته، ثم يضع خده الأيسر، ويدعو ويجتهد، ثم يتحول الى عند الرأس، فيسلم عليه ويعفر خديه على القبر ويدعو، ويتضرع، ثم يتحول الى عند الرجلين فيسلم ويدعو ويعفر خديه على القبر ويودّع وينصرف(١).

٨) ابن إدريس الحلبي:

قال في السرائر: (ولا أرى التعفير على قبر احد، ولا التقبيل له سوى قبور الائمة(عليهم السلام) لأن ذلك حكم شرعى يحتاج فى استحبابه، واثباته الى دليل شرعى ولن يجده طالبه، لولا اجماع طائفتنا على التقبيل والتعفير على قبور الائمة(عليهم السلام) عند زيارتهم، لما جاز ذلك لما بيناه وتفصيل ما أجملناه من الزيارات وشرح اذكارها، موجود فى غير موضع من كتب السلف الجله المشيخه رضى الله عنهم..(٢).

أقول: ما أفاده من الإجماع لدى الطائفة، وأنه المعتمد لديه متين، ثم ذكره

ص: ٦٢٧

١- (١) الكافي فى الفقه: ٢٢٣.

٢- (٢) السرائر: ج ١، ٦٥٧.

لتفصيل الزيارات أنه وارد في كتب السلف من المشيخه شهاده باستفاضه الروايات، وأنه لولا- هذان الدليلان لما بنى على الاستحباب..

(٩) الشيخ الطبرسى:

قال في الاحتجاج في ذيل صحيحه الحميرى، عن الرجل يزور قبور الاثمه، هـل يجوز أن يسجد على القبر أم لا؟ وهل يجوز للمصلى ان يقوم وراء القبر ويجعله قبله.. فأجاب الفقيه (عليه السلام) (العسكرى (عليه السلام)):

(أما السجود على القبر فلا يجوز في نافله ولا فريضه ولا زياره، ولكنه يضع خده الأيمن على القبر، وأما الصلاه، فإنها خلفه، ولا يجوز أن يصلّى بين يديه، لأن الامام لا يتقدم.. ويصلى عن يمينه وشماله)(١).

قال الطبرسى: «والذى عليه العمل ان يضع خده الايمن على القبر، وأما الصلاه فانها خلفه، ويجعل القبر امامه، ولا يجوز ان يصلى بين يديه، لا عن يمينه ولا عن يساره، لأن الامام لا يتقدم عليه ولا يساوى»..

(١٠) السيد ابن طاووس:

قال في كتاب إقبال الأعمال، وفي زياره مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام):

... ثم انكبّ على القبر فقبله . وقُل: أشهد أنك تسمع كلامى وتشهد

ص: ٦٢٨

١- (١) رواه الشيخ مسنداً في التهذيب: ح ١٠٦ / ٨٩٨ - ج ٢، ٢٢٨ / ح ٨٩٨ - الاحتجاج: ج ٣١٢: ٢.

مقامى.. وأشهد لك يا ولى الله بالبلاغ والأداء..(١).

ثم قال: ... ثم انكبّ على القبر وقبله ، وقل: يا ولى الله، يا حجه الله، يا باب الله.. أنا زائرُك، واللائذ بقبرِك، والنازل بفنائِك، المنىخ رحله فى جوارِك، أسألك أن تشفع لى إلى الله فى قضاء حاجتى، ونجح طلبتى..).

وأيضاً فى زياره الحسين (عليه السلام)، فى الباب التاسع / الفصل ٥٣، ذكر: وَضَعُ الخدّ على القبر والتقبيل ..

(١) العلامة الحلى:

قال فى أجوبه المسائل المهنايه:

السؤال : ما يقول سيدنا الامام العلامة فى وضع الإنسان وجهه على الارض عند ابواب المشاهد الشريفه، وتمريغ خده عليها، هل يكون ذلك الفعل حراماً لأن هذا يشبه بالسجود، وهذا أمر مختص بالله، وقد بالغ المتصوفون، وارباب الطريقه فى النهى عن هذا وغيره مما يقاربه، فهل يكون مكروهاً او هو مستحب فى هذه الاماكن المشرفه، بين لنا ذلك بين الله لك الهدى، وجنبك الردى.

الجواب: عن ذلك، إن قَصِدَ الفاعل أن يكون السجود لغير الله تعالى كان عاصياً، وإن قصد السجود لله تعالى والشكر له على وصوله الى تلك

ص: ٦٢٩

البقعه المباركه الشريفه، والتذلل للإمام والتقييل لرتبته كان مُثاباً على ذلك. ولا عبره بنهى الصوفيه عن ذلك، فانه اولى من اعتمادهم فى الرقص والتصفيق بالايدي الذى نهى الله عنه فى كتابه العزيز(١).

وقال العلامة الحلبي فى المنتهى: أما فى السجود على القبر فلا يجوز فى نافله ولا فريضه، ولا زياره، بل يضع خده الايمن على القبر(٢).

وذكر العلامة فى زياره سائر الأئمه(عليهم السلام)، قال فى آخر الزياره: «السلام عليك يا مولاي، يا ابن رسول الله ورحمه الله وبركاته.. أستودعك الله.. ثم تسأله أن لا يجعله آخر العهد منك.

وأدعو بما شئت.. وقبل القبر، وضع خدك عليه، ان شاء الله تعالى»(٣).

(١٢) الشهيد الأول:

قال فى المزار: ثم تنكب على القبر وتقبله، وتضع خدك..(٤).

وقال فى الدروس، فى ذكر اداب زياره المشاهد:

وللزياره اداب:

أولها: الغسل... قال المفيد(ره): واتيانه بخضوع وخشوع.

ص: ٦٣٠

١- (١) اجوبه المسائل المهنائويه: ٢٥.

٢- (٢) منتهى المطلب: ج ٤، ٣١٨.

٣- (٣) منتهى المطلب: باب الزيارات، ج ٢: ٨١٥.

٤- (٤) المزار: ١٦٩.

وثانيها : الوقوف على الباب بالخشوع.. فان وجد خشوعاً ورقه دخل، والا- فالأفضل له تحرى زمان الرقه، لان الغرض الأهم حضور القلب، لتلقى الرحمه النازله من الرب..

وثالثها: الوقوف على الضريح متلاصقاً او غير متلاصق، وتوهم أن البعد أدب وهم. فقد نصّ على الاتكاء على الضريح وتقبيله.

ورابعها : استقبال وجه المزور، واستدبار القبلة حال الزيارة..

ثم يضع عليه خده الايمن عند الفراغ من الزيارة، ويدعو متضرعاً ثم يضع خده الايسر ، ويدعو سائلاً من الله تعالى بحقه، وبحق صاحب القبر أن يجعله من اهل شفاعته، ويبالغ فى الدعاء والالحاح.

وذكر: ثالث عشرها: وروى ان الخارج يمشى القهقري حتى يتوارى.

ولا كراهه فى تقبيل الضرائح بل هو سنه عندنا ، ولو كان هناك تقيه فتركه اولى.

وأما تقبيل الأعتاب، فلم نقف فيه على نص نعتدّ به، ولكن عليه الاماميه.

ولو سجد الزائر، ونوى بالسجده لله تعالى على بلوغه تلك البقعه كان اولى(١).

أقول: مما يميز كلام الشهيد فى فتواه بالمشى الى المراقد فى حاله خضوع

ص: ٦٣١

وخشوع والوقوف على أبوابها بخشوع والدخول كذلك وفتواه باستحباب السجود لله تعالى على الأعتاب.

(١٣) المحقق الأردبيلي:

في مبحث مكان المصلي:

أما السجود على القبر، فلا يجوز في نافله ولا فريضه ولا زياره، بل يضع خده الايمن على القبر، وأما الصلاة فإنها خلفه، يجعله الامام، ولا يجوز ان يصلي بين يديه لان الامام لا يتقدم. ويصلي عن يمينه وشماله(١).

(١٤) الشيخ البهائي:

قال في مشرق الشمسين: هذا الخبر (ويشير الى خبر التهذيب(٢) المتقدم في كلام الطبرسي).. يدل على عدم جواز وضع الجبهه على قبر الامام (عليه السلام).. لا- في الصلاة ولا- في الزياره.. بل يضع خده الايمن.. وعلى عدم جواز التقدم على الضريح المقدس حال الصلاة.. الى ان قال:.. وربما يستفاد من ذلك الحديث المنع من استدبار ضرائحهم في غير الصلاة، نظراً الى ان قوله (عليه السلام): (لان الامام لا يتقدم عليه). عام في الصلاة وغيرها(٣).

أقول: يحتمل الشيخ المنع عن استدبار الضريح المقدس مطلقاً في الحال العاديه كالخروج من الزياره.

ص: ٦٣٢

١- (١) مجمع الفائده: ج ٢، ١٤٠.

٢- (٢) التهذيب: ج ٢، ٢٢٨ / ٨٩٨.

٣- (٣) الحبل المتين: ١٥٦، مكان المصلي، ط القديمه.

(١٥) الشيخ يوسف البحراني:

وفى الحدائق: ذكر ما تقدم من كلام الشهيد فى الدروس بطوله، ثم قرر كلام الشهيد بتمامه، إلا أنه لم يذكر ذيل كلام الشهيد المتقدم المتعلق بتقبيل اعتاب المراقد.

بينما ذكر الادب المتقدم من وضع الخدين (١).

(١٦) الشيخ كاشف الغطاء:

قال فى كتاب كشف الغطاء: المقصد الثانى والعشرون... فى أن كل ما اعتُبر فيه القربى، لا بد ان يُقصد فيه وجهُ الله تعالى، وكل ما كان مخصوصاً باسم الله لا يجوز لغير الله، فمن نذر لنبى أو إمام أو ولى قائلاً: لله على كذا لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، أو للإمام (عليه السلام)، على معنى الصرف فى ثوابه انعقد نذره. وإن لم يذكر الاسم، فلا انعقاد، والاحوط العمل موافقه لصوره النذر.

واما السجود على وجه العباده والامتنال لامر المعبود فلا- يكون لغير الله، واما بقصد التبرك لتمريغ الجبهه او التشرف باصابه المكان الشريف، او المحبه، او بقصد الشكر لله على انه وفقه للحصول الى أشرف البقاع، او لاستحضار عظمه الله عند النظر، الى القبر العظيم من اوليائه فلا بأس.

وعلى بعض هذه الوجوه يُنزل سجود الملائكه لآدم، وسجود أبوى

ص: ٦٣٣

وكذا الركوع، إن كان على وجه العبادة فلا- يجوز لغير الله، وأما بقصد التعظيم، أو استجداب المحبه او طلب المحبه، أو مع استحضار عظمه الله، فلا بأس به. فالركوع للأعظم من السلاطين والخوانين ليس بمحضور.

الا- ان التواضع للجبابره والمتكبرين فيه إعلاء لشأنهم، وزيادة في تعظيمهم، وهو في أشد الكراهه، إلا ان يقصد به جلب نفع، او دفع ضرر، لا مجرد ميل النفس الاماره.

والحاصل أن التواضع بالقيام، وسماع أمر كل أمر، وقضاء حاجه كل طالب وغيرها، متى كانت بقصد العبوديه قُضت بكفر الفاعل، فالأعمال تُتبع المقاصد والنيات، ويختلف حكمها باختلاف العبادات(1).

وقد مرّ كلامه في منهج الرشاد، في تحقيق معنى العباده في الجبهه الأولى، من تحرير (موضوع البحث).

يستفاد من كلامه في كشف الغطاء:

(1) ان الانحناء، ووضع الجبهه وتمريغها في تراب العتبه الشريفه، بمجرد ذلك لا يعدُّ سجوداً لغير الله سبحانه، مع كونه بقصد التبرك أو التشرف باصابه المكان الشريف، أو المحبه للمعصومين، وهم الذين أمر الله

ص: ٦٣٤

بمحببتهم ومودتهم كأساس للدين فى آيه الموده، فضلاً عما كان بقصد الشكر لله تعالى على التوفيق للزياره، او الخضوع لعظمه الله بسبب النظر الى القبر المقدس.

(٢) وانها بيوت أذنَ الله ان تُرفع ويُذكر فيها اسمه.

(٣) فذكر فى السجود فى العتبات على خمسه أوجه لا على سبيل الحصر، والرابع والخامس هو واضح بانه سجود لله، أما الاول والثانى والثالث، فلم يعتبره سجوداً للامام (صاحب القبر)، بل تبركاً أو تشرفاً او محبةً..

(٤) ولكنه فى كتاب منهج الرشاد، اعتبر الوجوه الثلاثه الاولى، أن حقيقتها سجود لله تعالى أيضاً، مع كونه تبركاً بالمكان او تشرفاً به او إبرازاً للمحبه، وأضاف وجهاً آخر، أن يكون بقصد التعظيم والتحيه، واعتبره سجود لله ايضاً، وتعظيماً وتحيه للامام (عليه السلام) كما هو الحال فى سجود الملائكه لآدم.

(١٧) الشيخ الجواهرى:

فى جواهر الكلام: فى بيان المستحبات الوارده فى كيفيه الزياره، (على أى حال: فينبغى استقبال وجه المزور، واستدبار القبلة حال الزياره، ثم يضع عليه خده الأيمن عند الفراغ من الزياره، ويدعو متضرعاً، ثم يضع خده الأيسر، ويدعو سائلاً من الله، بمنّه، وبحق صاحب القبر، أن يجعله من أهل شفاعته، ويبالغ فى الدعاء والالاحاح.

وذكر من الاداب: يخرج القهقرى حتى يتوارى (١).

ص: ٦٣٥

١- (١) جواهر الكلام: ج ٢، ١٠٢.

وقد ورد في تقريرات الكاظمي لبحث استاذہ النائيني:

... وعلى كل حال، لا إشكال في انه يُعتبر في تحقق السجود الذي يكون مورداً للأحكام الشرعيه، وضع خصوص الجبهه، ولا يكفى وضع سائر أجزاء الوجه من الخد والدقن، من غير فرق في ذلك بين سجود الصلاه وغيره من سجود الشكر والتلاوه وغيرهما.. وتوهم ان تحديد السجود بذلك، انما هو في خصوص الصلاه، وأما في غيرها فهو باقٍ على معناه العرفي، من كفايه وضع أى جزء من أجزاء الوجه فاسد.

اذ الظاهر انه يكون وضع خصوص الجبهه معتبراً في مطلق السجود، حيث ان الشارع حدّد السجود العرفي بذلك.

نعم في خصوص حرمة السجود لغير الله تعالى، يمكن أن يقال بالعموم، وحرمة وضع أى جزء من أجزاء الوجه، اذا كان على وجه التعظيم والخضوع. كما مال الى ذلك الشيخ الاستاذ مَدْ ظله..

وان كان ذلك لا يخفى عن اشكال، ثم لا يخفى عليك أن مثل تقبيل الاعتاب المقدسه، لم يكن من السجود بداهه عدم صدق السجود على ذلك، فهل ترى لو انكب احد لتقبيل ابنه يقال انه سجد لابنه، نعم ما يفعله بعض العوام من وضع الجبهه والخددين على وجه الخنوع والتذلل في الاعتاب المقدسه، لايبعد صدق السجود عليه، فاللازم ترك مثل ذلك..

ثم انه ربما يفرّق بين وضع الجبهه، وبين وضع سائر اجزاء الوجه، بدعوى ان فى وضع الجبهه لا يحتاج الى قصد السجود، بل هو بنفسه سجود، الا اذا قصد عنواناً يغير السجود، وهذا بخلاف وضع سائر أجزاء الوجه فانه يُعتبر فيها القصد الى السجود، والا فهى بنفسها ليست من السجود، وربما مال الى ذلك شيخنا الاستاذ (مدّ ظله) (١).

ويستفاد من كلامه، جملة من النقاط:

(١) ان تقبيل العتبات المقدسه، ليس من السجود بتاتاً بداهةً.

(٢) فرّق بين وضع الخدين أو الذقن، وسائر اجزاء الوجه، وبين وضع الجبهه، بأن الاولى لا يصدق عليها السجود الا بالقصد، بل هى مجرد تعظيم وتحيه، بخلاف وضع الجبهه، فانه بذاته وقصده، لا يحتاج الى قصد عنوان السجود. بل يصدق عليه السجود تلقائياً؛

نعم لو قصد عنواناً مغايراً، لما صدق على وضع الجبهه للسجود، وكلامه يفيد أن وضع الجبهه ليس عله تامه لصدق السجود، بل هو مقتضى، وانما وضع سائر الوجه، فهو ناقص الاقتضاء.

وهذه الدرجات داعمه لما تقدم فى كلام كاشف الغطاء، ويأتى فى الجبهه الثالثه، من أن المدار فى كون وضع الجبهه او سائر الوجه، سجوداً لغير الله، دائر مدار القصد، وليس ظاهر القصد فحسب، بل يُعتبر على

ص: ٦٣٧

درجات القصد كما سيأتي..

(٣) قوله: من أن ما يفعله بعض العوام من وَضَع الجبهه والخدين على وجه الخضوع والتذلل في الاعتبار المقدسه، يلزم تركه لصدق السجود عليه، فالظاهر أنه غَفله، عن تحرير الموضوع، كما سيأتي في الجبهه الثالثه، مضافاً الى الغفله عن ورود الأمر بَوَضَع الخَدَّين عليها (أى على القبور الشريفه)، في جملة الروايات الوارده في زيارتهم، وقد افتى بها المشهور، المتقدمون والمتأخرون، بأنها من اداب الزياره.

(١٩) المحقق الداماد:

(١)

قال في الامر الاول: في ان السجود ماهو؟.. من كتب اللغه، أن السجود هو التظامن، والتذلل، والخضوع والميل ونحوها، بعد ان كان معناه العرفى، هو الانكباب على الأرض بالوجه مُطلقاً، أو الجبهه، أو الجبين مثلاً، لا صرف الخضوع ومجرد التذلل، وان كان بغير الكبّ على الارض (٢).

- بعدما ذكر أدله حرمه السجود لغير الله، وتأويل سجود الملائكه لآدم بكونه سجود لله سبحانه، ووضع آدم قبله لهم.

وسجود يعقوب وولده طاعه لله، وتحيه ليوסף، قال:

ص: ٦٣٨

١- (١) وهو من تلاميذ الشيخ عبد الكريم الحائرى.

٢- (٢) كتاب الصلاه: تقرير بحث المحقق الداماد، ج ٤، ٢٩٨.

ولعلّه من هذا القبيل، سجود الشيعة، وانكبابهم على الاعتاب المقدسه، وحيث قد اتضح فى الامر الاول صدق السجود عُرفاً على الإنكباب على الارض، فلا ضير فى مثله بعد احتفائه بالقرينه المُشار اليها، بل أمر به فى بعض الآداب.

ثم ذكر روايه البحار فى كيفية زياره الجامعه عن السيد ابن طاووس، وكذا عن المزار الكبير، أن من آدابها الوارد فيها (ثم تنكب على القبر وتقول..). قال: اذ لا يعتبر فى معنى السجود الاستقبال، ووضع سائر المواضع عدا الوجه او الجبهه عرفاً.

واما تقبيل الضريح، فهو خارج عن الكلام، لعدم انطباق السجود عليه، بل أمر به، وبتمرغ الخدين عليه فى هذه الزياره.

واما تقبيل العتبه فالاقوى ايضاً جوازه، بعد جواز الانكباب البته.

ولكن لا ينبغى لسواد الناس تقبيلها، فضلاً عن السجود عليها، صوتاً عن العناوين الثانويه، التى لعلّها توجب انحراف بعض او طعن بعض. وقال ايضاً:

واما تقبيل العتبه، وكذا تقبيل المرقد المطهر - بناءً على تساويه لسطح الارض او تقاربه منه بحيث يصدق عليه الانكباب - فالظاهر الجواز ايضاً، لانه مظهر للمحبه، لا للتذلل..

واما السجود، فان كان للتذلل والتعظيم فالظاهر حرمة.

لإطلاق دليلها الآبى عن التقييد او التخصيص، واما اذا كان تعظيماً لله، او شكراً له تعالى، فهو جائز لخروجه تخصصاً(١).

أقول: ويفيد كلامه جمله من النقاط:

(١) ما ذكرنا من التحقيق من كون الانكباب سجوداً لَعَهْ وعرفاً ففى غايه المتانته، وسيأتى الأمر بالانكباب على قبورهم(عليهم السلام)، مُستفيضاً فى روايات الزيارات، وقد أفتى به المشهور، نعم مضمون الروايات والزيارات، ان هذا الانكباب خضوعاً وتضرعاً لله سبحانه، وتوسلاً بصاحب البقعه الشريفه الى الله سبحانه، وتشفعاً به، ولو اذاً بحريمه بعنوان انه، باب رحمه الله سبحانه.

(٢) ما حرّره من كون تقبيل العتبات بداعى المحبه، لا يصدق عليه السجود متين، ومطابق لما تقدم نقله عن المحقق النائنى.

(٣) الالتفات الى ورود الانكباب فى روايات الزيارات، لكنه لم يشر الى كونه مستفيضاً فيها، كما انه لم يشر الى مشهور فتوى الأصحاب، أن ذلك من آداب الزيارة.

ومن ثم يُتأمل فيما ذكره، من التوصيه بتجنبه، بسبب طرو العنوان الثانوى، وهو طعنه الاخيرين، او حصول الالتباس لدى بعض العوام، فان مثل هذه العناوين لا توجب رفع اليد عن الاداب المؤكده فى الزيارة،

ص: ٦٤٠

والرسوم المتبعه فى صلته اهل البيت(عليهم السلام). اذ ان الخصوم يطعنون فى كل وصال بهم.. ولا يرتفع إلا باتباع ملتهم: (قل هدى الله هو الهدى..).

٢٠) الشيخ فاضل النكرانى:

لا يقال إن ما يعتقده الشيعة الاماميه بالاضافه الى ائمتهم(عليهم السلام)، من كونهم شفعاء عند الله تعالى، وما يراعونه من احترام قبورهم المقدسه، وزيارتهم، وتقبييل الضرائح الموضوعه عليها، وطلب الحاجه منهم لعله يشبه الشرك كما هو معتقد فرقه ضاله من العامه العمياء، وبعض من يتحلل التشيع ممن لا تحصيل له، ولأجل أن يتحرك بحركه تلك الفرقة، تقلبه الايادى السياسيه التى هدفها المحض تفريق الشيعة.. وايجاد اختلاف بينهم، لئلا ينتشر مرامهم، الذى هو المرام الوحيد، الذى يقبله العقل السليم ويؤيده العلم العصرى مع بلوغه الى المرتبه التى لا يتوقع مثلها.

لانا نقول: وان كان البحث الفقهى لا يناسب هذه المباحث إلا أن الإشاره الإجماليه الموجزه لعلها لم تكن خاليه عن المناسبه، خصوصاً بعد ملاحظه إمكان التأثير فى بعض القلوب الصافيه غير المظلمه على حقيقه الامر، فنقول:

اما احترام قبورهم، وتقبييل الضرائح المقدسه فهو مضافاً الى انه ليس بشرك، دليلٌ على كمال التوحيد لانه مضافاً الى عدم كونه عباد، فان احترام القبر وزيارته والتقبييل أمرٌ، والعباده أمرٌ آخر، فهل ترى أن احترام العالم

الحى عباده له، أو أن زياره المؤمن كذلك، التى هى من المستحبات الشرعيه تعدُّ عباده له، أو أن تقبيل الطفل محبّه، أو الرجل المحترم، احتراماً، تعظيماً عباده له، فكيف يُتفوه بذلك فيما يتعلق بالقبور المقدسه، وهل فرق بين تقبيل الحجر الاسود، الذى هو من المستحبات، وتقبيل الضرائح المقدسه؟! وهل يمكن ان يتوهم احد أن الأول مع كونه شركاً صار مستثنى؟! وهل يمكن أن يقع الاستثناء من حكم الشرك، مع انه لا يُغفر ان يشرك به؟! يكون كاشفاً عن التعظيم وتكريم جماعه أكرمهم الله بتاج الكرامه، واصطفاهم للخلافه والولايه بما أنهم كذلك، ففى الحقيقه يكون تكريمهم لإضافتهم الخاصه الى الله تعالى، وقربهم فى نظره، وهذا دليل على كمال التوحيد..

نعم لا مجال لإنكار أن السجود لغير الله محرم شرعاً لقوله تعالى: «لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ»، فمن سجد لغير الله ارتكب محرماً.

لكن نقول:

أولاً: انه لم نرَ أحداً من الشيعة مع اختلاف طبقاتهم فى العلم والمعرفه وثبوت الخواص والعوام بينهم، ان يسجد للائمه (عليهم السلام) او لقبورهم المطهره، والشاهد الوجدان.

وثانياً: ان الكلام فى الشرك، هو أمر لا يُلائم الاستثناء بوجه،

ص: ٦٤٢

والسجود لغير الله سبحانه، غايته انه محرم، وليس كل حرام موجباً للشرك، والدليل على عدم كونه شركاً، ان السجود لآدم كان مأموراً به للملائكة، باجمعهم، والشيطان الذي كان من الجن، ولو كان السجود لغير الله شركاً كيف يُمكن أن يكون مأموراً به. وهل يجتمع الأمر بالشرك ولو في مورد، مع عدم صلاحية الشرك للمغفرة أصلاً، فلو فرض أن الشيعة تسجد للائمة (عليهم السلام) فغايته تحقق الفعل الحرام، لا الشرك غير القابل للغفران(1).

والعمده في كلامه، قوله: إن احترام قبورهم، وتقبيلها وتعظيمها يكشف عن تعظيم وتكريم جماعه اكرمهم الله بتاج الكرامه، واصطفاهم للخلافه والولاية بما انهم كذلك، ففي الحقيقه يكون تكريمهم لاضافتهم الخاصه الى الله، وقربهم في نظره، وهذا دليل على كمال التوحيد..

أى ان تعظيم أهل البيت (عليهم السلام) لاضافتهم الخاصه الى الله تعالى هو تعظيم لله تعالى، فالخضوع والسجود على اعتبارهم، هو فى الأصل سجود لله تعالى، وتعظيم له تعالى، وبالتبع هو احترام وتعظيم لاهل البيت (عليهم السلام)، لان الاضافه الى الله، هى المقصوده بالاصاله كغايه، فالخضوع لهم توجه بهم الى الله، وهذا ما نص عليه فى جمله من الزيارات كما سيأتى.

وهو الذى اشار اليه الشيخ جعفر كاشف الغطاء، فى كشف الغطاء وفى منهج الرشاد، وقد تقدّم بعض كلامه وسيأتى بقيه كلامه فى الجبهه اللاحقه.

ص: ٦٤٣

١- (١) تفصيل الشريعة فى شرح تحرير الوسيله، النجاسات واحكامها، ٢٣٦، للفاضل النكرانى.

الجهه الثالثه : حرمه السجود لغير الله سبحانه

اشاره

ص: ٦٤٤

موضوع البحث هنا، ليس التأليه، ولا جعل شىء الهاً، فهذا خارج عن موضوع البحث، انما المراد، هو الخضوع بالبدن والجبهه تجاه وليّ الله، تعظيماً واحتراماً، لا بقصد التأليه والربوبيه..

وبعبارة اخرى، فان موضع البحث هو التعظيم بالبدن والاحترام بهيئه السجود لا بعنوان كونه إلهاً.

ويُستدل على الحرمة بقوله تعالى: (وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (١). حيث فُسِّرَت المساجد بالجوارح السبعه، وان مما فرض الله عليها السجود له تعالى فلا يؤتى بهذ الفعل فيها معه تعالى أحداً.

وأما الروايات الداله على حرمه السجود لغير الله سبحانه:

(١) روى فى الجعفریات باسناده الى جعفر بن محمد عن آباءه (عليهم السلام) عن على بن أبى طالب (عليه السلام) فى قوله:

«وان المساجد لله فلا تدعو مع الله احدا»؛

ص: ٦٤٦

يقول: (ما سجدت به من جوارحك لله فلا تدعو به مع الله احداً)، ورواه الراوندى باسناده الى موسى بن جعفر مثله (١).

(٢) ما رواه الطبرسى فى الاحتجاج، فى محاججته (صلى الله عليه و آله) فى سجود آدم (عليه السلام)، قوله (صلى الله عليه و آله):

«أما عَلِمْتُمْ أَنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ يَلْزِمُهُ، مَنْ يَلْزِمُ تَعْظِيمَهُ وَعِبَادَتَهُ، أَنْ لَا يَسَاوَى عِبِيدَهُ؟! أَرَأَيْتُمْ مَلَكًا عَظِيمًا إِذَا سَوِيْتَمُوهُ بَعِيدَهُ فِي حَقِّ التَّعْظِيمِ وَالْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ، أَيَكُونُ فِي ذَلِكَ وَضْعٌ مِنْ حَقِّ الْكَبِيرِ، كَمَا يَكُونُ زِيَادَةٌ فِي تَعْظِيمِ الصَّغِيرِ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ... وَاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَيْثُ أَمَرَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، لَمْ يَأْمُرْ بِالسُّجُودِ بِصُورَتِهِ الَّتِي هِيَ غَيْرُهُ» (٢).

وفى هذين الحديثين بيان قرانى وعقلى لحرمة السجود لغيره تعالى، وان لم يكن بقصد تأليه المسجود له من غيره تعالى.

وقد ورد مُستفيضاً فى روايات الزيارات، الدُّعاء بعد صلاة الزيارة، (لأن الصلاة والركوع والسجود لا يكون الا لك، لأنك أنت الله لا اله الا انت).

(٣) مارواه الكلينى فى الصحيح عن سليمان بن خالد عن ابي عبدالله (عليه السلام): ان قوماً أتوا رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فقالوا: يا رسول الله إنا رأينا أناساً يسجد بعضهم لبعض، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): لو أمرت احداً أن يسجد

ص: ٦٤٧

١- (١) مستدرک الوسائل: ابواب السجود، باب عدم جواز السجود لغير الله، ح ١.

٢- (٢) الوسائل: ابواب السجود، باب ٢٧٠، ح ٣.

لأحد، لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها(١).

ورواه الصدوق فى من لا يحضره الفقيه(٢).

(٤) ما رواه الصدوق بسنده فى العيون، عن ابى الصلت الهروى، عن الرضا (عليه السلام)، عن ابائه عن امير المؤمنين (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«إن الله تعالى فضّل انبيائه المرسلين على ملائكته المقربين، الى ان قال: ان الله تبارك وتعالى خلق ادم فاودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا، وإكراماً، وكان سيّجودهم لله عز وجل عبوديه، ولآدم إكراماً، وطاعةً لكوننا فى صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة، وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون»(٣).

وعلى ذلك، فسجود الملائكة لآدم، لم يُستثنَ من أصل المنع عن السجود لغير الله، بل هو سجود لله كغايه نهائيه وأصليه وتعظيم لآدم، فهذه الروايه تعزز المنع عن السجود لغير الله، وإنما ظاهره يوهّم كونه

ص: ٦٤٨

١- (١) الكافى: ج ٥، ٥٧٠، باب حق الزوج على الزوجه.

٢- (٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ٤٣٨، ح ٤٥١٥.

٣- (٣) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ١٤٥- مستدرک الوسائل: ابواب السجود، باب عدم جواز السجود لغير الله، ح ٤. وقد قال فى هذا المعنى، السيد رضا الموسوى الهندى لو لم يكن فى صلب آدم نوره لما قيل قُدماً للملائكة اسجدوا ولولاه لما قلنا ولا قال قائل لمالك يوم الدين إيتاك نعبدُ

سجوداً لغير الله، فهو في الحقيقة سجود لله لباً، نظير السجود باتجاه الكعبة، فان غير المسلمين يتوهمون أن هذا السجود للكعبة، بينما هو صورة كذلك ولباً وواقعاً هو سجود لله سبحانه، وتشريعاً للكعبة.

ومن جهة أخرى: فإن هذه الرواية تنص على أن عله سجود الملائكة لآدم، هو لتعظيم محمد وآل محمد، لإضافه السجود أولاً عبودية لله، في رتبة متقدمه عن إضافه هذا السجود لمحمد وآل محمد.. وفي الرتبة الثالثه يضاف هذا السجود لآدم.. وبذلك يُقرر أن الأمر بالسجود لآدم هو أمرٌ بالسجود لمحمد وآل محمد، وبالأصالة أمرٌ بالسجود لله تعالى.

(٥) وروى الصفار في بصائر الدرجات بسند متصل، عن عبد الرحمن بن كثير، عن ابي عبدالله (عليه السلام)، قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً قاعداً في اصحابه، إذ مرّ به بغير فجاء حتى ضرب بجرانه الارض، ورغاً، فقال رجل: يا رسول الله، أسجد لك هذا البعير؟ فنحن أحق أن نفعل، فقال: لا، بل اسجدوا لله. ثم قال: لو امرت أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها(١).

ورواه سعد بن عبد الله، في بصائر الدرجات ايضاً، مثله(٢).

ورواه الراوندى ايضاً في قصص الانبياء، باسناده الى الصدوق،

ص: ٦٤٩

١- (١) بصائر الدرجات: - الوسائل: ابواب السجود/ باب ٢٧، ح ١.

٢- (٢) المصدر: ح ٢.

باسنادٍ متصل، عن عبد الرحمن بن كثير (١). وروى المفيد في الاختصاص مثله.

(٦) ما رواه الطبرسى في الاحتجاج ايضاً، عن امير المؤمنين (عليه السلام) في احتجاجه على اليهود، قوله (عليه السلام): (ولكن أسجد الله لآدم ملائكته، فان سجدوهم، لم يكن سجود طاعه انهم عبدوا آدم، من دون الله عز وجل، ولكن اعترافاً لآدم بالفضيله ورحمته من الله له، ومحمد (صلى الله عليه وآله) أعطى ما هو أفضل من هذا. ان الله جل وعلا صلى عليه في جبروته والملائكه باجمعها وتعبد المؤمنين بالصلاه عليه. فهذه زياده له يا يهودى (٢).

وهذا الحديث يفيد ايضاً، الفرق بين السجود لآدم، والسجود الى الكعبه، بحرف الجر (إلى)، انه فى كلا الموردین ان السجود عبوديه لله تعالى، ولكن فى الأول: إعظام واحترام لآدم وتحيه، بينما فى الثانى سجود باتجاه الكعبه تشريفاً وتكرماً لها من دون تحيه.

كما ان الروايه داله على أن عله سجود الملائكه لآدم هو اعترافهم واقرارهم لآدم بالفضيله.

أى ان مقتضى الاعتراف والاقرار بالفضيله التى فضل الله بها آدم عليهم ان يسجدوا لآدم صورته، أى يكون سجودهم لله باتجاه آدم قبله

ص: ٦٥٠

١- (١) قصص الانبياء: باب ١٩، فصل ٤، ح ٣٥٤.

٢- (٢) قصص الأنبياء: ح ٣.

وَوَجْهًا يَتَوَجَّهُونَ بِهِ إِلَيْهِ تَعَالَى.

وكذلك عُلِّلَ أنه رحمه من الله لآدم، فإذا كان الحال في آدم وفضيلته ورحمه الله له بهذه المثابه، فكيف الحال بسيد الاولياء، وسيد أولى العزم، وفضيلته التي لا تعد فضيله آدم الا قطره في بحورها.. بل انما فضل آدم كما دلت الآيات والروايات تبعاً وبسبب وجود أنوار محمد وال محمد في صلبه، وعلمه بفضلهم واسمائهم، واذا كان الحال هذا في رحمه الله لآدم فكيف الحال برحمه الله لسيد الانبياء، بل جعله الله عين رحمته للعالمين، ومن ثم قال (عليه السلام)، في ذيل الروايه: وَمُحَمَّدٌ (صلى الله عليه و آله) أُعْطِيَ أَفْضَلَ مِنْ هَذَا.. وان الله تعبد ملائكته بتعظيمه وتحيته في ملكوت جبروته. كما تعبد المؤمنون بالصلاه عليه..

(٧) ما رواه علي بن ابراهيم في تفسيره، عن العبيدي، عن يحيى ابن اكرم عن موسى بن محمد الرضا، عن ابي الحسن علي بن مُحَمَّدٍ (عليه السلام)، عن سجود يعقوب وولده ليوسف، لم يكن ليوسف، وانما كان ذلك منهم طاعه الله، وتحيه ليوسف، كما كان السجود من الملائكه لآدم، كان ذلك منهم طاعه الله، وتحيه لآدم، فسجد يعقوب وولده ويوسف، معهم شكراً لله لاجتماع شملهم، ألا ترى أنه يقول في شكره ذلك الوقت: (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ) (١).

ص: ٦٥١

١- (١) الوسائل: ابواب السجود، باب ٢٧، ح ٦.

وقد رواه أيضاً في الاختصاص عن العبيدي عن موسى بن محمد، ان يحيى بن اكرم سأل، فسأل اخاه، ورواه العياشي أيضاً عن محمد بن سعيد الأزدي، عن العبيدي عن موسى بن محمد الرضا أيضاً - ورواه في تحف العقول مُرسلاً - .

وتقريب الاستدلال بهذه الروايات المتعرضه لتفسير سجود الملائكة لآدم، وسجود يعقوب وابنائهم ليوسف، على حرمة السجود لغير الله سبحانه، أن هذه الروايات في صدد دفع توهم وقوع السجود في هذين المثالين لغير الله، بل ان السجود فيهما حقيقة لله سبحانه وإنما كان آدم ويوسف بمثابة القبلة التي يُتوجّه إليها في السجود، مع قصد التحية لهما.

(٨) ما رواه في تحف العقول في اجوبه مسائل الامام الهادي (عليه السلام)، عن مسائل يحيى بن اكرم، سأل عن قوله (ورفع ابويه على العرش، وخزوا له سجداً) (١). سجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء.

واما سجود يعقوب (عليه السلام) وولده، فكان طاعه لله ومحبه ليوسف (عليه السلام) كما ان سجود الملائكة لآدم (عليه السلام) لم يكن لآدم (عليه السلام)، وانما كان ذلك طاعه لله، ومحبه منهم لآدم (عليه السلام)، فسجود يعقوب (عليه السلام) وولده ويوسف معهم كان شكراً لله لاجتماع شملهم، ألم تره يقول في شكره ذلك الوقت:

(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ

ص: ٦٥٢

الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ (١).

فبين ان السجود، صورته في الهيئه الجسمانيه ووضع الجباه وحقيقته طاعه لله أولاً، ومجبه لآدم ثانياً.. كما ان سجود يعقوب وولده صوراً في هيئه الجسم، وحقيقته طاعه لله ومجبه ليوسف.

وبذلك اتضح ان السجود للانبياء أو الأوصياء صوراً منظوى على الداعى وهو محبتهم، بما هم انبياء، ونبوتهم من الله سبحانه، واوصياء بوصيه الله سبحانه أى يلحظ في ذلك الإضافه إليه تعالى..

وهذا السجود لا- يدور مدار الصورة فقط، بل يُلحظ فيه الداعى أيضاً، وهذه المجبه هي في حقيقتها طاعه لله أولاً، ومجبه لهم ثانياً، وهي لبُّ حقيقه هذا السجود لهم صوره، غايه الأمر ان هذا السجود هيئه وصوره لهم، ولباً وحقيقه لله سبحانه، فتاره يؤذن به ويُرخص، واخرى ينهى عنه ويُحرّم.. كما في السجود الى بيت المقدس قبل وبعد تحويل القبله..

(٩) وفي تفسير الإمام العسكرى (عليه السلام)، قوله (عليه السلام): ثم قال تعالى: مخاطباً الملائكه،

(فلذلك فأسجدوا لآدم لما كان مشتملاً على انوار هذه الخلائق الافضلين، ولم يكن سجودهم لآدم، انما كان آدم قبله لهم، يسجدون نحوه لله عَزَّ وَجَلَّ، وكان بذلك معظماً مبعجلاً لهم، ولا ينبغي لأحد ان يسجد لأحد من دون الله، يخضع له خضوعه لله ويعظمه بالسجود له، كتعظيمه لله) (٢).

ص: ٦٥٣

١- (١) تحف العقول: ٤٧٨.

٢- (٢) التفسير المنسوب للإمام العسكرى (عليه السلام): في ذيل ايه سجود الملائكه.

وهذه الروايه ايضاً تبين ان السجود لآدم فى صورته هيئه الجسم من الملائكه لباً وحقيقهً كان سجوداً لله عزَّ وجلَّ، وانما كان آدم وجهه يُتجه به الى الله، وذلك تعظيم وتبجيل له، بتبع السجود لله، وان هذا التعظيم والتبجيل لآدم والسجود الصورى له، لباً هو تعظيم وتبجيل لنور محمد وانوار آل محمد، وبذلك يتبين أن هذا السجود صوراً لآدم ولباً وحقيقهً سجود لله تعالى، وثانياً هو تعظيم وتبجيل انوار محمد وآل محمد فى صلبه، فهم القبلة الأصلية، وآدم قبله بالتبع، وهم الوجه الاصلى الذى يُتوجه به الى الله، وآدم كذلك والانبياء، انما هم وجهه يُتجه به الى الله بالتبع، نظير ما يُقرَّر فى الشرع من أن الحرم المكى قبله للبعيد، ومكه قبله لمن هو فى الحرم المكى، والمسجد الحرام قبله لمن هو فى مكه، والكعبه قبله لمن هو فى المسجد الحرام.. وفى الحقيقه ان كون الحرم المكى قبله بتبع مكه، وكون مكه قبله بتبع المسجد الحرام، وكون المسجد الحرام قبله بتبع الكعبه، فالكعبه هى القبلة الاصلية هذا بالنسبه الى القبلة الجسمانيه غير الناطقه. وقد قال تعالى: (وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلٰى عَقْبَيْهِ) ١.

حيث دلت الآيه أن استقبال القبلة غايتها الخضوع والاتباع والانقياد والطاعة لرسول الله (صلى الله عليه و آله)، فهو غايه القبلة. والقبلة انما صارت قبله بتبع رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فطاعته والانقياد له هى القبلة الاصلية التى يُتوجه ويُنقرب بها الى الله سبحانه.. وبهذه الدلالات المتعدده القرانيه والروائيه، يتبين ان

القبله الاصليه التي يتوجه بها الى الله، هم محمد وآل محمد صلوات الله عليهم اجمعين..

وان قبله الملائكه الاصليه ايضاً، لم تكن هي آدم، الا- بالتبع بل سجدوهم كان تعظيماً وتبجيلاً، بالاصاله تبجيلاً لمحمد وآل مُحَمَّد (صلى الله عليه و آله)، بعد كونه اولاً وبالذات سجوداً عباده وخضوعاً لله. ويتبين ايضاً أن أمر الله الملائكه بالسجود لباً هو لمحمد وال مُحَمَّد (صلى الله عليه و آله) وصورة لآدم.

(١٠) وروى فى الاحتجاج، فى جواب مسائل الزنديق عن ابى عبدالله (عليه السلام) انه سأله: أ يصلح ان يكون السجود لغير الله؟ قال: لا. قال: فكيف امر الله الملائكه بالسجود؟ فقال: ان من سجد بامر الله، فقد سجد لله، فكان سجوده لله، اذ كان عن امر الله. ثم قَالَ (عليه السلام): فأما ابليس فَعَبْدٌ خَلَقَهُ ليعبده ويؤخّده، وقد عَلِمَ حين خلقه، ما هو وإلى ما يصير، فلم يزل يعبده مع ملائكته حتى امتحنه لسجود آدم، فامتنع من ذلك حسداً، وشقاوه غلبت عليه، فلعنه عند ذلك، واخرجه عن صفوف الملائكه، وانزله الى الارض مدحوراً فصار عدو آدم وولده بذلك السبب، وماله من السلطنه على ولده الا بالوسوسه والدعاء الى غير السبيل، وقد اقرّ مع معصيته لربه بربوبيته(١).

وهذه الروايه تبين ان السجود لغير الله صورة، لا يكون سجوداً لغير الله لباً اذا لوحظ فى المسجود له اضافته الى الله سبحانه، وان الله هو منتهى

ص: ٦٥٥

١- (١) الاحتجاج: ١٨٤، ١٨٥ باب احتجاج الامام الصادق (عليه السلام) - وفى بحار الأنوار ج ١٣٩: ١١.

الغايات، وكيف يكون غيره تعالى يغايره وقد لوحظ حرفاً موصولاً- اليه تعالى، فلا يكون للغير كينونه مستقلة عنه تعالى، بل كينونته قائمه به تعالى فلا- تقوم له قائمه تغاير الاضافه الى الله تعالى، فاين الغير المستقل المباين فى حوله وقوته وكينونته عن حول الله وقوته وفعله، وهذا ما مرّ وسيأتى من ان السجود للانبياء او الاوصياء، مع ملاحظه الاضافه اليه تعالى، ليس سجوداً لغير الله موضوعاً.

(١١) ما رواه الراوندى فى قصص الأنبياء:

صحيحه ابى بصير عن ابى عبد الله (عليه السلام): قال: قلت لابي عبد الله، سَـجَدْتُ الْمَلَائِكَةَ لِآدَمَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَوَضَعُوا جَبَاهِهِمْ عَلَى الْأَرْضِ؟ قال: نعم تكرمه من الله تعالى (١).

وهذه الصحيحه صريحه فى ان سجود الملائكه لآدم كان بهيئه السجود المعهوده، ولا يتنافى مع ما تقدم من الروايات الداله على أن السجود لله سبحانه، وأن آدم كان قبله لهم، أو أنه كان تحيه، واکراماً لآدم.

(١٢) وما رواه ايضاً فى صحيح هشام بن سالم عن الصادق (عليه السلام)، قال:

«أمر ابليس بالسجود لآدم، فقال: يا رب، وعزتك ان أعفيتنى من السجود لآدم، لأعبدنك عباده، ما عبدك أحد قط مثلها. قال الله جل جلاله: انى

ص: ٦٥٦

احب ان اطاع من حيث أريد(١).

وفى تفسير القمى:.... فقال إبليس يا رب اعفنى من السجود لآدم، وانا اعبدك عباده لم يعبدكها ملك مقرب، ولا نبى مرسل.
فقال: لا حاجه لى الى عبادتك، وانما أريد أعبد من حيث أريد لا من حيث تريد«(٢).

ومفاد هذه الصحيحه ما يلى:

(١) ان السجود المأمور به كان مخصصاً لآدم فى حين انه اولاً وبالذات طاعه الله تعالى..

(٢) وأن السجود لآدم عباده الله سبحانه لا لآدم، بل هو تحيه واکرام وتعظيم بتبع عباده الله سبحانه.

(٣) كما ان السجود لآدم طاعه الله أولاً. وتبعاً هو طاعه لآدم بتبع طاعه الله سبحانه.

(٤) إن عباده الله وطاعته انما تتحقق من حيث يريد الله سبحانه، فكما اراد ان يُعبد ويُسجد له تجاه الكعبه، فكذلك اراد ان يعبد ويسجد له باتجاه آدم، فالانقياد والطوعانيه والخضوع هى لإرادته تعالى، بما هو ولى الطاعه على آدم.. فالانقياد لآدم ولخليفه الله بهذا اللحاظ وبهذه الحثيه، تؤكد وتثبت أن العباده والسجود هو لله.. لا انها لآدم، فكذلك الحال فى

ص: ٦٥٧

١- (١) قصص الأنبياء: الراوندى.

٢- (٢) تفسير القمى: ج ١، سوره البقره: ٣٤ - ٣٥.

السجود لأي نبي أو وصى بهذه الحثيه، وهذا اللحاظ وإن لم يكن مأموراً به، ولا ماذوناً، أو منهيّاً عنه، فانه وإن كان معصيةً مع فرض النهى إلا- أن عنوان السجود يظل مضافاً اليه تعالى، لا- إلى النبي أو الوصى، وإن كان منهيّاً عنه، نظير اتمام الصلاه فى السفر، فانه منهى عنه، لكن النهى لا يجعل عنوان الصلاه يتبدل باضافته الى غير الله سبحانه.. وسيأتى مزيد من التوضيح لذلك فى البحوث الآتية..

ويشهد لهذا المفاد والتفسير لحقيقه سجود الملائكه لآدم ما يلاحظ فى مفاد بقية السور المتعرضه الى هذا السجود ايضاً، كقوله تعالى: (قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً، قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُحْزِنْتِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْزِنَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً) ١.

ومفادها: اعتراف ابليس أن السجود لآدم هو تكريم وليس عباده، بل هو عباده لله.

وكقوله تعالى: (قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا- تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ، قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ، وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ، قَالَ: فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا، فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) (١).

وفى هذه الآيات ايضاً، اعتراف من ابليس أن السجود لآدم، والتواضع

ص: ٦٥٨

له تكريمٌ وقرارٌ بالفضيله لآدم، فى حين ان السجود عباده لله سبحانه، كما يستفاد من قوله تعالى فى هذه الايات: ان الإباء عن السجود لآدم، هو إباء عن عباده الله فى الاصل، وعن طاعته، وكذا قوله تعالى: (قال: يا إيليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين) (١).

ومفاد هذه الايه، أن هناك سنه إلهيه، ونظام فيها، بخضوع كل دانٍ لذى فضيله عاليه عند الله سبحانه.

وقد روى الصدوق فى فضائل الشيعة بسند عن ابى سعيد الخدرى، قال: (كنا جلوساً مع رسول الله (صلى الله عليه و آله)، إذ اقبل اليه رجل، فقال: يا رسول الله، اخبرنى عن قوله عز وجل لابليس (أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ)، فمن هو يا رسول الله الذى هو أعلى من الملائكه.. فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): (أنا وعلى وفاطمه والحسن والحسين، كنا فى سرادق العرش نُسبح الله ونُسبح الملائكه بتسبيحنا، قبل ان يُخلَق آدم بالفى عام، فلما خلق الله عز وجل آدم، أمر الملائكه ان يسجدوا له، ولم يأمرنا بالسجود، فسجد الملائكه كلهم إلا إبليس، فانه أبى ولم يسجد، وقال الله تبارك وتعالى: (أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ).. عنى من هؤلاء الخمسه المكتوبه اسماؤهم فى سرادق العرش، فنحن باب الله الذى يؤتى منه، بنا يهتدى المهتدى، فمن أحبنا أحبته الله، وأسكنه جنته، ومن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه النار، ولا يحبنا إلا من طاب

ص: ٦٥٩

١- (١) سورة ص: الآيه ٧٥.

وهذا الحديث صريح في أن السجود لآدم هو عباده أولاً وبالذات لله، ولتحقق تلك العبادة لله، جعل آدم قبله وجهه، وهو الحيثية التي يريد الله أن يعبد من جهتها، وان المخلوق ليس له أن يتخير الجبهه والقبله والحيثية التي يعبد الله منها.. وان السجود لآدم حقيقته عباده لله، ولا- يتنافى إضافة السجود لآدم مع كونه عباده لله حقيقه، كما لا- يتنافى أخذ حيثه مضافه الى مخلوق في العباده.. مع كون العباده، هي عباده لله.. فصرّف اضافه العباده ومطلق العباده لحيثه لمخلوق لا- يتناقض ولا يتدافع مع جوهر العباده انها خالصه لله سبحانه، وذلك لان تلك الحيثية للمخلوق في المقربين والعباد المكرمين، حيثه مؤديه اليه تعالى.. كيف لا، وهي حيثه القرب والزلفى والدنو، دنو المخلصين كما تدل الروايه على أن الحيثية المضافه الى مخلوقٍ مكرم معظم، لا سيما اذا ازداد قرب ودنوه وكرامته الى الله اكثر، هو الباب الذي يُعبد الله منه، وليس للمخلوقين ترك ذلك الباب الذي جعله الله وسيله اليه، وينكبوا عنه الى وجهه اخرى.. وإن اراده الله قد تعلقت بأن يُعبد من حيث هناك تعظيم وتكريم لعباده المكرمين والمقربين.. وذلك لأن في تكريمهم، تعظيم لفعل الله، وفي تكريمهم تكريم لكرامه الله ولمن كرم الله.. واستنان بسنة الله، فنكرم من كرم ونُعظم من عظم، ونقترب الى من قرب، وندنو لمن ادناهم اليه، فإن في الدنو اليهم دنو اليه..

ص: ٦٦٠

وهذه قاعده معرفيه عقائديه فقهيه فى غايه الخطوره. وهى المعقود لأجلها الرساله.. فأمر الله للمقدسين من عباده وهم الملائكه بتعظيم واکرام آدم، بل تعظيم واکرام محمد وال محمد كما مر فى البيانات السابقه.. ليست حادثه فى واقعه، فى فاتحه بدء الخلقه بل سنه إلهيه دائمه دائبه فلن تجد لسنه الله تديلاً ولن تجد لسنه الله تحويلاً.

قاعده فى حقيقه السجود:

(١) هى سُنَّه الهيه جاريه كما قد استفاضت بها روايات الفريقين بان الملائكه لا زالت تعظم الانبياء من البشر وتقدمهم وتفضلهم وتابعه لهم رهن طاعتهم، فهى سنَّه الهيه ثابتة قد أجراها الله فى مطلع الخلقه.

(٢) ان هذه السنه لبيان القاعده والأساس فى باب عبادته وطاعته، وأن العباده من جهه وحيثه مضافه الى الوسيله التى جعلها بينه وبين خلقه، المُشار اليها فى قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ١. وأن الوسيله هى السبيل الى عبادته والى طاعته، والسبيل الى القرب منه. وان الصّد عن تلك الوسيله فى مرسوم العباده، لا تكون عباده لله.

(٣) إنّ تعظيم الله عَزَّ وَجَلَّ وإكرامه وإزلافه للمصطفين من عباده، لغايه جعلهم وسيله بينه وبين خلقه وابواب يعبد من جهته.. ويطاع من

ص: ٦٦١

جهتهم، وهذا ما تم التركيز والتأكيد عليه صناعياً في كل فصول هذه الرسالة الموجزه.. وفي كل دلالات الأدله المتكاثره، تم التدقيق على هذه النقطه المركزيه في كلمات جلّ الاعلام، التي تم نقلها سابقاً حول هذا البحث.

(٤) ان السجود والخضوع في مرقد أهل البيت (عليهم السلام)، وتمريغ الخدين والوجه يُضاف أولاً لله تعالى في هويه وماهيه هذا الفعل وهذا العنوان، لأن هذا التعظيم والاحترام والتكريم لهم سلام الله عليهم، بما هم مقربون ومكرمون عند الله.. وقد عظم الله شأنهم على العباد، وان تعظيمهم حقيقته تعظيم لفعل الله ولتكريم الله، فالاضافه في هذا الفعل الاولي اليه تعالى، لاضافتهم لله، فهذا الفعل المضاف اليهم، لما ينطوى فيهم من اضافه الى الله تعالى، فكيف يكون هذا الفعل منقطعاً عن الله، ومن دون الله، وسجودٌ لغير الله.

(٥) وفي التفسير المنسوب الى الامام العسكري (عليه السلام)، في ذيل آيه سجود الملائكه، من سوره البقره، في حديث قال:... قال الحسين (عليه السلام): ان الله تعالى لما خلق آدم وسوّاه، وعلمه أسماء كل شىء، وعرضهم على الملائكه، جعل محمداً وعلياً وفاطمه والحسن والحسين أشباحاً خمسه، في ظهر آدم، وكانت انوارهم تضيء في الآفاق من السماوات والحجب والجنان، والكرسى والعرش فأمر الله الملائكه بالسجده لآدم تعظيماً له، أنه قد فضّله بأن جعله وعاءً لتلك الاشباح التي قد عمّ أنوارها في الآفاق فسجدوا إلا ابليس أبى

أن يتواضع لجلال عَظمه الله، وأن يتواضع لأنوارنا أهل البيت، وقد تواضعت لها الملائكة كلها فاستكبر وترفع، وكان يابائه ذلك وتكبره، من الكافرين.

ومفاد هذه الرواية:

(١) نظير ما تقدم على أن سجده الملائكة لآدم في الأصل هو سجود لأشباح الأنوار الخمسة، لاسيما وأن اشباح النور أبدان نورانية، وأرواح تراها الملائكة، حيث قد شَعَّ نورها في الآفاق، كما في الرواية.. ففي هذه الرواية تصريحٌ لتوجه والتفات الملائكة الى تعظيم اشباح الانوار الخمسة..

(٢) ان ضياء أشباح الأنوار الخمسة، هو تجلّي لجلال عَظمه الله لأن عَظمه الفعل من عَظمه الفاعل فالسجود لأنوارهم، هو سجود لجلال عَظمه الله أولاً وتعظيم لهم ثانياً. وهو الذى أشار اليه، بقوله (عليه السلام): فسجدوا إلا- ابليس أبى أن يتواضع لجلال عَظمه الله، وأن يتواضع لأنوارنا أهل البيت.. وهذا يؤكد ما مرّ في جملة الروايات السابقه من أن التواضع لأهل البيت (عليهم السلام)، بما هم عباد الله المكرمين المقربين المصطفين، هو تواضع مضاف الى الله أولاً بما فيهم (عليهم السلام) من إضافة القرب والاصطفاء، وتجلّي كرامه الله فيهم.

(٣) وهذا المقطع من كلامه (عليه السلام)، هو تصريح بأن الأمر بالسجود لآدم هو فى حقيقته سجود وتواضع لانوار اهل البيت (عليهم السلام)، فالامر بالسجود

ص: ٦٦٣

لآدم صوري، ولبابه أمر بالسجود لأنوار أشباح اهل البيت (عليهم السلام).. كما ان السجود لأشباح أنوار أهل البيت (عليهم السلام)، لبابه سجد وتواضع لجلال عظمه الله المّتجلى في أنوار اهل البيت (عليهم السلام).

(٤) وهذا يعزز القاعده المتقدمه من أن السنه الالهيه جاريه على تعظيم محمد وآل محمد، وجعلهم وسيلته، والباب لعبادته، وأن الأمر الإلهي بسجود الملائكه إقامه لهذه السنه، وان العباده له تعالى لابد ان تكون بالوسيله والباب اليه تعالى، فبتعظيمهم والتواضع لهم، يتحقق التواضع لجلال عظمه الله، والتعظيم لجلاله، وان الترفع والاستكبار، عن التواضع لهم كفرٌ بالله العظيم، وهذا مما يؤصل هذه السنه الالهيه التي لن تجد لها تديلاً ولن تجد لها تحويلاً، ويعظم شأنها..

(٥) وفي ذيل الحديث السابق عن التفسير المنسوب للامام الحسن العسكري (عليه السلام)، قال: قال علي بن الحسين (عليهما السلام)، حدثني ابي عن أبيه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: (يا عباد الله: إن آدم لما رأى النور ساطعاً من صُلبه اذ كان الله قد نقل اشباحنا من ذروه العرش، الى ظهره، رأى النور ولم يتبين الاشباح، فقال: يا رب ما هذه الانوار؟ قال الله عز وجل: انوار اشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشى، الى ظهرك، ولذلك أمرت الملائكه بالسجود لك اذ كنت وعاءً لتلك الاشباح. فقال آدم: يا رب لو بينتها لى، فقال الله تعالى: انظر يا آدم الى ذروه العرش، فنظر آدم - ووقع نور اشباحنا من ظهر ادم على ذروه العرش - فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا كما ينطبع

وجه الانسان فى المرآه الصافيه، فرأى اشباحنا.. فقال: ما هذه الاشباح يا رب؟ فقال الله: يا آدم هذه الاشباح أفضل خلائقى وبرياتى. هذا محمداً، وانا الحميد المحمود فى افعالى، شَقَّقْتُ له اسماً من اسمى، وهذا على، وانا العلى العظيم، شَقَّقْتُ له اسماً من اسمى، وهذه فاطمه، وانا فاطر السموات والارض، فاطمُ اعدائى عن رحمتى يوم فصل قضائى، وفاطم اوليائى عما يعترىهم ويشينهم.. فشَقَّقْتُ لها اسماً من اسمى، وهذا الحسن وهذا الحسين، وانا المحسن المجمل، شَقَّقْتُ لهما اسماً من اسمى، هؤلاء خيار خليقتى، وكرام بريتى، بهم آخذ وبهم أُعطى وبهم أُعاقب، وبهم أُثيب.. فتوسل الى بهم يا ادم، واذا دهتك داهيه فاجعلهم الى شفعاؤك، فانى آليت على نفسى قَسَماً حقاً، لا اخيبُ بهم آملاً، ولا ارد بهم سائلاً، فلذلك حين نزلت منه الخطيئه، دعا الله عَزَّ وَجَلَّ بهم، فتاب عليه وغفر له (١).

ومفاد هذا الحديث:

(١) أنه يعزز ويؤكد النقاط السابقه، التى قَرَرنا استظهارها، من مفاد الحديث السابق، من أن الملائكه حين سجدت لآدم، كانت ترى نور أشباح الخمسه، فى ظهر آدم، بل ترى الاشباح النورانيه، فكانت فى سجودها لآدم، كانت ساجده لأشباح الأنوار الخمسه، وهذه الاشباح أبدان نوريه، فكان السجود باتجاه تلك الابدان النورانيه الخمسه.

(٢) ان الله عَزَّ وَجَلَّ قد جعل الخمسه أصحاب الكساء، وسيله وباباً،

ص: ٦٦٥

١- (١) التفسير المنسوب للامام العسكرى: ذيل تفسير الايه من سوره البقره.

لثوابه وعطائه، وللشفاعه، ولأن يُدعى بهم، ويسأل عطاؤه بهم، وان يتوجه اليه تعالى بهم، ويؤمله الآملون بهم..

فهم باب ووسيله وقبله لدعائه وعبادته والتوجه إليه.. كما مرّ استفاده ذلك من الحديثين السابقين انها السنّه الالهيه..

(٣) أن الأمر بسجود الملائكه لآدم هو لإقامه وتشبيد هذه السنه.

(٤) أن الخمسه، تجلّى للاسماء الالهيه ومن ثمّ كان التواضع لهم، تواضع لجلال عظمه الله.

قاعده: التوسل بالخضوع والتذلل والطاعه للنبي و آله..

ركنٌ في ماهيه العباده التوحيديه لله

وتوحيد العباده، وشعيره جماعيه:

كَمَا ان في قوله تعالى: (وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صِيلٍ صَالٍ مِنْ حَمِيمٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) ١.

وفي هذه الآيات عده مواضع ذات صلّه وطيده بالبحث في المقام:

ص: ٦٦٦

(١) ان المأمور به، أو الطبعه التي تعلّق بها الامر، هي الوقوع من الملائكة لآدم بغايه السجود، فاضيف الوقوع خضوعاً بغائيه السجود، اضيف الى آدم، ولا يخفى ان الوقوع يراد منه التواضع والتذلل والتخضع والتصاغر من الملائكة لآدم.

(٢) ومن ذلك يظهر أن التواضع والتذلل من المخلوقين للمخلوق المكرّم عند الله سنه الهيئه، بل المطلوب، منتهى خضوع مخلوق لمخلوق آخر بما هو مكرّم عند الله.

(٣) ولا- يخفى لطافه المعنى اللغوى، بين الأمر بالسجود، وبين الامر بالوقوع بهيئه الساجد، فان الامر الثانى تأكيد على معنى الخضوع والتواضع والتذلل المنطوى، فى عنوان السجود ومعنى السُّبُتِ الإلهيه فى التوسل، والمتحقق مقدمه بدرجات تزداد شده عند بدء الهوى الى أن تصل الى درجه وضع الجبهه.

وقد اضيف هذا العنوان - وهو الوقوع تواضعاً - الى آدم كما أُضيف السجود له ايضاً، فى جمله من السور.

(٤) وهناك موضع اخر فى سوره: ص. حيث قوله تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَاذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ

الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبِرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) ١.

وقد اضيف الوقوع هنا لآدم بغايه السجود..

٥) ثم ان اللطيفه الاخرى فى هاتين السورتين، حيث تمتاز عن بقية السور القرانيه المتعرضه لهذه الحادثه، ان فى هاتين السورتين قد بُيِّنَ فيهما التغليظ للأمر، انه: اولاً: فورى لمكان الفاء فى الجزاء، ولجعل الشرط، مجرد نفخ الروح المشرفه باضافتها اليه تعالى (روحي).

ففى هذا الترتيب فى السورتين غايه التأكيد على الفوريه، وعدم التراخى فى هذا الأمر، بياناً لشده الخطب فيه ولخطورته..

هذا مضافاً الى ما فى ماده الوقوع والأمر بها، من افاده التفانى فى السجود والتعظيم وصرامه الامر.

٦) ثم ان فى اضافته الروح اليه تعالى فى مقام أمر الملائكه بالسجود دلالة على أن الوقوع مع اضافته لآدم وأن السجود، مع اضافته لآدم ايضاً، إلا- أن الملحوظ اصالةً فى هذا الخضوع والتذلل والتواضع والتصاغر هو اضافته آدم وروحه اليه تعالى.. أى بما هو مخلوق مقرب قد اصطفاه الله واجتباه وكرمه عنده.. ففى الخضوع والتواضع والتذلل لآدم، بابٌ ووجهة للخضوع والتذلل والتواضع لله سبحانه وتعالى أصالةً..

ص: ٦٦٨

٧) وهذا المعنى كما مرّ وسيأتي، قد تكرر افادته في الآيات والروايات كمعنى مركزى، لبيان انه قاعده وسنه إلهيه فى باب عباده الله، «ان عبادته تعالى متقومه بالتوسل فيها بالخضوع، والتواضع للمقربين عند الله سُبْحَانَهُ» فان التوسل بذلك باب من أبواب عبادته سبحانه.

- وقد ذكرنا فى مباحث التوسل (١) أنه ركن فى الايمان، وركن فى عباده الرحمن، أن الصلاه المفروضه مثلاً كما يأتى بها المصلى طاعه لأمر الله تعالى، وقربه، كذلك يأتى بها المصلى - باجماع المسلمين - طاعه لأمر رسول الله (صلى الله عليه و آله).. وذلك لقيام الضروره عند المسلمين أن الركعه الثالثه والرابعه فى صلوات الظهر والعصر والعشاء والركعه الثالثه من المغرب، هى سنه من الرسول (صلى الله عليه و آله)، لا- فريضه من الله، ولو قصد المصلى أن الركعتين الاخيرتين هما فريضه من الله سبحانه أصالة، لكان قصده بدعه وتشريعاً بغير ما أنزل الله سبحانه، فما زاد من الركعات على الركعتين فى الصلوات الفريضه، يأتى بها المصلى المسلم والمؤمن امتثالاً لأمر رسول الله (صلى الله عليه و آله) وطاعه له.

نعم، الطاعه والامتثال لأمر رسول الله (صلى الله عليه و آله)، لبه وحقيقته، طاعه وامتثال لأمر الله سبحانه، حيث أمر بطاعه الرسول.. - وكذلك أن القصد الإجمالى الذى يقصده عموم المكلفين من كونه طاعه لأمر الله سُبْحَانَهُ إجمالاً يكون كافياً وصحيحاً.. وَإِنَّمَا التَّفْصِيلُ يُدْرِكُهُ أَهْلُ

ص: ٦٦٩

لكن ذلك لا- يُلغى كون طاعه أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله)، وامتناله والتقرب الى الله بطاعه رسوله باباً لعباده الله وطاعته وامتنال امره تعالى.. والتقرب اليه..

ففى الصلاة، التى هى عباده لله، متقومه ركنياً بالتوسل بطاعه رسول الله والخضوع والانقياد اليه (صلى الله عليه و آله)، حيث يحصل من ذلك عباده الله، وهذا فى صلاه الفريضة التى هى اعظم مواطن التوحيد فى العباده.

٨) كذلك فى الحج والصيام وبقية العبادات، فانها مشتمله على سُنن لرسول الله (صلى الله عليه و آله)، ركنيه فى ماهيه تلك العبادات، يأتى بها الحاج والصائم والمعتكف والمجاهد والمزكى، والداعى وغيرهم من العابدين، يأتون بتلك السنن فى انواع تلك العبادات طاعه وامتنالاً- وانقياداً وخضوعاً لرسول الله (صلى الله عليه و آله)، ليحققوا لبأ الطاعه لله، والخضوع والانقياد له تعالى..

٩) وهذا برهان نابع من ضروره الدين، على أن العبادات الدينيه، التى هى أحد مقامات توحيدته تعالى فى العباده.. متقومه فى أساس أركانه كعباده لله تعالى بالتوسل بطاعه النبي والخضوع والانقياد له (صلى الله عليه و آله) ليتحقق بذلك وفود العابد الى ساحه العباده لله تعالى، وهذا يتطابق مع السنّه الإلهيه المذكوره فى السور القرانيه، المتعرضه لأمر الله تعالى بسجود الملائكه لآدم، والوقوع خضوعاً له، حيث انها تؤصل هذه القاعده والسنّه الإلهيه من «أنَّ عبادةَ الله سبحانه، وتوحيده، والإخلاص له فى العبوديه، لا يتم ولا يتحقق إلا

بالتوسل بالخضوع والتواضع والتذلل والانقياد للمقرئين». فالتوسل بذلك هو الباب الأعظم للعباده التوحيديه، والاخلاص له..

(١٠) ثم ان هذا فى الصلاه والحج والصوم وبقية العبادات، كما يجرى فى سنن الرسول فيها، فكذلك الحال يجرى فى سنن المعصومين من آل الرسول (عليهم السلام).. المأمور بها فى الصلاه والحج والصوم وبقية العبادات، فان جمله وافره من تشريعات شرائط الصلاه واجزائها وكذلك الحج والصوم والزكاه والجهاد فى سبيل الله وغيرها من العبادات.. ليست من فرائض الله تعالى.. ولا من سنن النبى (صلى الله عليه و آله)، بل هى من سنن المعصومين (عليهم السلام).. كما استفاضت وتواترت بذلك الروايات عنهم (عليهم السلام)، فى تلك الابواب العباديه، كما اشرنا الى ذلك فى مباحث التوسل.. وعلى ضوء ذلك.. فالمصلى والحاج والصائم والمزكى والمجاهد وغيرهم من العابدين، لا- يصح له ولا- يسوغ منه ان يقصد فى تلك الاجزاء والشرائط امثال امر الفريضة، ولا امثال امر سنه النبى (صلى الله عليه و آله)، بل هو امثال لأمر الاوصياء والحجج من آل الرسول (صلى الله عليه و آله).. ومن قصد الفريضة او السنه النبويه فقد ابدع فى الدين.. وشرع ما لم ينزل الله به من سلطان..

نعم، قد تقدم أن قصد الأمر الإجمالى الإلهى من عامه الناس كافٍ ومُجزئ، وإنما التفصيل يُدرکه الخواص من أهل العلم..

(١١) وان كان لب ولباب طاعه الاوصياء من آل الرسول (صلى الله عليه و آله)، هو طاعه الله وطاعه رسوله، فظهر من هذا البرهان القائم بضروره المذهب،

بل ومن ضروره القرآن، (ان التوسل بطاعه قربي الرسول الطاهرين، والخضوع لهم وامتنال اوامرهم والانقياد لهم، ركنٌ في عباده الله التوحيديه.. وتوحيده تعالى في العباده).. وذلك بعد طاعه الرسول، والانقياد والخضوع له (صلى الله عليه و آله). وهذا يتطابق مع القاعده القرآنيه والسنة الالهيه المذكوره في السور العديده من أمر الله الملائكه بالسجود والوقوع لآدم خاضعين..

الموضع الثاني: من دلالة الآيات الواردة في القاعده(1):

في قوله تعالى: (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ) فالمسائله هنا، تختلف، عما ذُكر في سور أُخرى كقوله تعالى: (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ) ٢ وايضاً: (مَا مَنَعَكَ أَنْ) ٣. ويستظهر منها:

(١) ان المسائله ههنا ليس عن عدم السجود فقط، بل عن عدم كينونته مع الساجدين، فهذا مطلوب زائد على اصل السجود، أى ان اللازم والمطلوب والمأمور به، زياده على أصل الخضوع والتذلل، إقامة ذلك التواضع منضماً ومرتبلاً بانقياد وولاء الملائكه لآدم، كهيئه وشعيره جماعيه..

(٢) ومن ثم قال تعالى في العديد من السور: (إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ). فالمؤاخذه لم تقتصر على امتناعه من أصل السجود..

ص: ٦٧٢

١- (١) الموضع الأول: ص ٩١.

بل وكذلك سُجِّلت المؤاخذه عليه على عدم انضمامه وولوجه مع الموالين لآدم، المتواضعين والخاضعين لخليفه الله..

(٣) وهذا مما يؤصّل بُعداً آخرأً فى هذه القاعده التى نحن بصدددها.. وهو أن السُّننه الإلهيه والقاعده فى باب العباده التوحيديه، وتوحيد العباده، هو إقامه التوسل للتواضع والتذلل للمقرين الى الله بنحو شعيره وشعار جماعى، كركن فى عباده الله التوحيديه..

(٤) وعلى ضوء ذلك فالمطلوب والمأمور به إبراز هذه الشعيره، واظهارها فى العلن بنحو طُقوس جماعيه شعيريه وشعاريه..

(٥) ومما يؤكّد هذا المفاد، أن الأمر فى قوله تعالى: (فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) فى كل من سوره الحجر، وسوره ص - قد قُيد بهيئته الجمع مما يبين ان المأمور به مطلوب فيه ذلك، لا- مجرد، ان يتواضع ويتذلل ويخضع على انفراد، او فى الخفاء، دون الملاء والاجتماع.. بل المطلوب هو فى حال الاجتماع.. وحال ترائى الجميع لبعضهم البعض..

(فهى شعيره جماعيه، وطُقوس مجموعيه، اعلانيه شعاريه..).

(٦) وهذا المفاد القرآنى يتطابق مع ما سيأتى مستفيضاً فى روايات الزيارات من استحباب تقبيل الزائرين تُراب القبر، وتعفير الوجوه فيه والتمريغ للحدود به.. كشعيره فى العلن والاعلان وشعار عند الاجتماع فى زياره القبر الشريف للامام المعصوم (عليه السلام).

ص: ٦٧٣

٧) ومما يُؤكِّد مطلوبيه هذا التواضع والخضوع للمقربين الى الله تعالى، في حال الاجتماع، والاعلان تأكيد السور القرآنيه وتكرارها لكون صدور السجود من الملائكه (كلهم اجمعون)، دلالات من التعميم عديده جداً، والظاهر عدم الاقتصار على العموم الاستغراقى، بل اراده العموم المجموعى (١)..

٨) ان هذا الخضوع أمر به الملائكه، وامثلوه بصوره جماعيه معلنه، وكطقس شعيرى، ومن ثم ورد فى الروايات المستفيضه تأصل هذه السنه لدى الملائكه بنحو ونمط سنه شعاريه بأن معاشر الملائكه لا يتقدمون على صفوه الله من ولد آدم المصطفين، تواضعاً وخضوعاً وتذلاً لهم..

فبات هذه (السنه الالهيه طقوس منتشره ومتفسيه كشعيره). وهذا بعد آخر مهم فى هذه القاعده التى هى محل البحث، خلافاً لما يتوهم أن الإنقياد والخضوع والتذلل للنبي وآله لا يبد أن يكون مقتصرأ على الفعل القلبى والنفسانى من دون بروزه على صعيد البدن، كآداب وطقوس وشئنين.. أو من دون ممارسه ذلك فى العلن كهئنه وشعيره جماعيه، بدعوى أنه لا ينسجم مع التوحيد فى العباده.. بينما هذه الآيات فى جمله السور،

ص: ٦٧٤

١- (١) الفرق بين العموم المجموعى والاستغراقى: العموم الاستغراقى: ما كان الحكم فيه شاملاً لكل فردٍ فرد بحيث يوزع الحكم إلى أحكام متعدده بعدد أفراد العام.. مثل احترام كل عالم.. والعموم المجموعى: هو ما كان الحكم فيه موجهاً إلى المجموع بصفته مجموعاً، ولا يتحقق الامتثال من المكلف إلا بالجميع، مثل: إقامة صلاه الجمعه، والجهاد ...

تؤكد على أن هذا (البعد الثاني) في هذه القاعده من (تقوم العباده التوحيديه، والتوحيد في العباده، بالتوسل، وبالتواضع والتذلل والخضوع للمقربين، ولا بد ان يمارس هذا التوسل بصيغه شعيريه اعلاميه جماعيه واجتماعيه)..

الموضع الثالث: من دلالة الآيات المتقدمه:

قوله تعالى في سوره ص: (إِلَّا-إِئْتِيسَ اسْتَكْبَرُ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥)).

وقد تكرر في العديد من السور، تكرر نعت رفض وإباء ابليس للسجود لآدم، بانه استكبار، وفي سوره الاعراف، قال تعالى: (قال ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ) ... (قال فَاهْبُطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَّكِبَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) ١.

فتدل الآيه ان الامتناع عن السجود لآدم استكبار وتكبر ويوجب الصغار، وأن السجود لآدم تواضع ونفى للكبر ويوجب العلو، ولا يخفى أن التواضع في المخلوق علامه العبوديه لله والتوحيد، والتكبر علامه فرعونه المخلوق وكفره.

وهذا يؤكد أن الخضوع للمكرمين المقربين هو باب للعبوديه لله سبحانه، وللتواضع، ولكبح فرعونه النفس، وتحقيق للعبوديه لله، وان الصد عن هذا

ص: ٦٧٥

الباب تمرد وتكبر واستكبار، كما انه قد تم التعرض مكرراً في كثير من السور المتعرضه لهذه القصة نعتُ ابليس بالكفر - بينما وصفت الملائكه بالطاعه والتوحيد والايان، وهذا يؤكد ان الخضوع للمكرمين المقربين.. بما هم كذلك عند الله سبحانه، توحيد عبادى والامتناع والتمرد عن هذا التواضع كفر وصغار، وهذا المفاد يؤكد ما تقدم من القاعده المستخلصه من أن أصل التوسل بمحمد وآله (صلى الله عليه و آله) فى العباده مقوم لتوحيد العباده، وعباده التوحيد..

وان الصدّ عن التوسل بهم مسخ للعباده الى الكفر، وانه استكبارٌ وليس عباده..

ص: ٦٧٦

الجهه الرابعه : حقيقه الزياره والمزور

اشاره

ص: ٤٧٨

هناك تأكيد في عموم زيارات المعصومين على أن الغايه القصوى من الزياره، هي الوفود على الله، بتوسط الوفود على المعصوم، والمقصود الاول بالزياره هو الله تعالى، بتوسط قصد المعصوم، والمأتى الحقيقى هو الله بتوسط إتيانه مرقد المعصوم، وان الزائر فى الزياره هو من وفد الرحمن، بتوسط كونه وافداً على المعصوم، فالزائر للمعصوم من ضيوف الرحمن، ووفده، فهذه الحقيقه ليست مخصوصه للحج الى بيت الله الحرام وقصده، بل، الوفود على الله سبحانه، فى زياره المعصوم أقرب دنواً واکرم ضيافه وأعز وفداً على الرحمن من القاصد الى بيت الله الحرام..

فيتبين من ذلك أن حقيقه الزياره هي فى الأساس زياره الله، لكن بتوسط ووسيله الوفود على بابه الأعظم، وهم خلفاؤه اللذين نصبهم وجعلهم خلفاء له فى خلقه..

ويدلُّ على هذه القاعده وهي حقيقه الزياره والمزور، جملة من الأدله:

الدليل الأول: كل الآيات المتقدمه المستعرضه لأمر الله الملائكه بالسجود

لآدم، وما تقدم من شرح مفصل لها في الجبهه الاولى، وأن حقيقتها ترجع الى كون آدم، بل محمد وآل مُحَمَّد (صلى الله عليه و آله)، هو باب الله الأعظم لعباده الله التوحيديه، وتوحيده في العباده. ومقتضى هذا المفاد الذى قُرر في الجبهه الاولى، وتقدم قلبه واطاره، أن الوفود على هذا الباب الأعظم، هو وفود على الله سبحانه، وقصدهم للزياره هو المؤدى الى القصد الى الله سبحانه، فتدلّ جملة تلك الآيات على أن التوجه اليهم مؤدى للوفود على الله وقصده وزيارته أى القرب والدنو منه.

قبور الأئمة (عليهم السلام) مواطن وبقاع انتظار الفرج:

ومما يدعم كون قبورهم ابواباً للوفاده عليه تعالى، ما جاء في مصحح ابى حمزه الثمالى، الذى رواه في كامل الزيارات، الوارد في زياره طويله للحسين (عليه السلام)، من قول الزائر: (يا سيدى، أتيتك زائراً موقراً من الذنوب، أتقربُ إلى ربي بوفودى إليك.. وقد أشخصتُ بدنى... وأؤملُ في قربكم النجاه، وأرجو في أيامكم الكره.. وأطمع في النظر إليكم وإلى مكانكم غداً في جنان ربي مع آبائكم الماضين..)(١).

وفي زياره طويله لأمير المؤمنين (عليه السلام) رواها المشهدى في المزار الكبير:

«... بأبى أنت و أمى يا أمير المؤمنين.. أنى عبدك وابن عبدك، ومولاك وابن مولاك.. محتجبٌ بدمتك، موقنٌ بآياتك، مؤمنٌ برجعتك منتظراً لأمرك،

ص: ٦٨١

مُرْتَقِبٌ لدولتك..».

وقد ورد ذلك في زياره الجامعه الكبيره، التي يُزار بها جميع المعصومين (عليهم السلام)..

وقد ورد في زياره العسكريين (عليهما السلام) أيضاً:

«بأبى أنتما وأُمى وأهلى ومالى ووُلدى... مصدّقاً بدولتكما، مرتقباً لأمركما...»^(١).

ومفاد هذا المقطع من الزياره الاقرار بان هذه البقعه الشريفه مثوى وموضعٌ لبدن حجه الله وصفوته، وان هذه البقعه الجغرافيه، قد اصبحت شعيره جغرافيه مقدسه، وانها باب للوفود على الله، وباب لانتظار الفرج، برجوع وأوبه حجته من هذا الموطن المغيب فيه، يرتقب ظهور كل معصوم من البقعه التي فيها ثوى.. اذ الرجعه خروجٌ من القبور، لا من الارحام^(٢)، ولا نزولٌ من السماء، فمن ثم كانت قبورهم مواطن انتظار، وبقاع الفرج، وارضى الأمل الإلهي، فلم تعد مجرد أرضيه جغرافيه بحته، بل هي بيوت الله أذن ان تُرفع تعظيماً، وان تُقصد ويتوجه اليه فيها وبها. فهي من الاماكن التي امر الله بتقديسها.

الدليل الثانى: والكلام فيه على جهتين:

ص: ٦٨٢

١- (١) مصباح الزائر: ٢٥٧.

٢- (٢) وهذا بيان لمغايره الرجعه عن التناسخ حيث ان التناسخ عود الأموات من الأصلاب والأرحام.

الجهة الأولى: وصف الله تعالى لهم، بقوله: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً). وقد وقع الكلام عند المفسرين ان هذا الوصف، الذي هو نعتٌ لآدم والاولياء والمرسلين، والاصياء لهم، هل هو مضاف الى الله، أى خليفه الله، أم أن هذا الوصف لجميع البشر، ومضاف الى المخلوق السابق على وجه الارض، لنشأه الانسان، فعلى التقدير الاول يكون نعت الخلافه اصطفاً خاص بالانبياء والاصياء، بل بثله منهم، لا- جميعهم، بخلاف التقدير الثاني، يكون نعمه تكوينيه عامه منه تعالى للبشر، فلا يكون الوصف اصطفاً، بل خلافه عماره، كما يشير له قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ) ..١

وقوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ) ٢.

وهو مفاد قوله تعالى: (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) ٣.

فمن ثم تكون خلافه استعمار، وعمارته الارض، لا- خلافه اصطفاً، كما يفيدته قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّتَهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ). ويدعم هذا المعنى، وهو التقدير الأول انه قد فُسر هذا الوصف فى سورة البقره، اولاً: بتعليم آدم الاسماء وهو علمٌ لدنى لم تعلمه الملائكه، فضلاً عن أن يعلمه عموم البشر، وثانياً انه أسجد له جميع الملائكه، سجد طاعه وهذا المقام لا يُعقل لعموم البشر، الى غير ذلك

من القرائن والشواهد المذكوره فى محلّها من ان المراد من (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ) هو جعل اصطفاء لا خلافه استعمار واعمار، المقرره لعموم البشر.

فاذا تقرر ذلك، وان هذا النعت لثله من الحجج، الانبياء والاصياء، وانه مضاف اليه تعالى: أى خليفه الله، يقع الكلام حينئذ فى معنى اخر وهو:

الجهه الثانيه: ماهو معنى هذا الوصف؟ والذى بتقريره يكون شاهداً على المطلوب فى المقام، من كون زياره خليفه الله، زياره الله سُبْحَانَهُ.

فقد وقع التساؤل على حقيقه المراد من اضافه الخليفه الى الله، حيث انه تعالى لا يَنحسر وجودُه وعلمه وقدرتُه، وإحاطته وسُلطانه عن شىء، فأى معنى لأن يُخلف الله فى مقام من المقامات شىء من مخلوقاته..

وإن كان هو من أعظم مخلوقاته، بل يستحيل أن يشارك الله تعالى شىء مخلوق، فى أمره.. فكيف يخلفه شىء..

فَمِنْ ثَمَّ لَا بُدَّ ان يكون تقرير معنى خليفه الله بنحو لا ينطوى على نسبه نقص اليه تعالى، فى حين أن هذا الوصف هو وصفٌ لثله من الانبياء والرسل والاصياء، إِلَّا أَنَّهُ لَهُ نَحْوُ اضافه اليه تعالى..

معنى خليفه الله ...

والمحصّل من معنى (خليفه الله) بشواهد عديده قرآنيه وروائيه انه بمعنى الآيه الكبرى له تعالى، أو الاسم الأعظم من الجهه الملحوظ فيها أعظم المخلوقات كمايه للخالق.. فالخلافه والاستخلاف هنا فى الرؤيه والمشاهده، لا فى التحقق وفى العين، كى يُتوهم استلزامه لانحسار فى قدره وسلطنه

وعلى هذا التقدير لمعنى الخليفة يكون رؤيه هذا الخليفه هى رؤيه للآيه الكبرى له تعالى، أى مشاهده للتجلى الاعظم والظهور الالكبر، والبزوغ للنور الالهى الأبهى.. والظهور الأتم، والقرب من هذا الخليفه قرب أعظم من الله سبحانه، وزيارته زياره الله بعد كون تمام حقيقه هذا الخليفه، انه خليفه الله سبحانه، ظهوراً وحكايه وتجلياً، ومن ثم ورد تأويل ما اسند اليه تعالى فى الايات الكريمه والروايات الشريفه من النزول والمجىء ونحو ذلك، أُسند الى رسول الله (صلى الله عليه و آله)، وذلك باعتبار انه اعظم واكبر خلفاء الله تعالى.. وبذلك يتقرر ان هذا النعت القرآنى ولجملة من الانبياء والاوصياء برهاناً بكون حقيقه زياره النبى (صلى الله عليه و آله) واهل بيته(عليهم السلام)، زياره لله تعالى، فى مقام المشاهده، وعلاميه الآيات، لاسيما بعد معرفه أن خلفاء الله من الأنبياء والأوصياء هم على درجات متفاوتة، يتسّم قمتها النبى (صلى الله عليه و آله) وآله الطاهرون(عليهم السلام).

الدليل الثالث(1): ما صرح به فى جليل زيارات المعصومين(عليهم السلام) من كون المقصود الأول والنهائى بالزياره هو الله والوفود عليه:

(١) ما ورد فى اذن الدخول لزياره الرسول الاعظم (صلى الله عليه و آله) وكذلك اذن الدخول فى بقية زيارات الائمة(عليهم السلام) .. من بدء استئذان الله سبحانه وتعالى، ثم استئذان الرسول (صلى الله عليه و آله) وثالثاً استئذان الإمام (عليه السلام)، ورابعاً استئذان الملائكة الموكّلين حول تلك البقع الطاهره..

ص: ٦٨٥

مما يدل على ان المزور اولاً هو الله سبحانه وتعالى..

ثم الرسول (صلى الله عليه وآله) ثم الامام (عليه السلام).

(٢) ما ورد في جميع زيارات النبي (صلى الله عليه وآله) وامير المؤمنين وفاطمه وبقية الائمة (عليهم السلام) اجمعين من التنصيص مراراً في الزيارة الواحدة، أن زياره المعصوم هي لأجل التقرب بها الى الله سبحانه، وبحضور الزائر في محضر ومشهد المعصوم، يكون حضوراً له ودنوياً في محضر الرب سبحانه، نظير ما ورد في زياره الرسول (صلى الله عليه وآله)

(أدخل هذا البيت متقرباً الى الله بالله ورسوله محمد واله (صلى الله عليه وآله) فكونوا ملائكة الله أعوانى وأنصارى حتى أدخل هذا البيت) (١).

(٣) ما صرح بان المقصود الأول، والمزور الأول في الزيارة هو الله سبحانه: منها:

أ) ما ورد في زياره وارث التي رواها الشيخ الطوسي في مصباح المتعجد، بسنده الى صفوان حيث ورد في اولها: (فاذا أتيت الفرات فقل: اللَّهُمَّ أنت خير من وفدت اليه الرجال، وأنت سيدى اكرم مقصود، وأفضل مزور، وقد جعلت لكل زائر كرامه، ولكل وافد تحفه، فاسألك أن تجعل تحفتك إياى فكاك رقبتى من النار، وقد قصدتُ وليك وابن نبيك،

ص: ٦٨٦

وصفيك وابن صفيك، ونجيك وابن نجيك، وحبيك وابن حبيك، اللهم فاشكر سعيي، وارحم مسيري اليك بغير من منى عليك، بل لك المنى على إذ جعلت لي السبيل إلى زيارته، وعرفتني فضله، وحفظتني في الليل والنهار، حتى بلغتنى هذا المقام. اللهم فلك الحمد على نعمائك كلها، ولك الشكر على مننك كلها..(١).

وفي هذا المقطع شواهد عديدة، حيث أُطلق على الزائر للحسين (عليه السلام) بانه وافد إلى الله.

ب) وفي هذا المقطع تصريح بان الله سبحانه هو المقصود بالزياره، وهو المزور. وزياره الله والحضور عند ساحته والقصد اليه يتم، بتوسط زياره المعصوم.

ما رواه السيد ابن طاووس في مصباح الزائر، في احدى زيارات الحسين (عليه السلام):

(...ياسيدي ومولاي ادخلني في حزبك وزمرتك واستوهبني من ربك، فان لك عند الله جاهاً وقدرراً ومنزله ربيعاً، ان سألت أعطيت وان شفعت شفعت،...

فانك أملى ورجائي وثقتي ومعتمدي، ووسيلتي الى الله ربي وربك، لم يتوسل المتوسلون الى الله بوسيله هي اعظم حقاً، ولا اوجب حرمه ولا

ص: ٦٨٧

١- (١) مصباح المتهدج: ٧١٧.

أجلّ قدراً عنده منكم اهل البيت(١).

وهذا المضمون مستفيض في زياراتهم(عليهم السلام).

ج-) وفي زياره للحسين (عليه السلام) رواها الشيخ المفيد في مزاره، قوله (عليه السلام) في بدء الزيارة:

(...بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى مله رسول الله (صلى الله عليه وآله) اللهم انزلني منزلاً مباركاً وانت خير المنزلين. اللهم اليك توجهت، واليك خرّجت واليك وفدت، ولخيرك تعرضت، وبزياره حبيب حبيبيك اليك تقربت)(٢).

وفي مقطع آخر:

(... اللهم انت خير من وفد اليه الرجال، وشُدّت إليه الرحال، وانت يا سيدي اكرم مأتي وأكرم مزور، وقد جعلت لكل آتٍ تحفه، فاجعل تحفتي لزياره قبر وليك، وابن نبيك، وحجتك على خلقك، فكاك رقبتى من النار. اللهم صلّ على محمد وآل محمد، وتقبّل عملي، واشكر سعيي وارحم مسيري من اهلي بغير منّ اللهم منّي عليك، بل لك المنّ علىّ اذ جعلت لى السبيل الى زياره وليك، وعرفتني فضله، وحفظتني حتى بلغتني، اللهم وقد اتيتك واملتلك، فلا تُخيب أملى، ولا تقطع رجائي، واجعل مسيري هذا كفاره لما قبله من ذنوبي.. واجعل سعيي مشكورا وذنبى مغفورا وعملي مقبولاً ودعائى مستجاباً انك على كل شيء قدير.

ص: ٦٨٨

١- (١) مصباح الزائر: ٢٥٤.

٢- (٢) مزار الشيخ المفيد: ٩٠.

اللَّهُمَّ انى أردتک فاردنى وأقبلت بوجهى اليک، فلا تُعرض عنى، وقصدتک فتقبل منى... اللَّهُمَّ أنت السلام ومِنک السلام وإليک يعود السلام يا ذا الجلال والاکرام، السلام على رسول الله... (١).

وورد فى نفس الزيارة:

(...السلام عليك يا بن رسول الله، أتيتك بابى وامى زائراً وافداً اليک، متوجهاً بک الى ربک وربى، لينجح بک حوائجى، ويُعطينى بک سؤلى، فاشفق لى عنده، وكن لى شفيعاً، فقد جئتک هارباً من ذنوبى، متنصلاً الى ربى من سىء عملى، راجياً فى موقفى هذا الخلاص من عقوبه ربى، طامعاً ان يستنقذنى ربى بک من الردى... وقد توجهت الى ربى بک سيدى فى قضاء حوائجى).

(د) وقد ورد فى مصباح المتهدج نظير ذلك فى زياره لأمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الغدير:

(... اللَّهُمَّ، انک افضل مقصود، واکرم مأتى، وقد اتيتک متقرباً اليک بنبيک نبى الرحمه، وبأخيه أمير المؤمنين عليهما السلام، فصل على محمد وآل محمد، ولا تُخيب سعيى، وانظر الى نظرة تُنعشنى بها، واجعلنى عندک وجيهاً فى الدنيا والاخره، ومن المقربين) (٢).

(٤) وفى كامل الزيارات فى مصحح أبى حمزه الشمالى، عن الصادق (عليه السلام)، ذكر زياره طويله للحسين (عليه السلام)، ثم قال (عليه السلام):

ص: ٦٨٩

١- (١) مزار الشيخ المفيد: ٩٠.

٢- (٢) مصباح المتهدج: ح ٨٣٢، ١٠١، ٧٤٠.

«... ثم در فی الحائر وانت تقول: يا من اليه وَفَدْتُ، واليه خَرَجْتُ، وبه اسْتَجَرْتُ، واليه قَصَدْتُ، واليه با بن نبيه تقربْتُ، صل على محمد وال محمد، ومَنْ عَلَيَّ بِالْجَنَّةِ، وَفُكَّ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ ارحم عُربتي، وْبُعدَ داري، وارحم مسيري اليك والى ابن حبيبك، واقلبنى مُفلحاً مُنجحاً قد قَبِلتَ معذرتي، وخشوعى وخشوعى عند امامى وسيدى ومولاي... اللَّهُمَّ فَرقى منك ومقامى بين يديك، وتملّقى، واقبل منى توسلى اليك با بن حبيبك وصفوتك وخيرتك من خلقك، وتوجهى اليك..)

وقبل هذه العبارات، قَالَ (عليه السلام):

(... اللَّهُمَّ انى أسألك.. فلا- اكونن يا سيدى انا أهون خلقك عليك، ولا أكون أهون مَن وَفد اليك با بن حبيبك، فانى أملتُ ورجوتُ وطمعتُ وزرتُ واغتربتُ رجاءً لك أن تكافينى أن أخرجتنى من رحلى فاذنت لى بالمسير الى هذا المكان، رحمه منك وتفضلاً منك يا رحمن يارحيم).

وفى بدايه هذه الزياره:

(..اللَّهُمَّ انى اليك توجهت... اللَّهُمَّ أنت خير من وَفد اليه الرجال، وقد أتيتك زائراً قبر ابن نبيك (صلى الله عليه و آله)، فاجعل تحفتك إياى فكاك رقبتي من النار.. وقد جعلت لكل زائر كرامه ولكل وافد تُحفه.. وأنت يا سيدى اكرم مأتى وأكرم مزور..

وارحم مسيري اليك لغير منى، بل لك المَنّ على اذ جعلت لى السبيل الى زيارتك، وعرفتنى فضله، وحفظتنى حتى بلغتنى قبر ابن وليك،

وقد رجوتك، فصل على محمد وآل محمد ولا تقطع رجائي.. وقد أتيتك فلا تخيب املی...

الحمد لله الذى اليه قصدت فبلغنى، وإياه أردت فقبلنى ولم يقطع بى. رحمته ابتغيت فسلمنى... اللهم انى أردتك فاردنى وانى أقبلت بوجهى اليك فلا تعرض بوجهك عنى، فان كنت على سخطاً فقتب على، وارحم مسيرى الى ابن حبيبك، أبتغى بذلك رضاك عنى).

المعصوم سبيل إلى الله

وتوجه القصد اليه، لاین المعصوم سبيل إلى الله والباب اليه.. كما ورد فى زياره امير المؤمنين (عليه السلام)، التنصيص على كل ذلك، وفى وسط الزيارة: (...واشهد انك حبيب الله، وانك باب الله الذى يؤتى منه، وانك سبيل الله، وانك عبد الله واخو رسوله صلى الله عليه وآله)، اتيتك متقرباً الى الله بزيارتك(١).

ففى هذا المقطع تعليل وبيان وبرهان على كون زياره المعصومين دنو واقتراب وحضور عند الله سبحانه، وذلك لكون المعصوم (عليه السلام)، باب الله الذى يؤتى منه، فمن أراد الاتيان الى الله والوفود على الحضره الإلهيه، لا بُدَّ أن يأتى الى الباب، كما قال تعالى: (وَ اتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) ٢ .. والعقيدته بكون الأئمه أبواباً الى السماء الالهيه، حقيقه قرانيه، كما فى قوله تعالى: (إِنَّ

ص: ٦٩١

١- (١) مزار المشهدى: ق ٣، ب ١٢، ١٨٩ - مزار المفيد - مصباح الزائر لابن طاووس: ٦٠ - مزار الشهيد: ٢٩ - فرحه الغرى لعبد الكريم بن طاووس: ٩٣ - باسناد متصل الى صفوان الجمال عن الصادق (عليه السلام) - البحار: ج ١٠٠، ٢٣٥ - ٢٨١.

الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠) ١.

الآيات الناطقه ...

وآيات الله هذه التي كذبوا بها هي حجج الله سبحانه التي تنطق عن الله ويصدقها المؤمنون، ويكذبها الكافرون.. وليس المراد الآيات المخلوقة الصامته، إذ الآيات المخلوقة في الآفاق، ليس لها دعوى كي تصدق على الله، أو تكذب، بل اما يُعتبر بها أو يُعرض عنها، فتعين أن المراد بالآيات في سورة الاعراف هي الآيات الناطقه، وهم حجج الله الناطقه عن الله سبحانه، جعلهم الله ابواباً لسماء غيبه وملكوته ومفاتيح رحمته، فمن ثم كان النبي (صلى الله عليه وآله) وقربى النبي من آيه التطهير، هم باب الله وسبيل الله سبحانه، وقد نص القرآن على ذلك أيضاً في مواضع أخرى، حيث قال تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ٢.

وقال تعالى: (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ) ٣.

وقال تعالى: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) ٤.

وقد بينات الآيات الثلاث أن موده قُربى الرسول (صلى الله عليه و آله) آل محمد، هي السبيل الى الله سُبحانَهُ؟

وأن نفع موده قُربى آل مُحَمَّد (صلى الله عليه و آله)، وأجرها لیس عائداً الى الرسول بل الى المسلمين والبشريه أنفسهم، لأن الله سبحانه قد جعل مودتهم سبيلاً اليه، فهذه المضامين فى الزيارات، وأساس معرفتها، أصول قرآنيه مُحكمه، وليست مدائح شعريه..

فتم بذلك برهان قرآنى، على أن محمد وآل مُحَمَّد (صلى الله عليه و آله)، بابُ الله الأعظم، والسبيلُ اليه، وان بزيارتهم زياره الله، وبالوفود عليهم وفود على الله، وأن التوجه والقصد والسعى والحج اليهم، توجه وقصد وسعى وحج الى الله سبحانه...

قول الزائر: (اللَّهُمَّ فاشكر سعيي، وارحم مسيرى اليك بغير منّ منى عليك، بل لك المنّ علىّ اذ جعلت لى السبيل الى زيارتك. وعرفتني فضلك، وحفظتني فى الليل والنهار حتى بلغتني هذا المكان) فهذا نصّ بأن المسير الى قبر المعصوم بابٌ للمسير الى الله، وسبيل الى الوفود على الله.

(٥) ما ورد فى الزياره التى رواها الشيخ فى التهذيب، وقد عدّها جملة من المحققين من اصحّ الزيارات، عن يونس بن ظبيان عن الصادق (عليه السلام) عن كيفية زياره الحسين (عليه السلام)، وفيها:

(... أنا عَبْدُكَ ومولايك وفى طاعتك والوافدُ إليك، ألتمس كمال المنزله عند الله، وثبات القدم فى الهجره اليك،

والسبيل الذي لا يختلج دونك من الدخول في كفالتك التي أمرت بها، من اراد الله بدأ بكم(1).

وفي هذا النص تصريح بأن الوفود الى المعصوم غايته الوصول الى كمال المنزله عند الله، فهذا الوفود الجسماني، والوفود الروحي لدى المعصوم بالنجوى معه باب للوصول الى منزله قريبه عند الله، ومن ثم ذكر في ذيل هذا المقطع السبب في هذا الترابط بين زياره المعصوم، والخطوه للوصول الى منزله قريبه عند الله، علل ذلك بالقول: (من اراد الله بدأ بكم) ، أى أن المرید لله والقاصد اليه تعالى، والمتجه تجاهه تعالى لا يبد له ان يتوسل بالبده بهم(عليهم السلام). لأنهم خلفاؤه وبابه الاعظم، وسبيله الاقوم.. كما ورد هذا النص في زياره الجامعه الكبيره، وطريقها مصحح.. (من اراد الله بدأ بكم، ومن وحده قبل عنكم، ومن قصده توجه بكم..) المفهوم له وهو عكسه ونقيضه صادق أيضاً أى من لم يبدأ بكم لم يرد الله، ومن لم يقبل عنكم لم يوحد ومن لم يتوجه بكم لم يقصده..

٦) ما تكرر كثيراً في الزيارات من توجيه الخطاب، تاره الى الله سبحانه وتاره الى المعصوم (عليه السلام)، في فقره واحده، بل في جمله من الموارد في سطر واحد.. وهذا الجمع في الخطاب والتوجه تاره الى الله وتاره الى المعصوم في كلام واحد وسياق واحد وخطاب واحد، أكبر دليل على أن

ص: ٦٩٤

١- (١) تهذيب الاحكام: ج ٦، ٥٤.

التوجه الى المعصوم، بابٌ للتوجه الى الله سبحانه، وخطابُ المعصوم سبيلٌ الى خطاب الله تعالى، فلا تدافع ولا تباين ولا تهافت، وهذا متكرراً في كل الزيارات لمن تدبّر وتبّه واستيقظ الى هذه اللطيفه البلاغيه في الكلام.

والمتبع لمتون الزيارات يسترعيه الانتباه الى تشابك كبير، وتلاحم كثير، للدعاء المتضمن للخطاب مع الله سبحانه ومناجاته، بالتشهد والاقرار له بما افترض علينا من فرائض القلب، وتسليم الجنان.

مضافاً الى ما في الزيارات من التسييح لله والحمد والثناء والتقديس والتكبير.

ومن ثم سُمي الامام المعصوم، خليفه الله..

وقد صرح بذلك في احدى زيارات امير المؤمنين (عليه السلام)، والتعليل بأن زيارته زياره الله، بكونه السبيل الى الله وباب الله ووجه الله.. وهذه الوحده والتعدد في الخطاب، بحيث يوجه الزائر الخطاب الى الله سبحانه عند توجيهه الخطاب الى المعصوم، ونجد ذلك في جلّ أو كلّ الزيارات، فلاحظ، كما مرّ في زياره أمين الله، فإن الصدر اليسير من زياره خطاب للمعصوم، والباقي خطابٌ لله سبحانه، ومن ثم تجد زيارات أُخرى أيضاً، يكون فيها الانتقال في الخطاب من المعصوم إلى الله، ثم من الله إلى المعصوم، مراراً وتكراراً، في فقره فضلاً عن عدّه فقرات.

(٧) ما ورد في زياره رواها الحسن بن عطيه عن الصادق (عليه السلام):

ص: ٦٩٥

(اللَّهُمَّ اكْتُبْنِي فِي وفدك الى خير بقاعك وخير خلقك..)(١).

وتقريب الدلاله كما مر.

(٨) (وقد ذكر في اغلب الزيارات أن أحد أهم غايات الزياره التوسل بالمعصوم الى الله سبحانه، ولما تخلو زياره من التصريح بذلك، ففي أحد زيارات الامام الحسين (عليه السلام)، وهى ما رواه الحسن بن عطيه عن الصادق (عليه السلام) فى وسط الزياره، يخاطب الزائر الامام (عليه السلام):

(... جئت وافداً اليك واتوسل الى الله بك فى جميع حوائجى من امر دنياى وآخرتى، بك يتوسل المتوسلون الى الله فى حوائجهم، وبك يُدرِك عند الله أهل التراتِ طلبتهم)(٢).

(٩) ما ورد فى زياره الحسين (عليه السلام) التى رواها السيد ابن طاووس فى مصباح الزائر..

(.. يا مولاي يا ابا عبد الله انا ضيف الله وضيفك، وجار الله وجارك، ولكل ضيف وجار قري، وقرأى فى هذا الوقت أن تسأل الله سبحانه وتعالى، ان يرزقنى فكاك رقتى من النار.. إنه سميع الدعاء، قريب مجيب)(٣).

غايات الزياره (المنصوصه) ...

(١) الغايه العظمى: التوجه إلى الله بزياره المعصوم.. والوفود على الله بوسيلته، وقد تقدم بيان ذلك مفصلاً.

ص: ٦٩٦

١- (١) بحار الانوار: ج ١٠١، ١٤٨.

٢- (٢) بحار الانوار: ج ١٠١، ١٤٨.

٣- (٣) مصباح الزائر: ٢٤٥- بحار الانوار: ج ١٠١، ٢٢٢.

٢) الاقرار بالذنوب بين يدي المعصوم، لأنها بمنزلة الاقرار بها بين يدي الله سبحانه، لأنه خليفه الله، والموكل من قبله لإقامه الحساب «وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم..»، وقد بين القرآن الكريم أن الجزاء، وجمله من أعمال الحساب يقوم بها الملائكة، وهم تحت طاعه خليفه الله، ويأتمرون لتنفيذ أوامره ..

كما روى الفريقان أن أعمال العباد تُعرض كل اسبوع مرتين على رسول الله (صلى الله عليه و آله). بل والاقرار بالذنوب عند كل المعصومين ولو بزياره أحدهم، والوجه في ذلك، انهم أولياء الحساب، وكل منهم (صلى الله عليه و آله) متكفل باب من ابواب الطاعات والشفاعات.. كما ورد ذلك في زياره الحسين (عليه السلام) المرويّه في الكافي(١).

٣) تجديد العهد والميثاق مع المعصوم (عليه السلام)، باعتبار أن قبره الشريف باب غيبته، ورحيله الى البرزخ، وانه سيخرج منه في الرجعه، ويظهر منه، فتعاهد قبره، انتظاراً وترقب لظهور ذلك المعصوم، واقامته دوله العدل..

ومن ثم يُستحب الدعاء عند قبر كل معصوم، كما ورد في الزيارات:

(اللَّهُمَّ أتمم به كلماتك وأنجز به وعدك، وأهلك به عدوك)(٢)، والمراد من ذلك الوعد باظهار الدين، واقامه دوله العدل الالهي.

ص: ٦٩٧

١- (١) الكافي: ج ٤، ٥٧٨، باب زياره قبر أبي عبدالله، ح ٣.

٢- (٢) كامل الزيارات: باب ٧٩، ح ٢٣.

٤) تكرر وتعدد اكثر الزياره فى مجلس واحد..

فقد ورد فى مصححه ابى حمزه الشمالى، عن ابى عبدالله (عليه السلام)، قال: (اذا أردت الوداع بعد فراغك من الزيارات، فاكثر منها ما استطعت) (١).

٥) اللواذ والاستجاره بالمعصوم (عليه السلام): ويدل عليه الآيتان: «وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم...» «وادخلوا الباب سجداً، وقولوا حطه نغفر لكم خطاياكم، وسنزيد المحسنين...».

٦) تجديد العهد والبيعه بإمامتهم واعداد النصره لهم انتظاراً لرجعتهم، والاقرار بها.

ورد فى زياره وارث: (اشهد الله وملائكته وانبيائه ورسله انى بكم مؤمن وبإيابكم موقن..)

وورد فى زياره الجامعه الكبيره: (مصدقٌ برجعتكم، منتظرٌ لأمركم، مرتقبٌ لدولتكم..)

(ونصرتى لكم معده حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين)

يحكم الله على أيديهم (عليهم السلام)، يعنى فى الرجعه..

(فمعكم معكم، لا مع عدوكم انى بكم من المؤمنين، لا أنكر الله

ص: ٦٩٨

قدره، ولا أكذب منه بمشيئه(١).

٧) ان تتضمن زياره المعصوم (عليه السلام)، ذكر وزياره النبي (صلى الله عليه و آله) وبقية المعصومين (عليهم السلام)، فالحرى والادب من الزائر أن ينوى ذلك عند زيارته فتكون زياره احدهم بمثابة إنشاء زياره لجميعهم (عليهم السلام) بتوسط ذلك المعصوم المزور (عليه السلام). وإن زياره أى واحد منهم (عليهم السلام) باب لزياره جميعهم عنده.

تضمن كل الزيارات على مقاطع دعاء

ومناجاة لله سبحانه:

اطلاق حرم الله وحرم رسوله، على جميع مشاهد الأئمة (عليهم السلام).

تكرر مناجاه الله عند قبورهم كسببه اصيله فى متون الزيارات الوارده، وقد ظهر فى مضمونها الاعتراف لله تعالى بشؤون ومقامات الأئمة (عليهم السلام) كثيراً..

والملاحظ فى كل الزيارات للمعصومين (عليهم السلام) الوارده بشكل متواتر، تكثرت مواطن المناجاة لله تعالى فى الزياره الواحده وليست كثره فحسب بل هى تلون الزياره أنها خطاب مع الله تعالى نهايه فى حين هى خطاب مع المعصوم (عليه السلام) عنواناً، فبينما الزائر يخاطب ويسلم على المعصوم (عليه السلام) واذا به يقرأ فقره من الزياره متضمنه للمناجاة مع الله سبحانه، وتوجيه الخطاب إليه تعالى،

ص: ٦٩٩

١- (١) كامل الزيارات.

وقد تنوع وتكثر مضامين تلك المناجاة، ضمن زيارتهم (عليهم السلام)، وبرز تلك المضامين الاقرار لله تعالى بما جعل لأهل البيت (عليهم السلام) من حجيه ومقامات وشؤون بالوظائف الالهيه، من الشفاعة والوسيله وغيرها.. ثم طلب المغفره والحوائج الاخرويه والدينيه من الله سبحانه، بالتوسل بهم وبذكرهم فى المناجاة مع الله سبحانه..

ص: ٧٠٠

الجهه الخامسه : الأدله الشرعيه على سنه تقبيل العتبات والروضات المقدسه

اشاره

ص: ٧٠٢

الآيات الكريمة:

اشاره

وفى المقام طوائف من الايات:

الطائفة الاولى: وهى الآيات الآمره بالسجود لخليفه الله فى الأرض، وقد مرّ حاصل مفادها فى الجبهه الثالثه.

الطائفة الثانيه: قوله تعالى:

وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَ قُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَ سَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩) ١.

(وَ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ) ٢.

(يا قوم ادخلوا الأرض المقدسه التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم

فَتَنَقَّلُوا خَاسِرِينَ (١) .

وقد ورد في روايات مستفيضه بين الفريقين، أن مفاد الآية، مثل ضربه الله لأهل البيت (عليهم السلام) في هذه الأمه، كما هو مقتضى حديث النبي (صلى الله عليه وآله) المروى عند الفريقين:

(مثل أهل بيتي في هذه الامه مثل باب حطه في بنى اسرائيل) (١).

(وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٣) .

ذكر الصدوق في الاعتقادات ان من مقامهم (عليهم السلام)، الواجب الاعتقاد به، ان مثلهم في هذه الامه كسفينه نوح أو كباب حطه.

وفي حديث الاربعمائه المروى في الخصال ايضاً: (ونحن باب حطه وهو باب السلام، من دخله نجى ومن تخلف عنه هوى) (٢).

ما يستفاد من الآيات:

ولا يخفى أنّ في هاتين الآيتين الأوليتين عدّه جهات منها:

ص: ٧٠٥

١- (٢) مجمع الزوائد للهيثمى ج ١٦٨: ٩ - المعجم الوسيط للطبرانى: ج ٦، ٨٥ - السيره الحلييه: ج ٢، ٦٩٣ - ينابيع الموده للقندوزى: ج ١، ٩٣ - امالى الشيخ الصدوق: ١٣٣، ح ١١، ١٢٦ - الخصال: ابواب السبعين، ٥٧٤، ٦٢٦. - كفايه الاثر: للخزاز القمى: ٣٣.

٢- (٤) الخصال: ٦٢٥.

(١) وجوب الزيارة اجمالاً لمراقدهم.

(٢) وجوب الجوار والسكن كغايه عند المراقد الشريفه.

(٣) الدخول لهذه المراقد فى حاله الخضوع والتعظيم. (سجداً).

(٤) من غايات هذه المراقد الاستجاره واللواذ بها لانها استجاره الى الله، ولواذ به تعالى من الباب الاعظم له تعالى.

أما الجهتان الأوليتان، فالبحث فيهما عن قاعده عماره المساجد والمشاهد المقدسه لأهل البيت (عليهم السلام).. وأما الجهتان الاخيرتان، فهى محل البحث فى المقام فتقريب دلالتهما فى الآيه، ما روى فى تفسير العسكرى (عليه السلام)، قَالَ (عليه السلام): (قال الله تعالى: واذكروا يا بنى اسرائيل اذ قلنا لاسلافكم (ادخلوا هذه القرية). وهى أريحا من بلاد الشام، وذلك حين خرجوا من التيه، فكلوا منها (من القرية) حيث شئتم (رغداً) واسعاً بلا تعب ولا نصب، وادخلوا الباب (باب القرية) (سجداً)).

مثل الله تعالى على الباب مثال مُحَمَّد (صلى الله عليه و آله) وعلى (عليه السلام)، وأمرهم أن يسجدوا تعظيماً لذلك المثال، ويجددوا على انفسهم بيعتهما، وذكر موالاتهما، وليذكروا العهد والميثاق المأخوذين عليهما لهما.. وقولوا: حطه.

وقولوا حطه: أى قولوا أن سجدنا لله تعظيماً لمثال محمد وعلى واعتقادنا بولايتهما حطه لذنوبنا ومحو سيئاتنا.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: (نَعْفِرْ لَكُمْ - أى بهذا الفعل - خطاياكم السالفه، ونزيل عنكم آثامكم الماضيه - وَ سَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ - (من كان منكم لم يقارف الذنوب التى قارفها، من خالف الولايه.. وَتَبَّتْ عَلَى مَا أَعْطَى اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ، مِنْ عَهْدِ

الولاية، فأننا نزيدهم بهذا الفعل زيادة درجات ومثوبات، وذلك قوله عز وجل: وسنزيد المحسنين.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: (فَيَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ) ، انهم لم يسجدوا كما أمروا ولا قالوا ما أمروا، ولكن دخلوها مستقبليها بأستاهم، وقالوا (هطا سmaqانا) - أى حنطه حمراء تتقوتها احب الينا من هذا الفعل ومن هذا القول(1).

وفى موضع آخر من التفسير، فى ذيل الآيه ١١٣، من سورة البقره، قَالَ (عليه السلام):

(فقالوا ما بالنا نحتاج الى أن نركع عند الدخول الى ههنا، ظننا انه بابٌ متطامن لابد من الركوع فيه، وهذا بابٌ مرتفع، والى متى يسخر بنا هؤلاء - يعنون موسى ثم يوشع بن نون - ويُسجدوننا فى الأباطيل، وجعلوا أساتهم نحو الباب، وقالوا يبدل قولهم حطه الذى أمروا به، (هطا شماقانا) - يعنون حنطه حمراء، فذلك تبديلهم.

الأئمة عليهم السلام باب حطه هذه الأمة ...

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): فهؤلاء بنو اسرائيل نُصِبَ لهم باب حطه، وأنتم يا معشر امه مُحَمَّد (صلى الله عليه و آله)، نُصِبَ لكم باب حطه، أهل بيت محمد، وأمرتم باتباع هداهم، ولزوم طريقتهم، ليغفر بذلك خطاياكم وذنوبكم، وليزداد المحسنون منكم، وباب حطتكم أفضل من باب حطتهم، لأن ذلك كان من باب حشَب، ونحن الناطقون الصادقون المرتضون الهادون الفاضلون، كما قال رسول الله (صلى الله عليه و آله)... وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): فكما ان بعض بنى اسرائيل

ص: ٧٠٧

١- (١) تفسير العسكرى: ذيل تفسير الايه فى سورة البقره، ٢٥٩، ح ١٢٧.

أطاعوا فأكرموا، وبعضهم عصوا فُعذبوا، فكذلك تكونون انتم، قالوا: فمن العصاه يا امير المؤمنين. قَالَ (عليه السلام): الذين أمروا بتعظيمنا أهل البيت وتعظيم حقوقنا وخالفوا ذلك وعصوا، وجحدوا حقوقنا، واستخفوا بها، وقتلوا أولاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذين أمروا باكرامهم ومحبتهم»(١).

وفى تفسير العياشى عن سليمان الجعفرى، قال: سمعتُ ابا الحسن الرضا (عليه السلام) فى قوله تعالى: (وَ قُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ حَطَايَاكُمْ) قال: فقال ابو جعفر (عليه السلام): (نحن باب حطتكم)(٢).

وروى عن زيد الشحام عن ابى جعفر (عليه السلام) قال: نزل جبرئيل بهذه الايه (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩)) ٣.

والمراد بالتنزيل هنا، مورد النزول، أو تأويل النزول لآيه جبريل كما كان ينزل بالفاظ تنزيل القران، كان ينزل بتأويله ايضاً فى جملة من الآيات، أو بالتنصيص على مورد نزوله.

وروى عن مسعده بن صدقه عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده (عليه السلام)، قال: قال امير المؤمنين (عليه السلام):

(ألا أن العلم الذى هبط به آدم، وجميع ما فضلت به النبيون الى خاتم النبيين والمرسلين، فى عتره خاتم النبيين والمرسلين، فأين يُتاه بكم وأين تذهبون.. ومثلهم باب حطه وهم باب

ص: ٧٠٨

١- (١) تفسير العسكرى: ٥٤٥، ح ٣٢٥-٣٢٦-٣٢٧.

٢- (٢) تفسير العياشى: ج ١، ح ٤٧، ٤٨.

السلم، فادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان(١).

وروى القمى فى تفسيره، (وَقُولُوا حِطَّةً) .. أى حط عنا ذنوبنا. فبدلوا ذلك وقالوا حنطه..

وروى فرات الكوفى فى تفسيره، بسنده عن امير المؤمنين (عليه السلام) فى حديث انه قال:

(إن مثلنا فى هذه الأُمَّه كمثل سفينه نوح، ومثل باب حِطه فى بنى اسرائيل ونحن باب حطه وسفينه نوح)(٢).

وعن الباقر (عليه السلام):

(... وهم الباب المبتلى به، من أتاه نجى ومن أباه هوى، حِطه لمن دَخله، وحُججه على من تركه)(٣).

أيضاً عن الباقر (عليه السلام):

(ونحن باب حطتكم، كحطه بنى اسرائيل):

(وهو باب السلم (السلم)، (الاسلام)، من دخله نجى ومن تخلف عنه غوى)(٤).

عن النبى (صلى الله عليه وآله):

(إنما مثل أهل بيتى فيكم باب حطه، من دخله عُفِر له، ومن لم يدخل لم يُعْفِر له)(٥).

فهذه نبذه يسيره عن مصادر الخاصه.

ص: ٧٠٩

١- (١) تفسير العياشى: ح ٣٠٠، ص ١٠٣.

٢- (٢) تفسير فرات: ح ٢٤٢، ٢٤٣، ٣٥٣.

٣- (٣) تفسير فرات: ٤٦٠، ٤٧٤ - كفايه الاثر: ٣٤، ٣٨.

٤- (٤) تفسير فرات: ح ٤٩٩.

٥- (٥) بصائر الدرجات: ج ٥، باب ١٣، ح ٤ - الكافى: ج ٨، ٣٠، ح ٤.

واما مصادر العامه، فهي كذلك مستفيضه لهذا الحديث النبوى الشريف فقد رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد، والطبرانى فى معجمه الأوسط والصغير، والمتقى الهندى فى كنز العمال(١)، وقد عقد له ارباب الموسوعات باباً خاصاً..

تمه تقرب الآيتين:

لا يخفى أن مفاد هذا الحديث المستفيض أو المتواتر عن رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فى وصف على (عليه السلام) تاره، وفى وصف اهل بيته (عليهم السلام) اخرى، هو مطابق للحديث النبوى المتواتر بين الفريقين:

(أنا مدينة العلم وعلى بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها).

فكان على وأهل البيت(عليهم السلام) الباب الذى منه يؤتى الى الرسول والى الله، والى طاعه الله، وطاعه الرسول.. وقد أشار الى هذا التطابق بين الحديثين أمير المؤمنين (عليه السلام)، فى الحديث الذى رواه الصدوق فى الخصال، فى ابواب السبعين. (سبعون منقبه لم يشركه فيها أحد من الائمة الاحد عشر(عليهم السلام)). حيث ذكر (عليه السلام) بعد ما حكى المنقبه العشرين من قول رسول الله (صلى الله عليه و آله) فيه، (..مَثَلِكُ فِى أُمَّتِى مَثَلُ بَابِ حَطَّةِ فِى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَنْ دَخَلَ فِى وَلايَتِكَ فَقَدْ دَخَلَ الْبَابَ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ).

ص: ٧١٠

١- (١) مجمع الزوائد للهيثمى: ج ٩، ١٦٨، المعجم الأوسط للطبرانى: ج ٦، ٨٥، المعجم الصغير للطبرانى: ج ٢، ٢٢، كنز العمال للمتقى الهندى: ج ١٢، ٩٨.

ثم حكى فى المنقبه الحاديه والعشرين له، قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): (انا مدينه العلم وعلى بابها، ولن تدخل المدينه الا من بابها)(١).

وهذا المفاد فى الايتين فى باب حطه، متطابق لفظاً ومعنى ونصاً، مع قوله تعالى فى سبع سور من القران الكريم بأمر الملائكه بالسجود لخليفه الله سبحانه..

والذى مفاده، الامر بالطاعه الكامله التامه لخليفه الله فى أرضه، وتعظيمه بالولايه والتبعيه له..

وقال المولى محمد صالح المازندراني فى شرحه على اصول الكافى: أمر بنو اسرائيل بعد التيه بدخول قريه بيت المقدس، او أريحا (على اختلاف القولين). من باب، ساجدين لله تعالى، عند الدخول، قائلين حطه، وهى فعله من الحط.. كالجلسه.. بمعنى: حَطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا حَطًّا، فاشار (عليه السلام)، الى أن مثل هذا الباب فى ان من تمسك به دخل فى الدين، وكان مطيعاً لله تعالى ورسوله، ومغفوراً، والله سبحانه يزيد لمن يشاء كما اشار اليه بقوله (وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَ قُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١)) ٢.

وذيل الايه، بزياده المحسنين، يطابق لما فى آيه الموده، (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣)) ٣.

ص: ٧١١

فزياده الإحسان داله على أن الطاعه والولايه والتعظيم لقُربى النَّبى (صلى الله عليه وآله) أهل البيت، درجات تزداد حُسنى، مع أنه قد فرض فى الآيتين السجود لله عندهم، وهو منتهى الخضوع والطاعه، ومع ذلك.. فان هذا على درجات، تشتد زيادته، ويستخلص من مفاد هذه الايات، أن أعظم مواطن الخضوع لله تعالى والسجود له، هو بالدخول فى ولايه أهل البيت (عليهم السلام) وطاعتهم وتعظيمهم، وأن هذا المواطن، أعظم فى الخضوع لله تعالى، من مواطن الصلاه تجاه الكعبه، ومنه نستخلص (ان الخضوع لله تعالى، عند الدخول فى ابواب رحمته سنه الهيه عظيمه..) وهو مطابق لمفاد قوله تعالى: (وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ). مع أن مقام ابراهيم، كائن عند الكعبه، وفى بيت الله الحرام، ومع ذلك فإن التعيّد لله والخضوع له عند مقام ابراهيم له خصوصيه وتخصيص أعظم من بقيه مواضع بيت الله الحرام عند الكعبه، وذلك بسبب اضافته الى ابراهيم (عليه السلام).

وهذا المفاد من الامر بسجود الملائكه لخليفه الله، والدخول باب حطه سجداً يطابق لما مرّ فى الجبهه الثالثه أن تعظيم خليفه الله بالسجود لله عنده وتجاهه..

وأن تعظيمه، مآله.. الخضوع والسجود لله عنده، لما ينطوى عليه خليفه الله من الاضافه لله تعالى.. وهذا المفاد من الآيات يتفق مع ما يأتى من مضمون الروايات الوارده فى الزيارات، من الانكباب على القبر بل على ترابه، وتعفير الخدين والوجه.. وان هذا المفاد الذى افتى به مشهور القدماء من علماء الإماميه، ومن بعده الى زمن الشهيد الأول، مفاد أصيل قرآنى.. كما فى مفاد آيتى (حطه).. وكما فى آيات السجود لخليفه الله آدم.

ولا يخفى أن هذه الطائفة السابقة من الآيات داله ايضاً على أن أهل البيت (عليهم السلام)، وهم بابُ حطه هم ملجأ وملاذ الهى للتوبه، ولغفران الذنوب وحطها، والاعتراف بها عنده ليكونوا شفعاء الى الله فى حطها، وهذا المفاد من هذه الطائفة مطابق للطائفة الثالثه من الآيات الآتيه.

الطائفة الثالثه: قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) (٦٤) .١ (

ومطابق لقوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) (٥) (٢).

وهذه الطائفة هى الأخرى داله على أن النبى (صلى الله عليه و آله)، وبالتالى من بعده أهل بيته باب حطه للذنوب، يجب التوجه إليه كملجأ وملاذ وباب لرحمه الله، وخط الذنوب.. وأن التوجه اليه، لابد أن يكون فى حاله تواضع وخضوع وإقبال على هذا الباب فى مقابل الصد عنه والاستكبار عن التوجه واللواذ والاستجاره به، ومن ثم ورد الدم فى الآيه إستكبار المنافقين عن المجيء إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) باب رحمه رب العالمين.. وصدودهم عن اللواذ بذلك الباب.. فمع هذا الحال لا ينفع الشفاعة لهم، كما هو مفاد قوله تعالى: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (٦) .

والتوصيف بالفسق هنا، بسبب الاستكبار عن اللواذ والتوجه

برسول الله، الى الله سبحانه.. والصدود عن هذا الباب.. هو الوصف الذى نعت القرآن به ابليس عندما أبى أن يسجد لخليفه الله بالفسق فى قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) (٥٠) ١.

فابليس من أئمة النواصب، الناصبين العداة لخليفه الله.. الفاسق عن أمر ربّه بالخضوع والتعظيم لخليفه الله..

(أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي). فجعل تعالى سبحانه سبيل الله وسبيل ولايته، بالولايه والخضوع لخليفته..

الطائفه الرابعه: قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ) (٤٠) ٢ ومفادها مطابق للمفاد المتقدم من لزوم اللواذ واللجوء والتواضع والخضوع لخليفه الله، كبابٍ للرحمه الإلهيه وباب لولايه الله، ولزوم التوجه اليه ودخوله وحرمة الصدود والصد عنه.

وهذه الآيه هى الاخرى تبين أن الايات الناطقه عن الله وأعظمها النبى (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام)، يجب التصديق بها، والخضوع، والتواضع، وعدم الإستكبار، وعدم الصد عنها.. وقد ضُمَّن لفظ الاستكبار فى الآيه معنى الصد ايضاً بقرينه لفظ (عنها)..

والتكذيب والتصديق انما يكون بالإضافة الى الآيات الناطقه بمحبه الله سبحانه.. وهم حجج الله وخلقائه، كما فى قوله تعالى: (وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً) .. لا الآيات الصامته كآيات الآفاق.. التى قد يُعرض عنها، أو يُتدبر فيها.. وهذه الآيه والآيات السابقه لها، تبين أنه لا يكفى التصديق بحجج وآيات الله الناطقه. وإن مجرد التصديق لا يكفى فى النجاه، والولوج والصعود الى أبواب رحمه الله سبحانه، بيل لابد من التواضع والخضوع لحجج الله تعالى، والإقبال والتوجه اليهم، واللواذ والدخول فى ولايتهم وطاعتهم، ومشاهدتهم المقدسه..

فكل من الصد عنهم والاستكبار عليهم، على حد سواء مع تكذيبهم، فلاحظ ما فى لفظ هذه الآيه الكريمة من سوره الاعراف..

وقارن بينهما وبين الفاظ ايه سوره المنافقين المتقدمه (تَعَالَوْا)، (يَصِدُّونَ)، (مستكبرون).

(اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا) ..،

(لَوْ وَرَأَوْهُمْ) ..

وكذلك ورد فى عده سور تقدمت الاشاره اليها، وتعرض لإبء إبليس عن السجود لآدم خليفه الله، ووصفه بـ(استكبر).

فجعل فى السور الإبء عن السجود لآدم خليفه الله استكباراً، كما تقدم مفصلاً فى الجئه الثالثه، وذلك السجود فى الحقيقه - كما مر - هو سجود لله سبحانه، وتعظيم لخليفه الله آدم، بما هو خليفه الله، وليست خاصه بآدم بما هو هو.. بل بما هو خليفه الله، فهى سنه إلهيه مستمره، وهى

من بنود الدين لا- من تفاصيل الشريعة والشرائع القابلة للنسخ، كما مرّ في الجهد الثالث.. ومنه يظهر أن ما ورد في الروايات المستفيضة أو المتواتره الآتيه في آداب الزيارة والتي قد أفتى بها جُلُّ علمائنا الأقدمين والقدماء، وطبقه المتأخرين الثالثه، هي مطابقه لهذه السنه القرآنيه الأصيله..

ثانياً: الروايات الشريفه:

اشاره

ما نذكره من مصادر إنما هي نبذه ممّا وقفنا عليه من روايات في كتبنا الحديثيه، ولو أردنا نقل كل ما وقفنا عليه، لخرج حجم هذه الرساله في القاعده عن وضعها المعتاد... فضلاً عمّا لم نقف عليه ولم نستقصيه:..

(١) كامل الزيارات، والسند صحيح إلى الحسن بن عطيه عن ابي عبدالله (عليه السلام)، في زياره لسيد الشهداء (عليه السلام)، وفيها بعد قول الزائر مخاطباً الحسين (عليه السلام): أشهد انك طهر طاهر من طهر طاهر... ثم ضع خديك جميعاً على القبر، ثم تجلس وتذكر الله بما شئت، وتوجه الى الله فيما شئت أن تتوجه، ثم تعود وتضع يديك عند رجليه . ثم تقول: (صلوات الله على روحك وعلى بدنك..)

وفي اخر هذه الزياره ايضاً، قوله (عليه السلام): (وكلما دخلت الحائر فسلمّ وضع خدك على القبر)(١).

(٢) ما رواه في كامل الزيارات ايضاً، بسنده عن حكيم بن داود بن حكيم، عن سلمه بن الخطاب، عن علي بن محمد عن بعض اصحابه، عن سليمان بن حفص المروزي، عن الرّجل (عليه السلام)، قال: تقول عند قبر

ص: ٧١٦

الحسين (عليه السلام)، ثم ذكر زياره مختصره، ثم قال: ثم ضع خدك الأيمن على القبر وقل: أشهد أنك على بينه من ربك، جئتُك مقراً بالذنوب، اشفع لى عند ربك يا بن رسول الله. ثم اذكر الأئمه واحداً واحداً وقل: اشهد انهم حجج الله، ثم قل: اكتب لى عندك عهداً وميثاقاً باني أتيتُك مجدداً الميثاق، فاشهد لى عند ربك انك انت الشاهد(١).

وفى الطريق الاخر عن حكيم بن داود عن سلمه بن الخطاب، عن الحسين بن زكريا عن سليمان بن حفص المروزي، عن المبارك (عليه السلام)، وذكر الزياره..

ولا يخفى دلالة الروايه والزياره على ان الزائر يخاطب الامام حين وضع خده الأيمن على القبر، ويُقر للإمام بالذنوب، ويطلب الشفاعة منه عند الله سبحانه، أى أن وضع الخد على قبر الامام، بما انه ولي الحساب من قبل الله تعالى، وبما هو شفيع عند الله سبحانه، فالمقصد النهائى فى التوجه هو الله عز وجل، سواء فى وضع الخد على القبر، أو فى الاقرار بالذنوب بين يدى الامام (عليه السلام)، أو فى طلب الشفاعة..

وهذا يعزز ما قررناه، من القاعده المُتقدمه فى الجِهه الرَّابِعَه (من حقيقه الزياره والمزور)..

وَأَنَّ مِنْ غَايَاتِ زِيَارَةِ الْمُعْصُومِينَ، الْإِقْرَارَ بِالذَّنُوبِ بَيْنَ يَدَيْهِمْ، لِأَنَّهُ إِقْرَارٌ بِالذَّنُوبِ بَيْنَ يَدَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، بَعْدَ كَوْنِهِمْ خُلَفَاءَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ.

ص: ٧١٧

(٣) كامل الزيارات (١)، مصححه ابي حمزه الشمالى، وفى وسط الزياره.. (ثم ضع خدك الايمن على القبر وقل: اللّهُمَّ انى أسألك بحق هذا القبر ومن فيه، وبحق هذه القبور ومن اسكنتها، أن تكتب اسمى عندك فى اسمائهم، حتى توردنى مواردهم وتصدرنى مصادرهم).

ثم ذكر دعاءً طويلاً- فى التضرع الى الله والتذلل اليه فى غفران الذنوب. وفيه: (... يا سيدى، فارحم كبوتى لحر وجهى ، وزله قدمى وتعفيرى فى التراب خدى وارحم خشوعى وخضوعى وانقطاعى اليك سيدى ، وأسفى على ما كان منى.. وتمرغى وتعفيرى فى تراب قبر ابن نبيك بين يديك .. فانت رجائى ومعتمدى..) ثم واصل الدعاء الى ان قال (عليه السلام): (... ثم ضع خدك الايسر على القبر وتقول: اللّهُمَّ، ارحم تضرعى فى تراب قبر ابن نبيك ، فانى فى موضع رحمه يا رب).

ثم قال: وتقول: (بابى انت وامى يا بن رسول الله....)

الى اخر ما ذكر المعصوم من المناجاة فى الزياره وهو بهذا الحال.

ثم ذكر (عليه السلام) تسبيح الف مره.. وهو تسبيح امير المؤمنين (عليه السلام).. ثم خطاب الزائر للحسين (عليه السلام) بالزياره، ثم دعاء وخطاب مع الله سبحانه وخطاب مع المعصوم لمناجاته وزيارته. ثم قال (عليه السلام): (... ثم تضع خديك عليه وتقول: اللّهُمَّ رب الحسين إشف صدر الحسين.. اللّهُمَّ رب الحسين اطلب بدم الحسين..

اللّهُمَّ رب الحسين انتقم ممن رضى بقتل الحسين.

ص: ٧١٨

١- (١) كامل الزيارات: ب٧٩، ح ٢٣.

اللَّهُمَّ رب الحسين انتقم ممن خالف الحسين

اللَّهُمَّ رب الحسين انتقم ممن فرح بقتل الحسين).

ثم قَالَ (عليه السلام): (وتبتهل الى الله سبحانه في اللعنه على من قتل الحسين وامير المؤمنين (عليهما السلام)).

ثم امر بتسييح الف مره - تسييح خاص للزهراء (عليها السلام) -.

ثم زياره على بن الحسين (عليه السلام)، ثم صرَّ الى قبر على بن الحسين، وهو عند رجلى الحسين بن علي (عليه السلام)، ثم ذكر زياره على بن الحسين (عليه السلام) ثم قال: (.. ثم انكبَّ على القبر وضع يدك عليه ، وقل: وذكر زياره اخرى لعلى بن الحسين، ثم قَالَ (عليه السلام): ثم ضع خدك على القبر وقل: صلى الله عليك يا ابا الحسن، ثلاثاً.. بابي انت وامى اتيتك زائراً وافداً...) الى اخر ما ذكره (عليه السلام) فى زياره على بن الحسين (عليه السلام). ثم قَالَ (عليه السلام): (ثم تدعو بما احببت.. ثم أمر (عليه السلام) بصلاه ركعتى الزياره والدعاء بعد الزياره) ثم قال: (.. ثم تنكب على القبر وتقول..) وذكر مقطعاً من زياره للحسين (عليه السلام) فى هذا الحال..

وقد وَرد فى آخر الزياره: «..اللَّهُمَّ ارحم عُربتى، وُبُعد دارى وارحم مسيرى إليك وإلى ابن حبيبك، وأقلىنى مُفلحاً منجحاً، قد قىلت معذرتى وخشوعى وخشوعى، عند إمامى وسيدى ومولائى.. وارحم صرختى وبكائى، وهمنى، وجزعى وحزنى، وما قد باشر قلبى من الجزع عليه»(١)..

ص: ٧١٩

١- (١) الوسائل: أبواب احكام الدواب، ج ١١، ب ١٤، ح ١، ص ٤٩٠.

أولاً: – الانكباب على القبر:

اشاره

(١) الانكباب لغه:

معنى الانكباب: ليس مجرد هو الجلوس عند القبر، والإيماء بالجسد ميلاً بل هو عبارته عن أن يخر بجسده وصدرة ومنكبيه، ويديه، لاصقاً له، بالقبر الشريف، فهو سجود لاطناً بكل جسده على الأرض..

وروى الواقدي ان سواد بن قادم انكب على النبي (صلى الله عليه وآله).

وفى كتاب فضائل امير المؤمنين (عليه السلام)، لشاذان بن جبيل القمي. حديث العبد الاسود السارق،.. ثم انكب على قدميه (قدمي امير المؤمنين) وقال: بابي انت وامي يا وارث علم النبوه(١).

الانكباب على القبر سنه نبويه شريفه:

(١) سنه الانكباب على القبر، سنه دينيه شرعيه عظيمه سنه الرسول (صلى الله عليه وآله) وذلك عندما انكب على قبر فاطمه بنت أسد، حيث انكب عليها طويلاً يناجيها فقال له المسلمون: إنا رأيناك فعلت اشياء لم تفعلها قبل اليوم(٢).

وفى كتاب الاعتقادات للصدوق فى ذيل باب المساءله فى القبر، قال:

ص: ٧٢٠

١- (١) الروضه فى فضائل امير المؤمنين (عليه السلام) لشاذان بن جبيل القمي: ٢٧٧، ح ١٨٦- البحار: ج ٤٠، ١٨١، ح ٤٤.

٢- (٢) الكافي: ٤٥٣، باب مولد امير المؤمنين (عليه السلام)، ح ٢.

ثم انكب (صلى الله عليه و آله) عليها يناجيها طويلاً ، ويقول:..... ثم خرج وسوى عليها التراب، ثم انكب على قبرها .. فسمعوه وهو يقول: (اللَّهُمَّ انى استودعتها إياك) ثم انصرف. فقال له المسلمون: يا رسول الله؛ انا رايناك صنعت شيئاً لم تصنعه قبل اليوم) لا- يخفى أنه (صلى الله عليه و آله) تكلم بالدعاء لله تعالى حال الانكباب على القبر ولا- يخفى ان الانكباب على القبر والدعاء لله تعالى حاله يعد سجوداً لله تعالى من النبي (صلى الله عليه و آله) عند القبر(١).

وَقَالَ (صلى الله عليه و آله): للمسلمين حينما أراد ان يضع فاطمه بنت اسد فى القبر: (اذا رأيتمنى فعلتُ شيئاً لم أفعله من قبل، فأسألونى لِمَ فعلته)..

حتى اوردها قبرها ثم وضعها ثم انكب عليها يناجيها ... ثم خرج وسوى عليها التراب ثم انكب على قبرها ، فسمعوه يقول: (لا اله الا الله، اللَّهُمَّ انى استودعها اليك)(٢). ولا يخفى أن انكبابه الثانى بعد الدفن.

ثم انصرف، فقال المسلمون: يا رسول الله انا رأيناك فعلت اشياء لم تفعلها قبل اليوم، فقال: اليوم فقدت أبا طالب.... الحديث.

زار النبي (صلى الله عليه و آله) قبر أمه آمنه بنت وهب فى حجه الوداع، فبكى عند قبرها، وَقَالَ (صلى الله عليه و آله): سألت الله فى زيارتها فأذن لى(٣). وفى روايه أُخرى: أتى قبرها وأصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكائه(٤).

ص: ٧٢١

١- (١) اعتقادات الصدوق: اعتقاد ١٧، ٥٨.

٢- (٢) رواه الشريف الرضى فى خصائص الائمة: بسنده المتصل عن ابى عبدالله (عليه السلام)، ٦٥.

٣- (٣) البحار: ج ١٠، ٤٤١.

٤- (٤) البحار: ج ١٦٢: ١٥.

وتقريب الدلاله بما يلي:

(١) لا- يخفى ان دعاءه (صلى الله عليه و آله) ربه فى حال انكبابه على القبر هو خضوع وتضرع ونحو من السجود منه لله تعالى يناجى فيه ربه عند قبرها.

الانكباب على القبر سنه إلهيه ...

وهذه هى السنه التى سنها النبى (صلى الله عليه و آله) عند دفن فاطمه بنت أسد (عليه السلام)، وقد هيا وأعد المسلمين، وشدهم للالتفات الى بدء تشريع هذه السنه منه (صلى الله عليه و آله)، أنه يتعبد لله ويسجد له عند قبور الصديقين المصطفين.. ويتقرب الى الله عندهم.. وهذه السنه النبويه، هى تأصيلٌ للامر القرآنى فى قوله تعالى: (وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّئًا) أى ان (مقام إبراهيم). مشهد من مشاهد الانبياء والصديقين، يتقرب الى الله عنده، ويتعبد ويصلى ويسجد فيه ولا يخفى أن حوالى الكعبه من أضلاعها المتعدده مدفون فيها عشرات الأنبياء فضلاً عن حجر اسماعيل كما فى روايه الفريقين (١).. وكذلك تأصيلاً لأمر الله تعالى بقوله: (فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) .. (أذن) بمعنى أمر..

(٢) وبعبارة أخرى إن أول من سنَّ السجود لله عند القبور المقدسه هو رسول الله (صلى الله عليه و آله) بفعله وسجوده، بالانكباب عند آمنه بنت وهب وفاطمه بنت أسد.. ولا يخفى أن الانكباب الثانى لقبر فاطمه بنت أسد لم يكن لتلقيين فاطمه بنت أسد، فإن ذلك فى الانكباب الأول، وأما الانكباب الثانى، فقد كان تضرعاً وذكراً لله سبحانه، وإلحاحاً فى الدعاء، ومع ذلك

ص: ٧٢٢

١- (١) أولاً: ص ٥١.

تحزى (صلى الله عليه وآله)، موضع الانكباب ولصوق جسده بالأرض لاطناً لجسده الشريف عند شفير قبرها، قائلاً فى سجوده:

«لا إله إلا الله، اللهم إني أستودعها إليك».

٣) ومما يؤكد على أنها شئنه إلهيه سنّها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، تساؤل المسلمين عند فعله ذلك، بقولهم: يا رسول الله، إنا رأيناك فعلت أشياء لم تفعلها قبل اليوم؛ فأجابهم بقوله: تفسيراً للانكباب الأوّل .. وأما الانكباب الثانى فقد سمعوه منه، أنه سجد وتضرّع ودعاء لله، ومن ثمّ لم يوضحه لهم، ولا غرابه فى أهميه هذا المشهد وانشداد المسلمين إليه..

فانهم يرون سيد الكائنات، وخاتم الأنبياء، قد قام بهذا الفعل، وخرّ بجسده الشريف على القبر مرتين.. أمام مرآى ومسمع من المسلمين.. وهو الذى لا ينطق فعله إلا بوحي، يسنّ تشريعاً للبشرية إلى يوم القيامة.. مخصصاً هذا الفعل منه بقبر فاطمه بنت أسد، دون بقية الموتى والقبور.. ولذلك علّل تبجيل وتعظيم قبرها منه وتجليله بقوله: «اليوم فقدت أبا طالب». وذكر بقية مآثرها ومناقبها؛ تعليلاً لتبجيله وتكريمه إياها.. وحفاوته بقبرها، وتعبدّه وسجوده لله عند قبرها..

ثانياً: التضرع فى تراب القبر ...

إشاره

عموم موضع التضرع لاجدّ القبر فقط بل يشمل كل حوالى القبر مما يصدق عنوان (عند القبر) لقدسياه الارض بسبب الاضافه اليه (عليه السلام):

قد ورد فى موضعين من الزياره التضرع فى تراب قبره: (اللَّهُمَّ ارحم تضرعى فى تراب قبر ابن نبيك..) و(وتمرغى وتعفىرى فى تراب قبر ابن نبيك بين يديك)..

ومن الظاهر أن تراب القبر عنوان يصدق على حوالى القبر من الحائر، بل أوسع من ذلك بكثير.. نظير ما ورد هذا العنوان فى استحباب السجود على تراب قبر الحسين (عليه السلام) من الروايات المستفيضه، وقد استظهر مشهور العلماء من هذا العنوان ما يعمّ مدينه كربلاء، فضلاً عن ما دار حول الضريح المبارك..

وهذا بيان لكون هذه الشئنه من آداب الزيارة غير مختصه بخصوص البقعه المباركه التى تعلقو اللحد الشريف.. ولا بد من التنبيه الى عموم العنوان، وعموم الموضوع، ما ذكره الشيخ المفيد من أن الاختلاف الوارد فى تحديد حرم الحسين (عليه السلام)، من القبر والحائر، والفرسخ والاربعه فراسخ.. وغيرها من الألسن الوارده، محموله على تعدد وتفاوت مراتب القدسيه والفضيله.. ومن ثمّ ذهب الشيخ المفيد وجّل المتقدمين الى فضيله الاتمام فى صلاه الفريضة فى جميع مدينه كربلاء.

نظير ما ورد ايضاً: (أشهد لقد طيب الله بك التراب واوضح بك الكتاب..). وغيرها من الاشارات والدلالات فى الزيارات، الداله على عموم قدسيه الارض المحيطة بالقبر الشريف، بسبب سعه الإفاضه والنسبه اليه (عليه السلام) بلحاظ كل تلك الارض.

وإليك قائمه بالعناوين العامه الأخرى فى الروايات الداله على عموم وسعه موضع التبرك والافاضه حول قبر المعصوم (عليه السلام):

تقبيل القبر والتربه
وضع الخد على التربه - عند القبر

- ١) ما ذكره الشيخ المفيد في المزار: عند زياره الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) «..ثم قبّل التربه، وضع خدك الأيمن..»^(١).
- ٢) محمد بن المشهدى في المزار: بعد زياره مشهد يونس النبى (عليه السلام): «ثم قبّل التربه، وصلّ ركعتين للزياره»^(٢).
- ٣) كامل الزيارات: فى زياره للحسين (عليه السلام): «وتعفيرى فى التراب خدى.. وتمرغى فى تراب قبر ابن بنت نبيك.. ارحم تضرعى فى تراب قبر ابن نبيك..»^(٣).
- ٤) العلامه الحلّى: فى زياره الإمام الكاظم (عليه السلام) «وقبّل القبر، وضع خدك عليه...»^(٤).
- ٥) التهذيب: فى وداع الإمام الجواد (عليه السلام):
«..وقبّل القبر، وضع خديك عليه..»^(٥).
- ٦) مزار الشيخ المفيد: فى زياره أمير المؤمنين (عليه السلام) «...ثم انكبّ على

ص: ٧٢٥

-
- ١- (١) المزار: باب ١٥، ١٩٣.
 - ٢- (٢) المزار: ص ١٥٥.
 - ٣- (٣) كامل الزيارات: ٧٩، ح ٢٣.
 - ٤- (٤) منتهى المطلب: ج ٢، ٨٩٥، ط.ق.
 - ٥- (٥) التهذيب: ج ٦، ٩١، باب ٤٠.

القبر فقبّله، وضع خدّك الأيمن»(١).

٧) مزار الشيخ المفيد: «ثم تنكبّ على القبر فتقبّله وتضع خدّك الأيمن عليه..»(٢).

٨) مزار الشيخ المفيد: «ثم تنكبّ على كل واحد من القبرين فتقبّله، وتضع خدّك الأيمن عليه..»(٣).

٩) مزار المشهدى: «..ثم تنكبّ على القبر وتقبّله، وتلوذ به، وتسال الله تعالى ما أحببت يُجيبك..»(٤).

وقد ورد مستفيضاً فى الزيارات عنوان اللواز بقبورهم(عليهم السلام)، وعنوان التقرب والتوجه بهم إلى الله سبحانه.. وهذه العناوين شامله إلى كثير من الهيئات والطقوس التى يمارسها الشيعة عند قبورهم (عليه السلام).

تمرّ سائر بدنك ووجهك على القبر.. فإنه أمان وحرز من كل ما تخاف وتحذر بإذن الله..(٥).

١٠) زياره مختصره للإمامين العسكريين: «ثم قبل التربه، وضع خدّك الأيمن عليها..»(٦).

ص: ٧٢٦

١- (١) المزار: باب ٤٣، ٨٢.

٢- (٢) المزار: باب ١٧، ١٩٨.

٣- (٣) المزار: باب ١٩، ٢٠٣.

٤- (٤) مزار المشهدى: القسم الثالث، الزياره التاسعه، ٢٥٥.

٥- (٥) مزار المشهدى: ص ٤٣٤.

٦- (٦) مزار المشهدى: ص ٥٤٠.

(١١) أفتى به الشيخ المفيد والشهيد الأول في المزار وجمله من الأصحاب، من استحباب إتيان المشاهد بحاله الخضوع والخشوع، ورجحان الخشوع عند الوقوف بأبوابها، والأفضل أن يقف حتى يجد خشوعاً.. وتحزى زمان الدقه (١).

(١٢) الشهيد الأول يفتى باستحباب السجود على الأعتاب لله تعالى شكراً على بلوغ تلك البقعه (٢).

(١٣) الشيخ البهائي: ... وربما يُستفاد من ذلك الحديث المنع من استدبار ضرائحهم في غير الصلاة، نظراً إلى أن قوله (عليه السلام): (لأن الإمام لا يتقدم عليه) عامٌ في الصلاة وغيرها (٣).

(١٤) في كامل الزيارات: ورد في زياره الحسين (عليه السلام): «..ثم ضع يديك وخذيك على رجله، وقل صلى الله على روحك وبدنك...» (٤).

ثالثاً: حقيقه سنّه تمرينج الوجه بتراب القبر

اشاره

تضرعاً لله، و توجهاً الى المعصوم وسيله:

فقد ورد في هذه الزياره المعتبره روايه، مناجاه الزائر ربه حال تمرينج وجهه بالتراب.. وطلبه منه تعالى، كما مرّ.

وقد ورد فيها أيضاً خطاب الزائر عند وضع الخد الايمن على القبر،

ص: ٧٢٧

١- (١) الدروس: ج ٢، ٢٣، المزارات.

٢- (٢) الدروس: ج ٢، ٢٣، ٢٥.

٣- (٣) الحبل المتين: ١٥٦، مكان المصلى، ط.ق.

٤- (٤) كامل الزيارات: باب ٧٩، ح ١٧.

قول الزائر: (..يا سيدى فارحم كبوتى (الكبوه: الانكباب على الوجه) لحرّ وجهى (ما اقبل عليك وما ييدا لك من الوجه) وزله قدمى وتعفيرى فى التراب خدى، وندامتى على ما فرط منى، واقلنى عثرتى وارحم صرختى وعبرتى). وهو بهذا الحال، واضعاً خديه خطابه للمعصوم بالزياره والتسليم والتحيه، وهذا التنوع من التوجه، أثناء وضع الخدين أو اثناء الانكباب، يلاحظ وروده مستفيضاً فى الزيارات المرويه، ولا تنافى بينهما كما يلاحظ أيضاً فى وضع الخد على قبر على بن الحسين (عليه السلام) فى هذه المصححه وخطابه (صلى الله عليك يا أبا الحسن)..

بل هناك تمام وكمال الملائمه، بل ضروره التلازم بينهما..

التلازم فى التوجه إلى الله تعالى بالتوجه إلى المعصوم عليه السلام:

وبيان ذلك عبر نقاط:

(١) سجده السهو: فقد ورد النص والفتوى فيها، بكون الذكر فيها: (بسم الله وبالله، السلام عليك ايها النبى ورحمه الله وبركاته). كما فى صحيح الحلبي (١):

فمع كون السجود لله تعالى، إلا- انه قد تضمن ايضاً التسليم بتوجيه الخطاب للنبي (صلى الله عليه وآله)، وقد أفتى به جميع الفقهاء، ولم يتوقف عن الفتوى به أحد، مما يشير الى عدم التنافى بين حقيقه السجود لله تعالى، وبين التوجه فى

ص: ٧٢٨

١- (١) الوسائل: ابواب الخلل الواقع فى الصلاه، ب ٢٠، ح ١.

حال السجود الى المعصوم كوسيله يتوجه اليه بغايه التوجه الى الله تعالى، فكون المتوجه اليه المعصوم أثناء السجود، لا يستلزم ولا يعنى كون المسجود له حقيقه هو المعصوم، ما دام أن قصد الساجد من التوجه الى المعصوم، هو كونه وسيله الى الله سبحانه، وشفيعاً، ووجه الله الذى يتوجه الولىاء.

فصرف التوجه الى المعصوم اثناء السجود إليه، ليس حجاباً عن اضافه السجود الى الله سبحانه، ولا قاطعاً للسبيل اليه تعالى. بل هم السبيل اليه.

(٢) وهذا ما أشار اليه قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠)). فألزمت الآية بالخضوع للآيات الناطقه المنصوبه من قبله تعالى.

حيث ان الآيه تنص على أن آيات الله مفاتيح ابواب السماء الالهيه، ومفاتيح الجنه.. وكذلك كل الآيات الداله على ان النبى وآله هم الوسيله الى الله والسبيل اليه تعالى.. فمقتضى ذلك انهم يؤدون الى الله سبحانه وليسوا سبباً للصد عن سبيله، كما هو الحال فى طواغيت وفراعنه وجوايبت هذه الامه..

(٣) كما هو مقتضى قوله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) وقوله تعالى: «ما سألتكم من أجر فهو لكم»، وقوله تعالى: «ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً».

فكانوا هم السبيل اليه والمسلك الى رضوانه.

فتوهم، أن التوجه اثناء السجود الى المعصوم لا يستقيم، مع السجود لله تعالى سراب بقيعه.. كما اوضحناه مفصلاً فى الجبهه الثالثه من هذا الكتاب..

(٤) بل مُقتضى الآيات التى اشرنا اليها، وغيرها ما ورد فى الجبهه المزبوره، ليس مجرد الملائكه والانسجام بين هذين الامرين، بل مفادها ضرورة التوسل والتوجه بهم الى الله سبحانه، فى كل عبادته، وقد بسطنا الكلام عن هذه الضروره فى كل العبادات، فى مبحث التوسل من كتاب الامامه الالهيه(١)..

وعلى ضوء ذلك، فالأمران ليس بينهما نسبه الإمكان فى الوقوع فقط، بل الضروره، والتلازم، بنحو يستحيل الانفكاك..

(٥) وعموم قولهم فى الزياره الجامعه الكبيره للإمام الهادى (عليه السلام): (مَن اراد الله بدأ بكم).. بيان لضروره هذا التلازم، سواء فى سجود أو ركوع أو صيام أو حج أو زكاه أو غيرها..

فأى موطن، وى منزل ومحل، اراد العبد فيها الله سبحانه، وأراد قصد التوجه اليه تعالى، لا مفرّ من البدء بهم.. كوسيله ليفدون به الى الله تعالى..

(٦) وهو قوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا» (٢)، وقوله تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يُصَدِّونَ

ص: ٧٣٠

١- (١) الامامه الالهيه: ج ٤، ج ٥.

٢- (٢) سوره النساء: ٦٤.

وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ» ١، فبدأ تعالى شرائط التوبه من الذنوب التي هي من أعظم العبادات ولبابها أولاً بالبدء بالمجىء الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الآيتين.

(٧) وكذلك في قوله تعالى: (وَ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) ٢ و (وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا) ٣. (اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَ كَلِمَاتُهَا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ) ٤ والمراد بالباب في الروايات المستفيضه لدى الفريقين أن باب حطه هو أهل البيت محمد وآل مُحَمَّد (صلوات الله عليهم أجمعين) فبيّنت الآيات أن الاستغفار والتوبه إلى الله تعالى هو بالبدء بالمجىء والخضوع إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام).

(٨) وهذا سرّ ما استفاض في روايات الزيارات، أن الزائر، حال الانكباب على تراب القبر، أو تمرغ خديه عليه، يتوجه تاره الى الله تعالى في الخطاب، وتاره اخرى يتوجه اليهم (عليهم السلام)..

واتضح بذلك أن هذا الشاهد ليس مخصوصاً بسجدة السهو..

(٩) ألا ترى المصلى عند كافته المسلمين، وبالضروره، يتوجه بالتسليم في تشهده الأخير الى النبي وهو في حال الصلاة، وحال الخطاب والتوجه الى الله تعالى.. ومع ذلك يتوجه بالخطاب الى النبي (صلى الله عليه وآله)، مع انه بالضروره لا زال في حال الصلاة، ولم يفرغ منها، ولا يفرق الحال بين عباده واخرى..

فالتشهد كما هو عباده ومن اجزاء الصلاة، كذلك الحال في السجود والركوع وغيرها من ابواب وفضول العبادات..

إذ الحقيقة العبادية وتيره واحده في كل هذه الموارد وان اختلفت شدة وضعفاً وهيئه واطاراً..

وهذا كله يُعزز، ويقوى، القاعدتين اللتين نحن بصددهما:

القاعده الاولى: أن من آداب الزيارة وضع الخدين وتمريغ الوجه والإنكباب على تُراب وأرض مشهد القبر.

القاعده الثانيه: أن المقصود بالزياره، والمزور لباً ومالاً هو الله سبحانه بوسيله زياره المعصوم (عليه السلام)..

القاعده الثالثه: ان الخضوع والتعظيم للمعصوم بالانكباب ووضع الخدّ وتقبيل تُراب القبر، غايته ولُبّه هو التضرع والخضوع والتعظيم لله، كما هو الحال في التوجه إلى الكعبه.. والسجود أمامها، ووضع الخد عليها.. وقد صُرِّح بهذا التفسير في زيارات عديده.

حكمه التضرع في تراب القبر ...

رابعاً: من فقه الروايه تحليل التضرع لله في تراب قبر المعصوم بأنه موضع رحمه: (.... اللَّهُمَّ ارْحَمْ تَضَرَعِي فِي تُرَابِ قَبْرِ ابْنِ نَبِيِّكَ، فإني في موضع رحمه يا رب).

وهذا المفاد مطابق لثلاث أصول قرآنيه لقوله تعالى: (وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ).

فإذا كان الحجر الملامس لبدن إبراهيم (عليه السلام)، أصحح له هذا الشأن، حيث يكون محل عباده وخضوع.. مع عدم تضمن هذا الحجر وهذا المقام على بدن ابراهيم.. فكيف بالموضع الذى حوى جسد النبي (صلى الله عليه وآله)، ممن هو أعظم فضيله من ابراهيم (عليه السلام)..

ومطابق لقوله تعالى: (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا) ١.

فاذا كان شأن قميص يوسف، لامس بدن يوسف.. من البركه والشفاء من العمى والعاهاات.. فكيف بتراب لامس بدن ودم الحسين (عليه السلام)، ولا يكون هو فيه الشفاء الأعظم، والبركه والرحمه..

وكذلك هو مطابق لقوله تعالى: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَزْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْفَلُوا خَاسِرِينَ (٢١) ٢.

فاذا كانت ارض بيت المقدس قُدّست لصلاه الانبياء فيها لتعبدهم فيها كما بين ذلك فى روايات المعراج.. فكيف ببقاع مراقد المعصومين (عليهم السلام) التى حوت أبدانهم المقدسه، وقد تضرّع وتعبّد فيها الأئمه من أهل البيت.. وكيف ببقعه كربلاء التى يزورها جميع الأنبياء والمرسلين، فى كل ليله جمعه، بل فى كل مناسبه، بل يستأذنون العزيز الجبار فى زيارته..

ص: ٧٣٣

خامساً: من فقه الروايه ضراعه الزائر حين تحيته وخطابه للمعصوم، سنّه أكيدته:

ان من سنن وآداب زياره المعصومين (عليهم السلام)، توجيه الخطاب والتحيه له، حال كون الزائر ضارعاً، خاضعاً، واضعاً خذّه على قبره، مفدياً نفسه بالمعصوم، مستعيذاً به من ذنوبه، طالباً عتق رقبته من النار بهذه الزياره، وبعبارة اخرى: إن التضرع والخضوع والانكسار للمعصوم فى هياه البدن فضلاً عن جوارح القلب، من الآداب الأكيدته التى أوصت بها روايات الزيارات.. ومن ثمّ ورد الامر المستفيض بوضع الخدين وتمريغ الوجه وتمريغ حرّ الوجه فى تراب القبر.. بل قد ورد ذلك كما فى هذه المصححه فى زياره على بن الحسين (عليه السلام)، وكذا ورد فى زياره ابى الفضل العباس (عليه السلام)، وورد أيضاً فى زياره الحمزه.. فاذا كان هذا الشأن والحال من الزائر مع الدائره الثانيه من اهل البيت كعلى بن الحسين والعباس والحمزه.. فكيف حال وشأن الزائر مع الدائره الاولى من اهل البيت (عليهم السلام) وهم الأربعة عشر معصوماً..

(٤) كامل الزيارات (١): مصحح ابى حمزه الثمالى عن ابى عبد الله (عليه السلام) قال: (... إذا أردت الوداع بعد فراغك من الزياره، فأكثر منها ما استطعت).. ثم ساق (عليه السلام) الزياره وقال: (... ثم ضع خدك الايمن على القبر مره، والايسر مره، والّح بالدعاء والمسأله.. فاذا خرجت فلا تولّى وجهك عن القبر حتى تخرج..).

ص: ٧٣٤

(٥) التهذيب (١): معتبره الحسين بن ثوير عن ابي عبدالله (عليه السلام)، وهي زياره طويله، وفيها: (.. ثم انكب على القبر وقل: السلام عليك يا حجه الله وابن حجه أشهد انك حجه الله... انا يا مولاي وليك اللائذ بك في طاعتك، التمس ثبات القدم في الهجره عندك، وكمال المنزله في الاخره بك، اتيتك بابي انت وامى ومالى وولدى زائراً...)

بك اتوجه الى الله فى نجحها وقضائها فاشفع لى عند ربك وربى فى قضاء حوائجى كلها وقضاء حاجتى العظمى، وهى فكاك رقبتي من النار والدرجات العلى..).

فقه الروايه:

أولاً: فى هذه الروايه بيان لماهيه الانكباب بالوجه والبدن على القبر، انه لواذ واستجاره بالمعصوم الى الله.

ثانياً: بيان سنه أدب الزياره أن يزور الزائر حاله خضوعه وانكساره وتعظيمه، وفى المتن خمس عشر سطرًا من الزياره، يقرأها الزائر حال الانكباب، ثم فى متن الزياره: (ثم ارفع وقل..) وهو تأكيد على ان هذا المقدار من الزياره يقرأ حال انكباب البدن والرأس على القبر.

(٦) وروى فى الكافى عن عده من اصحابنا، عن سهل بن زياد عن محمد بن اورمه، عن بعض اصحابنا عن ابي الحسن صاحب العسكر (عليه السلام)، وذكر زياره لسيد الشهداء.. وفيها: (ثم تضع خدك الايمن على القبر، وقل: (أشهد انك على بينه من ربك جئت مقراً بالذنوب لتشفع لى عند ربك

ص: ٧٣٥

١- (١) التهذيب: ج ٦، ٥٤، ح ١٣١. ورواه ايضاً عن شيخه المفيد فى المزار.

يا بن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم اذكر الأئمة (عليهم السلام) بأسمائهم واحداً واحداً، وقل: (أشهد أنكم حجة الله..)، ثم قل: (اكتب لى عندك ميثاقاً وعهداً أجدد الميثاق، فاشهد لى عند ربك انك انت الشاهد)(١).

ومفاد هذه الزيارة، متضمن للنقاط التى مرت فى الزيارات السابقه، ويضاف اليها: إن من غايات زياره المعصوم (عليه السلام) الاعتراف بالذنوب عنده.. بل الاعتراف بها عند جميع المعصومين، ولو بالتوجه اليهم وذكرهم عند احدهم.. لانهم اولياء الحساب، ومن ثم هذا الاقرار بالذنوب، يذكره الزائر بعد الاعتراف للمعصومين (عليهم السلام) بمقامهم اللدنى عند الله، والاقرار بالميثاق والعهد بالتسليم لامامتهم.

(٧) مصحح صفوان بن مهران، عن جعفر بن محمد عليهما السلام، قال: سار وانا معه من القادسيه حتى اشرف على النجف، فَقَالَ (عليه السلام): هو الجبل الذى اعتصم به ابن جدى نوح... فلم يزل سائراً حتى أتى الغرى فوقف على القبر، فساق السلام من آدم، على نبي نبي عليهم السلام، وأنا أسوق معه، حتى وصل السلام الى النبي (صلى الله عليه وآله).. ثم خَرَّ على الارض فسَلَّمَ عليه، وعلا نحيبه)(٢).

ودلاله المصححه:

(١) تَدُلُّ على ظاهره وهى: أَنَّ الصادق (عليه السلام) خَرَّ على القبر، وهو الرمى

ص: ٧٣٦

١- (١) الكافي: ج ٤، ٥٧٨، باب زياره قبر ابي عبدالله الحسين (عليه السلام)، ح ٣ - والتهذيب: ج ٦، ص ١١٤، ح ١٨، ٢٠٢ - ورواه بطريق اخر عن محمد بن جعفر الرزاز الكوفى، عن محمد بن عيسى بن عبيد عن ذكره، عن ابي الحسن مثله.

٢- (٢) كامل الزيارات: ب ٩، ح ٧، ٨٤-٨٥.

بنفسه سريعاً.

(٢) ثم زيارته لجده امير المؤمنين (عليه السلام) فى هذه الحال..

(٣) ثم علوّ نحيبه على هذه الحال.. وهذا يطابق مأمّر فى الروايات من الامر بزياره المعصوم، فى حاله خضوع وانكسار فى الهيئه البدنيه..

(٤) إن هذا الخضوع بالقاء البدن بالوجه على الأرض، من معصوم لمعصوم، فكيف بحال غير المعصوم، مع المعصوم (عليه السلام).

وفى روايه اخرى: ثم مالَ عليها وبكى، ثم مال الى أكمهٍ دونها وفَعَلَ مثل ذلك(١).

(٨) كامل الزيارات: معتبره الرقى، قال: حدثنى على بن موسى قال: حدثنى ابي موسى بن جعفر، عن ابي جعفر (عليه السلام)، قال: زار زين العابدين على بن الحسين قبرَ امير المؤمنين على بن ابي طالب (عليه السلام)، ووقَفَ على القبر وبكى ثم قال: (السلام عليك يا امير المؤمنين...، ثم قال: وهى زياره امين الله، ثم وَضَعَ خَدَّهُ على القبر وقال: اللَّهُمَّ ان قلوب المختين اليك والهه...)(٢).

(٩) كامل الزيارات، بطريق مستفيض عن سلمه بن الخطاب عن عبد الله بن احمد، عن بكر بن صالح، عن عمرو بن هشام، عن رجل من اصحابنا، عنهم (عليهم السلام): قال: وذكر زياره حمزه (عليه السلام)، ثم قال: فاذا فرغت من صلاتك، فانكب على القبر وقل: اللَّهُمَّ صل على محمد وأهل بيته، اللَّهُمَّ انى

ص: ٧٣٧

١- (١) كامل الزيارات: ب ٩، ح ١٠.

٢- (٢) كامل الزيارات: ب ١١، ح ١.

تعرضت لرحمتك بلزوقى بقبر عم نبيك صلواتك عليه وأهل بيته، لتجيرنى من نعمتك وسخطك ومقتك...

اللَّهُمَّ فلا تخينى اليوم، ولا تصرفنى بغير حاجتى، وقد لزقتُ بقبر عم نبيك، وتقربت به اليك ابتغاء مرضاتك ، ورجاء رحمتك فتقبل منى.. فانظر اليوم الى تقلبى على قبر عم نبيك صلواتك على محمد واهل بيته، فبهم فُكِنى، ولا تخيب سعى..(١).

وروى فى المذهب للقاضى بن براج، من هذه الالفاظ (وقد لُذت بقبر عم نبيك (صلى الله عليه و آله)، وتقربت به اليك)(٢).

(١٠) وروى فى مصباح المتهجد، فى زياره للحسين (عليه السلام) فى وداعه:

(ثم ضع خدك الايمن على القبر مره، والايسر مره ، وألخ فى الدعاء والمسأله)(٣).

(١١) وروى الشيخ الطوسى فى مصباح المتهجد، فى زياره العباس (عليه السلام): (.. ثم ادخل وانكب على القبر وقل: (السلام عليك أيها العبد الصالح المطيع لله ورسوله ولامير المؤمنين والحسن والحسين)..)(٤).

الى آخر الزياره، أى تقولها فى هذه الحال، وهو الانكباب، وهى ما يقرب من أحد عشر سَطراً أو يزيد..

ص: ٧٣٨

١- (١) كامل الزيارات: ب٥، ح ١، ٢، ٣، ٤.

٢- (٢) المذهب: ج ١، ٢٨١.

٣- (٣) مصباح المتهجد: ح ٨٨، ٨١٩.

٤- (٤) مصباح المتهجد: ح ٤، ٨١٥.

(١٢) وروى فى مصباح المتهجد ، ويستحب أن يدعو أيضاً بدعاء المظلوم، عند قبر ابى عبد الله الحسين (عليه السلام)، وهو: (اللَّهُمَّ، انى اعتر بدينك وأكرمُ بهدايتك، وفلان يُدلى بشرّه، ويهينى بأذيتة، ويعينى بولاء اوليائك، ويهتنى بدعواه، وقد جئت الى موضع الدعاء، وضمائك الاجابه.. اللَّهُمَّ صل على محمد وال محمد، وأعدنى عليه الساعه الساعه.. ثم ينكب على القبر ويقول: (مولاي، امامي، مظلوم استعدى على ظالم.. النصر، النصر... حتى ينقطع النفس)(١).

ولا يخفى، ان فى هذا الدعاء الشريف، ينكب الداعي على القبر، بوجهه وبدنه، ويلوذ ويستغيث بالامام حال ذلك، وظاهر سياق الشيخ انه ذكره فى ضمن ما يستحب فعله كل يوم او اسبوع.

(١٣) وروى فى مصباح المتهجد، زياره للحسين (عليه السلام) بعد ما أورد روايات مستفيضه مسنده فى الحث على زياره الحسين (عليه السلام)، المطلقه او المخصوصه، ما يقرب من عشره روايات.. ثم قال: فأما ما يقال من الألفاظ، فأكثر من ان تحصي، وقد ذكرنا طرفاً من ذلك فى كتاب الزيارات، وتهذيب الاحكام.. ونذكرها هنا بعض ذلك، مما لا بد منه، ثم ذكر مصحح صفوان عن الصادق (عليه السلام) الوارد فى الزياره، وذكر آداب الزياره بكاملها، ثم قال: ثم انكب على القبر، وقبله وقل: بابى انت وامى يا بن رسول الله، بابى انت وامى يا ابا عبد الله، لقد عظمت الرزيه وجلت المصيبه بك علينا وعلى جميع اهل السموات والارض، فلعن الله امه اسرجت

ص: ٧٣٩

والجمت وتهيأت لقتالك، يا مولاي يا ابا عبد الله، قَصِدْتُ حَرَمَكَ وَاتَيْتُ اِلَى مَشْهَدِكَ، اَسْأَلُ اللهَ بِالشَّأْنِ الَّذِي لَكَ عِنْدَهُ..
وبالمحل الذي لك لديه ان يصلى على محمد وال محمد وان يجعلنى معكم فى الدنيا والاخره(١).

ولا- يخفى ان هذا المقطع يُبين، أن الإنكباب بالوجه والجسد على القبر وأنه يخاطب المعصوم فى ذلك الحال بنحو طولى
للخطاب مع الله سبحانه..

ففى حين يقول: يا ابا عبد الله، يا مولاي، يسأل الله بالشأن الذى له فى جملة واحده، مما يدل على أن الخطاب للمعصوم وسيله
للخطاب مع الله.. فانظر: (أسأل الله بالشأن الذى لك عنده، وبالمحل الذى لك لديه...)، فان الزائر هنا، فى حين انكبابه على القبر
مخاطباً المعصوم، مُعظماً له بالخضوع، هو يتوجه به كوسيله الى الله سبحانه، وهذا مما يؤكد ويعزز ما مرّ بنا فى الجهات السابقه
من البحث من أن المقصود الاول، والغايه النهائيه من الخضوع والتعظيم للمعصوم فى المراقده المقدسه، كأدب من اداب الزياره
الوارده مستفيضاً فى الروايات.. هو التوجه والتعظيم والخضوع لله سبحانه، وتوجيه الخطاب اليه تعالى..

وان التوجه والخطاب، والتعظيم للامام المعصوم (عليه السلام) فى المراقده الشريفه، مرآه ووسيله للخطاب والتوجه والخضوع
والتعظيم لله سبحانه، فالاضافه الى المعصوم، مؤديه بالاضافه الى الله تعالى.

ولا يخفى ان هذه الروايه، هى متن زياره وارث الشهيره للامام

ص: ٧٤٠

١- (١) مصباح المتهجد: ح ٧٦، ٨٠٧ - ومزار المشهدى: ب ١٨، ٤٦٣ - الاقبال لابن طاووس: ج ٢، ب ٣، اعمال ذى الحجه - مزار
الشهيد الاول: ب ١، ف ٤، ١١٤.

الحسين (عليه السلام).. وفي متن هذه الزيارة (بعد زياره على بن الحسين (عليه السلام)): (.. انكب على قبره وقبله وقل: السلام عليك يا ولي الله وابن وليه، لقد عظمت المصيبة وجلت الرزية...)

ولا- يخفى دلالة هذا المقطع من زياره وارث الشهيره على رجحان تقبيل بقاع قبورهم.. وقراءه مقطع من الزيارة والتسليم عليهم في ذلك الحال.. وهو عين ما تسالم عليه جميع الفقهاء بالفتوى من ذكر سجدتى السهو، حيث يسلم الساجد فى حين سجوده لله، على رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ثم ذكر الشيخ فى ذيل زياره وارث.. (فاذا اردت الخروج فانكب على القبر، والوداع، وقل: (السلام عليك يا مولاي، السلام عليك يا حجه الله....، واياه أسأل ان يسعدنى بك وبالأئمة من ولدك ويجعلنى معكم فى الدنيا والاخره.. ثم قم واخرج ولا تولّ ظهرک واکثر من قول انا لله وانا اليه راجعون، حتى تغيب عن القبر..)(١).

(١٤) وروى فى مصباح المتهدج، فى زياره أخرى لأمير المؤمنين (عليه السلام) فى يوم الغدير؛ وفى ضمنها ورد: (... اللهم لا تخيب توجهى اليك برسولك وآل رسولك، واستشفاعى بهم اليك، إنك مننت علىّ بزياره مولاي امير المؤمنين (عليه السلام) وولايته ومعرفته.... ثم انكب على القبر وقبله، وضع خدك الايمن عليه، ثم الايسر..)(٢).

وفى هذا المتن من الزيارة تصريحٌ بأن الإنكباب على القبر وتقبيله ووضع

ص: ٧٤١

١- (١) مصباح المتهدج: ح ٨١، ٨١٢.

٢- (٢) مصباح المتهدج: ح ١٠٥، ٨٣٦.

الخدین، فی حین انه توجّه وخضوع وتعظیم للمعصوم، فهو يتوجه بذلك الى الله، خضوعاً وتعظيماً له، وأن التوجه الى المعصوم، وسيله للتوجه الى الله سبحانه..).

(١٥) وروى فى كامل الزيارات: الصحيح الى سعدان بن مسلم قائد ابى بصير، قال حدثنا بعض اصحابنا، عن ابى عبدالله (عليه السلام): ثم ذكر زياره للحسين (عليه السلام)، وفيها: (... ثم ارفع يديك حتى تضعهما ممدودتين على القبر، ثم تقول: اشهد انك طهر طاهر من طهر طاهر... ثم ضع يديك وخديك جميعاً على القبر،...، ثم ضع يديك وخديك على رجله وقل: صلى الله على روحك وبدنك، فلقد صبرت وانت الصادق المصدق، قتل الله من قتلك بالايدي والالسن، ثم اجعل القبر بين يديك وصل ما يدا لك، وكلما دخلت الحائر فسلم عليه ثم امش حتى تضع يديك وخديك جميعاً على القبر، فاذا اردت ان تخرج فاصنع مثل ذلك)(١).

وفى هذا المتن من الزيارة نقاط:

(١) (تضعهما ممدودتين) وهى تدلُّ على حالة الخضوع والانكسار والاستسلام، وقد ورد هذا الادب فى عدة زيارات.

وان وضع اليدين بتمامهما ممدودتين يستلزم الانكباب، وهى هيئه من الخضوع.

كما ان هذه الهيئات هى من اشكال الخضوع هى لله تعالى عند قبر المعصوم توسلاً وتوجهاً به الى الله.. كذلك ورد نظيرها فى اداب الخضوع

ص: ٧٤٢

١- (١) كامل الزيارات: ب٧٩، ح١٧.

لله تعالى على جدار الكعبة واركائها والفناء المحيط بها..

وهو مطرد في زيارات المعصومين (عليهم السلام) كما لا يخفى.

(٢) ثم ضع يديك وخذيك جميعاً على القبر): وهذا نمط أشد خضوعاً لله تعالى، اتخاذاً للقبر، موطناً لذكر الله وتسيحاً كما امر الله تعالى: (فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُزْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ).

(٣) (عند رجليه)... وفي هذا زياده من الخضوع لله تعالى، وذلك بتعظيم وليه وخليفته، نظير خضوع الملائكة لله وسجودها له بتعظيم آدم في قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا) ١.

(١٦) ما رواه في الكافي عن عده من اصحابنا عن سهل بن زياد، عن محمد بن اورمه، عن بعض اصحابنا، عن ابي الحسن (عليه السلام) (صاحب العسكر)، قال: تقول عند رأس الحسين (عليه السلام)... وذكر زيارته، ثم قَالَ (عليه السلام): (ثم تضع خدك اليمين على القبر ، وقل: أشهد انك على بينه من ربك.. جئتك مقراً بالذنوب لتشفع لي عند ربك يا بن رسول الله، ثم اذكر الائمة بأسمائهم واحداً واحداً، وقل..(١)).

وروى هذه الزيارة بطريق آخر عن محمد بن جعفر الرزاز الكوفي عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن ذكره، عن ابي الحسن (عليه السلام) مثله..

(١٧) مصحح صفوان الجمال المروي في الفقيه عن الصادق (عليه السلام)، انه

ص: ٧٤٣

١- (٢) الكافي ج ٥٧٨: ٤، باب زياره قبر ابي عبد الله الحسين (عليه السلام)، ح ٣.

سار معه لزياره قبر امير المؤمنين. وقد تقدمت في اقوال العلماء(١).

وانه (عليه السلام) خرّ على القبر فسلم عليه، وعلا نحبيه .

(١٨) ما تقدم من روايه عيون اخبار الرضا (عليه السلام) والفقيه. في زياره على بن موسى الرضا (عليه السلام) التي رواها في العيون عن جامع شيخه محمد بن الحسن بن الوليد..(٢).

(١٩) وما تقدم من صحيحه الحميرى المرويّه في التهذيب، في جواب السؤال عن السجود على قبور الأئمه (عليهم السلام).. فقال: اما السجود على القبر فلا يجوز في نافله ولا فريضه ولا زياره.. على القبر في نافله ولا فريضه ولا زياره، بل يضع خده الايمن على القبر ..(٣). ولا يخفى أن النهي هو عن الصلاه على القبر فالسجود المنهي كناية عن نهى عن الصلاه على القبر كما استظهره الفقهاء وأفتوا بكراهه الصلاه على القبر.

(٢٠) معتبره الحسين بن ثوير في زياره طويله للامام الحسين (عليه السلام)، وفي ذيلها:... ثم انكب على القبر ، وقل: السلام عليك يا حجه الله وابن حجه... انا يا مولاي وليك اللانذ بك في طاعتك، ألتمس ثبات القدم في الهجره عندك.. وكمال المنزله في الآخره، بك.. أتيتك بابى انت وامى ونفسى ومالى وولدى زائراً، بحقك عارفاً... أتيتك يا بن رسول الله مكروباً، وأتيتك مغموماً، وأتيتك مفتقراً الى شفاعتك... وانا زائرک ومولاک

ص: ٧٤٤

١- (١) الفقيه: ح ٣١٩٥، ج ٢، ٥٨٦.

٢- (٢) الفقيه: ح ٣٢١٠، ج ٢، ٦٠٢- عيون اخبار الرضا: ج ٢، ب ٦٢، ٣٠٢.

٣- (٣) التهذيب: ح ١٠٦، ج ٢، ٢٢٨.

وضيفك النازل بك والحال بفنائك، ولى حوائج من حوائج الدنيا والآخرة، بك اتوجه الى الله فى نجحها وقضائها، فاشفع لى عند ربك.... والسلام عليك ورحمه الله وبركاته، ثم ارفع رأسك وقل...

ومفادها صريح فى خطاب الزياره للمعصوم.. والزائر فى حال الانكباب على القبر.. واللواذ والتوسل بالمعصوم..

ثم ضع خدك الايمن على القبر مره، والأيسر مره، وألح فى الدعاء والمسأله(١).

(٢١) وقال فى التهذيب، باب وداعه (عليه السلام)..

تقف عليه كوقوفك عليه حين بدأت بزيارته، وتقول: (السلام عليك يا مولاي يا بن رسول الله ورحمه الله وبركاته، أستودعك الله....) ثم تسأله أن لا يجعله آخر العهد منك، وادعو بما شئت، وقبل القبر، وضع خديك عليه... (٢).

(٢٢) وروى الطبرى فى دلائل الامامه، قال حدثنى ابو الحسين محمد بن هارون بن موسى التلعكبرى، قال حدثنى ابو الحسين بن ابي البر الكاتب، قال: تقلدت عملاً من ابي منصور بن الصالحان، ثم ذكر انه خاف منه واستتر وانه قصد بعد ذلك مقابر قريش ليله الجمع، واعتمد المبيت هناك للدعاء والمسأله، وكانت ليله ریح ومطر، وأنه سأل القيم أن يغلق الابواب ليجهتد فى الخلوه بالدعاء والمسأله، وليأمن من دخول انسان

ص: ٧٤٥

١- (١) تهذيب الاحكام: ج ٦، ح ١، ١٣١، ص ٦١-٦٨.

٢- (٢) التهذيب: ج ٦، ص ٩١، ب ٤٠.

عليه، فمكث يدعو ويزور ويصلي، فبينما هو كذلك، اذ سمع وطأه عند مولانا موسى (عليه السلام)، واذا رجل يزور، فسلم على آدم واولى العزم (عليهم السلام)، ثم الأئمة واحداً واحداً، الى ان انتهى الى صاحب الزمان (عجج الله) فلم يذكره، فعجبت من ذلك وقلت: لعله نسي او لم يعرف، او هذا مذهب لهذا الرجل، فلما فرغ من زيارته صلى ركعتين، وأقبل الى عند مولانا ابي جعفر (عليه السلام)، فزار مثل الزيارة، وذلك السلام، وصلى ركعتين، وانا خائف منه، اذ لم اعرفه، ورأيته شاباً تاماً من الرجال، عليه ثياب بيض وعمامه محنكاً بها بذؤابه، وروى على كتفه مسبّل.. فقال لي: يا ابا الحسين بن ابي البغل.. أين انت من دعاء الفرج، فقلت: وما هو يا سيدي، فقال: تصلى ركعتين وتقول: (يا من اظهر الجميل وستر القبيح، يا من لم يؤاخذ بالجريره، ولم يهتك الستر.. ثم تضع خدك الايمن وتقول: يا محمد يا علي اكفياني..)(١).

(٢٣) في البحار، عن (قبس المصباح) للصهرشتي (تلميذ شيخ الطائفة) عن المفضل بن عمر عن الصادق (عليه السلام) قال: (اذا كانت لك حاجه الى الله، وضقت بها ذرعاً فصل ركعتين، فاذا سلمت كبر الله ثلاثاً، وسبح تسبيح فاطمه (عليها السلام)، ثم اسجد وقل مائه مره: يا مولاتي فاطمه اغيثنى..

ثم ضع خدك الايمن على الارض، وقل مثل ذلك، ثم عد الى السجود، وقل ذلك مائه مره وعشر مرات، واذا ذكر حاجتك، فان الله يقضيها..

ص: ٧٤٤

ورواه الشيخ الى ابراهيم الكفعمى فى البلد الامين، الا انه قال بعد خدك الايمن: وضع خدك الايسر وقل كذلك.

ثم عد الى السجود.. وقل كذلك مائه مره وعشر مرات..(١).

(٢٤) ما ذكره الشيخ المفيد فى المزار:

فى القسم الأول:

(١) باب ٤٣: باب شرح الزيارة (لأمير المؤمنين (عليه السلام))، ثم ذكر زياره لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وفى ذيلها روى:

«ثم انكب على القبر فقبله، وضع خدك الأيمن عليه ثم الأيسر...»(٢).

(٢) باب ٥٢: باب القول عند الوقوف على الجثث..

وروى زياره للحسين (عليه السلام)، وفيها:

«.. ثم انكب على القبر، وقل: السلام عليك يا حجه الله وابن حجته، أشهد أنك حجه الله وأمينه... أنا يا مولاي وليك اللانذ بك فى طاعتك، ألتمس ثبات القدم فى الهجره عندك، وكمال المنزله فى الآخره بك.. أتيتك بأبى وأمى.. أتيتك مفتقراً إلى شفاعتك.. ثم ارفع رأسك وقل...»(٣).

ص: ٧٤٧

١- (١) البحار: ج ٩٤، ٣٠ - البلد الامين: ١٥٩.

٢- (٢) مزار الشيخ المفيد: ٨٢.

٣- (٣) مزار الشيخ المفيد: ١١٢.

وهى زياره طويله لسيد الشهداء (عليه السلام).

(٣) باب ٥٧: باب وداع زياره سيد الشهداء (عليه السلام)..روى:

«السلام عليكم يا ملائكة الله وزوّار قبر أبى عبدالله (عليه السلام)، ثم ضع خدك الأيمن على القبر مره، والأيسر مره .. وألح فى الدعاء والمسأله..»(١).

وفى القسم الثانى، من الكتاب:

توسعه التقبيل والتضرع إلى ما حوالى القبر من تربته

(٤) باب ١٥: ص ١٩٣: فى ذيل زياره موسى بن جعفر:

« ثم قبل التربه، وضع خدك الأيمن عليها..»(٢).

ولا يخفى أن هذه الروايه داله وتنص على:

أولاً: استحباب نفس تقبيل أرض وتراب حوالى القبر.

ثانياً: أنها تعمم التقبيل لمطلق العتبه لا- لخصوص القبر الشريف، وهذا يطابق معتبره أبى حمزه الشمالى التى مرّت فى كامل الزيارات.. من تعميم موضع الاستحباب لكل التربه حوالى القبر إلى مسافات بعيدة..

ثالثاً: أنها ناصه أيضاً على استحباب وضع الوجه على العتبه، زياده وعلاوه على ما استفاض من استحباب وضع الخد على قبورهم الشريفه..

ولا يخفى أن هذه الروايه مطابق لما روى فى كتب السير من رثاء

ص: ٧٤٨

١- (١) مزار الشيخ المفيد: ١٢٩.

٢- (٢) راجع رقم (٣) من أدله الروايات...٢٥.

فاطمه (عليها السلام) لأبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله)..

ماذا على من شمّ ترابه أحمدٍ أن لا يشم مدى الزمان غواليًا(١)

(٥) باب ١٩٨: ١٧.. فى زياره الإمام الرضا (عليه السلام)..

ثمّ تنكب على القبر، وتقبّله، وتضع خدّك الأيمن عليه وتقول:

«.. اللَّهُمَّ إِيكَ صمدت من أَرْضِي..»

(٦) باب ٢٠٣: ١٩.. زياره العسكريين (عليهما السلام):

قال: ... ثمّ تنكب على كل واحد من القبرين، فتقبّله، وتضع خدّك الأيمن عليه، وترفع رأسك وتقول: ..اللَّهُمَّ ارزقنى حبّهما وتوفنى على ملتھما.

(٢٥) نبذه مما وقفنا عليه فى المزار للمشهدى:

(١) الباب العاشر منه القسم الثالث(٢) فى فضل الكوفه وزياره أمير المؤمنين (عليه السلام)/ باب القول والعمل عند ورود الكوفه..قال:

فإذا وردت الكوفه فاخلع ثياب سفرك، وانزل واغتسل قبل دخولها فإنها حرّم الله وحرّم رسوله (صلى الله عليه وآله) وحرّم أمير المؤمنين (عليه السلام).

فإذا أردت المضى إلى المشهد، فاغتسل غسل الزيارة،... قال: وادخل إلى مشهد يونس النبي فرزه بهذه الزيارة، تقول: ...السلام على اولياء الله وأصفيائه، السلام على أمناء الله وأحبائه، إلى آخر الزيارة،... ثم قبل التربه، وصل ركعتين

ص: ٧٤٩

١- (١) مسند أحمد: ج ٢، ٤٨١.

٢- (٢) مزار المشهدى: ١٥٥، وكتابه الآخر، فضل الكوفه ومساجدها: ٦٧، ٦٩.

للزياره، وادع لنفسك ولمن أحبت..

(٢) وروى فى الباب الثانى عشر من القسم الثالث حول التوجه إلى مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام)، وذكر الزياره، ثم قال فى ذيلها:

.. ثم انكبّ على القبر وضع خديك عليه، ثم انفتل إلى القبله(١).

(٣) فى الباب الثالث عشر من القسم الثالث، ثم ذكر بعده الزيارات فى عمل رجب، ثم ذكر بعده الزياره الثالثه لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وفيها:

«... ثم انكبّ على القبر فقبله وقل:

أشهد أنك تسمع كلامى، وتشهد مقامى، وأشهد لك يا ولى الله...

.. كن لى إلى الله شفيحاً ومن النار مجيراً وعلى الدهر ظهيراً، ثم انكبّ على القبر وقل: يا حجه الله يا ولى الله... فاجعلنى يا مولاي من هممك..(٢).

(٤) فى زياره أخرى لأمير المؤمنين والحسين (عليهما السلام):

«... ثم انكبّ على القبر فقبله ، وقل: سلام الله وسلام ملائكته المقربين، والمسلمين لك بقلوبهم..(٣).

(٥) وفى زياره سادسه لأمير المؤمنين (عليه السلام).. ذكر:

«... ثم انكبّ على القبر ، وأنت تقول: يا سيدى تعرضتُ لرحمتك

ص: ٧٥٠

١- (١) مزار المشهدى: ١٩٠.

٢- (٢) مزار المشهدى: ٢١١.

٣- (٣) مزار المشهدى: ٢١٩.

بلزومى لقبر أخى رسول الله (صلى الله عليه وآله)..(١).

٦) الزيارة الحادية عشر لأمير المؤمنين (عليه السلام): «..ثم تنكب على القبر وتقبله، وتضع خدك الأيمن عليه، ثم الايسر..»(٢).

٧) فى الزيارة الرابعة عشر، وهى زياره جامعه لسائر الأئمه(عليهم السلام) وقال فيها..

«... وضع خدك على وسط القبر، وقُل: اللَّهُمَّ بِمَحَلِّ هَذَا السَّيِّدِ مِنْ طَاعَتِكَ، وَمَنْزِلَتِهِ عِنْدَكَ..»(٣).

٨) وقد ورد فى زياره حمزه بن عبد المطلب فى أحد، قال: بعد الزيارة وصلاتها: فإذا فرغت من صلاتك فانكب على القبر، وقُل: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ إِنِّي تَعَرَّضْتُ لِرَحْمَتِكَ بِلِزُومِي لِقَبْرِ عَمِّ نَبِيِّكَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).. لِتُجِيرَنِي مِنْ نِقْمَتِكَ وَسَخَطِكَ وَمَقْتِكَ، فِي يَوْمٍ تَكْثُرُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ..، فَقَدْ لَصِقْتُ بِقَبْرِ عَمِّ نَبِيِّكَ وَتَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ..»(٤).

٩) وقد ورد فى زياره مسلم بن عقيل (عليه السلام)، بعد قراءه مقدّمه الدخول.. ثم ادخل وانكب على القبر، وقُل: السلام عليك أيها العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين صلى الله

ص: ٧٥١

١- (١) مزار المشهدى: ٢٣٤.

٢- (٢) مزار المشهدى: ٢٦٢.

٣- (٣) مزار المشهدى: ٣٠٠.

٤- (٤) مزار المشهدى: القسم الثانى، الباب الرابع، ٩٥..

عليهم وسلم (١).

(١٠) وقد روى زياره أخرى لأمر المؤمنين (عليه السلام) وفيها:

« ثم تنكب على القبر، وتقبله، وتلوذ به ، وتسأل الله تعالى ما أحببت يُجيبك بفضلته وكرمه..» (٢).

حقيقه اللواذ ...

والتعبير في زياره قد جمع بين عنوان الانكباب على القبر والتقبل له.. ثم اللواذ به.. وعنوان اللواذ به عنوان عام يشمل العديد من هيئات كيفية التوسل واللواذ والاستجاره، والتوجه بالقبر الشريف إلى الله سبحانه..

فهو عنوان عام يشمل كثير من انواع وهيئات الطقوس التي يمارسها عامه المؤمنين عند القبر الشريف، وقبور المعصومين..

وقد ورد هذا العنوان في زيارات كثيره مستفيضه تعلم الزائر بأن يدعو الله أن يلوذ بقبورهم (عليهم السلام).. بل ورد في شأن قبر علي بن الحسين، والعباس، والحمزه بن عبد المطلب أيضاً.

(١١) الزياره الثامنه:.. «..لائذ بحرمتكم، منتظرٌ لرجعتكم...» (٣).

(١٢) الزياره العاشره:.. «.. ثم تنكب على القبر وتقبله وتقول: يا أمين

ص: ٧٥٢

١- (١) مزار المشهدى: ٩٥.

٢- (٢) مزار المشهدى: القسم الثالث / باب ١٣؛ الزياره التاسعه: ٢٥٥..

٣- (٣) مزار المشهدى: ٢٥٠.

الله، يا حجه الله، يا صراط الله المستقيم.. زارك عبدك ووليّك ومولاك اللائد بقبرك..»(١).

(١٣) الزيارة الحاديه عشره:.. «.. ثم تنكبّ على القبر وتقبّله، وتضع خدك الأيمن عليه ثم الأيسر.. ثم تتحول إلى عند الرأس، تقف عليه وتقول:.. يا وصي الاوصياء... ثم يقبل القبر ويضع خده الأيمن ويرفع رأسه»(٢).

(١٤) الزيارة الرابعه عشر: الزيارة الجامعه لسائر الأئمه..

«.. ثم تنكبّ على القبر وتقول: بأبي أنت وأمي.. وضع خدك على سطح القبر، وقل: «اللَّهُمَّ بمحلّ هذا السيد من طاعتك وبمنزلته عندك»(٣).

(١٥) الزيارة الخامسه عشر:.. لائذّ ببابك الذي فيه غبتّ، ومنه تظهر..»(٤).

(١٦) ثم تنكب على القبر، وتقول: وليّك يا مولاى يا أمير المؤمنين بك عائذ، وبحرمك لائذ.. وبحيلك آخذ.. وبأمرك نافذ، فكن لى إلى الله سفيرا(٥).

ص: ٧٥٣

١- (١) مزار المشهدى: ٢٥٩.

٢- (٢) مزار المشهدى: ٢٦٢.

٣- (٣) مزار المشهدى: ٣٠٠.

٤- (٤) مزار المشهدى: ٣٠٨.

٥- (٥) مزار المشهدى: ٣١٩.

(١٧) المزار: القسم السابع: زيارات أبي عبدالله (عليه السلام):... ثم انكبّ على القبر (١).

وذكر في ذيلها زياره أبي الفضل العباس (عليه السلام)، وفيها:

«ثم ادخل وانكبّ على القبر وقل: السلام عليك أيها العبد الصالح..» (٢). وفي نهايه هذه الزياره: ضع خدّك الأيمن على القبر مرّه، والأيسر مره، وألخ بالدعاء والمسأله.

(١٨) القسم الرابع: الباب ١٦- الزياره الأولى: للحسين (عليه السلام) في شعبان.

... ثم تنكب على القبر وتضع خدّك عليه، وتتحول إلى عند الرأس وتقول: السلام عليك يا ولي الله..

ثم تنكبّ على القبر وتقبّله وتضع خدّك عليه.. وتتحرف إلى عند الرأس» (٣).

(١٩) الزياره الثانيه: (باب ١٦): أثناء الزياره، ثم تنكبّ على القبر وتقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.. (٤)، ثم تصلى ركعتين، ثم تنكبّ على القبر وتقبّله وتقول: السلام على الحسين بن علي المظلوم الشهيد.. وفي ذيلها زياره العباس بن عليّ (عليه السلام):... السلام عليك أيها الولي الصالح، والصدّيق المواسي.. ثم تنكب على القبر وتقول: بأبي انت وأمي يا ناصر

ص: ٧٥٤

١- (١) مزار المشهدى: ٣٨١.

٢- (٢) مزار المشهدى: ٣٨٩.

٣- (٣) مزار المشهدى: ٤١٥.

٤- (٤) مزار المشهدى: ٤٢٣.

السلام عليك يا ناصر الحسين الصديق(١).

(٢٠) الزيارة الثالثة: للحسين (عليه السلام).. ثم انكب على القبر وقل: إنا لله وإنا إليه راجعون.. يا مولاي(٢).

... ثم انكب على القبر ثانيه وقل:

أشهد أن الله عزَّ وَجَلَّ مُنْجِزٌ لِّكَ مَا وَعَدَكَ..(٣).

وفى ذيلها: ثم تأتي إلى قبر العباس (عليه السلام)، وتقول:.. السلام عليك أيها الولي الناصح الصديق.. ثم تنكب على القبر وتقبله وتقول: بأبي أنت وأمي يا ناصر دين الله..

(٢١) الزيارة الرابعة: فى ذيلها.. يا مولاي لا- جعله الله آخر العهد منى، وتقبل منى... ثم تُقبله وتمرّ سائر بدنك ووجهك على القبر.. فإنه أمان وحرز من كل ما تخاف وتحذر ياذن...(٤).

التبرك بقبورهم عليهم السلام

التبرك واللواذ بقبورهم شعار وشعيره

ويستفاد من هذا المقطع:

ص: ٧٥٥

١- (١) مزار المشهدى: ٤٢٥.

٢- (٢) مزار المشهدى: ٤٣١.

٣- (٣) مزار المشهدى: ٤٣٢.

٤- (٤) مزار المشهدى: ٤٣٤.

(١) أن التقبيل، وبعده يُمرّر الزائر ويمسح سائر بدنه بالقبر الشريف وهو على تلك الهيئة.. وهي هيئة للتبرك، كما هي هيئة للواذ.. كما أنها هيئة للخضوع أيضاً..

ومن ثمّ ما يُشاهد من هيئات تبرك ولواذ بالبدن للقبر الشريف، بأنماط مختلفه، هي مشموله لهذه الأدله بالعموم والخصوص.. وكذلك ما يُبديه المؤمنون من هيئات تواضع وخضوع أمام الأضرحة الشريفه..

(٢) إمرار ومسح الوجه على القبر الشريف.. سواء كانت الجبهه أو الخدين أو الجبينين أو الذقن.. وليس ذلك بالوضع لهذه المواضع من الوجه فحسب، بل بتحريك الوجه على القبر.. فهي زياده فى الخضوع واللواذ والتبرك..

(٣) يظهر من التعبير والعطف، وتَمرّر سائر..

أن التقبيل بالشفيتين هو كابتداء، عنوانه اللواذ والتبرك والاحتراز والاعتصام والخضوع والتعظيم..

(٤) قد غلّل فى زياره هذا التقبيل والإمرار لسائر البدن والوجه على القبر.. بأنه أمان وحرز لكلّ ما يُخاف ويُحذر بإذن الله.. ممّا يُعطى عنواناً لهذه الأفعال، ومفاداً شعارى.

(٢٢) الباب الثامن عشر من القسم الرابع.. زيارات الحسين (عليه السلام).

..ثم انكب على القبر وقبله وقل: «بأبى أنت وأمى يا أبا عبد..»(١).

ص: ٧٥٦

وفى ذيلها فى زياره على بن الحسين (عليه السلام) أيضاً..

« ثم انكب على القبر وقبله وقُل .. السلام عليك يا ولى الله وابن وليه..»

وكذلك فى ذيلها: ثم عُد إلى رأس الحسين (عليه السلام) وأكثر من الدعاء لنفسك وأهلك وإخوانك المؤمنين.. فإذا أردت الخروج فانكب على القبر وقُل: «السلام عليك يا مولاي..»^(١).

(٢٣) القسم الخامس: من زياره سائر الأئمه / الباب الرابع زياره مختصره للإمامين العسكريين، وفى وسطها، ثم قبل التربه، وضع خدك الأيمن عليهما، وتحول إلى عند الرأس، وقُل: «السلام عليكما..»^(٢).

(٢٤) وفى القسم الثامن: الباب الثانى، فى زياره العسكريين (عليهما السلام)،

.. ثم ضع خدك الأيمن على القبر، وقُل: .. اللَّهُمَّ بذلّى فيهما، أعزنى بهما ..

ثم انتصب، وقُل: اللَّهُمَّ هذين إمامائى، وقائداى، وبههما، وبآبائهما، أرجو الزلفه لديك، يوم قدومى عليك..

اللَّهُمَّ إني أشهدك ومن حضر من ملائكتك أنهما عبدان لك، إصطفيتهما، وفضلتهما، وتعبدت خلقك بموالاتهما..

ص: ٧٥٧

١- (١) مزار المشهدى: ٤٦٥.

٢- (٢) مزار المشهدى: ٥٤٠.

وأذقتهما المنية التي كتبت عليهما..»(١).

الطواف حول قبورهم ...

(٢٦) إقبال الأعمال لابن طاووس: قد مرّ ما ذكره في زياره أمير المؤمنين (عليه السلام) (الباب ٤، فصل ١٣٥: ١٢).. وذكر في زياره الحسين (عليه السلام): (الباب ٩، فصل ٣٤٣: ٥٣).

روى فيها:.. ثم قبل الضريح وضع خدك الأيمن عليه، ثم الأيسر ودُر حول الضريح فقبله من أربع جوانبه..

(٢٧) وروى ابن طاووس في فرج المهموم، دعاء الفرج لقضاء الحاجه يروى من كتاب لأبي جعفر الطبري، وإليه إسناد عن أبي جعفر محمد بن هارون بن موسى التلعكبري، عن ابن أبي بعل الكاتب، وتشرفه عند زياره موسى بن جعفر، حيث كان مهموماً خائفاً، فقال له (عليه السلام): يا أبا الحسن بن أبي البغل.. أين أنت عن دعاء الفرج؟ فقلت فما هو يا سيدي؟ قال: تصلى ركعتين، وتقول: يا من أظهر الجميل وستر القبيح، يا من لم يؤاخذ بالجريه...، ثم تضع خدك الأيمن على الأرض وتقول مائه مره في سجودك: يا محمد يا على اكفياني فانكما كافيان، وانصراني فانكما ناصران.. ثم تضع خدك الأيسر على القبر وتقول: أدركني يا صاحب الزمان، وتكرّر ذلك كثيراً، وتقول: الغوث، الغوث،... حتى ينقطع النفس، وترفع رأسك، فإن الله يقضى حاجتك إن شاء..(٢).

ص: ٧٥٨

١- (١) مزار المشهدى: ٦٥٥، ٦٥٦..

٢- (٢) فرج المهموم للسيد ابن طاووس: باب ٢٤٧: ١٠.

من آداب الزيارة: طأه الرأس عند الدخول إلى المشهد الشريف والخروج منه..

وقد ورد ذلك في الزيارة الجامعة:.. طأاً كلُّ شريف لشرفكم، وبخع كل متكبر لطاعتكم، وخضع كل جبار لفضلكم، وذل كل شىء لكم..

وقد ذكر المجلسى الأول في روضه المتقين، في شرح هذه الفقرة:

طأاً: أى خضع أو خفض ولم يصل.. (كل شريف لشرفكم) أى إليه أو لأجله.. (وبخع) أى خضع (كل متكبر لطاعتكم) أى فيها، أو لأجل إطاعتكم لله.. (وذلل كل شىء لكم) بقدره الله تعالى(١).

وفى اللغة (القاموس المحيط): التطأأ: التطمأن والانخفاض .. يقال: طأأ رأسه، وتطأأ..

وأما المجلسى الثانى، فقد قال فى ملاذ الأخيار، (طأأ كل شريف) أى ذل، و(بخع كل متكبر) أى أقر وخضع.. وفى القاموس بخع بالحق بخوعاً، أقر به، وخضع به، كنجع.. وفى بعض النسخ (نخع) بالنون، يقال: نخع لى بحقى، كمنع.. أقر..(الفيروز آبادى)(٢).

وفى البحار عن بيان التنزيل لابن شهر آشوب، قيل: كان النبى (صلى الله عليه و آله) إذا صلى رفع بصره إلى السماء، فلما نزل: قوله تعالى: «الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ

ص: ٧٥٩

١- (١) روضه المتقين للمجلسى: ج ٥، ٤٩٣.

٢- (٢) ملاذ الاخيار شرح التهذيب: ج ٩، ٤٧٣.

خاشِعُونَ» ، طأطأ رأسه، ورمى بصره إلى الأرض.

وروى الطبرى فى دلائل الإمامه بسنده عن محمد بن فضيل، قال:

«لما كان فى السنه التى بطش فيها هارون، بجعفر بن يحيى وحبس يحيى بن خالد، ونزل بالبرامكه ما نزل، كان الرضا (عليه السلام) واقفاً بعرفه يدعو، ثم طأطأ رأسه حتى كادت جبهته تصيب قدمه الرجل، ثم رفع رأسه، فسئل عن ذلك، فقال: إني كنت أدعو على هؤلاء القوم (يعنى البرامكه) منذ فعلوا بأبى ما فعلوا.. فاستجاب لى اليوم فيهم»(١).

وروى فى الاختصاص: بسند موثق، عن الأصبع بن نباته، قال: كنت مع أمير المؤمنين (عليه السلام) فأتاه رجل، فسلم عليه، ثم قال:

«يا أمير المؤمنين إني والله لأحبك فى الله، وأحبك فى السرِّ كما أحبك فى العلانيه، وأدين الله بولايتك فى السرِّ، كما ادين بها فى العلانيه».

وجه الشاهد: أن الانقياد والخضوع مطلوب فى العلن، من حركات الجسم والبدن.. كما هى مطلوبه اعتقادياً فى الخفاء والسرّ.

إلى هنا تمت هذه الدراره لموضوع تقبيل العتبات المقدسه حيث بحثنا فيها الجهات الخمس.. وآخرها هى الأدله الشرعيه على رجحان واستحباب تعفير الخدين والوجه، وتقبيل العتبات المقدسه.. والحمد لله رب العالمين.. ونسأله تعالى بركه سيد الشهداء أبى عبد الله الحسين (عليه السلام) أن يوفقنا لإكمال هذه الموسوعه الدينيه العظيمه.. موسوعه الشعائر الحسينيه.. انه سميع مجيب.

ص: ٧٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصهبان
الغمامة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

